



ISSN: 2665-7406  
E-ISSN: 2737-8586



جامعة محمد الخامس بالرباط  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
Université Mohammed V de Rabat  
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines  
Mohammed V University in Rabat  
Faculty of Letters & Human Sciences

# اللساني Linguist

مجلة فصلية دولية علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط  
المجلد (1) - العدد (3) صيف 2021

ملف العدد  
العجاج

# اللساني linguist

مجلة فصلية دولية علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

المجلد (1) - العدد (3) صيف 2021م

ISSN: 2665-7406

E-ISSN: 2737-8586

البريد الإلكتروني للمجلة

[info@linguist.ma](mailto:info@linguist.ma)

[ismaili@linguist.ma](mailto:ismaili@linguist.ma)

الموقع الإلكتروني للمجلة

<https://www.linguist.ma>

مجلة فصلية علمية محكمة متخصصة في اللسانيات تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

المخبر الإدري

أ.د. جمال الدين الهاني

عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط

مدير المجلة ورئيس تحريرها

أ.د. حافظ إسماعيلي علوي

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. أحمد العلوي

أ.د. أحمد المتوكل

أ.د. حمزة بن قبلان المزيني

أ.د. حنون مبارك

أ.د. سعد مصلوح

أ.د. صالح بلعيد

أ.د. عبد الرزاق بنور

أ.د. عز الدين المجدوب

أ.د. محمد البكري

أ.د. محمد السيدي

أ.د. محمد الشاوش

أ.د. محمد غاليم

أ.د. مرتضى جواد باقر

أ.د. مصطفى غلفان

أ.د. ميشال زكريا

أ.د. نهاد الموسى

هيئة التحرير

أ.د. السعدية الصغير

أ.د. سعيد بنيس

أ.د. عبد الرحمن لعويبة

أ.د. فاطمة الزهراء الفن

أ.د. كريم بنسوكاس

أ.د. محمد التاقي

أ.د. محمد الدرويش

د. إقبال زداري

د. جمال ازواين

د. حسن بلحياح

د. حكيمة خمار

د. سعاد اليوسفي

د. عثمان احمباني

د. ليلي منير

د. محمد مرزوق

د. هشام وردى

linguist اللسانيّ

مجلة فصلية دورية علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

ترسل جميع الموال على البريد الإلكتروني للمجلة  
info@linguist.ma أو ismaili@linguist.ma

للمزيد من التفاصيل يرجى زيارة الموقع الإلكتروني  
للمجلة

<https://www.linguist.ma>

ISSN: 2665-7406

E-ISSN: 2737-8586

### اللساني:

- مجلة فصلية دولية علمية محكمة متخصصة في اللسانيات،
- لغات المجلة: اللغة العربية، اللغة الإنجليزية، اللغة الفرنسية.
- تقبل المجلة البحوث سواء أكانت تأليفاً أم ترجمة، أو مراجعة، شريطة أن يكون البحث المترجم أو الكتاب على درجة كبيرة من الأهمية.

### رسالة المجلة:

- الإسهام في نشر ثقافة لسانية عالمية.
- تطوير البحث اللساني في الثقافة العربية.
- مواكبة مستجدات البحث اللساني وتحولاته المعرفية.
- إطلاع الباحثين والمهتمين على أهم ما يكتب وينشر في مجال اللسانيات.
- الاهتمام بانفتاح الحقل اللساني وحواره مع التخصصات الأخرى بالتركيز على الدراسات البينية.

### خصوصية المجلة:

- تنشر المجلة البحوث والدراسات الجادة في مجال اللسانيات.
- تسعى المجلة إلى مواكبة مستجدات البحث اللساني من خلال ترجمة البحوث والدراسات التي تنشر في أهم المجلات اللسانية العالمية،
- إثارة نقاش حول أهم القضايا اللسانية المعاصرة.

### شروط نشر البحوث:

- تنشر المجلة البحوث الأصيلة التي لم يسبق نشرها أو إرسالها للنشر إلى أي جهة أخرى،
- تكون المواد المرسلة للنشر ذات علاقة باللسانيات، سواء أكانت دراسات وبحوثاً نظرية وتطبيقية، أم بحوثاً مترجمة،
- تلتزم البحوث بالأصول العلمية المتعارف عليها،
- تقدم البحوث وفق شروط النشر في المجلة.
- ألا يتجاوز عدد كلمات البحث 10.000 كلمة، بما في ذلك الملاحق.

### شروط نشر مراجعة الكتب:

- تنشر المجلة مراجعات للإصدارات الحديثة، سواء أترجمت إلى اللغة العربية أم لم تترجم بعد.

■ يجب أن يراعى في عرض الكتب شروطا محددة (انظر الموقع الإلكتروني)

### توثيق الكتب العربية

- توثق الكتب في الهامش على النحو الآتي:  
اسم المؤلف، عنوان الكتاب، الجزء (إن وجد)، المترجم (إن كان الكتاب مترجما)، رقم الصفحة.
- وتوثق الكتب في قائمة المراجع توثيقا كاملا.

### توثيق الدوريات:

- توثق الدوريات في الهامش على النحو الآتي:  
اسم الباحث، "عنوان الدراسة أو المقالة"، رقم الصفحة.
- وتوثق الدوريات في قائمة المراجع توثيقا كاملا.
- إذا تكرر ذكر المرجع مباشرة سواء أكان كتابا أم بحثا في الصفحة نفسها يشار إليه بـ"المرجع نفسه" حتى في حالة الانتقال إلى الصفحة (الصفحات) الموالية، أما إذا فصل بين ذكره الأول وذكره اللاحق مرجع أو أكثر فيحال عليه وكأنه يذكر لأول مرة.

### توثيق الكتب الأجنبية

- تعتمد المجلة نظام شيكاغو في التوثيق.

### مرفقات ضرورية للنشر:

- يرفق بالبحوث المقدمة للنشر في المجلة:
  - البحث الأصل إذا كان البحث مترجما، مع توثيق النص الأصل توثيقا كاملا،
  - ملخص البحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنجليزية، في حدود 250 كلمة،
  - جرد لأهم الكلمات المفتاحية،
  - سيرة موجزة للباحث (في حدود 200 كلمة) باللغة العربية واللغة الإنجليزية.
  - السيرة الذاتية المفصلة للباحث.

### إجراءات النشر:

- ترسل جميع المواد على البريد الإلكتروني للمجلة:  
[info@linguist.ma](mailto:info@linguist.ma) أو [ismaili@linguist.ma](mailto:ismaili@linguist.ma)
- تلتزم المجلة بإخطار صاحب البحث حال تسلّمه،

## قواعد النشر في المجلة

## قواعد النشر

- تلتزم المجلة بإخطار صاحب البحث في أجل أقصاه شهر من تاريخ تسلمه، بقبول البحث أو رفضه شكلاً، وبعرضه على المحكمين في حالة استيفائه لشروط النشر في المجلة ومعاييرها،
- تُرسل المواد التي تستجيب لمعايير النشر للتحكيم على نحو سري،
- يخبر الباحث بنتائج التحكيم (قبولاً أو رفضاً) في أجل أقصاه ثلاثة أشهر ابتداء من تاريخ إشعاره باستيفاء المادة المرسلة للشروط الشكلية وعرضها على المحكمين،
- إذا رفض البحث فإن المجلة غير ملزمة بإبداء الأسباب.
- إذا طالب المحكمون بإجراء تعديلات على أي بحث؛ يخبر الباحث بذلك، ويتعين عليه الالتزام بالأجال المحددة لإجراء التعديلات المطلوبة،
- تفرض المجلة أن يلتزم الباحث بالتحضير والتدقيق اللغوي، وفق الشروط المعمول بها في الدوريات العلمية،
- تحتفظ المجلة بحق إعادة نشر البحث بأي صيغة تراها ذات فائدة.
- لا يحق نشر أي مادة بعد تحكيمها وقبولها للنشر قبولا نهائياً وإخطار صاحبها بذلك، إلا إذا لم تلتزم المجلة بنشر المادة في الوقت المحدد،
- لا تدفع المجلة تعويضا مادياً عن المواد التي تنشرها، ولا تتقاضى أيّ مقابل مادّي عن النشر. كما هو معمول به في الدوريات العلمية.

**المواد المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو المسؤول عنها**

ترسل جميع المواد على البريد الإلكتروني للمجلة

ismaili@linguist.ma أو info@linguist.ma

للمزيد من التفاصيل يرجى زيارة الموقع الإلكتروني للمجلة

<https://www.linguist.ma>

## المشاركون في العدد

- أ.د. عنون مبارك  
أ.د. صمراوي مسعود  
أ.د. غاليم محمد  
أ.د. المتوكل أحمد  
أ.د. محسن محيي الدين  
أ.د. محمد الويل  
أ.د. المساوي خليفة  
د. البوعمراني محمد الصالح  
د. الطيب هديل  
د. بكار سعيد  
د. بنو سالم سعيدة  
د. بنو سالم فاتنة  
د. جميلة مليكة  
د. صبحي خليل علاء الدين أمينة  
د. عبد الرحمن طعمة  
د. مصطفى إيمان  
د. ملوك عبد القادر

## ملف العدا: الصجاج

Functional Grammar and Argumentative discourse Emphasis and Emphatic Marking in Arabic.....

**Ahmed Moutaouakil (pp1-27)**

الصجاج وآليات التفكير: مداخل لسانية مفاهيمية.....  
أ.د. عبد الرحمن محمد طعمة (ص ص 67-29)

الانسجام في الخطاب الصجاجي: مقارنة تداولية عرفانية.....  
د. سعدية بن سالم (ص ص 122-69)

القص وانشاء المغالطة (دراسة حجاجية معجمية).....  
د. فاتن بن سالم (ص ص 156-123)

حجاجية الحوار في رواية (الكرنك) لنجيب محفوظ.....  
د. أميمة صبحي خليل علاء الدين (ص ص 185-157)

استعارة خطاطة القوة في السياقات القائمة على الصجاج.....  
د. محمد الصالح البوعمراني (ص ص 224-187)

النقدانية critique والصجاج السياسي.....  
ألان فينليسون  
ترجمة: أ. د. محيي الدين محسب (ص ص 241-225)

تحليل الصجاج والمقاربة التاريخية للخطاب: إطار منهجي.....  
مارتن رايزجل  
ترجمة: د. سعيد بكار (ص ص 282-243)

عندما يكون الصجاج مجرد هدف إقناعي: نموذج الخطاب السياسي.....  
باتريك شارودو  
ترجمة: د. عبد القادر ملوك (ص ص 309-283)

## حوار العدد

عن البلاغة أو الخطابة في عصر العولمة: حوار مع أ. د. محمد الولي (ص 311-318)

## دراسات وأبحاث:

الترباط المعرفي بين العلوم وفهوج اللسانيات.....

أ.د. محمد غاليم (ص 319-356)

السياسات اللغوية في التعليم وإعادة صياغة الهوية الوطنية في دولة قطر: دراسة سيولسانية.....

د. إيمان مصطفى

د. هديل الخطيب (ص 357-382)

إشكالية تأصيل المصطلح اللساني الحديث في التراث.....

أ.د. خليفة الميساوي (ص 383-405)

المقترح العربي في ترجمة المصطلح التداولي: مراجعة مفاهيمية نقدية.....

أ. د. مسعود صحراوي (ص 407-436)

On the Linguistically Responsive Teacher in Tertiary Education.....

Dr. Malika Jmila (pp437-453)

# ملف العدد العجاج

## النحو الوظيفي والخطاب الحجاجي التقوية والمؤيدات في اللغة العربية

أ.د. أحمد المتوكل

جامعة محمد الخامس، الرباط

*ahmed.moutaouakil@yahoo.com*

### الملخص:

من آليات الخطاب الحجاجي في اللغات الطبيعية "آلية التقوية" التي يتوسل بها لدعم الدفع بالدعوى أو لدعم إبطالها في مقامات التشكيك أو الإنكار. وللتقوية في اللغة العربية أدوات وتراكيب مخصوصة تتميز بالنظر إلى الحيز المقصود تقويته كأن يكون القوة الإنجازية أو الفحوى القضوي بركنيه الإحالي والحملية، أو فعل الخطابي برمته سواء أكان مجرد مركب اسمي أو جملة أو نصا كاملا.

نروم في هذا البحث التفصيل في المقاربتين اللتين يقترحهما النموذج المعيار ونموذج نحو الخطاب الوظيفي لمعالجة ظاهرة التقوية في الخطاب الحجاجي معتمدين تجليات هذه الظاهرة في اللغة العربية.  
الكلمات المفاتيح:

الخطاب الحجاجي، آلية التقوية، الدعوى، القوة الإنجازية، الفحوى القضوي

## *Functional Grammar and Argumentative Discourse Emphasis and Emphatic Marking in Arabic*

Pr. Ahmed Moutaouakil

Mohammed V University, Rabat. Morocco

*ahmed.moutaouakil@yahoo.com*

### *Abstract:*

*In earlier work (Moutaouakil 1989)), I argued that within the framework of Functional Grammar (e.g. Dik 1997) inna-constructions in Standard Modern Arabic (hereafter SMA) be analysed as focus constructions where (Contrastive) Focus function is assigned to the predication. In Mackenzie (2009), it is argued that within the FDG framework these constructions should rather be approached in terms of Emphasis.*

*Subscribing to Mackenzie's view, I here re-examine the interpersonal and structural properties of inna-constructions (together with the other types of emphatic constructions in Arabic) in light of the way in which Emphasis and emphatic marking are described in Hengeveld and Mackenzie (2008). It is believed that the proposals made throughout this study will enrich the FDG approach in the area of argumentative discourse.*

### *Keywords:*

*Functional Grammar, Standard Modern Arabic, argumentative discourse.*

## *In Standard*

### **1. Introduction**

In Standard Modern Arabic (hereafter SMA), the particle *`inna* occupies the initial position in constructions where it is used to signal that special attention is on the transmitted content.

Within the framework of Functional Grammar (e.g. Dik 1997, henceforth FG), these constructions have been analysed as a type of focus constructions where (Contrastive) Focus is placed on the whole predication. (Moutaouakil 1989)

In a recent study, Mackenzie (2009) rightly points out that the properties of *`inna*-constructions can be more adequately accounted for if they are analysed in Functional Discourse Grammar (FDG) as emphatic rather than focus constructions.

Elaborating on the characterization of Emphasis given in Hengeveld and Mackenzie (2008), I would like to discuss this issue within a global approach to emphatic constructions in Arabic. I shall mainly be concerned with the following four aspects: (a) the extent to which it would be useful to distinguish between two kinds of emphasis: emotive emphasis (Exclamation) and what we may call ‘argumentative emphasis’ (Reinforcement), (b) the interpersonal status of the units that can be emphasized and the formal means by which the emphatic features can be realized, (c) the possibility for a construction to involve multiple emphatic marking and (d) the ordering of the emphatic markers as well as the principles by which it is ruled.

## 2. Emphasis in FDG

### 2.1. Definition

In Hengeveld and Mackenzie (2008:64), Emphasis is defined as “the result of the Speaker’s intensification of the Discourse Act”, a definition which suggests that Emphasis is the opposite of Mitigation. Hengeveld and Mackenzie put forward the idea that Emphasis applies irrespective of the illocutionary value of the Discourse Act: it can combine with Declarative, Interrogative or Imperative Illocution. Examples from SMA are the following:

- (1) a- <sup>ʔ</sup>inna Zaydan qadima  
EMPH Zayd-ACC come-PAST.3MSG  
‘I state / assert that Zayd came’
- b- hal <sup>ʔ</sup>inna Zaydan qadima?  
INT EMPH ZAYD-ACC come-PAST.3MSG  
‘Do you state / assert that Zayd came?’
- c- lā tughādiranna!  
PROHIB leave-2MSG-EMPH  
‘I strongly forbid you to leave!’

This is taken as an argument in favour of the claim that Emphasis is not an illocution. I shall return to this issue below.

### 2.2. Emphasis vs Foc/ Contrast

Within FDG, the pragmatic functions recognized in FG have been revisited and redefined to conform with new insights.

More specifically, Contrast is now conceived of not as a subtype of Focus but as an autonomous full-fledged pragmatic function, signalling “the Speaker’s desire to bring out the particular differences between two or more Communicated Contents or between a Communicated Content and contextually available information.” (Hengeveld and Mackenzie (2008: 96).

Focus function,, on the other hand, “signals the Speaker’s strategic selection of new information.” (Hengeveld and Mackenzie (2008:89)). More often than not, emphatic constructions are analysed as Focus constructions, particularly in Grammars where Emphasis is lacking as working concept as is the case in FG. At the root of this confusion is probably the fact that in both kinds of construction some prominence (or salience) is involved.

The way in which Emphasis, Focus and Contrast are defined in FDG makes it possible to draw a clear distinction between these three notions: Emphasis differs from Focus in the sense that it applies to a unit not necessarily embodying new information; on the contrary, the emphasized unit typically conveys known information. It differs from Contrast, as Mackenzie (2009:6) points out, in not implying any information contrasting process.

Further evidence for distinguishing Emphasis and Contrast as two quite different processes is the fact that they can apply to the same unit within the same discourse Act. In example (2b), the predicate ‘*fāzat*’ is contrasted and emphasized at the same time:

- (2) A: rasabat                      Hindun  
       fail-PAST.3FSG Hind-NOM  
       ‘Hind failed’
- B: a- bi fāksi,                      **fāzat**                      !  
       with-Def-contrary-GEN succeed- PAST.3FSG  
       ‘On the contrary, she **succeeded!**’
- b- bi fāksi,                      qad **fāzat**                      !  
       with-Def-contrary-GEN EMPH succeed- PAST.3FSG  
       ‘On the contrary, she **DID succeed!**’

Such a process generally also takes place, as Mackenzie (2009:7) shows, in *inna*-constructions where the (nominal/adjectival) predicate bears the emphatic prefix *la-*. These constructions will be examined in more details later.

In sum, Focus and Contrast relate to the communicative status of pieces of information whereas Emphasis/Mitigation relates to the (energetic/moderate) way in which a given piece of information is presented.

### 2.3. Emphasis vs Illocution

In FG (Dik 1997:239), Exclamation is analysed, as well-known, as an illocution. Within the same framework, I argued in Moutaouakil (1999 and 2005) that it is not an illocution and that, therefore, it cannot be taken as having the same status as Declarative, Interrogative and Imperative. Rather, I argued, it is a sub-type of (emotional)

modality.

In FDG, Exclamation is no longer thought of as an illocution, instead, the properties of exclamatory constructions are captured by an emphatic operator.

That Emphasis is not an illocution is evidenced by the fact that it can combine, as Hengeveld and Mackenzie (2008) point out, with any illocution. Furthermore, I shall show below that it may apply to the illocution itself.

It will become clear throughout this study that in defining Emphasis in a manner that permits to distinguish it from Illocution and Focus/Contrast, FDG renders possible to account in a more adequate way for truly emphatic constructions.

### 3. Emphatic operator: Exclamation vs Reinforcement

The examples given in Hengeveld and Mackenzie (2008: 66, 83) as instantiations of Emphasis are exclamatory constructions like (3) and also non-exclamatory constructions such as (4):

(3) She has grown!

(4) Doe je werk dan  
Do your work EMPH  
'Go on, do your work'

I would like to interpret this as an indication that Emphasis can be assumed to subsume different sub-types. If such an interpretation turns out to be correct, I would like to suggest distinguishing between – at least – two Emphasis sub-types: emotive Emphasis or Exclamation and 'argumentative' Emphasis or Reinforcement.

Supporting such a distinction are the following facts:

(i) Both Exclamation and Reinforcement serve as intensifying devices. They differ from each other, however, in that the former is the intensification of a Discourse Act performed as an (enthusiastic) emotional reaction towards a Communicated Content or Subact whereas the latter is the intensification of (a part of ) a Discourse Act occurring as an argument or as an element of a more or less long argumentative chain.

(ii) With this characterization, exclamatory constructions and reinforcement constructions are expected to appear in two different discourse types (or genres): expressive and argumentative respectively.

(iii) The two kinds of constructions display quite different formal properties. In SMA, Exclamation is expressed, as shown in Moutaouakil (1999 and 2005), by a specific predicate form ( *mā* □ *af* *ala*) and a specific intonational contour as for instance in (5):

(5) *mā* <sup>ˈ</sup>*āj**mala*      *Najāt**an!*  
EXCL-beautiful *Najāt*-ACC  
'How beautiful is *Najāt*!'

As for Reinforcement, it is realized by various lexical and morpho-syntactic means depending upon the interpersonal status of the reinforced unit as will be shown below.

If such a proposal is tenable, we could represent the emphatic operator as follows

(6) Emph = {  
                  Excl  
                  Reinf

Having devoted a special study to Exclamation in Arabic (Moutaouakil (1999) and (2005)), I will concentrate here on Reinforcement.

## 4. Emphasis placement and emphatic marking

### 4.1. Emphatic markers

In general, Reinforcement can apply to any unit at the interpersonal level. It can be placed on the whole Discourse Act, on the Communicated Content or on one of the (Referential and Ascriptive) sub-acts it embodies.

As for its formal expression in SMA, Reinforcement is mediated through lexical or morpho-syntactic markers.

The lexical means used as Reinforcement markers are mainly modifiers such as *fi lan* (indeed), *Haqqan* (really, truly), *qaT an* (absolutely), *dūna šakkin* (undoubtedly), *jiddan* (seriously)...

It is noteworthy that *jiddan* and other adverbs like *biSarāHa* ('frankly') and *biSidq* (sincerely) which are commonly taken as lexical means for restricting (specifying or modifying) the (lexical / abstract) illocutionary predicate may also be used, in some contexts, to intensify the whole Discourse Act. In such contexts, it seems that they serve the interpersonal function of emphatic Discourse Act modifiers rather than mere illocutionary restrictors.

The morphological reinforcing markers are the particles *inna* and *qad*, the prefix *la-* and the verbal suffix *-anna*. In certain cases, constituent ordering can also take part in the formal expression of Reinforcement.

A very productive special construction is reserved to the expression of the reinforcement applying to the predicate. Such a construction is the result of what we could call 'Predicate-Copying Strategy' (hereafter PCS) which consists in resuming the predicate by its nominalized form within the same clause.

The choice between these various emphatic markers depends up on the interpersonal status of the reinforced unit and the interpersonal (and representational) features involved in the ('pure' / 'mixed') alignment of this unit.

## 4.2. Emphatic Acts

### 4.2.1. Reinforced Acts

A whole Discourse Act can be reinforced by such lexical means as modifiers like *qaT an* and *jiddan* (in its emphatic meaning). These modifiers occur in the pre-clause position as in (7a-b):

- (7) a- *qaT an*,                      *fāza*                                      Badrun  
 absolutely-ACC succeed- PAST.3MSG Badr-NOM  
 'I categorically affirm that Badr succeeded'
- b- *jiddan*,                              *fāza*                                      Badrun  
 seriously-ACC succeed- PAST.3MSG Badr-NOM'  
 'I categorically affirm that Badr succeeded'



EMPH Zayd-ACC coming-3MSG-NOM  
'I state / assert that Zayd is coming'

(12) iqdimanna!  
IMP-come-2MSG-EMPH  
'Go on, come!'

(13) lā tudaxxinanna!  
PROHIB smoke-2MSG-EMPH  
'I strongly forbid you to smoke!'

(14) la' aqdimanna!  
COMM-come-FUT.1SG-EMPH  
'I really commit myself to coming!'

Surprisingly, no attention has been paid in AGT to the relationship between □inna and -anna in spite of their obvious similarities both in form and content. In this respect, I would like to suggest the latter be taken as a mere distributional variant appearing in illocutionary contexts where the former cannot occur. If this claim is correct, we can conceive of □inna and -anna as the morpho-syntactic realizations of the interpersonal operator combinations Reinf-DECL/INTER and Reinf-IMP/PROHIB/COMM respectively. Before closing this sub-section, let us recall that it is claimed in Dik 1997b: 234) that explicit performatives are 'emphatic', 'forceful' expressions of illocution. On the basis of this claim, constructions like (15b) could be analysed as reinforced counterparts of constructions such as (15a):

(15) a-<sup>ʔ</sup> ādat Hindun  
come back- PAST.3FSG Hind-NOM  
'Hind came back'  
b-<sup>ʔ</sup> aqūlu <sup>ʔ</sup>inna Hindan <sup>ʔ</sup>ādat  
say-PRES.1SG that Hind-ACC come-back- PAST 3FSG  
'I am saying that Hind came back'

#### 4.2.2. Reinforcing Acts

Let us now consider the following examples:

(16) Zaydun šāʿ irun kabīrun, qaTʿ an  
 Zayd-NOM poet-NOM great-NOM absolutely-ACC  
 ‘Zayd is a great poet, absolutely!’

(17) Zaydun šāʿ irun kabīrun, jiddan  
 Zayd-NOM poet-NOM great-NOM seriously-ACC  
 ‘Zayd is a great poet, seriously!’

In (16) and (17), *qaTʿ an* and *jiddan* occupy a clause-external position and are intonationally set off from the preceding linguistic material. Unlike in (8a-b), they are not modifiers but rather autonomous Discourse Acts which function as a reinforcement of the Discourse Act carried out by the preceding clause.

The available (and, as far as I can judge, probably the most suitable) way to account for this kind of construction within the current FDG framework is to conceive of the reinforcement that it involves as a rhetorical function and to assign it to the second Discourse Act. Accordingly, the interpersonal representation of (16) and (17) could be (18) and (19) respectively:

(18) (M<sub>1</sub>: (A<sub>1</sub>: [(DECL F<sub>1</sub>) (P<sub>1</sub>)<sub>S</sub> (P<sub>2</sub>)<sub>A</sub> (C<sub>1</sub>:  
 [(T<sub>1</sub>)<sub>Foc</sub> (+idR<sub>1</sub>: Zayd (R<sub>1</sub>))<sub>Top</sub>] (C<sub>1</sub>))] (A<sub>1</sub>))<sub>Nucl</sub>  
 < (A<sub>2</sub> [(DECL F<sub>2</sub>) (P<sub>1</sub>)<sub>S</sub> (P<sub>2</sub>)<sub>A</sub> (C<sub>2</sub>:  
 [qaTʿ an] ((C<sub>2</sub>))] (A<sub>2</sub>))<sub>Reinf</sub> (M<sub>1</sub>))

(19) (M<sub>1</sub>: (A<sub>1</sub>: [(DECL F<sub>1</sub>) (P<sub>1</sub>)<sub>S</sub> (P<sub>2</sub>)<sub>A</sub> (C<sub>1</sub>:  
 [(T<sub>1</sub>)<sub>Foc</sub> (+idR<sub>1</sub>: Zayd (R<sub>1</sub>))<sub>Top</sub>] (C<sub>1</sub>))] (A<sub>1</sub>))<sub>Nucl</sub>  
 < (A<sub>2</sub> [(DECL F<sub>2</sub>) (P<sub>1</sub>)<sub>S</sub> (P<sub>2</sub>)<sub>A</sub> (C<sub>2</sub>:  
 [jiddan] ((C<sub>2</sub>))] (A<sub>2</sub>))<sub>Reinf</sub> (M<sub>1</sub>))

Interestingly enough, such an analysis may be proposed for other post-clausal constituents as well, particularly in the case of swearing, as illustrated in (20a-b):

- (20) a- <sup>ʔ</sup>āda Zaydun, qasaman!  
 come-back-PAST.3MSG Zayd-NOM swearing-ACC  
 ‘Zayd came back, I swear!’
- b- qaT<sup>ʔ</sup> an, <sup>ʔ</sup>āda Zaydun,  
 absolutely-ACC come-back-PAST.3MSG Zayd-NOM  
 qasaman  
 swearing-ACC  
 ‘Absolutely, Zayd came back, I swear!’

If such an approach turns out to be correct, it becomes possible to suggest distinguishing between two interpersonal status of Reinforcement: Reinforcement as an operator or a modifier applying to (some unit of) a Discourse Act and Reinforcement as a rhetorical function assigned to a whole Discourse Act with respect to another. Notice that these two kinds of Reinforcement may take place in the same construction as shown in (20b).

As a function, Reinforcement could be added to the already recognized rhetorical functions such as Motivation, Concession, Orientation and Correction.

#### 4.2.3. Reinforced responses

In Hengeveld and Mackenzie (2008: 146-148), a distinction is made between ‘propositional’ and ‘actional’ *yes/no*. The two kinds of responses are exemplified in (21a-b)) and (22a-b):

(21) A: Was Peter attacked by a dog?

B: a- Yes

b- No

(22) A: Go home!

B: a- No!

b- \*Yes

c- Okay!

Hengeveld and Mackenzie suggest that actional *yes/no* responses do not assign any truth-value to the Propositional Content embodied in the Discourse Act. For example, *no* in (22a) does not assign a negative

truth-value to the Propositional Content contained in Speaker's order. "Rather, it functions as a rejection of the preceding order. In this use, it is not in opposition with *yes* but with *oka*".

In (22), *no* and *okay* are full Discourse Acts and not mere propositions.

In SMA, *na* <sup>ˈ</sup>*am* (yes) and *lā* (no) can be used as propositional answers as in (23) and also as actional responses as shown in (24):

(23) A: hal qadimat Hindun?  
INT come-PAST.3FSG HIND-NOM  
'Did Hind come?'

B: a- na<sup>ˈ</sup>am  
'Yes'  
b- lā  
'No'

(24): A: zur Hindan!  
IMP visit-2MSG Hind-ACC  
'Pay a visit to Hind'

B: a- na<sup>ˈ</sup>am  
'Okay'  
b-lā  
'No'

The peculiarity of SMA is that actional *na* <sup>ˈ</sup>*am* and *lā* have reinforced counterparts which are <sup>ˈ</sup>*ajal* (sure) and *kallā* (certainly no) respectively, used in exchanges such as the following:

(25) A: satusā<sup>ˈ</sup> idunī  
help-FUT.2MSG-1SG  
'You will help me'

**B: a-<sup>ˈ</sup>ajal!**  
'Sure!'  
b- kallā!  
'Certainly no!'

#### 4.3. Emphatic Communicated Content

The reinforcement of the Communicated Content takes place by lexical means, typically by modifiers like *fī* <sup>ˈ</sup>*lan*, *Haqqan* and *dūna* *šakkin*. The following examples illustrate the point:

(26) a- fi<sup>ʿ</sup> lan, fāzat Munā  
indeed-ACC succeed-PAST.3FSG Munā  
‘Indeed, Mouna succeeded’

b- dūna šakkin, sayafūzu , <sup>ʿ</sup>Aliyyun  
without doubt-GEN succeed-FUT.3MSG <sup>ʿ</sup>Aliyy-NOM  
‘Undoubtedly, Ali will succeed’

c- Haqqan, Zaydun karīmun  
Really-ACC Zayd-NOM generous-MSG-NOM  
‘Really, Zayd is generous’

These modifiers generally occur in the pre-clausal position as in (26a-c). They also may occupy the post-clausal position as becomes clear from (27a-c):

(27) a- fāzat Munā fi<sup>ʿ</sup> lan  
succeed-PAST.3FSG Munā indeed-ACC  
‘Mouna succeeded indeed’

b- sayafūzu <sup>ʿ</sup>Aliyyun dūna šakkin  
succeed-FUT.3MSG <sup>ʿ</sup>Aliyy-NOM without doubt-  
GEN

‘Ali will undoubtedly succeed’

c- Zaydun karīmun Haqqan  
Zayd-NOM generous-MSG-NOM really-ACC  
‘Zayd is really generous’

At the Interpersonal Level, (27b) can be represented as follows:

(28) (M<sub>1</sub>: (A<sub>1</sub>: [(DECL F<sub>1</sub>) (P<sub>1</sub>)<sub>S</sub> (P<sub>2</sub>)<sub>A</sub> (C<sub>1</sub>:  
[(T<sub>1</sub>)<sub>Foc</sub> (+idR<sub>1</sub>: <sup>ʿ</sup>Aliyy (R<sub>1</sub>))<sub>Top</sub>] (C<sub>1</sub>: dūna šakk (C<sub>1</sub>))])  
(A<sub>1</sub>:))) (M<sub>1</sub>))

Worthy of notice is that, in order to be understood as reinforcing the Communicated Content rather than another layer, these modifiers must occur in a clause-internal (initial, middle or final) position. When they appear in a peripheral (post-clausal) position, they stand as autonomous units and the unit they reinforce is not only the Communicated Content but rather the discourse Act in its entirety.

When they occur outside the clause proper, *fi*□*lan*, *Haqqan* and *dūna šakkin* display the same interpersonal status as *qaT* □ *an* and *jiddan* in (16) and (17), i.e. the status of full-fledged Discourse Acts bearing the Reinforcement rhetorical function.

#### 4.4. Sub-acts

##### 4.4.1. The Referential Sub-act

The typical means by which the reinforcement of the Referential sub-act is realized in SMA is the repetition of the same referring constituent, as exemplified in (29):

- (29) *qadima*                      *Zaydun*      *Zaydun*  
 come-PAST.3MSG *Zayd-NOM* *Zayd-NOM*  
 ‘Zayd, (I say Zayd!) came!’

In AGT, other markers are signalled as means by which the reinforcement of Referential sub-act may be handled, namely reflexive pronoun as in example (30):

- (30) *qadima*                      *Zaydun*      *nafsuhi*  
 come-PAST.3MSG *Zayd-NOM* *self-NOM-3MSG*  
 ‘Zayd himself came’

In its reinforcement reading, example (30) can be taken as synonymous with example (28) to the extent that the reflexive pronoun *nafsuhi* can be thought of as another way to reduplicate the NP *Zayd*.

Hengeveld and Mackenzie (2008:123) point out that the reinforcement operator assigned to a Referential sub-act can also be realized by constituent ordering. They analyse example (31b) as involving a constituent to which a special emphasis is given in placing it in the clause-initial position:

- (31) A: Did you get a day off?  
 B: a- A day off? The boss gave me a whole week  
     b- A day off? A whole week the boss gave me

In the same vein, Caro (2007:125) reports that in Spanish the fronting of an Object-Given Topic (previously introduced into the discourse)

lends ‘emphasis’ or ‘prominence’ to this constituent.

A similar reinforcement process can also be found in Classical Arabic and to some extent in SMA.

Let us consider example (32b):

- (32) A: hal qābalta                      Hindan?  
 INT meet-PAST.2MSG Hind-ACC  
 ‘Did you meet Hind?’  
 B: a- qābaltu                      Hindan  
 meet-PAST.1MSG Hind-ACC  
 ‘I met Hind’  
 b- Hindan      qābaltuhā  
 Hind-ACC meet-PAST.1MSG-3FSG  
 ‘Hind, I met’

In both (32a) and (32b) *Hindan* is an Object-Given Topic with the difference, however, that it receives some degree of reinforcement in (32b) (but not in (32a)).

What seems to be specific to Arabic is that the constituent placed in the pre-verbal position is resumed by an anaphorical pronoun in the post-verbal area. This resuming strategy makes it possible to distinguish between constructions exemplified in (32b) and constructions like (33) where the constituent occupying the pre-verbal position bears the Contrast function:

- (33) A: qābalta                      Zaynaba  
 meet-2MSG Zaynab-ACC  
 ‘You met Zaynaba’  
 B: **Hindan**      qābaltu                      (lā Zaynaba)  
 Hind-ACC meet-PAST.1MSG not Zaynab-ACC  
 ‘It was Hind that I met (not Zaynab)’

#### 4.4.3. Ascriptive Sub-act

Reinforcement may also be placed on the Ascriptive sub-act. The means that SMA provides to fulfil this task are: (a) the particle *qad*, (b) the prefix *la-* and (c) PSG.

- (i) The particle *qad* precedes a verbal predicate in Perfective Past

form as in (34):

- (34) *qad qadima Zaydun*  
 EMPH come-PAST.3MSG Zayd-NOM  
 ‘Zayd DID come!’

(ii) The use of *qad* with a non-verbal predicate results in an ungrammatical construction. Witness:

- (35) \* *Zaydun qad qādimun*  
 Zayd-NOM EMPH coming-NOM

It is the prefix *la-* that combines with the non-verbal predicate in such cases. Notice that the predicate obligatorily occurs before the Subject constituent as becomes clear from the comparison between (36a) and (36b):

- (36) a- *laqādimun Zaydun*  
 EMPH-coming-NOM Zayd-NOM  
 ‘Zayd is surely coming!’  
 b- \* *Zaydun laqādimun*  
 Zayd-NOM EMPH-coming-NOM  
 c- *inna Zaydan laqādimun*  
 EMPH Zayd-ACC EMPH-coming-NOM  
 ‘I state / assert that Zayd is surely coming!’

This requirement holds in all cases except when it is overridden by one of the Function-Independent-Form rules (discussed in Moutaouakil (2004:147)) according to which the Subject-Topic NP is ‘attracted’ by the clause-initial particle *inna* and placed immediately after it as in (36c).

As regards the use of these two morphemes, we can speak of an instantiation of ‘mixed’ alignment in the sense that their occurrence at the morpho-syntactic level depends upon information coming from both the interpersonal and the representational levels, i.e. the emphatic operator, the TMA operator and the lexical category of the predicate.

(iii) As for PCS, it consists, as mentioned above, in resuming the

predicate by its nominalized copy. Example (37) illustrates the use of such a strategy:

- (37) fataHa                      Bakrun      l-bāba                      fatHan  
 open- PAST.3MSG Bakr-NOM DEF-Door-ACC opening-  
 ACC  
 ‘Bakr DID open the door’

The constructions exemplified in (37) share similarities with the ones analysed in Dik (1997b:316) as Focus constructions, namely the repetition of the predicate. However, the strategy taking place in SMA is not exactly the same as the one used in some West-African languages. Compare (37), in this respect, with the following “pseudo-English” example given in Dik:

- (38) (It’s) kiss (that) John kissed Mary

First, the predicate is not repeated as such but rather in its nominalized form. Second, the copy of the predicate does not undergo any fronting process; rather, it occupies a clause-internal position and behaves as a normal satellite constituent. Third, the repetition does not result in focusing on the predicate but in reinforcing it. In order to focus on the predicate, SMA uses a dummy cleft construction in which the predicate takes a nominalized form while the verb support *fa* □*al* occurs within the Topic-constituent as in (39):

- (39) mā      faalahu                      Zaydun  
 REL do-PAST.3MSG-3MSG Zayd- NOM  
 kitābatu      risālatin  
 writing-NOM letter-GEN  
 ‘What Zayd did is writing a letter’  
 ‘Zayd did nothing but writing a letter’

## 5. Ambivalent markers

Some markers can be said ‘functionally ambivalent’ in the sense that they may serve to express a reinforcement as well as a mitigation.

As shown above, the particle *qad* is used as an emphatic marker when

it combines with a verbal predicate in Perfective Past form as in (34) repeated here for convenience:

- (34) qad      sāfara                      Zaydun  
      EMPH travel-PAST.3MSG Zayd-NOM  
      ‘Zayd DID travel!’

When it combines with a verb in Non-Perfective Non-Past form as in (40), this particle behaves rather as a mitigating device:

- (40) qad      yusāfiru                      Zaydun  
      MITIG come-FUT.3MSG Zayd-NOM  
      ‘Maybe, Zayd will travel’

Reportative modifiers applying to the Communicated Content are commonly used to mitigate what is being stated. However, they can serve, in certain contexts, to reinforce the statement rather than to mitigate it.

Let us consider the following example:

- (41) Hasaba      n-nuHāti                      t-tawlīdiyyīna  
      according DEF-grammarians-GEN DEF-generativist-GEN  
  
      t-tarkību                      mustaqillun  
      DEF-syntax-NOM autonomous-NOM  
      ‘According to generativist grammarians, Syntax is  
      autonomous’

In (41), the reportative modifier *Hasaba n-nuHāti t-tawlīdiyyīna* is understood as expressing mitigation if the Speaker is any non-generativist linguist merely relaying the views of others (with whom he does not necessarily agree). The same modifier may be interpreted as an emphatic device when the Speaker is a (radical) formalist who wants to reinforce his/her commitment to the ‘Autonomous Syntax’ hypothesis.

## 6. More than one emphatic marker

More often than not, emphatic constructions can contain more than

one emphatic marker. The examined data show that two main reasons can be evoked in this respect: (a) the possibility for many units to be reinforced within the same Discourse Act and (b) the gradable character of the notion of Reinforcement.

### 6.1. Multiple reinforcement

By ‘multiple reinforcement’ I mean the process involved in constructions where more than one unit is reinforced.

Let us give some examples. In (42a-b), Reinforcement applies to the Discourse Act and the Ascriptive Sub-act; in (43), it applies to the Discourse Act, the Referential Sub-act as well as to the Ascriptive Sub-act:

- (42) a- *inna Zaydan İaāidun*  
 EMPH Zayd-ACC EMPH-coming back-NOM  
 ‘I state / assert that Zayd is surely coming back!’  
 b- *inna Zaydan qad āda*  
 EMPH Zayd-ACC EMPH come back-PAST.3MSG  
 ‘I state / assert that Zayd DID come back!’

- (43) *inna Zaydan zaydan İaāidun*  
 EMPH Zayd-ACC Zayd-ACC coming back-NOM  
 ‘I state / assert that Zayd, (I say Zayd!) is surely coming back!’

Representation (44) is the interpersonal level underlying the constructions exemplified in (42a-b):

- (44) (M<sub>1</sub>: ( Reinf A<sub>1</sub>: [( DECL F<sub>1</sub>) (P<sub>1</sub>)<sub>S</sub> (P<sub>2</sub>)<sub>A</sub> (C<sub>1</sub>: [(Reinf T<sub>1</sub>)<sub>Foc</sub> (dR<sub>1</sub>: Zayd (R<sub>1</sub>))<sub>Top</sub>] (C<sub>1</sub>))] (A<sub>1</sub>:))

However, Reinforcement can hardly be placed on a layer and on one of its internal elements at once as in (45), for example, where both the Communicated Content and the Ascriptive Sub-act are reinforced:

- (45) *?fi lan qad qadima Zaydun*  
 indeed-ACC EMPH come-PAST.3SGM Zayd-NOM

Constructions such as (45) are acceptable only if they are understood on the basis that the predicate bears a double reinforcement mediated through the modifier (*fi lan*) and the particle (*qad*) as in the data examined in the next sub-section.

## 6.2. Gradable reinforcement

Reinforcement, as all kinds of Emphasis (cf Moutaouakil (1999 and 2005) for the gradability of Exclamation and its representation in FG), is a matter of degree in the sense that the intensification of (some unit of) a Discourse Act varies depending upon the nature of the Addressee's reaction (approval, doubt, objection, rejection ...) at a given step of the ongoing exchange.

To take an example, if we conceive of argumentative genre, following Hengeveld and Mackenzie (2008: 51), as Moves articulated into three parts, we could say that increasing Reinforcement is expected to take place within the developing Discourse Acts chain rather than in the introductory statement or in the conclusion.

We can speak of increasing reinforcement when the same unit bears more than one emphatic marker as in the following examples:

- (46) a- qaT' an,           inna Zaydan qādimun  
absolutely-ACC EMPH Zayd-ACC coming-NOM  
'Absolutely, I state / assert that Zayd will come'
- b- qaT' an,           laāta<sup>u</sup>zawwajanna  
absolutely-ACC COMM-marry-FUT.1SGM-EMPH  
Hindan  
Hind-ACC  
'Absolutely, I strongly commit myself to marrying Hind'

- (47) a- qad qadima           Zaydun quḍūman  
EMPH come-PAST.3SGM Zayd-NOM coming-ACC  
'Zayd really DID come'
- b- laqādimun           Zaydun quḍūman  
EMPH-coming-NOM Zayd-NOM coming-ACC  
'No doubt that Zayd will surely come'

The modifier qaT' an combines in (46a) with the particle *inna* and in (46b) with the suffix *-anna* to increase the reinforcement of the discourse Act. In (47a-b), the particle *qad* and the prefix *la-* described above as emphatic markers apply to an Ascriptive sub-act already reinforced through PCS.

In such cases, the reinforced unit contain both a modifier and a Reinforcement operator as becomes clear from the comparison



(50) laqad                      qadima                      Zaydun  
 EMPH-EMPH come-PAST.3MSG Zayd-NOM  
 ‘Zayd really DID come!’

(51) (M<sub>1</sub>: (A<sub>1</sub>: [(DECL F<sub>1</sub>) (P<sub>1</sub>)<sub>S</sub> (P<sub>2</sub>)<sub>A</sub> (C<sub>1</sub>:  
 [(Reinf [Reinf T<sub>1</sub>])<sub>Foc</sub> (dR<sub>1</sub>: Zayd (R<sub>1</sub>))<sub>Top</sub>] (C<sub>1</sub>:)) (A<sub>1</sub>:))

## 7. Emphatic marker ordering

In SMA, the placement and ordering of Reinforcement markers take place according to the following general procedure:

(i) The positional template in this language is template (52) which contains a pre-clausal and a post-clausal positions and five clause-internal positions divided into three absolute positions (clause-initial positions P<sub>1</sub> and P<sub>2</sub> and clause-middle position P<sub>M</sub>) and two relative positions (P<sub>2+1</sub> and P<sub>M+1</sub>):

(52) P<sup>pre</sup> P<sup>1</sup> P<sup>2</sup> P<sup>2+1</sup> P<sup>M</sup> P<sup>M+1</sup> P<sup>post</sup>

(ii) As far as the emphatic markers are concerned, Discourse Act and Communicated Content modifiers go either in P<sup>pre</sup> or in P<sup>post</sup> as in (7a-b), (26a-c) and (27a-c). The particle □*inna* and the Subject-Topic NP that it ‘attracts’ are hosted by P<sup>1</sup> and P<sup>2</sup> respectively. The particle *qad* occupies the position P<sup>1</sup> if it is available as in (34). When P<sup>1</sup> and P<sup>2</sup> are filled in by □*inna* and the Subject-Topic NP, this particle goes in P<sup>2+1</sup> as in (42b).

When available, P<sup>1</sup> is the position that houses the pre-verbal Object-Given Topic. As for constructions involving a PCS process, the predicate occupies the position P<sup>M</sup> while its resuming nominalized copy goes in P<sup>M+1</sup>.

(iii) The order of emphatic markers at the morpho-syntactic level tends to satisfy to the transparency and interpretability requirement in the sense that it generally reflects the organization of their underlying interpersonal sources. Let us take as an example the ordering of the particles □*inna* and *qad* when they co-occur in the same construction. The comparison between (53a) and (53b) shows that □*inna* obligatorily precedes *qad*:

- (53) a- *inna* Zaydan qad kharaja  
EMPH Zayd-ACC EMPH go out-PAST.3MSG  
'I state /assert that Zayd DID go out'  
b- \* qad *inna* Zaydan kharaja  
EMPH EMPH Zayd-ACC succeed-PAST.3MSG

The reason is that  $\square$ *inna* is the expression of a reinforcement operator applying to a higher layer (Discourse Act). The same transparency requirement holds for the ordering of emphatic modifiers: Discourse Act modifiers must occur before Communicated Content modifiers. The reverse ordering results in ungrammatical constructions such as (54b):

- (54) a- qaT' an, fi' lan satazūrunā Hindun  
absolutely-ACC indeed-ACC visit-FUT.3FSG Hind-NOM  
'Absolutely, Hind will indeed pay a visit to us'  
b- \* fi' lan, qaT' an satazūrunā  
Hindun  
indeed-ACC absolutely-ACC visit-FUT.3FSG Hind-NOM

It also can be said that the order of emphatic markers tends to obey the 'Depth First Principle' (Hengeveld and Mackenzie (2008: 23-25) in the sense that it can be taken as a manifestation of the "general analogy between production processes and the sequence of steps involved in a pass through the model of FDG." In accordance with this principle, the emphatic marker of the higher layer is expected to be sent ahead to the encoder before the emphatic marker of the lower layer.

## 8. Summary and conclusions

In regards to its typological adequacy, the FDG approach to Emphasis phenomena turns out to be applicable to a great extent to Arabic data. More importantly, in defining Emphasis as clearly distinct from the Focus and Contrast functions on the one hand and from Illocution on the other hand, this approach makes it possible

to be fair to a whole category of constructions that can be properly described only as emphatic constructions. In this respect, it also enables us to distinguish between two kinds of constructions usually taken as equivalent and, conversely, to capture significant deep relationships and similarities between constructions commonly conceived of as quite different.

On the basis of the examination of Arabic data together with some relevant ideas from AGT, I have made the following suggestions to hopefully improve the FDG analysis of Emphasis phenomena:

(i) It turns out to be possible and maybe necessary to distinguish between two kinds of Emphasis, ‘emotive emphasis’ and ‘argumentative emphasis’, involved in constructions with quite different functional, formal and occurrence properties.

(ii) Reinforcement is generally conceived of as an operator applying to (some unit of) a discourse Act. In certain contexts, however, it could be captured by means of a rhetorical function assigned to a whole discourse Act whose main role is to emphasize another (usually preceding) discourse Act.

(iii) In order to account for constructions containing many emphatic markers, the underlying interpersonal representation should take into account the fact that Reinforcement can apply to more than one unit within the same Discourse Act and that it is (like other kinds of Emphasis) a gradual process. In order to deal with such a process, a provisional representational procedure is proposed.

### *Acknowledgement*

I am grateful to Prof. J. Lachlan MACKENZIE for revising the English language of the earlier version of this article and for his valuable comments.

## Abbreviations used in glosses

1	.....	first person
2	.....	second person
3	.....	third person
ACC	.....	accusative
DECL	.....	declarative
DEF	.....	definite
EMPH	.....	emphasis
EXCL	.....	exclamative
F	.....	feminine
FUT	.....	future tense
IMPERS	.....	impersonal
INGR	.....	ingressive
INT	.....	interrogative
M	.....	masculine
MIR	.....	mirative
NOM	.....	nominative
PASS	.....	passive
PAST	.....	past tense
PEJOR	.....	pejorative
PERF	.....	perfect
PLUR	.....	plural
PRES	.....	present tense
PROGR	.....	progressive
SG	.....	singular

## References

- Caro, Elena Martinez, 2007, Pragmatic frames, the thetic-categorical distinction and Spanish constituent order. In: Hartner, Marize and Hengeveld, Kees. *Advances in Functional Discourse Grammar*. Alfa Revisita de Linguística. 51(2). 119-142.
  - Dik, Simon C, 1997, *The Theory of Functional Grammar. Part 2: Complex and derived constructions*. Edited by Kees Hengeveld. Berlin: Mouton de Gruyter.
  - Hengeveld, Kees and Mackenzie, John. Lachlan, 2006, Functional Discourse Grammar. In: BROWN, K. *Encyclopedia of Language and Linguistics*. 2<sup>nd</sup> Edition Oxford: Elsevier,
  - Hengeveld, Kees and Mackenzie, John. Lachlan, (2008), *Functional Discourse Grammar A typologically based theory of language structure*. Oxford. Oxford University Press.
  - Mackenzie, John Lachlan. 2009. Revisiter Moutaouakil In: Bouchikhi, Azzeddine (ed). *Le Fonctionnalisme dans la Linguistique Arabe et ses Nouveaux Horizons*. Meknes: Université Moulay Ismail. Faculté des Lettres et des Sciences Humaines. Série de colloques 20.
  - Moutaouakil, Ahmed. 1989, *Pragmatic Functions in a Functional Grammar Of Arabic* FG Series 8 Dordrecht. Foris.
  - Moutaouakil, Ahmed, 1999, Exclamation in Functional Grammar: Sentence type, Illocution or Modality? WPPFG 69.
  - Moutaouakil, Ahmed, 2004, Function Independent Morpho-syntax. In: Aertsen, Henk, Hannay, Mike and Rod Lyall (eds) *Words in their places. A festschrift for J. Lachlan Mackenzie*. Amsterdam: Faculty of Arts 143-153.
  - Moutaouakil, Ahmed, 2005, Exclamation in Functionnal Grammar:
  - Sentence type, Illocution or Modality? In: Groot, Casper de and Hengeveld, Kees. *Morpho-syntactic expression in Functional Grammar*. Berlin: Mouton de Gruyter, 351-379.
  - Moutaouakil, AhmeF 2010 *Al-khiTāb wa khaSā' iS al-lughā al-Ē arabiyya* Beirut: Dar al-Ēulum al -Ē arabiyya.
  - Moutaouakil, Ahmed 2018 Issues in Functional Arabic Linguistics. In: Benmamoun, El A. and Bassiouney, R. *Routledge Handbook of Arabic Linguistics* Routledge New York.
  - Moutaouakil, Ahmed 2019 Noun Phrase Structure in Arabic; A Functional Discourse Grammar Approach. *Proceedings of the Second International Conference on Arabic Linguistics*. New Issues in Linguistics CMERLLA Meknes Morocco.
  - Moutaouakil, Ahmed 2021 An adequate Expression Module for Modular Layered Functional Grammar. *The Linguist Vol 1 No1*.
-



## الحجاج وآليات التفكير: مداخل لسانية مفاهيمية

د. عبد الرحمن محمد طعمة  
كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر  
aambad@cu.edu.eg

### الملخص:

نعالج في هذه الدراسة بعض الأسس والأبعاد الذهنية الخاصة بقضية الحجاج، من حيث آليات الاشتغال الدماغيّ، والتداخل المفاهيمي بين مسائل الحجاج والبرهان والجدل...، مراوحة بين الأطروحات الفلسفية البلاغية، والعلمية اللسانية، وبالتطبيق على بعض الأمثلة، خصوصاً القرآن الكريم؛ إذ اخترنا بعض النماذج المُمثلة، التي رأينا فيها مركزية لهذه القضية، حيث تُشكل -برأينا- مُرتكزا منهجياً للكثير من الأدبية المعيارية لقضية الحجاج، التي يُمكن القياس عليها لاحقاً. وقد طرحنا -أيضاً- بعض المقاربات الفلسفية العامة ذات الصلة بكلّ هذه الفروع البينية، لما لها من أهمية فكرية مرحلية، تُمثل -كذلك- مُنطلقاً نحو مناقشات أكثر عمقاً وإفادة في دراسات لاحقة.

### الكلمات المفتاحية:

الحجاج؛ التفكير، الذهن، القرآن الكريم، اللسانيات، الفلسفة.

## *Language Argumentation and Thought Mechanisms: A Cognitive Linguistic Approach*

Dr. Abdal Rahman Mohammad Teama  
Faculty of Arts, Cairo University, Egypt  
aabad@cu.edu.eg

### *Abstract:*

This study addresses some of the foundations and mental dimensions of the issue of Al-Hijaj (Argumentation), in terms of the mechanisms of brain work, and the conceptual overlapping between the issues of Argumentation, proof and controversy (Dialectical Conversation).

Research Items focus on philosophical rhetorical issues, and micro-linguistics, applying to some examples, especially the Holy Qur'an. The research adopts examples from the Holy Qur'an because it represents a methodological basis and main Corpus for many of the normative structures related to Argumentation, which can be compared to later.

We have also presented some general philosophical approaches related to all these intersections, because of their intellectual importance, which represent, as well, a starting point towards more in-depth and useful discussions in later studies.

### *Keywords:*

Argumentation, Thought, Mind, Holy Qur'an, Linguistics,  
Philosophy.

## مقدمة:

نعالج في هذه الدراسة بعض الأسس والأبعاد الذهنية الخاصة بقضية الحجاج، من حيث آليات الاشتغال الدماغي، والتداخل المفاهيمي بين مسائل الحجاج والبرهان والجدل...، مراوحة بين الأطروحات الفلسفية البلاغية، والعلمية اللسانية، وبالتطبيق على بعض الأمثلة، خصوصا القرآن الكريم؛ حيث اخترنا بعض النماذج المثلة، التي رأيناها مركزية لهذه القضية؛ إذ تشكل -في رأينا- مرتكزا منهجيا للكثير من الأدبية المعيارية لقضية الحجاج، التي يمكن القياس عليها لاحقا. وقد طرحنا -أيضا- بعض المقاربات الفلسفية العامة ذات الصلة بكل هذه الفروع البينية، لما لها من أهمية فكرية مرحلية، تمثل -كذلك- منطلقا نحو مناقشات أكثر عمقا وإفادة في دراسات لاحقة.

## أولا. اللغة والمنطق وقواعد العرف والمواضعة والاستدلال:

1. حاولت الوضعية المنطقية تبرير قواعد الاستدلال بين اللغة والفكر (وآليات عمل الذهن)، دون اللجوء إلى المرجعية المستندة إلى البنية السيكلوجية لبني الإنسان أو وضعهم الاجتماعي، وزعم أصحابها أن اللغة الإنسانية هي نتاج للمواضعة؛ فقولنا:  $2+4=6$ ، هو من باب التواضع بيننا، وكان يمكن أن نتواضع على غير ذلك؛ بل إننا يمكننا تغيير ذلك التواضع كما نحب بأي وقت! كما أن السبب في اعتمادنا على علاقات من نمط (أو، وإذا "الشرطية"... ) هو مجرد المواضعة، أو -بكلمات أخرى- أن هذه العلاقات وتلك القضايا الضرورية هي -فقط- تشريعات لسانية لرؤية العالم، وتبقى مجرد رؤية من ملايين الرؤى التي يمكننا أن نرى العالم من خلالها؛ وبهذا الخصوص، يرى "هانز هان" أن المنطق نشأ أولا من

اللغة، ويقوم صدق قضايا المنطق واستحالة نقضها على أنها لا تقول شيئاً عن عالم الواقع، وخذ مثلاً، مبدأ عدم التناقض، ومبدأ الثالث المرفوع، فنحن نتعلم -مثلاً- بالتجربة ألوان الأشياء، فنطبق كلمة (أحمر) على الأشياء الحمراء، وننفي (الأحمر) عن الأشياء ذات اللون المختلف، ولذلك فمن المستحيل أن نقول عن شيء ما إنه أحمر ولا أحمر، لكن يمكننا القول إن شيئاً ما إما أحمر أو ليس أحمر<sup>1</sup>. تأمل في الجدول التالي الذي يوضح بعض هذه الأطروحات الفلسفية التأسيسية المهمة، التي ينبني فهمها قبل الخوض في جدليات الحجاج والتواصل<sup>2</sup>.

ولذلك نلاحظ أن علماء الكلام المسلمين وفقهاء العقيدة يهتمون بمسألة الحكم العقلي والتصورات والمفاهيم اهتماماً كبيراً، لأنه يرتبط بالبرهان على مقتضيات الأحكام التي تبني عليها أمور الحياة ومصالح العباد. تأمل مثلاً، قول أبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني السنوسي التلمساني (توفي 895 هـ): "اعلم أنّ الحكم العقلي ينحصر في ثلاثة أقسام: **الوجوب، والاستحالة، والجواز**؛ فالواجب ما لا يُتصور في العقل عدمه، والمستحيل ما لا يُتصور في العقل وجوده، والجزاء ما يُتصور في العقل وجوده وعدمه"<sup>3</sup>.

**2.** هذه الأطروحات، وغيرها، لا تخبرنا بشيء عن الماهيات والجواهر في محيط الأعيان بالعالم؛ بل تقدم -فقط- طُرقاً لأجل استخدام الكلمات بهدف الحديث عن الأشياء؛ فلا تُشتق مبادئ المنطق من طبيعة الأشياء ولا من جوهر العقل؛ بل من طريقتنا في الحديث عن الأعيان ضمن حدود إدراكنا الحسي. فاللغة الإنسانية مركبة على أساس أننا إذا قررنا قضية ما فإننا نقرر أنه يمكن أن نستنبط منها قضية أخرى، لكننا لا نرى بطريقة مباشرة كل ما هو متضمن في القضية الأولى؛ فالاستنباط المنطقي

1. للتفاصيل، محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ص85 وما بعدها.  
2. راجع للاستئناس والمزيد من المناقشات، سعيد البوسكلاوي، وتوفيق فوزي (تنسيق): آليات الاستدلال في الفكر الإسلامي الوسيط.

3. ذكره في مصنفه الشهير (أم البراهين أو العقيدة السنوسية الصغرى)، وهو ملخص لعقيدة أهل السنة على طريقة أبي الحسن الأشعري. راجع للتفاصيل، حاشية الشراوي الشافعي على الهددي على أم البراهين، المعروفة بالصغرى، للإمام السنوسي، بعناية أحمد فريد الزبيدي، ص55.

هو الذي يكشف مثل هذا النوع من التضمن<sup>1</sup>. إن الاستقراء -منفردا- أو إدامة النظر إلى العالم لن يعطي الشعور باللون الأحمر، كما في المثال، فتحول المعطيات الحسية إلى تقرير القول بأن هذا (لون أحمر) لا يتأتى من النظر العقلي المحض، لأن العقل أو الاستبطان لا يقدم أي هداية إلا بعد عملية اكتساب الوحدات الأولى لما نسميه (اللغة)، وأيضا لأن المعنى كامن في اللغة ابتداء. ولذلك فإن مجرد المواضع لا تؤسس لمستويات اليقين، كما سنوضح بعد قليل في تحليل بنيت الحجاج، فاليقين -مثلا- في المنطق والرياضيات ما زال مفتقرا إلى التفسير. وهنا يأتي السؤال الجوهري: على ماذا يدل اتفاق المجتمعات الإنسانية على مبانٍ لسانية معينة (من جوهر اللغة) نشعرنا باليقين تجاه العالم؟ وفقا للمواضع وتحليلاتها، فالاتفاق لا يعدو كونه وسيلة لتوحيد رؤية العالم، لكن هناك بُعدا نفسيا واجتماعيا كذلك يعبر عن الفطرة الإنسانية؛ فكما يرى "إرنست ناغل" فإن الحقائق السيكلوجية تُبين لنا أنّ المعطيات الحسية الأولية ليست هي المواد الأصلية الأولى للتجربة التي تتبني عليها كل أفكارنا، كما يحدث في تأسيس البيوت من حجارة منفصلة، بل إن التجربة الحسية هي استجابة لأنماط معقدة من الكيفيات والعلاقات، وتتطوي هذه الاستجابة -عادة- على ممارسة فعل التفسير والتعرف، المؤسس على اعتقادات واستدلالات ضمنية يمكن استخلاصها من أي تجربة منفردة بصفة مؤقتة، وعلى ذلك، فاللغة التي نستخدمها -عادة- لأجل وصف تجاربنا المباشرة هي نفسها اللغة المعتادة المستخدمة بهدف التواصل الاجتماعي، مشتملة على تمايزات ومُسلّمات ترجع في أساسها إلى تجربة العقل الجمعي بمختلف التنوعات الثقافية، "ولست مجرد لغة يتحدد معناها على أساس الإشارة المزعومة إلى ذرات من الإحساسات التي لم يفسرها الذهن"<sup>2</sup>

### 3. الاستدلال المنطقي وأبعاده العرفانية:

بنو الإنسان بارعون في الاستدلال غير البرهاني، فهم يتصورون أشياء بالاعتدال على الفرضيات العامة، بما يبتعد عن المنطق ويقترّب من أطروحات اللسانيين العرفانيين؛ فالإنسان غالبا ما يقوم بعملية

1. زيدان، المرجع نفسه، ص 86. وراجع للمزيد من التفاصيل، رضا زيدان: الإجماع الإنساني، المحددات ومعايير الاحتجاج، ص 52 وما بعدها.

2. للمزيد من التحليل والنقد، رضا زيدان، الإجماع الإنساني، ص 55 وما بعدها.

تخمين -بصورة غير مقيدة- ليكون الاستدلال المنطقي التداولي نابعا من استنباط حدسي، لأن سيرورة التفكير خاصتنا شديدة التعقيد. ومن الجدير بالذكر أن بعض التداوليين لم يأخذوا بعمليات الاستدلال، ومنهم "باخ" و"هارنيس"، وكنا يريان أن تفكيرنا التجريبي عموما مليء بالتعميمات وبمبادئ الاستدلال التي لا نعيها حين نستعملها، وهذا الطرح قريب من الأخذ بالمعنى بعيدا عن سيرورات الاستدلال المعقدة؛ خذ مثلا بشخص رأى رجلا شعره أبيض، فسيظن أنه عجوز، لأن ذلك لازما من لوازم معرفته مثلا أنه مدير كبير في المؤسسة، وبعد فترة يرى شعره أسود، لأن البياض الذي رآه كان بسبب الثلج- والوقت مثلا كان شتاء (ظرف مساند للتصور)- فاستدلناه صحيح، لكن الدلالة غير صحيحة. تخيل إذا كان شخص ما طوال حياته يستعمل الأصابع السوداء وفجأة تركها ليظهر الشيب، فالظن أنه شاب، لمن لا يعرفه، لكن الحقيقة تخالف المشهد. ولذلك فعمليات الاستدلال العامة هي أقرب إلى الاستعمال اليومي، بل هي ناجحة في تفعيل التواصل المعتاد، فاستعملنا في غالبه يُمثل شكلا غير دقيق معتمدا على الاستدلال والاستعارات المزجية التصورية، والدليل أننا إذا نظرنا إلى السماء وكانت مصحوبة بالغيوم وقلنا: إنها ستمطر فاستدلنا صحيح، ووقوع قطرات الماء هو دلالة تُصدق قولنا، وعليه فالاستدلال ليس برهانيا في حالة عدم الوقوع، فالأمر عائد إذن، إلى إطار الإدراك التصوري، الذي يلتقي ضوءا على نظرية التداول في كل تواصل ممكن.

### 1.3. وهناك طريقتان بنائيتان لفهم طبيعة الأشياء في حقل الإدراك الذهني؛

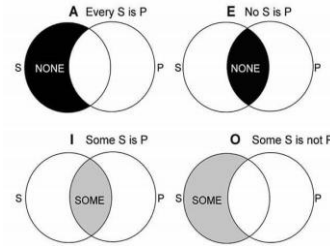
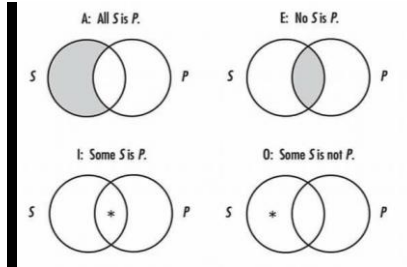
فإما أن تفهم الأشياء في سيرورة تشكلها (أو تولدها)، وإما أن تفهمها في إطار نسق من العلاقات الأنطولوجية المفروضة عليها. خذ مثلا بالرقم 2 وطبق هذا الأمر عليه:

• إذا نظرنا إلى الرقم 2 من منطلق طريقة تشكله، سنراه مولدا من الرقم 1 بإضافة واحد. (حيث يستعمل الرياضيون عملية التولييد الأرقام إلى ما لا نهاية).

• أما إذا نظرنا إليه من المنطلق الثاني، فسنلاحظ أن الرقم 2 أصغر من 3 وأكبر من 1. العلاقاتان "أصغر من" و"أكبر من" تُكوّنان نسقا يضبط إدراكنا للرقم 2. إننا -إذن- إزاء نسق المكونات

**ونسق العلاقات**، وكلاهما ضروري لفهم العالم. تندرج النظرية التوليدية ضمن النسق الأول، بينما يندرج النحو العربي القديم ضمن النسق الثاني، كما يقول "طارق المالكي"<sup>1</sup>. ورأيي فيما يخص مسألة الحجاج والخطاب والبيان، أن نسق العلاقات يهين بقوة على منطقية التواصل بين مختلف الجماعات، وسندين بالتحليل والتطبيق والأمثلة هذه المسألة في دراستنا هذه.

### 2.3. تأمل مخططات "جون فين" الشهيرة للقضايا الأربع في المنطق<sup>2</sup>:



1. راجع للتفاصيل والأمثلة والمناقشات، طارق المالكي، الاستدلال في المنطق وتطبيقاته في اللسانيات.  
2. راجع للتفاصيل والتحليلات: -رشوان مهران، مدخل إلى المنطق الصوري. Grunbaum, Branko, 1984.

حيث تشير الرموز إلى القضايا: الكلية الموجبة **A**، الكلية السالبة **E**، الجزئية الموجبة **I**، الجزئية السالبة **O**. وهذه التحليلات المنطقية يمكن تطبيقها على مختلف المدركات، بشكل أو بآخر، بجامع تجريدي ذهني من العلاقات الرياضية. وهذا النسق العلاقي يدخل بقوة في التحليل الحجاجي المستند إلى بعض أطر الصورة الذهنية في النظرية اللسانية العرفانية المعاصرة.

**3.3. إن مبرهنة عدم الاكتمال أو/ اللاكمال للعلامة الرياضي التشيكي النمساوي الألماني "كورت جودل" Gödelsche Unvollständigkeitsatz or/ incompleteness theorem** قد ضربت حلم إمبراطور الرياضيات الألماني "ديفيد هيلبرت" بزعمه وجود نظام منطقي رياضي شامل ومتكامل؛ حيث كان يرى أن كل شيء صحيح يجب أن يكون منطقياً، والعكس، لكن "جودل" أوضح أنه ستوجد دائماً حقائق غير قابلة للبرهان، فهناك محدودية لجميع الأنظمة الشكلية في حالة الحساب الرياضي المنطقي، وهذا ما يرجح كفة البريطانيين والتجريبيين عموماً، فهل العقل البشري يحتوي على شيء يمكنه من معرفة الصحيح، حتى إن كان هذا الصحيح غير مبرر منطقياً؛ [حدسية جولدباخ] على سبيل المثال؟<sup>1</sup>.

1. حدسية جولدباخ Goldbach's Conjecture تنص على أن "كل عدد صحيح طبيعي زوجي أكبر من 2 يمكن كتابته على شكل مجموع عددين أوليين". ففي السابع من يوليو، عام 1742 م، كتب عالم الرياضيات ذو الأصل الألماني "جولدباخ" رسالة إلى "أويلر" جاء فيها: كل عدد زوجي أكبر من 6 يساوي حاصل مجموع عددين أوليين فرديين. وكل عدد فردي أكبر من 9 يساوي حاصل مجموع ثلاثة أعداد أولية فردية. وبشكل واضح فإن الحدسية الثانية يمكن اشتقاقها من الأولى، وذلك لأنه يمكن كتابة كل عدد فردي بالصيغة التالية:

$$2n + 1 = 3 + (2n - 2)$$

وقد عبر "أويلر" عن إيمانه بصحة هذه الحدسية، ولكنه لم يستطع أن يقدم برهاناً عليها!! وهذه أمثلة من الحدسية:

$$3 + 3 = 6$$

$$5 + 3 = 8$$

$$5 + 5 = 7 + 3 = 10$$

$$5 + 7 = 12$$

$$100 = 3 + 97 = 11 + 89 = 17 + 83 = 29 + 71 = 41 + 59 = 47 + 53...$$

الحجاج وآليات التفكير

عبد الرحمن محمد لصعمة

لقد فتح "جودل" باب اللاتيين مُجدِّدًا الأفكار والإجراءات داخلَ أعقد نسق تجريدي عرفه الذهن البشري، هو الرياضيات، وانتقلت الثورة إلى التجريبية التي حاصرها "كارل بوبر" أيضا بمبدأ القابلية للتكذيب أو للدحض *Falsifiability/ Fälschbarkeit*. وفي حال محاولة محاكاة العقل البشري البرهاني سنجد أننا نواجه معضلة استحالة تفكيك الوعي البشري والوصول إلى حقيقته، فوجود نظام صناعي ذكي يسمح بمعرفة الصواب والخطأ يوجب على هذا النظام أن يدرك ذاته، فهل الذكاء الصناعي أو هل (الروبوت) يدرك أنه مدرك؟ إن العقل البشري ليس حسابيا خطيا فقط كما يقول السير "روجر بنروز" في كتابه القيم (العقل والحاسوب). وتبقى معجزة الخالق -سبحانه- بإبداعه هذا الدماغ.

وقد كان "كانط" معتقداً أن منطق "أرسطو" هو يجد ذاته علم مكتمل لا يحتاج إلى شيء أو زيادة، بينما كان "هيغل" مؤمنا أن المنطق هو علم لا يحتوى سوى على تقنيات عقيمة لا طائل من ورائها، وهو رأي غريب. لقد أراد "كانط" في مشروعة الفكري الأضخم لدراسة العقل أن يحدد مجال هذا العقل البشري ومدى قدرته على سبر أغوار العلم والرياضيات والميتافيزيقا...، بموضوعية وتجرد وإنصاف، ولأجل تحقيق ذلك فقد اتجه إلى منهجية مختلفة عن المنطق، هي المعروفة بالمثالية المتعالية *Transcendentalism/ Transzendentalismus*، ذات الأبعاد العقلية أيضا.

وكُتِبَ البريطانيين في المنطق -على جملة العموم- كانت دائما تضم ثلاثة محاور أساسية؛ هي: الاستدلال *deduction* الممثل للمنطق الأرسطي وما شابهه من طرق البرهان العقلي، والاستقراء *induction* وهو الأقرب إلى الطريقة العلمية، بالإضافة إلى الاحتمال *probability* وطرقه الحسابية المعروفة.

ويوجد الكثير من هذا النوع من الحدسيات غير القابلة للبرهنة المنطقية، مثل حدسية بيرخ وهودج وريمان .... راجع للتفاصيل: (Pipping, Nils (1890-1982).

#### 4. التفكير الاستدلالي والمحاجة والبرهان:

1.4. المحاجة -عموما- Argumentation تمثل قدرة الفرد على التنفيذ والدحض لحجج الطرف الآخر، من خلال الأدلة والبراهين الاستدلالية والواقعية، من ثم حثه على التحلي بها والدفاع عن آرائه في الوقت نفسه، بل وتقديم الحجج خاصته لأجل خلق عملية تبادلية من الإقناع، وإنما يكون ذلك في قضايا الخلاف خصوصا. فالعمليتان العرفانيتان الأساسيتان في المحاجة إذن، هما: التنفيذ والإقناع. المحاجة هي تقييم للحجج من خلال كونها جزءا من العملية الاستدلالية الأوسع<sup>1</sup>؛ حيث يسعى الفرد إلى متابعة منطقية الحجج المضادة وإنتاج حجج جديدة لأجل إقناع الطرف الآخر بموقفه<sup>2</sup>. تمثل المعرفة عاملا رئيسيا في عملية الاستدلال ضمن آليات الحجاج؛ فالخزون العرفاني الذهني عند الإنسان هو الرصيد المحوري لبناء مكونات الحجة المنطقية وتقييمها. وهذه المكونات هي: المقدمة الكبرى، والمقدمة الصغرى، والنتيجة<sup>3</sup>: مثال:

جميع الطيور تستطيع الطيران	المقدمة الكبرى
النعام لا يستطيع الطيران	المقدمة الصغرى
النعام ليست طيرا	النتيجة

نلاحظ أن المقدمة الكبرى نفسها تحوي تعميما لا يصمد أمام الحقائق المعروفة في حيز إدراكنا، لأن بعض الطيور لا تستطيع الطيران، ومن هنا يبرز دور المعرفة في الحكم على مكونات الحجة المنطقية إذا كانت الإجابة تحتاج إلى مخزون معرفي.

1. للمزيد من التفاصيل، أكرم صالح خوالده، اللغة والتفكير الاستدلالي، ص 288 وما بعدها.

2. Lawson & Beraler, (1984). pp735-743

3. أكرم صالح خوالده، اللغة والتفكير الاستدلالي، ص 289.

والإنسان -دوما- في حالة عرفانية من التحاور الذاتي في مختلف مواقف الحياة؛ فيقوم بالمناظرة والقياس والتمثيل والمراجعة...، ويستخدم معارفه لأجل تكوين الحجج المنطقية والحجج المنطقية المضادة، للوصول إلى قرارات ونتائج تساعد على تحليل المواقف وحل المشكلات المختلفة، ومن هذا المنطلق تتكون لديه قاعدة إدراكية/ عرفانية تشكل حصيلة كبرى من الخيارات والحلول.

وعموما، فإن حالة اليقين هي حالة نادرة، لأن جوهر الحقائق نفسه هو غيبٌ بعيدٌ عن إدراكنا، ولذلك فإن الحاجة إلى إعادة فحص المعتقدات والأفكار قائمة ومشروعة؛ فالاستدلال الصائب لا يقود- بالضرورة- إلى الحقيقة، لكنه يجعل الفرد أكثر اقترابا من الحقائق، دائرا في فلكها. ولذا كان الحجاج وسيلة فكرية تُسهّل على الإنسان التكيف مع مفردات الوجود من حوله<sup>1</sup>.

**2.4.** ولذلك فلا بد -في هذا المقام- من التفرقة بين نوعين من الاستدلال الذي يمثل الآلية الدينامية الكبرى في عملية الإقناع ضمن آليات الحجاج عموما:

- الاستدلال الطبيعي (الحجاج): وحّدُه أنه: "فعالية تداولية جدلية؛ فهو تداولي، لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو أيضا جدلي، لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة؛ فالانتقالات فيه لا تُبنى على صور القضايا وحدها، كما هو شأن البرهان، بل على هذه الصور مجتمعة إلى مضامينها أيما اجتماع، وأن يُطوى في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج، وأن يفهم المتكلم المخاطب معاني غير تلك التي نطق بها، تعويلا على قدرة المخاطب على استحضارها إثباتا أو إنكارا، كلما انتسب إلى مجال تداولي مشترك مع المتكلم..."<sup>2</sup>.

- الاستدلال الصوري (البرهان): وحّدُه أنه قائم على ترتيب صور العبارات بعضها على بعض، بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها، فهو رياضي آلي، ويستخدمه الذهن من دون وعي، ولذلك تفصيلات ليس هذا مقامها، وبالتالي فإن البرهان هو مظهر فقير من مظاهر الاستدلال في الخطاب

1. للمزيد من النقاشات والأمثلة، اللغة والتفكير والاستدلال، ص 291 وما بعدها. وانظر كذلك، عبد الرحمن طعمة، البناء الذهني للمفاهيم.  
2. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 65.

الطبيعي؛ فهذا الخطاب يتميز بأنه يقوم على **مُلازمة مضمون القول لصورته، ومُلازمة القول لمقامه**، ولهاتين المُلأزمتين دورٌ مهمٌّ في تقويم القول في اللغة الطبيعية؛ فالأولى تشيد في تصحيح البنية؛ إذ قد تغطي فائدة المضمون فساد الصورة، والثانية تقيد في تثبيت تأثير القول؛ إذ قد تغطي مناسبة المقام ركافة المقال<sup>1</sup>. **لكن الوجود الضمني للبرهان مهم**؛ بمعنى أن الحركة الخطابية في الحوار تتأق بالأساس من الحجاج وتقنياته التواصلية، لكن وجود البرهان داخل البنية العرفانية الذهنية، حتى من دون إدراك الفرد لهذا، هو أمر ضروري لسلامة هذه البنية وتكاملها.

ويكون **تسلسل الأقوال** في حالة المنطق مؤسسًا على القضايا المتضمنة فيها وليس على الأقوال ذاتها، ولذلك تجد في حالة الاستدلال البرهاني أن النتيجة ملزمة بناء على الصورة المقدمة: كل نام حيوان/ النبات نام/ النبات حيوان؛ فالنتيجة ضرورية، بما يغير تماما ما يحدث في الحجاج الخطابي من الجدل وآليات الإقناع وتبدلات الاستدلال بين المتناورين...<sup>2</sup>.

**3.4. إن الأمر في "البرهنة" الفلسفية يتعلق بنوع من تسلسل مُقنن للمفاهيم الواصفة أو الشارحة *Metaconcepts*؛ فالتهير في الفلسفة يختلف عن تدبير الحجة في مجالات المعرفة الموضوعية، ذلك أنه إذا كان باستطاعتنا الفصل بصدد المعرفة الموضوعية بين الجهاز الخطابي *Rhetoric Apparatus* والجهاز التحليلي *Analytic Apparatus*، فإنه في مجال الفلسفة لا يمكن تعويض اللقاء المباشر بنصوص الفلاسفة، لأنه يصعب الفصل بين جهاز بناء الخطاب وجهاز تحليله، في حين أننا بإمكاننا**

1. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 227، بتصرف. وراجع أهم الفروق بين الحجاج والبرهان، حسن بدوح: المحاورة، مقارنة تداولية، ص 133. ومن أبرزها -اختصارا- أن نتائج البرهان تتصف باليقين (غالبا)، بينما يخضع الحجاج لترايبية هرمية تجعل أدلته تتراوح بين الضعف والقوة، ولذلك كان الحجاج من حيث العرفان واستغال الذهن هو النمط الأوقع للمحاورة، على جهة الإقناع، فهو عكس البرهان، قد يوصلنا أحيانا إلى أكثر من نتيجة، ولا ينغلق على نفسه؛ لاحتمال إضافة دليل أو أدلة جديدة. كذلك فإن البرهان لا يستهدف الفعل الخطابي أصلا ولا إنشاء الخطاب وفهمه، بينما الحجاج يقتضي طرفين على الأقل، ويراعي المقام وشروط الخطاب ...

2. للمزيد من التفاصيل، ركزنا السري، التحليل الحجاجي للخطاب القرآني، نماذج وملاحظات، ص 31-32. وانظر أيضا، حمو النقاري، منطق الكلام، من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، ص 406.

الاستغناء عن قراءة المذكرات الأصيلة للعلماء للاطلاع على إنتاجهم العلمي<sup>1</sup>. ورأيي أننا في المعالجات المعرفية عموماً للأدلة لا ينبغي أن تفصل بين الحجاج والبرهان، لأنّ الذهن لا يفصل بينهما في اشتغاله العرفاني الأكبر، وواقع الأمر أننا نستعين باللغة التجريدية الصناعية التي يستعملها البرهان ممتزجة باللغة الطبيعية التداولية التي يعتمد عليها الحجاج. كما أن البرهان العقلي التصوري ليس رياضياً تجريبياً سورياً، هكذا بهذا الاختزال التأميني، إنه نمط من الاشتغال الذهني العرفاني الأكبر، الذي يستعين بالإدراك الحسي ووسائل الاستدلال المتاحة للدماغ لأجل الربط بين القضايا وتفنيدتها والحكم بصحتها من عدمه...

### ثانياً- المهاد الفلسفي والبلاغي لمسألة الحجاج والبيان في الخطاب:

1. اشتغل "أرسطوطاليس" في خطابه بالحجج الصناعية وغير الصناعية بما تتضمنه من طاقات إقناعية فاعلة في جمهور المخاطبين<sup>2</sup>؛ إذ تؤكد لهم زعماء، أو تحملهم على مُجانبة أمر ما. ويعود السبب في ذلك إلى مدى إحكام الخطيب لخطبته والتأثير في مستمعيه، ولا يكون ذلك إلا من خلال استراتيجيات وآليات محكمة.

ولم يستقل الخطاب عن الحجاج والجدل إلا في العصر الحديث؛ حيث جعل "بيرلمان" الحجاج مؤسسة خطابية قائمة على (التحاورية) بين الخطيب والمتلقي، وموصولة بقيم إقناعية<sup>3</sup>.

\* ومن أبرز طرائق تنظيم الحجج وأنواعها ما يُعرف بـ طرائق الربط، وهي على نمطين:

1. راجع للمزيد من التفاصيل والتحليلات الموسعة، حمو النقاري، منطق الكلام، ص 410 وما بعدها.  
2. يقول "الفارابي": "لذلك نجد أرسطوطاليس يقدم أيضاً في أوائل أقاويله في جُل ما يلتبس تنبيه من العلوم الطبيعية والإلهية والمدنية الأقاويل الجدلية والفحص الجدلي عن ذلك الشيء، حتى إذا استوفاهما، صار بعد ذلك إلى إحضار البراهين في ذلك الشيء". الفارابي، كتاب المنطق - الجدل، تحقيق وتقديم وتعليق رفيع العجم، 31/3.

3. للمزيد من التفاصيل، عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. وانظر كذلك، صولة: الحجاج، أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه"، الصفحات 297-350. ولتفاصيل أعمق مع أمثلة وتحليلات، علي الشبعان: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة، ص 139 وما بعدها.

- **الطرائق الاتصالية:** وهي التي تُقرب بين العناصر المتباينة ابتداءً وفي الأصل، وتتيح إقامة ضرب من التضامن بينها لغاية هيكلتها؛ بمعنى إبرازها في هيكلتها أو بنية واضحة بهدف تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويماً إيجابياً أو سلبياً. ونلاحظ أن للذهن هنا دوراً بارزاً في هذه العملية، من حيث المخزون المعرفي الذي سبق الحديث عنه<sup>1</sup>.

- **الطرائق الاتصالية:** وهي القائمة على الفصل بين المفاهيم والمعطيات، بما يؤدي إلى توليد حقائق جديدة يُنشئها الحاج من خلال مفعول ما أجراه على تلك المعطيات، وما مارسه على تلك القيم من فصل تتحكم في مجراه مقولتنا الظاهر *Appearance* والحقيقة *Reality*<sup>2</sup>.

ومن خلال هذين النمطين من الطرائق الحجاجية تتفرع في نظام الخطاب جملة من التقنيات الحجاجية المتنوعة، مثل الحجج شبه المنطقية المؤسسة على الواقع، ومنها -أيضاً- النماذج الحاضرة والنماذج المجردة، ومنها الاستراتيجيات المختلفة للطرائق الاتصالية، مثل البيان، والحاصل القاطع، ونفي التنازع، والانتظام والانسجام والتوحيد، والأصل والتابع...<sup>3</sup>.

2. إن المتفحص للبيان والتبيين للجاحظ يعرف ما قاله عن البيان؛ إذ إن عماده هو (الفهم والإفهام)؛ فـ "مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام. فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"<sup>4</sup>.

فالأمر -إذن- يتعلق -بقوة- بإيضاح المعنى القائم في ذهن المتكلم، حتى ينتقل إدراكاً وعرفانياً إلى ذهن المستمع، ويكون ذلك -كما نصّ الجاحظ- من خلال وسائل الذكر والإخبار والاستعمال، وإظهار الخفي، وتقريب الغائب والبعيد إلى الأفهام، وحل المنعقد...<sup>5</sup>.

1. صولة، الحجاج، أطره ومنطقاته وتقنياته، ص 324.

2. المرجع نفسه، ص 325.

3. للتفاصيل والأمثلة المنوعة لهذه التقنيات، علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة، الصفحات 134-208.

4. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، 76/1.

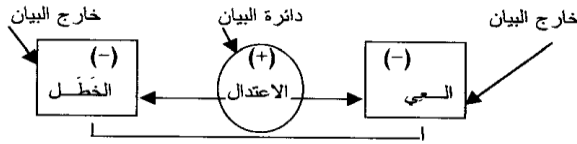
5. المرجع نفسه، 75/1 وما بعدها.

ويبدو -كذلك- أن كتاب (الحيوان) هو تطبيقٌ لمجال واسع من مجالات البيان بالمفهوم المعرفي الشامل، من حيث هو نظراً وتأملاً في الكون، وتدبرٌ في أسراره وفرائده وغرائبه، وهو المجال الذي أطلق عليه الجاحظ (التُّصْبَة والاعتبار)<sup>1</sup>.

ولا يكون البيان عرفانياً مستقراً في الأذهان واضحاً بمختلف تأويلاته إلا من خلال وسائل الحجاج والإقناع، وإلا أصبح الكلام مرسلًا في فضاء التأويل غير المقيد بمفاهيم أو بمعارف مشتركة بين المتكلم والمستمع في حلقة التواصل. فالبيان هو الإطار العام، والخطاب هو حالة خاصة<sup>2</sup> مرتبطة بالأطر الثقافية والمعرفية المختلفة بين مجتمعات بني الإنسان:

البيان ← البلاغة ← الخطاب ← الشفوي (الخطابة)

ولذلك فإن العي (العجز عن التعبير) مذموم، والخطل (المبالغة الموصلة للتكلف ومجافة الحق) مذموم. فالبيان هو مركز محصور بين (العي) و(الخطل)، ومنفصل عنهما تماماً<sup>3</sup>:



لقد مرت مراحل البلاغة والحجاج بالكثير من المنعطقات المعرفية المهمة، ابتداء من وظيفة الفهم والإفهام عند "الجاحظ" (ت 255 هـ)، ووصولاً إلى البلاغة الكلية عند "حازم القرطاجني" (ت 684 هـ).

1. محمد العمري، البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها، ص 195.

2. المرجع نفسه، ص 200.

3. المرجع نفسه، ص 204.

وفيما يتعلق بالمكونات الحجاجية المشتركة العامة يمكننا القول إن البعد العرفاني الذهني فيها هو الغالب، حتى في الجانب الاجتماعي العرفي الموضح بالمخطط، لأن التعارف بين مختلف الجماعات على شيء ما أو مفهوم ما إنما يكون من خلال الآليات العقلية العامة المشتركة (ومن خلال البرنامج البيولوجي الجيني السابق لبزوغ المعرفة في الأذهان)، وهذه الآليات تتأثر - بصورة مستمرة - بالإطار الثقافي العام، وتتحوّر بحسب درجة انتظام هذه المفاهيم وتلقيها عند كل جماعة داخل كل مجتمع<sup>1</sup>.

### ثالثا- الخطاب الحجاجي التداولي من خلال آلية المحاوراة واستراتيجياتها المختلفة:

1. تتأسس طبيعة المحاوراة بوصفها نمطا من أنماط التواصل الإنساني اللساني على كثير من ركائز توصيل الحجة ومرورته الفهم بين جماعة المتخاطبين. وسأحاول تقديم الأمثلة التي توضح هذه القضية، خصوصا من القرآن الكريم.

هناك الكثير من الكفايات العرفانية التواصلية التي يجب أن تتوافر في المحاوراة حتى تحقق هدفها الاتصالي العام من الحجية والإقناع؛ والتداولية المعاصرة تشترط تخطي معرفة القواعد الصوتية والصرفية والدلالية... إلى معرفة أعمق بالقواعد التداولية التي تكفل الفهم في مختلف مقامات التواصل، التي تتباين بتباين المتكلمين<sup>2</sup>.

وقد ميزت "كاثرين أوريكيوني" بين أربعة من هذه الكفايات: اللسانية، والموسوعية، والمنطقية، والتداولية البلاغية<sup>3</sup>؛ ولكل منها تفاصيل كثيرة، لكن ما يرتبط بما نطرحه هنا هو أن التفاعل بين

1. للمزيد من التفاصيل، عبد الرحمن طعمة، البناء الذهني للمفاهيم، بحث في تكامل علوم اللسان وآليات العرفان.

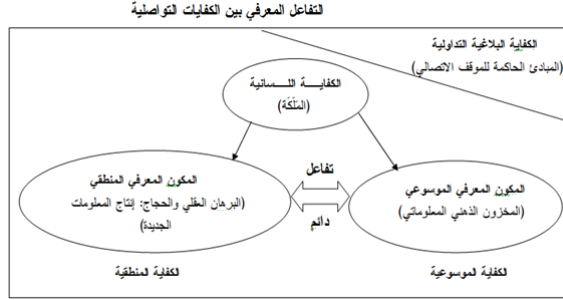
وعن نظام الخطاب وتفكيكية "نيتشه" و"فوكو" ... إلخ، انظر، سيمون ديورنج، الجينالوجيا، السلطة وفعل الكتابة، ترجمة عبد الرحمن طعمة.

2. أحمد المتوكل، الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص 219.

3. راجع للتفاصيل: كاثرين أوريكيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة محمد نظيف، وراجع تفاصيل هذه الكفايات، حسن بدوح: المحاوراة، ص ص 124-134.

الكفائيتين: الموسوعية والمنطقية هو الأساس في خلق الأرضية العرفانية المشتركة بين المتحاورين لأجل إنجاز فعل التخاطب<sup>1</sup>.

ويمكن تلخيص هذه البنى العرفانية التفاعلية في المخطط التالي:



تبين الخطاطة فكرة التفاعل المنطقي الوظيفي المختص بالتركيب والدلالة، بالتأسيس على هذه البنى العرفانية المهمة، وفي مركزها الكفائيتان: الموسوعية والمنطقية؛ حيث يقوم التركيب بتحديد أنماط العبارات المنطقية، بينما تهتم الدلالة بكيفية تأويل هذه العبارات، وذلك اعتماداً على قواعد التأويل والقواعد الاستدلالية<sup>2</sup>.

وتأتي الأهمية العرفانية للبنية المنطقية في المحاور من أنها هي حافز التفاعل الحجاجي، لأن دينامية الإقناع تتولد شيئاً فشيئاً من خلالها؛ حيث إن الجهاز المفاهيمي في دماغ المتحاورين مختلف بما يحويه من معتقدات ومعلومات، وقد توجد أرضية مشتركة من التفاهم أو لا توجد، فالمسألة نسبية.

1. للمزيد، يُنظر، أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية.. ص 37. وراجع المحاور، المرجع نفسه، ص 131.  
2. عز الدين البوشيخي، قدرة المتكلم التواصلية وإشكال بناء الأثناء، ص 91.

## 2. الطبيعة اللسانية للحجاج وعلاقتها بعرفانية النمط الحوارى فى الخطاب (القرآن نموذجاً):

1.2. من كل ما سبق نستطيع أن نفهم أن البرهان والحجاج يفتيان إلى مجالين متغايرين متباينين؛ فالبرهان مجاله الاستدلال المنطقي المنفصل عن اللغة الطبيعية التي قد تجد فيها بعض الالتباس أو الغموض أو عدم التوافق اللفظي<sup>1</sup>...، بيد أنه مرتبط بالعمليات العرفانية الذهنية العليا، المرتبطة بدورها بالإنشاء المنطقي للنموذج اللغوي فى الدماغ البشرى، وهذا موضوع آخر. أما الحجاج فمجاله الأوسع هو الخطاب بكل محمولاته الدلالية والمقاصدية، ومن هنا كان الحجاج ذا مركزية محممة فى النسق الحوارى الجدالى فى الكتاب العزيز. وقد تجد فى العبارة البرهانية نموذجاً للإحالة على قضايا فى الوجود؛ حيث إن تعالق الملفوظات فى البنى الاستدلالية البرهانية لا يقوم على طبيعة تراكب الملفوظات ذاتها، كما نعرف فى التحليل اللسانى، بل يقوم على القضايا التي تمثلها هذه الملفوظات؛ أي وقائع العالم وأحواله؛ كأن يقول قائل: أنا أشك إذن فأنا موجود... بينما فى العبارة الحجاجية الخطابية فإن تآلف الملفوظات بها يستجيب لتواعد خطابية داخلية، ربما لا تكون ذات علاقة مباشرة بأوضاع العالم؛ فتآلفها مبني بالأساس على معنى هذه الملفوظات ذاتها<sup>2</sup>، والمعنى فى هذه الحالة، من حجة الإنجاز اللسانى، يرتبط بعوامل كثيرة، لا علاقة لها بما يحيل عليه الملفوظ فى العالم، بل بما يقصده المتكلم فى أثناء إتيانه بفعل التلفظ، وهنا يقع جدال كثير بين الباحثين، أهمه فيما أرى - مسألة اللب الذهنى لقضية الاستعارة، والمزج التصورى الناتج عن تداخل المجالات الدلالية فى الذهن، وارتباط الملفوظات بدلالات مزجية تصورية لا وجود لها فى الواقع...

1. يفرق الأصوليون بين المشترك والمتوافق، راجع التفاصيل عند: عبد الرحمن طعمة، دور المعانى المعجمية فى توجيه الدلالة التركيبية: دراسة فى علم الدلالة التفسيري، أشغال المؤتمر العالمى الثالث للباحثين فى القرآن الكريم وعلومه،

2. لمزيد من التفاصيل والأمثلة، راجع: المظاهر اللغوية للحجاج، المرجع نفسه، ص ص 72-80، وما حوّلها.

## 2.2. حجاجية الخطاب القرآني:

سبق أن بيّنا أن حد الحجاج -كما عند طه عبد الرحمن- أنه فعالية تداولية جدلية، هدفه إقناعي، ويعني هذا من الجهة العرفانية- أن الفعالية الحجاجية صفة لكل خطاب (لساني) طبيعي، لأن حقيقة الاستدلال في الخطاب الطبيعي أن يكون حجاجيا لا برهانيا صناعيا، كما سبق تفصيله. كما يعني أيضا أن الحجاج هو فعالية [حوارية/ تخاطبية]، [وتفاعلية/ مقامية]؛ أي إنه فعل لساني *illocutionary* تداولي. ويُعد فطرة في الخطاب الطبيعي؛ يقول نجم الدين الطوفي: "إن الجدل صناعة تكاد تكون فطرية، إن لم تكن كذلك حقيقة؛ فنحن نرى العامة، بل الصبيان، تقع بينهم المناظرات على القانون الصناعي،...، إنما العلماء استخرجوا لصناعة الجدل قوانين وضوابط وأسماء وألقاب تُعرف بها، وقرروا منها ما كان نظريا لا يُدرك بالبديهة، ولهذا نرى العلماء يحيطون منها ومن غيرها بما لا يحيط به غيرهم، لأن البديهي من ذلك مشترك، وزاد العلماء بالنظريات التي لا سبيل لغيرهم إليها"<sup>1</sup>.

ولا ندرك المحولة الحجاجية للكلمة إلا بمُناسبتها لسياقها الذي وردت فيه، واستحقاقها مكانها دون غيرها مما قاربها من الألفاظ المعجمية أو العبارات. وهذه الحركة الكامنة في الكلمة هي التي ساءها "عبد الله صولة" بحركة الكلمة الحجاجية<sup>2</sup>. وحركة الكلمة الحجاجية هي حركة قائمة في الكلمة بناء على ما ساءه "هرمان باربه" بالتداولية المُدمجة<sup>3</sup> *Integrated Pragmatics*.

## 3.2. المناظرة القرآنية والحوار الحجاجي:

أ- المناظرة موافقة لطبيعة المخاطبة الإنسانية الفطرية، وموافقتها هذه، وبتوحيها أكساب هذه المخاطبة شروط الاستقامة والصحة عن طريق الارتقاء بها إلى أن تكون صناعة لها قواعدها وأصولها، تصبح صناعة المناظرة من أرفع الصناعات قدرا.

1. نجم الدين الطوفي الحنبلي (...-716هـ): عَلم الجَدَل في علم الجَدَل، تحقيق فولفهارت هاينريشس فيسبادن، فرانز شتاينر، ص ص 209-210.  
2. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 169.  
3. هرمان باربه، تلوين الخطاب، ترجمة صابر الحباشة، ص 179، وكذلك كتاب: محاولات في تحليل الخطاب، صابر الحباشة، ص 135.

والقرآن الكريم هو النموذج الأكمل للمناظرة والمجادلة ضمن الخطابات الطبيعية التي حاولنا - باختصار شديد- بيان شيء من بنيتها العرفانية التداولية؛ فالخطاب القرآني، في عمومته، إنما هو جمع معجز من الوقائع الجدلية الحجاجية، تحتشد فيه صور مملوءة بالحجج والأدلة والبراهين في مسائل التوحيد وإثبات الصانع وإعجاز الخلق وقضايا الكون والمعاد...<sup>1</sup>.

\* وهناك ملاحظة مهمة بهذا الصدد؛ فالترسيمة الحجاجية للحوار مع المؤمنين والكافرين عموماً في القرآن الكريم ربما لا تخرج عن البنية العرفانية الموالية<sup>2</sup>:

• مع الكافرين، [نموذج من سورة البقرة، 61]:

- الطلب: "وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض..."

- المنح: "فإن لكم ما سألتكم"

- الغدر: "ثم توليتم من بعد ذلك"

- العقاب: "ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله"

• مع المؤمنين، [نموذج من سورة آل عمران، 194-195]:

- الطلب: "ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة"

- المنح: "فاستجاب لهم ربهم..."

- الوفاء: "الذين اتقوا ربهم..."

1. يقول ابن قيم الجوزية: "إن القرآن الكريم مملوء بالاحتجاج، وفيه جميع أنواع الأدلة والأقيسة الصحيحة. وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بإقامة الحجة والمجادلة؛ وهذه مناظرات القرآن مع الكفار موجودة فيه، وهذه مناظرات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لخصومه وإقامة الحجة عليهم، لا ينكر ذلك إلا جاهل مفرط في الجهل". مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، 144/1.

2. زكريا السرتي، التحليل الحجاجي للخطاب القرآني، ص 47.

## – الثواب: "لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نولا من عند الله..."

وقد أتت نمطية المناظرة ضمن النسق الحواري العام في الكتاب العزيز موافقةً لعادة العرب في مخاطبتهم، ولخصوصية لسانهم، واستوفى المولى تبارك وتعالى في التراكيب اللسانية والصور البيانية المستعملة لغرض الإقناع كل الأشكال اللسانية الممكنة، التي نعرفها، والتي ما تزال نستكشفها، بقدر ما فُتح لنا من فهم لكتاب الحق سبحانه؛ يقول الإمام الزركشي في نص مؤسس لقاعدة عرفانية تداولية حول هذه المسألة الجوهرية: "... فالمائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإنَّ من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الآكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن ملغزاً؛ فأخرج تعالى مخاطباته في مُحاجة خلقه في أجلِّ صورة، تشتمل على أدق دقيق؛ لتفهم العامة من جليلها ما يُنعمهم ويلزهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الخطباء"<sup>1</sup>.

ب- القرآن الكريم إذن، بالنظر الفاحص لما تقدم، هو خطاب حوارِي، لأنه مسرح على رُكحه<sup>2</sup> تتحاور الذوات وتتجادل وتتخاصم، ويُحاج بعضها بعضاً. وهو أيضاً حوارِي يُميز بأنه يقدم نفسه بوصفه "تغييراً لوضع" و"حلا لمعضلة" حارت لأجل حلها العقول، وهو نبذ للعنف، الذي هو عكس الحجاج<sup>3</sup>:

1. الزركشي (بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله)، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق عبد القادر عبد الله العاني، وراجع عمر سليمان الأشقر، 34/2.

2. الرَّكْحُ: الركن، والناحية والجانب، والساحة والفناء، والأرض الغليظة المرتفعة، والفعل "رَكْحٌ" بمعنى لجأ إلى أو استند، وفي حديث لعمر رضي الله عنه لعمر بن العاص، قال: ما أحب أن أجعل لك علةً تركحُ إليها. راجع المعجم الوسيط.

3. للمزيد من التفاصيل: بوشعيب راغين، الرابط السابق نفسه. وراجع رأيه المهم حول النظرية العامة للإقناع،

في كتابه المعنون: "دائرة الحوار"، وقد اقتبس منه بمقالته توضيحا رأى فيه أن دائرة الحوار هي دائرة الممكن، أي دائرة ما يتطلب إنجازَه أخذ "الأخر" بعين الاعتبار، متعاوناً (مشاورات) أو منازعاً (مناظرات)، أو منقاداً من دون روية (استهواء). وخارج هذه الدائرة توجد دائرة المطلق (أو المطلقات). ولكل صيغة من صيغ الحوار، أو جنسي من أجناسه، امتداد: ففي امتداد التشاور توجد المعرفة في بعدها التخزيني؛ أي نشاط الذاكرة بشكل أساسي. وفي امتداد المناظرة يوجد التأمل والاعتبار والمعرفة المنطقية والبرهانية؛ أي نشاط

"أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" (يونس: 99). "فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر" (الغاشية: 21-22). "لا إكراه في الدين" (البقرة: 256). وهو في منهجه التوجيهي الأكبر "استجابة لسؤال أمة"؛ فالقرآن بهذا المعنى إذن **حجاجي أو ذو طبيعة حجاجية**؛ أي إنه يرمي إلى تغيير وضع ذهني يترتب عليه ضرورة تغيير وضع مادي ما: "... كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد" (إبراهيم: 1). وهو بذلك أيضا خطاب ساوي/أو كتاب منهجي إلهي، هدفه الإصلاح وتغيير وضع قائم مناف للطبيعة والفطرة، ومن ثم فهو خطاب حجاج لا وراء؛ "ذلك الكتاب لا ريب فيه \* هدى للمتقين" (البقرة: 2-3). ولقد اجتمع في القرآن من المعطيات اللسانية-الأسلوبية والبلاغية والدلالية والتركيبية- ما جعله خطابا حجاجيا لسانيا متفردا عن غيره من سائر الخطابات، وذا وظيفة حجاجية متميزة، لأنه تفوق بالقدرة على التأثير في متلقيه، خصوصا الأوّلين منهم، تأثيرا حجاجيا (التمط العرفاني الإقناعي)، ومن ثم ذهنيا (التمط المنطقي البرهاني)، بالإضافة إلى ما له من قدرة على التأثير العاطفي (التمط الوجداني) في قلوب أولئك المتلقين، ممن أذعنوا له واقتادوا تحت لوائه عن اقتناع ديني بحت، وعن عاطفة خالصة وإيمان محض؛ لكونه من عند الحق العزيز الحكيم سبحانه.

### رابعا- الحجاج الإقناعي والحجاج البلاغي في القرآن الكريم:

يأتي مصطلح *Pilgrimis Persuasive* الفرنسي مُعبّرًا عن (الحجاج الإقناعي)، وبالإنجليزية يُشتق من الإقناع *Persuasion* والحجاج *Argumentation*، ويكون أيضا بمعنى الجدل الاعتراضي أو طرح الرؤية المدعّمة بالحجج<sup>1</sup>. وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "... فَحَجَّ آدَمُ

الذهن بصفة أساسية. وفي امتداد الاستهواء يوجد العنف السيكولوجي والرمزي؛ أي نشاط الوجدان بشكل أساسي.

<sup>1</sup>. راجع للتفاصيل: محمود عكاشة: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والحجاج الإقناعي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، ص 44.

موسى " أي غلبه بالحجة، وفي حديث آخر عن الدجال: "إن يخرج وأنا فيكم فأنا محجيجه" أي محاججه ومغالبه بإظهار الحجة عليه<sup>1</sup>. فاللفظ ليس مستغربا على الخطاب اللساني العربي.

1. وقد مر بنا استغراق القرآن الكريم لمجمل أشكال التناظر والحوار الممكنة، المؤسسة على الجدل العقلي والإقناع، من خلال التركيب اللساني الذي نقل إلينا هذه الأنماط وتلك الصور؛ يقول الإمام الزركشي: "اعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة، وتقسيم، وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية، إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أوردته الله تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين، لأمرين: أحدهما بسبب ما قاله: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" (إبراهيم: 4). واعلم أنه قد يظهر منه بدقيق الفكر استنباط البراهين العقلية على طرق المتكلمين... ومن ذلك الاستدلال على أن صانع العالم واحد؛ بدلالة التماثل المشار إليه في قوله تعالى: "لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا." (الأنبياء: 22)، لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تديرهما على نظام، ولا يتسق على إحكام..."<sup>2</sup>.

**الإقناع في النظرية الحجاجية لا يخضع لمنطق البرهان ولا للاستدلالات الرياضية المنطقية** فحسب، بل يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك؛ فكما يذكر فيليب بريتون: "تتنوع الوسائل المستعملة في الإقناع غاية التنوع، وتستخدم إجراءات معقدة تمتاح من غنى السلوك الإنساني"<sup>3</sup>.

1. الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، والحديث الثاني رواه مسلم وأحمد وابن ماجه والترمذي والنسائي.  
2. الزركشي: البرهان في علوم القرآن، طبعة عيسى الحلبي، 34/2، د.ت. وقد اقتبس الإمام السيوطي النص نفسه، وأضافه إلى كتابه الإقناع في علوم القرآن، 282/2، وأكمل فذكر السبب الثاني: "... الثاني: أن المائل إلى دقائق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام...."، وهو النص الذي نقلناه عن الزركشي أيضا في هامش سابق، عن كتابه البحر المحيط في أصول الفقه. ونلاحظ هنا فهم الزركشي، على الرغم من قدم التحليل اللساني في زمانه، لمسألة كليات المعلومات العقلية والسمعية، التي يمكن نقلها تركيبيا، من خلال اللغة والتصوير... إلخ، كما هو معروف الآن في نظرية الاتصال الحديثة.  
3. فيليب بريتون، الحجاج في التواصل، ترجمة محمد مشبال، وعبد الواحد التهامي، ص 66. وراجع تفاصيل أكثر ومناقشات أعمق عند دومينيك مانجينو: مشكلات الحجاج بواسطة الإيتوس.. من البلاغة إلى تحليل الخطاب، ترجمة حسن المودن، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، ص 766 وما بعدها. وللمزيد

## 2. ولإقناع طريقان<sup>1</sup>:

- **اللغوي:** وتستخدم فيه الوسائل اللسانية، مثل التراكيب الدالة على الثوابت والحقائق والتأكيد، والأساليب الإقناعية المنطقية، مثل الشرط والاستثناء، والترقي في الحجج بحسب درجاته اللغوية، وبناء الجمل على هيئة قضايا منطقية: تبدأ بمقدمات وتنتهي بمسلمات ونتائج...، كما مرّ بنا.
- **والعقلي:** وهو الذي يخاطب فيه المتكلم من يحاوره بالحجة والدليل والمنطق (الكفاية التواصلية البرهانية) من خلال التقنية العرفانية المعروفة بالترجيح في إقامة الدليل أو الحجة، وهو التسلسل الذي يرتقي إلى نتيجة ما؛ كأن يبدأ بمقدمة تحوي الموضوع أو القضية، ثم العرض، ثم المشكلة، ثم الدليل والحجة، ثم النتيجة أو الحكم، ولذلك أسس وآداب، من أهمها، التجانس مع مقتضى العقل والمضمون، والأمثلة الواقعية،...

أما **الحجاج البلاغي**، فمعلوم أن البلاغة العربية تقوم بالأساس على معايير حجاجية إقناعية جمالية؛ فمن المشهور عن "العتابي" قوله: "كل من أفهمك حاجته فهو بليغ"، وهو هنا يحدد بلاغة الاتصال بشكل دقيق. وقد أحسن "أبو هلال العسكري" في الصناعتين تفسير قول العتابي؛ قال: "... وإنما عني إن أفهمك حاجته بالألفاظ الحسنة، والعبارة النيرة، فهو بليغ"<sup>2</sup>. ثم زاد إلى ذلك الجانب المعياري الجمالي، وقرر أنه لا يمكن فصله عن الجانب الدلالي في البلاغة العربية؛ فعرف البلاغة جماليًا: "كل ما تَبَلَّغ به

من التفاصيل والتحليلات عموماً، يُراجع "حمادي صمود" (إشراف): أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مقدمة النشر. و"محمد العمري": البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها.  
1. محمود عكاشة، تحليل الخطاب، ص ص 48-49، بتصرف.  
2. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد الجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ص ص 10-11. ومن المعلوم أن كتاب الصناعتين هو تلخيص للبيان والتبيين للجاحظ.

المعنى قلب السامع، فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسه، مع صورة مقبولة ومعرض حسن<sup>1</sup>. فجمع بين الحسنيين: الجانب الدلالي والجانب الجمالي في العرض والاستدلال<sup>2</sup>.

أما عن دور البلاغة في الحجاج الإقناعي، فالأمر يحتاج إلى مصنف كامل، لكنني أكتفي بنص لابن الأثير له وجاهته العرفانية؛ قال: "مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، لأنه لا انتفاع بإيراد الأفكار المليحة الراقية، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة، دون أن تكون مستجلبة لبوغ غرض المخاطب بها"<sup>3</sup>.

### 3. أهم وسائل الحجاج الإقناعي في القرآن الكريم:

سكتني في هذه الفقرة بضرب نماذج ممتثلة، علما بأن كثيرا من هذه الوسائل نجدها في كتب البلاغيين وعلماء التفسير، لكنها متناثرة من دون تحديد أو تقييد، حتى نقف على بنود القضية ومركزاتها الأساسية<sup>4</sup>.

1. كتاب الصناعتين، ص 11.  
2. محمود عكاشة، تحليل الخطاب، ص 50. وراجع الكتاب المهم لمؤلفه ريموند جيبس، المقاصد في تجربة المعنى، الفصل الثالث الخاص بالمعنى والتواصل؛ حيث بيّن المؤلف كثيرا من تقنيات التبليغ وجمالياته العرفانية: Raymond W. Gibbs, JR, 2004, p40.  
3. ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، 64/2. وراجع للمزيد من الأمثلة والإيضاحات، وأنواع الحجاج الخطابي عموما، محمود عكاشة، تحليل الخطاب، ص 50 وما بعدها.  
4. للمزيد من الأمثلة والتحليل والتفاصيل، يُنظر: محمود عكاشة، تحليل الخطاب، ص 271-281. ورشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية، ص 101-104. العلاقة السلمية في الحجاج والظواهر التركيبية الدلالية، ص 118. خالد السويح، أسس الإخبار في الكلام، بحث في روافد إنتاج الفائدة، أنماط الاستدلال على المعنى، ج 2، ص 709، وما بعدها.

### 1.3 وسائل الإقناع اللغوية والبلاغية، ومنها:

أ. **التقرير بالجملة:** مثل الجملة التي تُثبت حكماً تقريرياً أو معنوياً؛ نحو: "قال إني عبد الله. أتاني الكتاب. وجعلني نبياً. وجعلني مباركا..." (مريم: 30-31)؛ فكلها جمل تقريرية وصفية لتأكيد معنى النبوة في الحوار الشهير بين مريم وبنو إسرائيل.

ب. **التأكيد بالجملة الشرطية:** ويقوم ذلك بالأساس في الحوار على القضية المنطقية: "إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً". (مريم: 19)؛ فالجملة الشرطية "إن كنت تقياً" تدعم معنى الجملة الأولى، فهي سبب منها؛ فالمنعنى: إن كنت تقياً فسوف تتصرف بتعودي بالله جل وعلا؛ فجلت صلاحه شرط عدم إيذائها؛ أي إن كنت تتقي الله تعالى وتحافه باستعاذتي واستجارتي به، فستتصرف عني دون إيذائي. وقوله تعالى: "فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا". (مريم: 26)؛ الفاء عاطفة، وإما شرطية، والفاء رابطة لجواب الشرط في: "فقولي"، والشرط يفيد التخصيص، كالاستثناء، والتخصيص هنا مستفاد من: "إن كنت تقياً"، فإنه إذا كان على هذا التخصيص لم يؤدّها<sup>1</sup>.

ج- **التأكيد بالجملة المفسرة التي تأتي في معنى المفسر:** قال تعالى: "فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً". (مريم: 24)؛ "أن" تفسيرية، والجملة بعدها تفسيرية، وجملة "قد جعل" مستأنفة في حيز التفسير<sup>2</sup>.

د- **تعميم المعنى للشمول:** قال تعالى: "فإما ترين من البشر أحدا..." (مريم: 26)؛ فـ "أحدا" يشمل كل واحد من البشر، في سياق الصوم صمتاً، ليكون صمتها أنجع في إثبات عفتها، خلافاً للمعهود في سياق الاتهام المتقضي للدفاع بالكلام والإتيان بالدليل لنفي التهمة. و(أحد) هنا تشمل النوعين

1. راجع التفاصيل عند، الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، 382/1. الشيرازي (أبو إسحق إبراهيم بن علي بن يوسف): شرح اللمع، تحقيق عبد المجيد التركي، 407/1-408.  
2. راجع للتفاصيل، على سبيل المثال، أبو حيان الأندلسي (أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي)، تفسير البحر المحيط، 170/3-171.

تغليبا، والتنكير للتعميم الذي يجري على المفرد، والفائدة من ذكر الواحد هنا التشديد في النهي عن الكلام، وعدم التجوز ببعضه مع قريب أو صفي، ومثله "إنسيا" يُرادُ به الواحد من الجنس الذي يجري على إنسي<sup>1</sup>. وتلك آلية لسانية محممة جدا للتنبيه على المراد من خلال هذا النمط الحواري.

**هـ. تخصيص المعنى:** ومنه تخصيص العام وتخصيص بالأداة؛ ومن تخصيص العام لفظ "بشر"، فهو عام في النوعين وفي كل سن، وأريد به الخصوص في الخطاب في النوع الذكوري، وهم رجال قومها الذين تصدوا لاتهمها ليقبوا عليها الحجة والعقاب، وهم على الأرجح رجال المعبد<sup>2</sup>.

وهناك وسائل أخرى كثيرة يمكن الرجوع إلى مظانها، فقط أردت الإشارة إلى بعضها.

### 2.3. وسائل الإقناع الاستدلالية المنطقية:

وتأتي هذه الوسائل -في معظمها- نتيجة للتفاعل الدائم الذي أشرنا إليه في الخطاطة، التي شرحنا فيها الكفائيتين الموسوعية (المعلومات القديمة) والمنطقية البرهانية. **وأهمها:**

**أ. السبب والعلة:** في الحوار الدائر بين مريم وجبريل عليهما السلام، نلاحظ عدم اقتناع مريم بالحمل دون السبب (الجماع)؛ فسبب الحمل مفقود، فهي ليست متزوجة، وليست ببني، وهو ما يقع ضمن ما يُعرف **بالحجاج بالتيقُّض**؛ كأن تقول: إن لم يضاعج الرجل المرأة فلن تحمل، لأن ذاك هو السبب الطبيعي لحصول الحمل، لكن من أسباب اقتناعها بالمعجزة هو هزها الضعيف لجذع النخلة وسقوط الرطب في غير أوانه على أكثر أقوال المفسرين؛ ففي جريان الحدث وسقوط المعجزة ما دفعها للثقة والطمأنينة، من ثم محاجة قومها على الرغم من وهن الولادة.

**ب. سرد القضية المنطقية<sup>3</sup>:** وتسلسلها: مقدمة، فمحمول، فنتيجة، وتفضيها يتطلب حجة أقوى من النتيجة:

1. محمود عكاشة، تحليل الخطاب، ص275.

2. المرجع نفسه، ص276.

3. المرجع نفسه، ص ص277-278، بتصرف.

\* مثال (1): الحمل من غير زواج معلن = الاتهام بالزنا/ مريم غير المتزوجة حامل / النتيجة:  
مريم غير المتزوجة زانية. وهذا هو حكم قوما. وقد نقض كل هذا خطاب عيسى في المهد.  
\* مثال (2): دخول الرجل الأجنبي على المرأة خلوتها = الشك والريبة / ظهر الملاك في هيئة  
البشر لمريم / النتيجة: مريم ارتابت منه. وقد نقض كل هذا إخبار الوحي عن نفسه: "إنما أنا رسول ربك  
لأهب لك غلاما زكيا" (مريم: 19).

### ج. السلم الحجاجي:

قضية السلم الحجاجي من أهم قضايا تحليل الإقناع في الخطاب عموما، وتفصيله كثيرة ومتداخلة،  
لكنني سأسرد -يايجاز- أهم قوانينه التي تعني هنا في مسألة الحجاج وآلياته العرفانية، في الفقرة الموالية.  
4. تنقسم السلام الحجاجية عموما- وفق "ديكرو" O. Ducrot- إلى نموذجين شهيرين<sup>1</sup>:

### 1.4. العلاقة السلمية التفاضلية:

يقرر "ديكرو" في كتابه العمدة (السلام الحجاجية) المنشور عام 1980م أن السمة الأساسية  
التي تميز الحجج عن الأدلة البرهانية الذهنية، هي أن الحجج لا تقطع قطعا نهائيا في إثبات النتيجة التي  
تساندها، كما الحال في الدليل البرهاني، المعتمد على النمط الرياضي المحض -كما سبق أن أوضحنا بالتفصيل-  
فالحجة تمثل شكلا من أشكال الترافع المساند لمرافعات أخرى ممكنة بحسب المقام الخطابى وذهن المخاطب  
وطبيعة الجدل... إلخ. وفي العلاقة التفاضلية الحجاجية تكون جميع الحجج الواردة في الجملة (المفوظ)  
خادمة للنتيجة نفسها، بناء على مبدأ القوة الحجاجية لكل دليل، وهو ما يسمى بـ التساند الحجاجي<sup>2</sup>.  
وهنا تدخل فيما يُعرف بالفئة الحجاجية نفسها: ومثال هذا:  
- الحجة 1: حضر الحفل عمدة المدينة.

1. يمكن الرجوع إلى تفاصيل هذه المسألة بأمثلتها وتشعباتها في كتاب "مويشلير" الشهير، الحجاج  
والتخاطب، ص ص 54-55:  
2. رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص 109.

- الحجة 2: حضر الحفل الوزير الأول.
  - الحجة 3: حضر الحفل رئيس الدولة.
- فكلها حجج ضمن فئة واحدة، لأنها تقبل الحضور في ملفوظ واحد، لأنها تتجه لمساندة النتيجة نفسها:
- لقد كان الحفل ناجحاً حقاً، فقد حضر العمدة ورئيس الوزراء، بل حتى الرئيس نفسه.
  - حتى الرئيس قد حضر، إضافة إلى رئيس الوزراء والعمدة.
- والملاحظ كذلك أنه على الرغم من أن هذه الحجج تنتمي إلى فئة مجاجية واحدة تدعم النتيجة نفسها، غير أنها تتباين في قوة كل حجة منها في إسناد هذه النتيجة الموحدة؛ فهناك حجة أقوى من حجة وأخرى أضعف من غيرها...؛ ففي المثال: قوة حجة حضور الرئيس على حضور الحفل ليست بقوة حجة حضور العمدة أو الوزير، ولذلك أطلق على الأمر **العلاقات التفاضلية في السلم الحجاجي**؛ بحيث يمكننا الآن صياغة **التركيب التفاضلية التالية**<sup>1</sup>:

- حضور الوزير الأول أقوى دلالة على نجاح الحفل من حضور العمدة.
- حضور الرئيس أقوى دلالة على نجاح الحفل من حضور الوزير الأول.
- حضور الوزير الأول أضعف دلالة على نجاح الحفل من حضور الرئيس.
- حضور العمدة أضعف دلالة على نجاح الحفل من حضور الوزير الأول.

## 2.4. العلاقة السلمية التقابلية:

وتنشأ هذه العلاقة عن مبدأ **التعارض الحجاجي**؛ فقد تكون الحجج الواردة في الملفوظ لا تتجه لإسناد النتيجة ذاتها، وإنما تساند كل حجة نتيجة معارضة للنتيجة التي تساندها الحجة الأخرى، وأصطلح على ذلك بـ **التعاند الحجاجي**<sup>2</sup>. ويمكن تمثيل هذا رياضياً على النحو التالي:

1. لتفاصيل أكثر وشرح أعمق، رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص ص 109-115.

2. المرجع نفسه، ص 116.

بفرض أنه لدينا متواليّة *Progression* من أزواج من الحجج المتعاعدة، مثنى مثنى، تُسمى مثلاً المجموعة العنادية<sup>1</sup>، تكون صورتها:

[ {حجة 1، حجة 1\*} ، {حجة 2، حجة 2\*} ، ... {حجة ن، حجة ن\*} ]

بحيث يمثل الرمز (\*) رمز العنادية؛ بمعنى أنه يفيد بأن الأمر يتعلق بحجة معاندة للحجة الواردة معها ضمن الزوج نفسه، كما هو واضح في المتواليّة.

سنلاحظ ضمن هذه المجموعة أن كل زوج يشكل ما يمكن تسميته بـ **الزوج العنادي**، ومعيار وجود العلاقة العنادية بين حجتين هو أن تقبلا مع الورد في ملفوظ من الملفوظات الحجاجية، بحيث يؤدي هذا إلى بروز تعاند حجاجي.

وقد صاغ "مويشليير"<sup>2</sup> هذا الأمر بقاعدة رياضية عامة: "إذا قامت بين الملفوظين علاقة عنادية، صح أن تطبق عليها مبدأ التعارض الحجاجي، ومقتضى هذا المبدأ أنه: إذا كانت لدينا حجة "ح" تصلح لمساندة نتيجة "ن"، فمن الضروري أن توجد حجة "ح\*" لمساندة النتيجة المعارضة "لا(ن)"; بحيث:

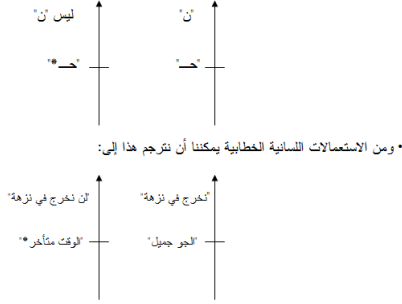
[ "ح\*" ليست بالضرورة هي "لا(ح)" ].

هذه القاعدة يمكن صياغتها في تمثيل صوري سُلمي في الخطاطة التالية:

1. المرجع نفسه، ص 116، بتصرف.

2. Moeschler, Ibid, pp54-55

قانون التقابل الحجاجي



فكما هو واضح، ليس من الضروري أن يكون الملفوظ المعاند هو نفسه نفيً للملفوظ المساند؛ كأن تقول في المثال أعلاه: "الجز ليس جميلاً". وفي اللغة عموماً هناك روابط تُقَعَل مثل هذا الأمر من التعاند العرفاني المتلازم على المستوى العرفاني الحجاجي الذهني ضمن بنية اللسان، خصوصاً في أساليب الإقناع التخاطبي، مثل الرابط "لكن"، والرابط "غير أن"، المستخدمان بصورة شبه أساسية في جُلِّ المحاورات؛ خذ مثلاً بـ: (عليّ ماهرٌ بتلاوة القرآن، غير أنه محجول) هذه الجملة تقدم نسقاً عرفانياً محمداً جداً في الخطاب التداولي عموماً، قد نفهم منه الكثير؛ ففي سياق التداول حول مدى أهلية علي للإمامة في الصلاة؛ تأتي الحجة الأولى لتوضح أنه: "ماهر بتلاوة القرآن"، وهي حجة مساندة للنتيجة: "يصلح للإمامة في الصلاة"، لكن الحجة الثانية تعاند هذه النتيجة: "إنه محجول"، فتكون مساندة لنتيجة مغايرة أو مقابلة: "لا يصلح للإمامة في الصلاة". ويمكن -بالطريقة نفسها- تمثيل الجملة وفق المخطط السابق الموضح للعلاقة التعاندية التي تكون فيها الحجج مساندة ومعاندة في آن واحد.

هذا، وهناك وسائل منطقية أخرى كثيرة، مثل الشرط القائم على تحقق المقدمة، والاستدلال بالواقع، والتمثيل المنطقي، والحجاج العقلي...<sup>1</sup>، يمكن مراجعتها في مظانها.

1. يمكن مراجعة التفاصيل، عكاشة، تحليل الخطاب، ص ص278-281.

## خامسا- ارتباط الحجاج الإقناعي ببعض القدرات الذهنية والتواصلية لدى المتكلم (المحاور):

ذهب اللساني "ليونز" Lyons إلى أن تسييق الأفكار لسائياً يمكن أن يأخذ صورتين: إحداهما يدل فيها على الإجراء الذي يُمكن المتكلم الفطري للغة ما من إنتاج أقوال خاصة بمقامات معينة، تتميز بالانسجام الداخلي، وبالتالي فهي تقتضي- منه أن يمتلك مهارات ومعارف تتجاوز مكونات الجهاز الذي يتكلم به. والثانية فهي العملية التي يقوم بها اللساني في وصفه للغة ما<sup>1</sup>. وكما هو واضح، ففي التصور الأول ما يحيل إلى مفهوم الملكة اللغوية الذي خاض فيه "هايمز" Hymes، ولاحظ من خلاله أن حاجة المتكلم إلى إنتاج الأقوال لا تقتصر على الملكة اللغوية أو الملكة الدلالية، بل تتوقف على جملة أخرى من الأعراف المقامية الاجتماعية الداخلة في الاستخدام السليم للبنية التي تتيح له اكتشاف دلالتها على صورة أشمل، مثل وجوب معرفته بمنصبه ومنصب مخاطبيه، والمكان والزمان اللذين يكتنفان حدث التخاطب، وقدرته على استخدام الملائم من العبارات، ومعرفة المعطيات الجغرافية والثقافية المحيطة بفعل القول...<sup>2</sup>. وبالتالي فإن "ليونز" قد تخطى ما وضعه "فيرث" Firth لمفهوم التسييق، بتقييمه على ما يفعله اللساني فقط<sup>3</sup>.

1. Lyons, J, 1980, p236.

2. Lyons, Ibid, pp200-208.

3. اهتم ليونز بمقولي الصدق والكذب، ومعلوم أهماداخلتان فيما يتصل ببناء المتكلم للقضية، وصدورها عن اعتقاد قدر أنه يسود حالة الأشياء في الخارج عموماً؛ وبالتالي يربط القضية بمرجعها الذي هو جزء من المقام. والجلي أن مفهوم المقدرة الدلالية من المفاهيم الراجحة في الدلالة التوليدية، ثم سرعان ما اعتمد في بناء الأنساق الصورية، والفحص النظري يقود إلى أن نشأته عند "كاتز" و"فودور" Katz & Fodor كانت مقترنة باعتباره ملكة من ملكات المتكلم، تساعده على تحديد مظاهر الغموض والالتباس في الجملة، وفكها وتعيين أوجه شذوذها الدلالي، واكتشاف علاقات التفسير والحكاية الواقعة بين الجمل. راجع لمزيد من التفاصيل: خالد السويح: أسس الإخبار في الكلام، 549/2 وما بعدها. وانظر كذلك:

Raymond W. Gibbs, JR: Ibid, p143.

وانظر للمزيد من التحليل والأمثلة حول الإحالة المرجعية وارتباط القضايا الدلالية بالموجودات في العالم: Andrew Brook & Robert J. Stainton, pp33-49

## خلاصة ونتائج:

- لا بد من المعرفة والاهتمام بقواعد اللغة والمنطق، ومنازل العُرف والمواضع والاستدلال، لأجل تمييز مختلف الخطابات، وفهم أسسها البنيوية، وطرق تشكيلها في العقل. ولأجل التفرقة بين ما هو برهاني صوري، وما هو استلزامي حجاجي.
- للاستدلال علاقة وطيدة بالحجاج، ولا يمكن فهم أحدهما دون فهم الآخر، وقد أفضنا في توضيح ذلك الأمر بالشروح والأمثلة والتحليل، ما بين الفلسفة والمنطق والبلاغة.
- ارتباط الحجاج بالبيان وبلاغة الخطاب لا يُنكره باحث فاحص، وهو الأمر الذي يفضي - بالتبعية- إلى أهمية تحليل مكونات البيان العربي، وعلاقاته المتنوعة المتشابكة، كما أوضحنا في المهاد البلاغي والفلسفي لقضية الحجاج والخطاب.
- انتظام آليات الحجاج من خلال وسائل الربط المتصلة والمنفصلة، وغيرها، وثيق الصلة بمقاربة الكفايات التواصلية، والمقدرة الدلالية التواصلية في اتساع دائرة الحوار الإنساني، وتنقله بين حدود المنطق والعلم والثقافة.
- لا بد من الالتفات إلى أهمية نموذج الكفايات التواصلية، الذي قدمته "أوريكيوني"، وعلاقته بدائرة الحوار والإقناع، لفهم البنية العرفانية لأسلوب الحجاج في الخطاب عموماً، وهو أمر يدفعنا إلى الاهتمام بالطبيعة الدينامية للتفاعل بين هذه الكفايات على مستوى تعليم الحجاجية في عموم الخطاب اللساني.
- يتميز الخطاب القرآني -في عموم- بأنه ذو فعالية تداولية جدلية، وهدفه العام هو الإقناع، من خلال تقنيات الحجاج الجدلي المؤسس على البرهان العقلي، ونماذج التداول التواصلية المختلفة، وكل هذا يمثل تفاعلاً عرفانياً قائماً على المستوى الذهني (العرفان وقولبة الدماغ للمفاهيم).
- هناك مجموعة من الآليات اللسانية الحجاجية: التداولية والبلاغية، التي يجب التنبيه إليها؛ لضرورتها في تنمية دينامية التفاعل بين الكفايات التواصلية عموماً، خصوصاً تقنية السلم الحجاجي وعلاقتها

بالاستدلال المنطقي على مجمل القضايا والمفاهيم المطروحة على أذهان المخاطبين، المتفاوتة في قدراتها الاستيعابية.

■ المحاور هي استجابة لخصائص **المقام التناظري**؛ حيث يقوم فيه كل من المدعي والمعتزض بالنظر في المدعى؛ قصد إظهار الصواب فيه، على حجة التخاطب والتحاوور والتنازع والتباحث والتعارض والتراجع والتطرح والتداخل والتداول والتجادل...؛ بحيث يكون المعتزض أو المدعو سائلا ومعتزضا ومائعا، ويكون الداعي مدعيا ومجيبا ومعللا ...

### المراجع العربية:

- أحمد قادم، وسعيد العوادي (إشراف): التحليل الحجاجي للخطاب (بحوث محكمة)، دار كنوز المعرفة الأردنية، ط 1، 2016.
- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط 1، 2001.
- أحمد المتوكل: الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط 1، 2003.
- أكرم صالح خوالده، اللغة والتفكير الاستدلالي، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2016.
- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منشورات العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 1، 2006.
- ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، ط 1، 2008.
- الأمدي (سيف الدين علي بن يوسف)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1986.
- بوشعيب راغبين، خصائص البنية الحوارية وأسسها المعرفية الحجاجية في القرآن الكريم، مقالة منشورة على موقع المنتدى العالمي للوسطية، بتاريخ: 4 يونيو 2009، تاريخ الاسترجاع (ديسمبر، 2019):  
<http://www.wasatyea.net/?q=node/1337>
- بول موي، المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة فؤاد زكريا، دار نهضة مصر، د.ت.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- حسن بدوح، المحاور، مقارنة تداولية، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2012.
- حسن بن العطار الشافعي، حاشية العطار على شرح الجلال "المحلى على جمع الجوامع"، دار الكتب العلمية، د.ت.
- حمادي صمود (إشراف)، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، 1998.
- حمو النقاري، منطق الكلام، من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، الدار العربية للعلوم (ناشرون)، بيروت، 2010.

- أبو حيان الأندلسي (أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي)، تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1983.
- خالد السويح، أسس الإخبار في الكلام: بحث في روافد إنتاج الفائدة، دار كنوز المعرفة الأردنية، ط 1، 2015.
- دومينيكي مانجينو، مشكلات الحجاج بواسطة الإيتوس.. من البلاغة إلى تحليل الخطاب، ترجمة حسن المودن، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، كنوز المعرفة، 2016.
- رشوان مهران، مدخل إلى المنطق الصوري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1975.
- رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2014.
- رضا زيدان، الإجماع الإنساني، المحددات ومعايير الاحتجاج، مركز براهين، مصر، 2017.
- الزركشي (بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله)، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق عبد القادر عبد الله العاني، وراجعه عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط 1، 1992.
- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، طبعة عيسى الحلبي، ط 2، مصر، د.ت.
- زكريا السرتي، التحليل الحجاجي للخطاب القرآني، نماذج وملاحظات، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، كنوز المعرفة الأردنية، 2016.
- سعيد البوسكلاوي، وتوفيق فائزي (تنسيق)، آليات الاستدلال في الفكر الإسلامي الوسيط، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية CERHSO، سلسلة ندوات ومؤتمرات المركز (4)، وجدة، المغرب، ط 1، 2013.
- سيمون ديورنج، الجينالوجيا، السلطة وفعل الكتابة، ترجمة عبد الرحمن طعمة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، العدد 105، 2020.
- السيوطي (جلا الدين)، الإتيقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، ط 1، 1999.
- الشيرازي (أبو إسحق إبراهيم بن علي بن يوسف)، شرح اللمع، تحقيق عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي 1408هـ - 1988م.
- صابر الحباشة: محاولات في تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2009.

- طارق المالكي، الاستدلال في المنطق وتطبيقاته في اللسانيات، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط 1، 2019.
- طه عبد الرحمن، مراتب الحجاج وقياس التمثيل، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، المملكة المغربية، العدد (9)، 1987.
- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط 2، 2000.
- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1998.
- عبد الحميد هنداي: إعجاز الكلمة القرآنية: دراسة أسلوبية بلاغية، دار العلياء، القاهرة، ط 1، 2013.
- عبد الرحمن طعمة، دور المعاني المعجمية في توجيه الدلالة التركيبية: دراسة في علم الدلالة التفسيري، أشغال المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، الرابطة المحمدية للعلماء، فاس، المملكة المغربية، إبريل، 2015.
- عبد الرحمن طعمة، البعد التداولي للنسق الحوارية في القرآن الكريم: مقارنة معرفية حجائية، المجلة العالمية لبحوث القرآن الكريم (قرآنيكا)، مركز بحوث القرآن الكريم، جامعة ملايا، ماليزيا، المجلد (10)، العدد (1)، يولييه، 2018.
- عبد الرحمن طعمة، البناء الذهني للمفاهيم، بحث في تكامل علوم اللسان وآليات العرفان، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2019.
- عبد الله صولة، أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه"، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، جامعة منوبة، تونس، 1998.
- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، الطبعة المشتركة بين دار الفارابي، بيروت، ومكتبة المعرفة، تونس، وكلية الآداب منوبة، تونس، ط 2، 2006.
- السنوسي، حاشية الشراوي الشافعي على الهددي على أم البراهين، المعروفة بالصغرى (أم البراهين أو العقيدة السنوسية الصغرى)، بعناية أحمد فريد المزيدي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- عز الدين البوشيخي، قدرة المتكلم التواصلية وإشكال بناء الأنحاء، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب، مكناس، المملكة المغربية، 1997.

- علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010.
- الفارابي، كتاب المنطق - الجدل، تحقيق وتقديم وتعليق رفيق العجم، دار المشرق، بيروت، 1986.
- فيليب بریتون، الحجاج في التواصل، ترجمة محمد مشبال، وعبد الواحد التهامي، المركز القومي للترجمة، مصر، ط 1، 2013.
- ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، طبعة مجمع الفقه الإسلامي، جدة، المملكة العربية السعودية، 1432 هـ.
- كاثرين أوريكيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة محمد نظيف، نشر إفريقيا الشرق، ط 1، 2007.
- محمد العمري، البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها، نشر إفريقيا الشرق، المغرب، 2015.
- محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والحجاج الإقناعي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار النشر للجامعات، ط 1، 2014.
- محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
- محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2011.
- منذر عياشي، القرآن من بناء النص إلى بناء العالم، دار نينوى، سوريا، ط 1، 2015.
- نجم الدين الطوفي الحنبلي (...-716 هـ): عَلمُ الجَدَل في علم الجَدَل، تحقيق فولفهارت هاينريشس فيسبادن، فرانز شتاينر، المعهد الألماني للدراسات الشرقية، بيروت، 1408 هـ - 1987.
- هرمان باربه، تلوين الخطاب، ترجمة صابر الحباشة، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2007.
- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 1، 1986.
- أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، لجنة تحقيق التراث، دار الآفاق الجديدة، ط 1، 1983.

- يونس الناصري، تضافر المكونات اللغوية لحجاج المتلقي، الاستفهام نموذجاً، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، كنوز المعرفة، 2016.

### المراجع الأجنبية:

- Andrew Brook & Robert J. Stainton: Knowledge and Mind: A Philosophical Introduction, The MIT Press, 2001.
- Baylon. C et Mignot. X: Semantique du Langage, Initiation Editions Nathan, Paris, 1995.
- Grunbaum, Branko: *The Construction of Venn Diagrams*, The College Mathematics Journal, V 15, No 3, June, 1984.
- Lawson & Beraler: *Cultural Diversity and Difference in Formal, Reasoning Ability*, Journal of Research in Science Teaching, 21 (7), 1984.
- Lyons, J: Semantique Linguistique, Librairie Larousse, 1980.
- Moeschler, Jacques: Argumentation et Conversation; Eléments pour une analyse pragmatique du discours, Hatier, Paris, 1985.
- Pipping, Nils (1890-1982): "*Die Goldbachsche Vermutung und der Goldbach-Vinogradovsche Satz.*" Acta Acad. Aboensis, Math. Phys. 11, 4-25, 1938.
- Raymond W. Gibbs, JR: Intentions in the Experience of Meaning, Cambridge Univ Press, 2<sup>nd</sup> ed, 2004.
- Searl. J, R: Expression and Meaning; Studies in the Theory of Speech Acts, Cambridge University Press, 1979.



## الانسجام في الخطاب الحجاجي: مقاربة تداولية عرفانية

د. سعدية بن سالم  
جامعة الزيتونة- تونس  
[sadok.saadia@gmail.com](mailto:sadok.saadia@gmail.com)

### الملخص:

نفترض، شأن كثير من اللسانيين، أنّ أنماط الخطاب المختلفة هي في الأصل حجاج، وأنّ كلّ خطاب يحتاج إلى الانسجام ليتحقّق. إذن، لا يمكن أن نتحدّث عن خطاب دون الحديث عن الانسجام، ولذلك ندرس، في هذا المقال، الانسجام في الخطاب الحجاجي ونميّز بين مستويين منه: الاتساق والانسجام. عدنا في هذا العمل إلى نظرية الإفادة التي طوّرها اللسانيان "دان سبير" و"دريدر ولسن" هذه النظرية التي تمكّنتنا من دراسة الانسجام من وجهة تداولية عرفانية.

استندنا في دراستنا على مدوّنة أدبية يمثّلها نصّ محمود المسعدي "حدّث أبو هريرة قال" و"السدّ" إذ نرى أنّ الأدب إعادة صوغ للواقع وتركيب له في مستوى سياقات القول ومقاصده وسيروراته وخاصّة انسجامه.  
الكلمات المفتاحية:

انسجام، حجاج، خطاب حجاجي، نظرية الإفادة، التداولية العرفانية

## *Coherence in argumentative discourse Cognitive Pragmatics Approach*

Dr. Sadok Saadia

Ezzitouna University, Tunisia  
sadoksaadia@gmail.com

### *Abstract:*

We propose, as many linguists, that the function of types of discourse is argumentation. All discourses want to be coherent, so, We can't speak about discourse without speaking about coherence, for this reason, We study in this article coherence in argumentative discourse, we distinguish between two levels of coherence: cohesion and coherence.

In this work, we revisit the relevance theory developed by linguists, Dan Sperber and Deirdre Wilson, this theory allows to study coherence with a pragmatic cognitive view. We focus in our study on literary corpus (two texts by Mahmod Al-Massadi): «haddatha Abou Houraira kal; Abou houraiara narrated: He said» and «Alssad», we believe that literature is a reformulation of reality and reconstruction of it in their contexts, intentions and processes of speech and especially in coherence.

### *Keywords:*

Coherence, argumentation, argumentative discourse, relevance theory, cognitive pragmatics.

تمهيد:

حظي الحجاج باهتمام حمل بعض الدارسين على أن يختزلوا فيه كل خطاب وأن يجعلوا بقية الأنماط مجرد تفرعات له ومظاهر إثراء. وقد لا تختلف مع هؤلاء الدارسين في اعتبارنا أن أصل الخطاب حجاج وأن القول إنما ينجز لغاية ومقصد وتقوم اللغة بدور توجيهي في إقناع المتلقي بالفكرة وحمله على التصرف بما تمليه وتدفعه إليه. ونعتقد أن لبناء الخطاب الحجاجي وانسجامه من أهمية ما يحمل على الاعتناء. فالانسجام الذي لازم لسانيات النص ونحوه مبدأ ملازم لتحليل الخطاب إجمالاً وللخطاب الحجاجي بصفة خاصة، وهو ما يدفعنا إلى محاولة تبين مظاهر انسجام الخطاب الحجاجي استناداً إلى نظرية الإفادة لدان سيربر (D. Sperber) ودريدر ولسن (D. Wilson).

### 1. في المصطلح والمفهوم:

1.1. الانسجام: ظهر الانسجام مصطلحاً محايثاً لمبحث لسانيات النص وشهد تعريفه مداخلة عدة اشتركت في ربط المفهوم بمظهره فعرفته "ليتالاندكسيت" (Lundquist Lita) بأنه "عمل لغوي يشمل، شأن كل عمل تَلَقُّظي، ثلاثة أعمال رئيسية: عمل الإحالة (تحدث عن شيء ما)، وعمل الإسناد (قول شيئاً ما)، والعمل المتضمن في القول (ضمن قصد محدد)، وتحدد هذه الأعمال الثلاثة ثلاثة مستويات بنائية في النص وهي البنية الموضوعاتية والبنية الدلالية والبنية التداولية<sup>1</sup>، وعرفه جيري هوبز بأنه العلاقة بين القضية والمقطع الخطابي الذي ترد فيه، وعرفه واترلو "Waterlot" باعتباره صفة للنص فقال "يكون النص منسجماً عندما ندرك بسهولة وحدته رغم تكونه من مجموعة من الجمل، إن القارئ إذن هو من يحكم على الانسجام.. انسجام النص هو وظيفة التفاعل بين العمل

1. Gagnon, Odette, (2000), p22.

الاستدلالي للقارئ وبعض الخصائص غير المنسجمة في النص ذاته<sup>1</sup>، ويحملنا العمل الاستدلالي إلى نظرية الإفادة التي طورها سبيرير وولسن باعتبارها نظرية في انسجام الخطاب قائمة على الاستدلال غير البرهاني. ونظرية الإفادة هي النظرية التي ننظر في ضوءها في انسجام الخطاب الحجاجي في هذا المقال ولذلك نرجع القول فيها إلى حين.

وورد مصطلح الانسجام ملازما لمصطلح آخر ملتبسا به في أكثر من موضع هو مصطلح الاتساق، ويؤكد الباحث الجزائري "حمودي السعيد" أن (هارفنج) هو أول من ذكر الاتساق واعتنى به ويقول في ذلك: "وإلى (هارفنج) تُعزى أول محاولة جادة لوصف التنظيم الناطقي الداخلي للنصوص من خلال الحديث عن بعض العلاقات التي تسودها، مثل علاقة الإحالة والاستبدال مشيرا إلى التكرار والحذف والتزادف والعطف والتفريع والترتيب وذكر النتيجة بعد السبب والجزء بعد الكل أو العكس وهذا كله يقع في دائرة الترابط والاتساق الداخلي للنص"<sup>2</sup> وعرف هاليداي ورقية حسن في كتابها "Cohesion in English" الاتساق بأنه "مفهوم دلاليّ يحيل على العلاقات المعنوية الموجودة داخل النص والتي تجعل منه نصاً"<sup>3</sup> ويعرفانه بأنه "جزء من نظام اللغة"<sup>4</sup> وضمن هذا الإطار اعتنى هاليداي وحسن بالعلامات الرابطة بين مكونات النص والعلاقات الراقمة بين القضايا واهتما بالإحالة والترابط والتضمير والتضمين وغيرها من علامات الانتظام داخل النص.

يتفرع الانسجام باعتباره مظهرا للالتئام القول في النص وحسن سبكه، إذن، إلى اتساق بما هو علامات ظاهرة تربط بين المتتاليات والقضايا وتحيل على النوات، وإلى انسجام بما يعنيه من علاقات دلالية وتداولية واستدلالية.

1. Waterlot, Martine, L'évaluation et l'enseignement de la cohérence textuelle, p1.PDF.

2. حمودي السعيد، الانسجام والاتساق النصي، المفهوم والأشكال، ص108.

[http://manifest.univ-](http://manifest.univ-ouargla.dz/documents/Archive/Archive%20Faculte%20des%20Lettres%20et%20des%20Langues/seminaires%20facultes%20des%20lettres/Linguistique%20et%20le%20roman/HAMOUDI%20ssaid.pdf)

[ouargla.dz/documents/Archive/Archive%20Faculte%20des%20Lettres%20et%20des%20Langues/seminaires%20facultes%20des%20lettres/Linguistique%20et%20le%20roman/HAMOUDI%20ssaid.pdf](http://manifest.univ-ouargla.dz/documents/Archive/Archive%20Faculte%20des%20Lettres%20et%20des%20Langues/seminaires%20facultes%20des%20lettres/Linguistique%20et%20le%20roman/HAMOUDI%20ssaid.pdf)

3. M.A.K. Halliday and Ruqaiya Hasan, (1994), p4.

4. Ibid, p5.

**2.1. الخطاب الحجاجي:** نمط اللسانيون الخطاب إلى أصناف يمثّل الحجاج أحدها وذكر جون ميشال آدام على سبيل الذكر خمسة أنماط للخطاب أطلق عليها صفة مقاطع وهي: المقطع السردى والمقطع الوصفي والمقطع الحجاجي والمقطع الحوارى والمقطع التفسيري، وعرف شارودو ومنقبنو نمط الخطاب في معجمها لتحليل الخطاب بالقول: "لمفهوم نمط الخطاب عدّة معان فيجانب تحديد واسع يدلّ هذا المفهوم بمقتضاه على كلّ صنف من أصناف الخطاب مما كان المقياس المتوخّى لذلك، ويوجد معنيان حصريّان، أحدهما يقابل بين نمط الخطاب وجنس الخطاب باعتبارها قطع إنتاج لغويّ لمجتمع ما وبين جهاز تواصل خاص، والآخر يعتبر أنماط الخطاب طُرُق هيكلية أساسية تؤلّف في النصوص الفعلية، ويميّز "برونكهات" بين أربعة أنماط خطاب كبرى، خطاب تقاعلي وحكاية تفاعلية وخطاب نظري وسرد... ويميّز "بوشار" (1990) بين تسعة أنماط على أساس ثلاثة مقاييس، دلالي (إحالي) (سردى، وصفي، عرضي) وتلفظي (مداخلة، خطاب مكتوب، إنجازات كتابية وشفوية) وتداولي (الزاي، تفسيري، حجاجي)<sup>1</sup>.

وهو تعريف يندد إلى وظيفة المنجز اللغوي ومقصد واضعه كاتباً كان أو مشافهاً، ونجد تصنيفاً للحجاج ضمن مقياس التداول، فالحجاج ينتمي إلى ما يعرف بدراسة اللغة إبان الاستعمال، وهو ما يجعله أقرب إلى عائلة الأعمال الإنسانية ويجعل تناوله وفق المقاربة التداولية أنسب باعتبار انتائه. وفي ذلك يقول فيليب بريتون (Ph. Breton) "ينتمي الحجاج إلى عائلة الأعمال الإنسانية (les actions humaines) والتي تهدف إلى التأثير والإقناع وخاصيتها أن تضفي منطقاً على وضعية تواصلية<sup>2</sup> ويجعل بيرلمان وتيتيكاه مدار الترس الحجاجي على تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم.

تحملنا هذه التعريفات على الإقرار باندرج الحجاج ضمن النظرية التواصلية بل يمكننا مقارنته استناداً إلى النظرية التواصلية العرفانية التي يمثّلها سبيرير وولسن و"إفادتها" التي تعني في جانب منها "الانسجام".

**3.1. الإفادة:** لاحظنا عند بدء عملنا في مبحث الإفادة، اختلافاً في ترجمة المصطلح إلى العربية، فقد ترجمه عبد الله صولة بالإفادة وترجمه شكري المبخوت وسيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني

1. معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، ص 577.

2. Ph., Breton, (2003), p3.

بالمناسبة وترجمه مسعود صحراوي بالملاءمة<sup>1</sup>. وكان لزاما علينا لغايات إجرائية أن نقرّ مصطلحا واحدا نجري فيه القول حتى لا يحدث إرباك في مستوى الإحالة على المفهوم، وقد استبعدنا أن نضيف مصطلحا جديدا اعتبارا إلى أنّ ما وجد يفي بالحاجة من ناحية واعتبارا إلى أنّ الوفرة المصطلحية ليست مطلبا في ذاتها من ناحية ثانية، فعدنا إلى الأصل الإنجليزي نبحث عن معناه في القواميس ذات اللسانين كما عدنا إلى الترجمة الفرنسية نبحث عن معنى للمصطلح في الفرنسية خاصة و"دان سيرير" أحد المؤلفين للكتاب بالإنجليزية كان طرفا في الترجمة إلى الفرنسية. ولئن اختار الكاتبان "دان سيرير" و"ديدر" ولسن" في النسخة الأصلية إطلاق عنوان "*relevance: communication and cognition*" على مؤلفها و"the relevance" على النظرية، في أكثر من مقال منشور لهما بالعنوان ذاته مثل "*Relevance Theory*"<sup>2</sup> و"*Outline of Relevance Theory*"<sup>3</sup>، وقد ترجم "دان سيرير" وأبال جرشنفيلد" المصطلح بـ "*la pertinence*"<sup>4</sup>، رغم توفّر الوحدة المعجمية "*relevanc*" في الفرنسية وتوفّر الوحدة المعجمية "*pertinence*" في الإنجليزية.

واعتمدنا للتظّر في المصطلح معجمين أحدهما إنجليزي عربي وهو معجم "الكنز" الصادر عن دار السابق للنشر - بيروت، دون تاريخ نشر وهو الذي قدّم له ميخائيل نعمة، وثانيها فرنسي عربي وهو معجم المنهل لسهيل إدريس والصادر عن دار الآداب بيروت، سنة 2009. وقد وجدنا التعريفات التالية متعلّقة بكلّ وحدة معجمية في اللسانين:

وجدنا من الإنجليزية إلى العربية القائمتين التاليتين:

*Pertinence*: ملائم، مناسب، موافق، وثاقّة الصلة بالموضوع، مناسبة.

*relevance*: وثاقّة الصلة بالموضوع، علاقة.

1. ذكر عيد الله صولة المصطلح في كتابه الحجاج في القرآن، وذكر المبخوت المصطلح في كتابه نظرية الأعمال اللغوية وذكر دغفوس والشيباني المصطلح في ترجمتهما لكتاب موشلار وريبول "التداولية اليوم" وذكر صحراوي المصطلح في كتابه التداولية عند العرب.

2. L.Horn and G. Ward, (2004.)

<http://people.bu.edu/bfraser/Relevance%20Theory%20Oriented/Sperber%20&%20Wilson%20-%20RT%20Revisited.pdf>.

3. [http://download2.hermes.asb.dk/archive/download/H05\\_04.pdf](http://download2.hermes.asb.dk/archive/download/H05_04.pdf).

4. Traduire de l'anglais par, Abel Gerschenfeld et D. Sperber.

وترجمت الصفة (*relevant*) بـ"على نحو وثيق الصلة بالموضوع، ذو علاقة. مناسب. ذو مغزى. مفيد. أما في الفرنسية فقد وجدنا القائمة التالية:

*La pertinence*: ملاءمة، موافقة، وثاقفة الصلة بالموضوع، مناسبة الصلة بين الحجة والموضوع<sup>1</sup>. يظهر في هذه القوائم تواتر وحدتي، الملاءمة والمناسبة، وفكرة التعالق بين الأفكار، فكل التعريفات تتفق على وثاقفة الصلة بالموضوع.

وعدنا إلى مصطلح المناسبة في العربية فوجدنا السجلماي يعرفه بأنه شكل من أشكال "التكرير" وهو إيراد المعنى وما يليق به، وهو تركيب القول من جزأين فصاعدا، كل جزء منها مضاف إلى الآخر ومنسوب إليه بجهة ما من جهات الإضافة ونحو من أنحاء النسبة وقد صنّف جهات المناسبة إلى أربع وهي:

- إيراد الملائم: أن يأتي بالشيء وشبهه، مثل الشمس والقمر، السرج واللجام، والسيف والفرند...
- إيراد التقيض: أن يأتي بالأضداد، مثل الليل والنهار والصبح والمساء والحياة والموت..
- الانجرار: أن يأتي بالشيء وما يستعمل فيه من مثل: القوس والسهم والفرس واللجام والقلم والذوابة.
- التناسب: أن يأتي بالأشياء المتناسبة مثل القلب والملك؛ إذ يقال نسبة القلب في البدن تشبه الملك في المدينة<sup>2</sup>.

ويتبين من هذا التعريف للمناسبة اختصاصها بتصنيف العلاقة المعنوية بين الألفاظ وإغفالها ما اصطلح عليه المفهوم (*the relevance*) في أصل وضعه الذي يتوسّع في العلاقة الدلالية القائمة على التعالق والملاءمة بين المقول، دون أن ينفيا، فيعرف المفهوم بأنه ما يفهم من المقول في علاقته بالسياق<sup>3</sup>.

1. سهيل إدريس، المنهل، ص900.

2. أبو محمد القاسم السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق علال الغازي، ص518-519.

3. ورد ذلك في أعمال، فان ديك، وسبيرير وولسن.

أما بالنسبة إلى الملاءمة، فيبدو من التعريف السابق للمناسبة أنها جهة من جهات المناسبة ذات الطبيعة التركيبية والتي تتشابه، من منظور تحليل الخطاب، مع مبدأ المشابهة. وهذا ما يجعلنا نرجح اعتماد مصطلح "الإفادة" على مصطلحي "المناسبة" و"الملاءمة ترجيحاً إجرائياً أملتة طبيعة المبحث التداولي العرفاني الذي يهتم بالحيط العرفاني في فهم المقول دون أن يلغي التعالقات التركيبية.

## 2. التواصل إطاراً للإفادة:

نزل "دان سبيربر (D. Sperber)" و"دريدور ولسن (D. Wilson)"، مقاربتهم ضمن نظرية التواصل، ووسّع مجال عملها ليقارب الخطاب من زاوية التمثيل الحاصل في ذهن طرفيه (الخطاب) لحظة التواصل محولين التعرّض إلى الطوارئ المستجدة على تمثيلات كل طرف للعالم، يقولان في ذلك: "التواصل تمسّ يضع في الاعتبار طرفين لبناء المعلومة بحيث يغيّر أحد الطرفين المحيط الفيزيائي للآخر، ومن نتائج ذلك حمل الطرف الثاني على بناء تمثيلات تتطابق وبعض التمثيلات الحاصلة عند الطرف الأول"<sup>1</sup> وهما بذلك يحدان التواصل بأنه تمسّ ومنهج يستلزم طرفين على الأقلّ غايته بناء المعلومة بتأثير أحد الطرفين في الآخر مستثمراً المحيط الفيزيائي بما هو إدراك حسيّ للموجودات.

والقول بتغيير المحيط الفيزيائي هو قولٌ بتعديل إدراك أحد الطرفين للعالم حوله ذلك الإدراك الذي أمّنته الحواس، وهو ما يعيد إلى الذهن علاقة المعرفة بالحواس التي اعتبرت دائماً قاصرة عن إدراك الحقيقة والإمام بكلّ جوانب التجربة، كما تستوقفنا، في هذا التعريف، تلك العلاقة بين التواصل والتمثيلات الحاصلة في الذهن/ الجهاز الذهني، فلكلّ فرد تمثيلات تحدّد رؤيته للعالم الذي يتحرّك فيه، وهذه التمثيلات مخزّنة في الذاكرة التصورية، أو هي الذاكرة طويلة المدى وفق حقائق مكتملة<sup>2</sup>، والتواصل مع الآخر هو عملية ذهنية معقدة تهدف إلى التأثير في تلك التمثيلات تدعياً أو تقويضاً أو تعديلاً والثابت أنّ التواصل لن يحافظ إثر عملية التواصل على تمثلاته الأولى وإنّما سينتهي به الأمر إلى إعادة بناء ما خُزن وفق مقتضيات جديدة.

1. Sperber, et Wilson, (1989), p10.

2. نقصد بالحقائق المكتملة تلك المعارف التي خزّنها صاحبها في الذهن على اعتبار أنّها حقيقة لا جدال فيها إلى حدود تلك اللحظة، وهي الحقائق التي يستند عليها صاحبها في حوارها مع الآخر ويقاوم بها المعرفة الجديدة التي توفرها المحادثة، وقد تتغير تلك الحقائق بعد المحادثة لتعوض بحقائق أخرى وقد تزداد صلابة وثباتاً.

ينبغي التّواصل على ركيّتين، قواعد تقيمه ومقاصد تشرّع له، فأما التّواعد فهي مخاطب ومخاطب ومتن تواصلّي هو الخطاب، وأما المقاصد فهي الغايات التي أدّت إلى إنشاء الخطاب، فالتّواصل منهج خطائيّ لبناء معلومات جديدة.

وعرف المتن التّواصلّي، منوالين في معالجته، المنوال السنّي (*modèle du code*) والمنوال الاستدلالي (*modèle inférentiel*) الذي يتفرّع إلى الاستدلال "الغرايسي" والاستدلال "الإفادي"؛ أي ذاك الاستدلال القائم على نظريّة الإفادة، وهو استدلال اعتبره صاحبه، "سبيربر" و"ولسن"، تواصلا لمقاربة غرايس وتطويرا لها.

## 1.2. المنوال الاستدلالي:

يستند المنوال الاستدلالي على مقوّمات المنوال الترميزي/ السنّي ويتغير عنه فلا يكتفي به. "يقول سبيربر/ ولسن" "نطلق على تواصل ما بأنه استدلاي لأنّ المتلقّي يستدلّ على مقاصد المتكلّم اعتبارا إلى مجموعة من المؤشّرات التي تقود حتما إلى ذلك الفهم"<sup>1</sup>، فأساس التّواصل، كما نرى، هو المؤشّر أو الرّمز ثمّ يُبنى الفهم في ضوء تلك المؤشّرات بما يؤدّي إلى تغيير تمثّلات المجموعة المتلقّية، فيتحقّق، بذلك، القصد التّواصلّي الذي يبني عليه "غرايس" نظريّته الاستدلالية. هذه النظريّة التي تجعل من الخطاب المنتج وسيلة لإبلاغ القصد. فإذا لم يتوفّر قصد من نقل المعلومة فلا حاجة لإنجاز الخطاب، ويعتبر التّواصل فاشلا إذا قصّر المتكلّم عن إبلاغ قصده، أو عجز المتقبّل عن فهم ذلك القصد. يقول "سبيربر" و"ولسن" "ليس الخطاب المنتج، بالنسبة إلى غرايس، إلاّ أداة ووسيلة لتبليغ مقصد، فإذا لم يوجد قصد من إنجاز الخطاب فلا حاجة لإنجازه، أما إذا قصّر المتكلّم عن إبلاغ قصده، فإنّ التّواصل الذي أنشأه هو تواصل فاشل"<sup>2</sup>. وفي هذا الإطار سعى "ستراوسن" إلى وضع ثلاثة شروط لإنجاح عمليّة التّواصل وإبلاغ القصد التّواصلّي هي:

حتّى يتمكّن المخاطب من قول شيء ما بالخطاب (خ) يجب على المتكلّم (م) أن يكون له المقصد:

- ي رتج عن تلفظ المتكلّم (م) بالخطاب (خ) الردّ (ر) ويدفع السّامع (س) إلى إنتاج الردّ (ر).

1. Dan, Sperber et Deirdre, (1989), p42.

2. Ibid, p42.

- يتعرّف السامع (س) على مقصد المتكلم (م).

- يدفع تعرّف المقصد (مق) المتلقّي (س) إلى إنتاج الرد (ر) وإن كان التعرّف جزئياً.

يتطلّب إنجاز هذه الشّروط الثلاثة عدداً من الأنشطة الذهنيّة التي يقوم بها المتكلم والسامع متوسّلين بالخطاب حتّى يحدث التواصل بما هو تأثير أحد الطرفين في الآخر أو تأثير كلّ طرف في الآخر. وهذا الجهد الذهني يمكن المتلقّي من إدراك مقصد المتكلم استناداً إلى جملة المؤشّرات التي يوقّرها الخطاب المنجز، يقول "سيرير" و"ولسن" نطلق على التواصل بأنّه استدلائي لأنّ المتلقّي يستدلّ على مقاصد المتكلم استناداً إلى مجموعة من المؤشّرات التي تقود حتّى إلى تلك النهاية (إلى ذلك الفهم)<sup>1</sup> وهذا الجهد الذهني يجعل من العمليّة التواصليّة عمليّة عرفانيّة.

غير أنّه يجب الانتباه إلى أنّ الألفاظ والمؤشّرات في المسار الاستدلائي ليست لها قيمة في ذاتها فقيمتها تكمن في قدرتها على استثارة استدلالات في ذهن المتقبّل وحمله على بلوغ مقاصد المتكلم، فقد يكون تخيير اللفظ غير موفق ولكنّ المتلقّي يتوصّل إلى المعنى المقصود، لذلك، لا قيمة للمناسبة بين اللفظ والمعنى في هذا النوع من السيرورة الاستدلاليّة، فقد يكون اللفظ فصيحاً بليغاً لكنّه لا يبلغ المقصد الذي أراه المتكلم والعكس صحيح، فقد لا يكون اختيار اللفظ موفقاً ولكنّ المتلقّي يدرك المقصد الذي أراه المتكلم. ومن الأمثلة التي يمكن أن نعتمدها في الدلالة على هذا الضرب من القول نورد المثال التالي من كتاب ابن عبد ربّه "العقد الفريد"، يقول: "وقفت امرأة على قيس بن سعد فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان فقال ما أحسن هذه الكناية، املؤوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً"<sup>2</sup>.

فالمدعى الظاهر من قول المرأة أنّ بيتها خال من الجرذان، والعمل المناسب في هذه الحال، والذي يمكن لقيس بن سعد أن يقوم به، هو ملء بيتها بالجرذان. لكن، إذا أنجز قيس بن سعد هذا العمل فقد جانب قصد المرأة من القول، وكان قراره بملء بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً نابعاً من فهم مخصوص لقولها لم يكتف فيه بتأويل ما أفصحت عنه اللغة معجمياً وإنّما اعتمد فيه منوالاً استدلالياً أفضى به إلى إدراك مقصد القول وهو حاجتها إلى المؤونة في البيت، وقام الاستدلال على مقدّمة محذوفة: تكثّر الجرذان في البيوت ذات المؤونة الوفيرة.

مقدّمة مذكورة: بيت المرأة خال من الجرذان

1. Dan, Sperber et Deirdre, (1989), p42.

2. ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج1، ص256.

النتيجة: حاجة المرأة إلى المؤونة لا إلى الجرذان

ومن الأمثلة التي يمكن أن نذكرها في هذا الموضوع أيضا المثال التالي: "أرسل أحدهم إلى شريك له رسالة يقول فيها: أطلق الحمام. فما كان من شريكه إلا أن توجه إلى مخزن قديم في أطراف المدينة وأطلق سراح شاب كان يحتجزه"<sup>1</sup>.

أطلق الحمام في معناها المعجمي لا تؤدي إلى العمل الذي قام به متلقي الرسالة لأن الحمام "طائر" معروف وفعل الأمر يتعلق به. وتحقق الانسجام بين الطلب والعمل الذي قام به الشريك يتطلب فيها خصوصا للمفوض يستند على المنوال الاستدلالي. ومن هنا نفهم قول "سبيرير" و"ولسن": "لا تنجح عملية التواصل عندما يدرك المتلقي معنى الألفاظ وإنما عندما يقيم استدلالات انطلاقا من المفوضات لإدراك مقصد المتكلم"<sup>2</sup>. بل إن المتلقين لا يهتمون بالمفوض إلا لفهم مقصد الباث وفي ذلك يقول الكاتبان: "لا يعنني المتلقون بالجملة المفوضة إلا للاستدلال على ما أراد المتكلم قوله... ولا ينجح التواصل حين يتعرف المتلقون على المعنى اللساني للمفوض وإنما حين يستدلون على المراد من القول (*le vouloir dire*)"<sup>3</sup> فما المنوال السني إلا خطوة أولى في عملية التواصل ولكنها ليست الخطوة الضامنة لتحقيق عملية الفهم.

ومن الاستدلالات التي يمكن أن تُعقد أيضا فتزاح بالمعنى عما وضع له في أصل وضعه نجد ما جاء من القول على منوال المثال التالي:

- الطقس جميل.

تفيد الجملة في معناها الأول تأكيد جمال الطقس. غير أن المقصود ليس بالضرورة الإبلاغ في ذاته وإنما قد تكون دعوة للخروج إلى الزهة وفق السياق الذي وجد فيه المتحاوران، وبالتالي، فالمقصد لم يتحقق بالمعنى الحرفي للمنطوق وإنما بالدلالة السياقية الحاقّة.

تقول ميمونة: "ألا تنسى البدء والخلق؟ اسمع حديث القوم ونبههم فهو أهمّ عليك.." اعتمدت ميمونة بنية الاستفهام، غير أنّها ما بحثت عن جواب للاستفهام وإنما أنجزت أمرا بصرف "غيلان" عن الحوض في حديث الخلق، وأردفت هذا القصد من بنية الاستفهام بأمر صريح "اسمع.." فأنجزت عملا

1. المثال مصنوع.

2. Ibid, p42.

3. Ibid, p42.

ترتب عليه انصراف غيلان عن موضوعه. فقال: "إذن أسمع.. ولستُ بآدم ولستُ بجوّاء. هات حديثك"<sup>1</sup>.

وضمن هذا الإطار، وضع "غرايس" مبادئه في التواصل في مقولات أربع هي:  
- قوانين الكميّة: ويتفرّع قانون الكميّة إلى: - أن يكون الملفوظ مُبلغاً بقدر ما هو ضروريّ  
- أن لا يكون الملفوظ مُبلغاً بما يفوق الضرورة.

- قانون النوعيّة: لا تقل ما تعتقده خطأً

لا تقل ما ليس لك عليه أدلة كافية بأنّه حقيقة.

- قانون العلاقة: - كن مفيداً

- قانون الكيفيّة: - تجنّب أن تعبر بطريقة مبهمّة

- تجنّب الغموض

- أوجز وأبلغ (كن موجزاً بليغاً).

يشترط "غرايس" أن تكون قوانين المحاورّة حاضرة في أذهان أطراف الخطاب بما يؤمّن نجاح عمليّة التّواصل، فالمعرفة المشتركة بهذه القوانين شرط من شروط التّجاح ومبدأ "غرايس" وقوانينه هي معايير يجب على المخاطب والمخاطب معرفتها حتى يستطيعا التواصل المتخصب"<sup>2</sup>. فإذا لم يدرك أطراف المحاورّة، مثلاً، أنّ بعض التّوليفات اللفظيّة قائمة قصد إنشاء ما في الكون، بطّلت عمليّة التّواصل وبطل الإنجاز، ولا يمكن أن يؤخذ كلام من يردّد أقوالاً إنجزيّة دون أن يكون على دراية بأبعادها تلك، على أنّه إنجاز، كذا الشأن بالنّسبة إلى فاقد الصّفة، فهذا الشّخص قد يذكر ما اتفق الناس على أنّه أقوال إنجزيّة لكن دون أن يحقّق الإنجاز، فالإنسان العادي الذي يقف أمام منشأ حديث البناء ويعلن مثلاً "لقد أعلننا نحن فلان الفلاني، افتتاح هذا المبنى ليكون مركزاً ثقافياً.. لا يمكن أن يؤخذ قوله على محمل الجدّ إذا لم يكن مؤهلاً ليتحدّث بذلك الحديث. ولئن صُنّفت أعمال "غرايس" باعتبارها نظريّة في المحاورّة فإنّ "سبيرر وولسن" يعتبرانها نظريّة في التّواصل أبعده وأشمل من المحاورّة. وقد يقولان: "صحيح أنّ

1. محمود المسعدي، السّد، ص55.

2. Ibid, p234.

نظرية "غرايس" تقدّم باعتبارها نظرية في المحاورّة ولكنّها تُتناول نسقيًا باعتبارها نظرية أكثر عموميّة للتواصل الشّفوي وغرايس لم يفعل شيئًا لتصحيح هذا التّأويل<sup>1</sup>.

من هنا تتبيّن أنّ "غرايس" (*Grice*) أسّس لنظرية في التواصل يمثّل المنوال السنّي مدخلها وقصد المتكلّم غايتها وما الرّمز عنده إلاّ وسيلة لإنجاز الاستدلال، يقول جاك موشلار في التداولية اليوم: "إنّ غرايس كان يسلك الطّريق الصّحيحة كما أشرنا، لأنّ نظامه لا يقوم حصرا على رؤية ترميزيّة للغة ولأنّه يستخدم -ولو بكيفيّة صريحة جزئيًا- عمليّات استدلالية في توليد الاستدلالات الخطائيّة"<sup>2</sup>.

■ لتخرُج إلى الحقول.

■ لتخرُج من منزلي.

يشترك المثالان في صيغة الأمر وهو ما يجعلهما، استنادا على المواضع اللّغوية، يفيدان الأمر وهو طلب على وجه الاستعلاء. هذا في المستوى السنّي لمعالجة الظاهرة اللّغوية. ولكن السياق الذي قيلت فيه كلّ جملة يفرض الالتجاء إلى الاستدلال لتأويل المقول. فالمثال الأوّل لجملة الأمر يفيد النصح والإرشاد. أمّا المثال الثاني فيفيد طلب القيام بالفعل على وجه الاستعلاء. وهذا الاختلاف في التّأويل نتج عن اختلاف المناويل التي أوّلت بها الجملةتان.

وما تجدر الإشارة إليه في هذا العرض الموجز للاستدلال عند "غرايس" أنّ نجاح المنوال بالنّسبة إلى "غرايس" يعود في الأساس إلى اشتراك المتحاورين في معرفة مقاصد بعضهم البعض، فالمنوال الذي يعرضه "غرايس" يستوجب معرفة مشتركة بين أطراف الحوار بقوانين المحاورّة وشروطها والتي تمثل معرفة المقاصد إحداها. وهذا ما جعل منوال غرايس يقف بقدم عند المنوال السنّي وبالقدم الأخرى عند المنوال الاستدلالي.

### 3. الإفادة من فان ديك إلى سبيربر وولسن:

اعتنى "سبيربر وولسن" بأحد مبادئ "غرايس" في المحاورّة وسعيا إلى تطويره وجعله مدار الاستدلال وهذا المبدأ هو مبدأ الإفادة. واختلفا فيه مقارنتها في تحليل الخطاب عرفانيًا ولذلك وسما

1. Ibid, p243.

2. جاك موشلار وآن ريبول، التداوليّة اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ص 69.

مؤلفها الذي نهتم به في هذا الجزء من البحث بـ"الإفادَة (*La pertinence*)" ثم أعقبا ذلك بإنتاجات مختلفة تحمل العنوان ذاته أو تفرده بظاهرة لغوية محدّدة. وقد دفع بنا الاهتمام بمبحث الإفادَة في تحليل الخطاب إلى البحث في الأعمال التي اهتمت بهذا المبحث إلى جانب "سيرير" و"ولسن" فوجدنا "فان ديك" قد ألّف في المبحث بصفة سابقة لـ"سيرير" و"ولسن" وبصفة مزامنة لها فأثرنا أن ننظر في أعماله علنا نظفر بما يثري العمل ويلقي ضوءا أكبر على نظرية الإفادَة.

### 1.3. الإفادَة عند فان ديك:

ظهر مفهوم الإفادَة في البحوث الفلسفية وأثار نقاشات عديدة لتحديده وبيان مجاله وقد أكد "فان ديك" ذلك بالقول: "سمح مفهوم الإفادَة بظهور نقاشات حادّة وحيرة تأصيليّة في البحوث الفلسفيّة والمنطقيّة المتعلّقة بالتشارط والاستلزام والمبادئ العامّة للاستنتاج، ورغم محاولات التفسير المتعلّقة بمفهومي البديهي والدلالي فمن الصّعب الادّعاء بفهم دقيق لهذه المحاولات المعقّدة"<sup>1</sup>. وهو مع ذلك يحاول أن يحدّها فيقول: "فهم من الإفادَة في الخطاب، وفهم الخطاب، النتيجة المترتبة على، عمليّة أو منبرج أو تحليل، يقوم به السامع أو المتكلّم لتحديد درجة أهميّة بعض خصائص خطاب ما"<sup>2</sup>، فالإفادَة هي مفهوم يتعلّق بقيمة القول ودرجة إضافته للمعنى العام المتناول في موضع ما، فكلّما حمل جزء من خطاب إضافة جديدة اعتبر مفيدا، وإذا خفّت درجة الأهميّة تضاءلت فائدة الخطاب. كما يعتبر "فان ديك" الإفادَة مفهوما نسبيا "*a relative notion*" تُبنى في احترام المؤرّول لما ورد في النصّ والسياق النصّي ولما ورد خارجه أي السياق المقامي والحالة العادية المفترضة للعوامل، وهي بالنسبة إلى المتكلّم أو السامع إجابة عن بعض الإشكالات وحلّ لبعض المسائل المعقّدة وأجوبة عن بعض الاستفهامات الوارد في النصّ. والإفادَة أيضا عمليّة منطقيّة محض ذلك أنّ المكونات النصيّة تستدعي نقيضها ضرورة، يقول "فان ديك": "يستلزم مفهوم الإفادَة نقيضه: فإذا اعتبرت بعض مكونات النصّ مفيدة، فالبعض الآخر بالضرورة سيكون غير مفيد"<sup>3</sup>.

1. Van Dijk, (1989), p25.

2. Van Dijk, (1979), pp113-126.

<http://www.discourses.org/OldArticles/Relevance%20assignment%20in%20discourse%20comprehension.pdf>

3. Ibid, p113.

ولئن حضرت الإفادة في أعمال "فان ديك" بصفة لافتة ومثّلت آلية من آليات فهم الخطاب وتبيّن معانيه، فإنّها تعلقت بدليًا بمفهوم الانسجام، ذلك أنّ "فان ديك" لم يضع حدودًا بين المفهومين واستعملهما للإحالة على تصوّر واحد، يقول: "الجدل حول الإفادة، انسجام الخطاب، لم يزل غير دقيق بل ظلّ عامًا"<sup>1</sup> ويقرّ أنّه اضطرّ إلى البحث في العلوم النفسانية وفي تطوير المناويل العرفانية ليتمكّن من مقارنة الخطاب بآليات تسمح بمعالجته وهو ما قرّر له أدوات عمل أكثر عمقا في مقارنة انسجام الخطاب وتبيّن شروط تحقّق إفادته، يقول: "لقد انشغلت على امتداد سبع سنوات بتطوير المناويل العرفانية لفهم الخطاب (وكان ذلك في الأغلب مع ولتر كنتش من جامعة كولورادو) وكان هذا العمل نتيجة طبيعية لبداياتي الأولى في أغلب مقارباتي الشكلية والمجرّدة، والمتعلّقة ببعض المفاهيم مثل الرّوابط أو انسجام الخطاب"<sup>2</sup>.

وقسم "فان ديك" الإفادة قسمين، إفادة نصية- دلالية وإفادة سياقية، أمّا الإفادة النصية بالمصطلحات الواردة في الخطاب والبنية<sup>3</sup> المكوّنة له وهي بنى تحمل ما هو مفيد وما هو أقلّ إفادة، فهي إفادة متعلّقة بمكوّنات النص اللفظية والبنوية. وإفادة سياقية تعود إلى القارئ وتبني على محكّات سياقية مثل الاهتمامات والمقاصد والمعارف والرغبات الخ، ويقرّ "فان ديك" أنّ الإفادة تملك وتكتسب التحليل النفسي سياقًا طبيعيًا يتكوّن من معرفة توافقية للمعنى. فالإفادة جزء من اللغة ومن الأنظمة التواصلية. من هنا أمكن لنا تقسيم الإفادة صنفين، إفادة دلالية تتوسّل بسطح النصّ وما يتّجه من علامات لسانية وبنى تركيبية لتكثيف الفهم في الذهن وبين إفادة تداولية تعتمد ما فاض عن النصّ أو ما عبّر عنه "فان ديك" "ما بعد المعنى *after meaning*" وهو ما تستلزمه العلامات اللسانية دون أن تفصح عنه بصريح اللفظ.. بل إنّ معارف أطراف الخطاب هي التي لها الدور الأكبر في تأويل الملفوظ والبنى التي تحضنه.

1. Van Dijk, (1979), p48.

2. Ibid, p55.

3. وضع "فان ديك" للنصّ ثلاث بنى: البنية العليا وهي خطاطة شكلية ترصد المراحل الكبرى للخطاب، والبنية الكبرى وهي عبارة عن موضوع النصّ ويتفرّع إلى بنى كبرى فرعية داخل النصّ. وبنية صغرى في العلاقات الموضوعية بين الجمل.

### 3.1.1.3. الإفادة الدلالية:

تهتمّ الإفادة الدلالية- النصية، بالعلاقات بين مكونات النصّ في مستوى المصرّح به من اللفظ والتركيب، فهي إفادة "مندمجة في اللغة" إن شئنا، وتشمل الرّوابط الرّاتقة بين الجملة والأخرى في مستوى حروف الاستئناف، والعلاقات السببية والترابطات المنطقية ومقتضيات القول وضمنياته.

والإفادة الدلالية على أضرب، ضرب يتعلّق بالبنية العليا للخطاب، أو ما يعرف في العلوم العرفانية بالخطاطة، وهي بناء مجرّد قابل للتخزين في الذاكرة على شكل رسم يتكوّن من عقد كبرى، أو عناوين تصوّريّة، مترابطة فضائياً متدرّجة شجرياً، وكلّ عقدة في الخطاطة، أو العنوان تصوّريّ، تنطوي على معلومات متنوّعة يستوجبها ذلك الموقع من القول، وتفرضها التوافقات الاجتماعيّة، ويعرّف "سيربر" الخطاطة فيقول: "تخوي الخطاطة معلومات عن معطيات وأحداث ووضعيّات اجتماعيّة"<sup>1</sup>، وضرب يتعلّق بالبنية الدلالية الكبرى، والمقصود بها المعنى العام للخطاب أو المقطع ويشير "فان ديك" بأنّ البنية الدلالية الكبرى تظهر في الجملة أو المقطع أو النصّ في كليّته وتحتزل الموضوع الأساسي لنصّ ما. ويُعبّر عنها بالبنية النصية الكبرى. وتعبّر البنية الكبرى عند "فان ديك" عن القضية التي يتصافر المقطع في التعبير عنها. فالمقطع/ أو النصّ، مفيد متى تمكّن القارئ من تمثّل قضيّة جامعة تعبّر عنه، أي متى تمكّن من بناء "بنية دلالية كبرى"، فإذا تعدّ ذلك، كان النصّ غير منسجم وغير مفيد. يقول "فان ديك" "تظهر الإفادة الدلالية في الجملة أو في المقطع من الجمل أو في الخطاب باعتباره كلاً، في مستوى الجملة نجد في المقام الأوّل، الإفادة الطّبيعية المتعلقة بتوزيع الموضوع- الخبر (أو البؤرة)"<sup>2</sup> ويضيف: "يجب أن يعبّر عن الإفادة الإجمالية، بمصطلحات البنى الكبرى، وتحدّد بما هو موضوع الخطاب، محوره، أو ما هو مختصر (*upsshot*) مقطع خطاب"<sup>3</sup> ونظر في المثالين التاليين لتنتبين مقصد "فان ديك" من البنية الكبرى:

1. Deirdre Wilson and Dan Sperber, (2004), pp607-632.

<http://www.dan.sperber.fr/?p=93>

2. Van Dijk, (1979), p113-126.

(Semantic relevance may be assigned within the sentence, in a sequence of sentences and in discourse as a whole. At the sentence level we first have normal relevance assignment according to topic-comment (or focus) distribution), p115.

3. Ibid, p116.

## 1- غيلان:.. بل سندعوك معا حتى تؤمني

ميمونة: أو من بماذا؟ إن كان إيمانا بالمرمر الصّلب والخطّ المطلق وعود الحياة اليابس، فقد آمنت منذ زمن طويل.

غيلان: لا يا ميمونة. بل الكفر بالنواميس والحدود والعراقل، وإنكار العجز والإسلام، ونفي العدم. هو الإيمان بالفعل... وأما خطوطك المطلقة، وممرمرك الصّلب وحساباتك وما استبدّ عليك من سجون التّفنّس والقوة والعقل، فسنبجعلها دخانا نرسله في السماء إرسال المدخّن دوائر تذهب هباء، طريقة كعينيّك زرقاء...<sup>1</sup>.

## 2- يتوجّب على كلّ فرد أن يتحمّل مسؤوليته كاملة ولكنّ القطار سافر وتركه وحيدا على رصيف المحطّة ذلك أنّ عدد الجرحى كان هائلا..

في المثال الأوّل (1) يمكن اختزال الخطاب في موضوع متجانس أو في عنوان يعبر عن البنية الكبرى مثل: "يدعو غيلان ميمونة إلى الإيمان الجديد" أو "حديث في الإيمان".

في حين يتأبى المثال الثّاني عن الاختزال في موضوع واحد أو في عنوان؛ أي في بنية كبرى، ممّا يعني أنّ الخطاب غير متجانس وهو لذلك غير مفيد. مع التأكيد أنّ الحصول على البنية الدلالية الكبرى يستوجب مجموعة من القواعد التي تعرف بالقواعد الدلالية الكبرى وقد فصل "شارول" فيها القول. في موقع سابق من هذا البحث<sup>2</sup> وفي أعمال متنوّعة مثل:

*(introduction aux problèmes de la cohérence, cohérence et cohésion du discours, cohésion, cohérence et pertinence)*

وضرب ثالث متعلّق بالبنية الصغرى، بما هي قضايا وتعالقات وروابط وعمليات استدلالية متنوّعة. ويؤكد "باسكي" "أنّ الخطاب ليس متتالية من الجمل مستقلّ بعضها عن بعض، فمن ناحية يحمل كلّ خطاب علامات اتّساق لسائبة، ومن ناحية أخرى توجد علاقة انسجام بين الجمل تجعل الخطاب متماسكا، فالانسجام لا يقوم دائما على الروابط الاتساقية وإنّما ينهض أيضا على عمليات استدلالية"<sup>3</sup>

1. محمود المسعدي، السد، ص 49.

2. الباب الأوّل، الانسجام في المقاربة البنيوية التداولية.

3. Philippe, Pasquier et autres, (2003), p11.

وتتنوع الروابط في البنية الصغرى، ويقسمها "فان ديك" إلى صنفين من الروابط، روابط دلالية وروابط تداولية.

### 1.1.1.3. الروابط الدلالية:

وهي روابط تنشُد إلى بنية الخطاب، وإلى الخطاطة الكامنة في ذهن الباث والمتلقي ونجد في هذه الخطاطة، محتوى الرسالة وكيفية ترتيبها (أي مظاهر انسجامها)، وأخيرا الطريقة التي قُدمت بها الرسالة (التلفظ)، ويعتبر "جيرري هوز" أن مبدأ الانسجام هو الأشد أهمية لأن فهم النص مستقل عن معرفة مقاصد المتكلم العميقة. "وضمن المسار نفسه مع المقاربات الدلالية لا يكون النص منسجما إلا إذا كان قابلا للتمثل ضمن بنية محدّدة وعلاقة بين مكونات الخطاب تصل بين كلّ المقاطع الخطائية.

ويعرّف "فان ديك" الروابط الدلالية بأنها روابط منطقية تربط بين القضايا وتوضّح العلاقات بين الحقائق التي تفصح عنها تلك القضايا، ومن هذه الروابط نجد "الواو" و"لكن" و"رغم أن" و"غير أن"...

### 2.1.1.3. الروابط التداولية:

هي روابط تختلف عميقا عن الروابط الدلالية وإن كانت تتطابق معها في مستوى الملفوظ. يقول "فان ديك" "يستعمل مصطلح الروابط التداولية لتمييزها عن الروابط الدلالية ففي حين تعبّر الروابط التداولية عن العلاقة بين الأعمال القولية تعبّر الروابط الدلالية عن العلاقة بين الإحالات عن الحقيقة. ولهذا السبب نجد استعمالات مختلفة لمجموعة الروابط نفسها إذ تُصحب الروابط التداولية بتنوعات صوتية وتركيبية مختلفة، وغالبا ما تظهر هذه الروابط إثر جملة مصحوبة بوقف ومحاطة بتنوع صوتي خاص".<sup>1</sup>

ونورد مثلا على الاختلاف بين الروابط الدلالية والروابط التداولية في المثال التالي:

- أ- لقد همّوا أن يقتلوك في قيامهم عليك، وأن لا ينصرفوا إلا أن يهدموا سدك تهديما ولكنّ صاهباء شاءت بك لطفاً أو غاية قسوة، فصدّتهم وأبطلت أيديهم عنك.<sup>2</sup>
- ب- أقول إنّ اللّاجئين توافدوا على المعبر؟ ولكن..
- البارحة.

1. Teun A. Van Dijk, (1979), p447-456.

2. محمود المسعدي، السدّ، ص116.

فإذا نظرنا في الرّابط "لكن"، وجدنا فرقا بين الاستعمال التداولي والاستعمال الدلالي للرّابط نفسه.. فإذا قلنا (أ) لكن (ب) علمنا أنّ "لكن"، مؤشّر حجاجي يفيد الاستدراك، يقول "المرادي": "ومعنى لكن في كلّ مواضعها الاستدراك"<sup>1</sup>، وإذا علمنا أنّ العالم ينهض على الشيء وتقيضه أدركنا أنّ (أ) هي تقيض (ب)، وأنّ (ب) هي النتيجة غير المنطقية ل(أ)، وهذا معنى منطقي أملته طبيعة الأشياء ومنطق العالم والاستثناس بما وُضع للفظ من معنى في أصل وضعه وهو ما يعبر عنه المثال الأوّل الذي يقف فيه الجزء الأوّل من القول معارضا للجزء الثاني فيخالف الجزء الأخير النتيجة الطبيعية التي كان من المفترض أن تحدث وهي أن يقتل العمّال "غيلان" وأن يهدموا سدّه، لتكون النتيجة أن "أبطلت أيديهم عنه" فلم يحدث ما همّوا به. وقد تحقّق الرّبط بين الجزء الأوّل من القول والجزء الثاني منه بالرّبط "لكن" الذي قام بالوظيفة التي وضعت له في اللّغة ليحقّق وظيفة دلالية منطقيّة أو هو رابط منطقيّ حجاجي.

أمّا في المثال الثاني فإنّ وظيفة الرّابط "لكن" لم تكن في ما اصطلح عليه القول، وما وضعت له الدّلالة وإنّما كان استعمالا يباين المألوف ويحيل على معنى يدرك من سياق القول الشفوي والمكتوب، فأما في مستوى القول الشفوي، فيكفي للمتكلّم أن ينعمّ الحرف بطريقة تحيل على المعنى المقصود والذي يضاف له السّياق النصّي الذي ورد ضمنه القول ليحيل على دلالة غير دلالة التعارض بين ما سبق وقيل وبين ما ضمّن في الحرف، وأمّا في مستوى المكتوب فإنّ ما لحق من القول يفصح أنّ المعنى الذي دلّ عليه حرف الرّبط ليس ما وضع له في الأصل وإنّما هو معنى إضافيّ فرضه التداول ولم يفرضه الوضع اللّغوي.

فضلا عن هذا الصّنف من الرّوابط، نجد من بين الرّوابط التداوليّة، الروابط التشارطيّة أو العلاقات الشرطية، وهي روابط بين القضايا تعتمد خلق علاقات سببيّة بين القول السّابق والقول اللاحق أو العكس، ويقسم "فان ديك" هذا الصّنف إلى نوعين، روابط تجعل القول الموالي مناسباً للقول السّابق وروابط متعلّقة بالاحتمال والحاجة.

<sup>1</sup>. المرادي، الجنى الدّاني، ص171.

فأما الصنف الأول، وهو أضعف الصنفين، فيتمّ بطريقتين: إمّا أن يكون القول الأوّل تحضيراً للقول الثاني، وإمّا أن يكون القول الثاني تفسيراً للقول الأوّل. يقول "فان ديك": "فالعامل القولي الأوّل يوفرّ نوعاً من الخلفيّة للطلب اللاحق"<sup>1</sup>.

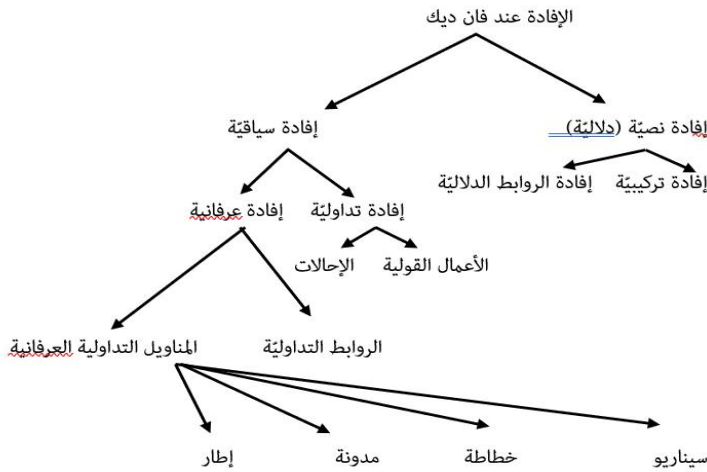
1- الطقس هنا بارد، هل تستطيع من فضلك أن تغلق الباب؟

2- هل تستطيع أن تغلق الباب؟ فإنّ الطقس هنا بارد.

في المثال الأوّل، مثلت الجملة "الطقس هنا بارد" تمهيداً يبرّر طلب إغلاق الباب وكانت خلفيّة معرفيّة لما لحق.. أمّا في المثال الثاني فقد سبق الطلب إلى التلقّظ وعندما أعقبته الجملة "الطقس هنا بارد" إمّا جاءت لتفسّر الطلب وتعلّل قيامه.

وأما روابط الاحتمال، فهي روابط تهض على الصّبح العلميّة وعلى القواعد المنطقيّة وتندرج ضمن البعد الاستدلالي للقول بما هو قياس منطقيّ بقواعده المختلفة مثل قاعدة الحذف أو قاعدة التخيير (إمّا... وإمّا..).

ويمكن أن نختزل نظريّة فان ديك في الإفادة في الخطاطة التالية:



1. Van Dijk, (1989), p448. "the first act precisely provides such a ground for the following request"

تتفرّع خطاطة "فان ديك" إلى بعدين؛ بعد بنيوي وبعد تركيبّي من ناحية وعلى البعد التداولي ببعديه "المندمج في اللغة" والعرفاني من ناحية ثانية، وهو موقف يدلّ على أنّ الخطاب لا يُختزل في بعد واحد، وأنّ العرفاني لا يستغني عن التركيبّي في الإفصاح عن مقصد القول واستتبعاته. كما تفصح خطاطة "فان ديك" عن مفهوم للإفادة يتأثل ومفهوم الانسجام؛ إذ لا يضع "فان ديك" حدودا بين المفهومين. فهما في علاقة بدليّة أحدهما من الآخر.

### 2.3. الإفادة عند "سبيربر" و"ولسن" (D. Sperber / D. Wilson):

ننظر في الإفادة عند "سبيربر" و"ولسن" استنادا على كتابهما "الإفادة" ونحاول أن نتبين خصائص هذا المبحث ومميّزاته وعلاقة "الإفادة" بفهم الخطاب وتأويله. ونحاول الاستفادة ممّا أضافه "سبيربر" و"ولسن" في الموضوع في أعمال لهما مشتركة مثل، كتاب "الإفادة" (La Pertinence) الذي يمثّل عمدة عملنا إضافة إلى مجموعة من المقالات التي استفدنا من بعضها باعتبار ما تمكّننا من الحصول عليه، ومن هذا الأعمال نذكر: "Relevance Theory"<sup>1</sup> و"Forme linguistique et pertinence"<sup>2</sup> و"*Fodor's Frame problem and Relevance Theory*"<sup>3</sup> وغيرها من الأعمال المشتركة أو الفردية التي سنذكرها كلّما تعرّضنا إليها في متن العمل. ونهدف من النظر في هذه الأعمال إلى تبين دور الإفادة في مقارنة الخطاب عموما والخطاب الحجاجي خصوصا ونحاول أن نخرج به من الخطاب الشفوي إلى الخطاب المكتوب؛ إذ نعتقد أنّ الخطاب المكتوب هو استعادة للخطاب الشفوي بشكل من الأشكال. وستكون الأمثلة التي سنعمدها مأخوذة من مدوّنة مكتوبة أساسا.

ومرّ مبدأ الإفادة عند "سبيربر" و"ولسن"، كما كان الحال عند "فان ديك"، بمراحل عملا فيها على تطويره وإحكام القول فيه والسيطرة عليه، وطوّرا النظرية في مراحل عدّة، فنشرنا دراسة مفصّلة في كتاب "الإفادة: تواصل وعرفان" (1986 و1987) ثمّ حينها في السنوات (1995، 1998، 2002).

1. In Horn, L.R and, G., (2004), p93.

2. Cahier de linguistique française, II.

<http://clf.unige.ch/display.php?numero=11&idFichier=308>.

3. Reply to Chiappe and Kukla, (1996).

وتتنزل مقاربتها ضمن مباحث التواصل والعرفانية (*communication et cognition*) وترتبط بعلم النفس وما يوفّره من معطيات حول تمثيلات الفهم والاستدلال وعلم الحاسوب وآلية معالجة للمعلومة. ولئن اعتنى "فان ديك" بالبعد البنيوي للإفادة إلى جانب بعدها الذهني فإنّ "سيرير" و"ولسن" يقصران النظر في الإفادة في بعدها العرفانية فيعنيان بما أطلق عليه "فان ديك" الإفادة السياقية (*La Pertinence Contextuelle*) ويريان أنّ الإفادة حدس يمكن الفرد من الحكم على الكلام بأنّه مفيد أو فائد للإفادة. فالمتلقّي يملك قدرة طبيعيّة على التمييز بين قول مفيد وقول غير مفيد. يقولان في "الإفادة: تواصل وعرفان"، "يبدو لنا أنّ للبشر حدوسا (*intuitions*) للإفادة؛ أي أنهم قادرون على تبيّن الفرق بين معلومات مفيدة ومعلومات غير مفيدة وأن يميّزوا بطريقة منسجمة، وهم قادرون في بعض الحالات، على التمييز بين المعلومات الأكثر إفادة وتلك الأقلّ إفادة"<sup>1</sup>. فيكون الانسجام بذلك هو معيار الإفادة، فإذا انسجم القول أفاد وإذا لم ينسجم لم يفد. تمثل الإفادة، بهذا المعنى، قوام التواصل وشرط نجاحه، وصنّف "سيرير" و"ولسن" الإفادة إلى نوعين يختلفان ليتكاملا وهما الإفادة المقارنتية والإفادة التصنيفية.

### 1.2.3. الإفادة المقارنتية:

يفاضل الكاتبان بين الإفادة المقارنتية والإفادة التصنيفية معتبرين التعريف المقارني أكثر إفادة من التعريف التصنيفي، غير أنّ هذه المفاضلة تصبح غير ذات جدوى متى أدركنا علاقة التفاعل بين التعريفين. وسنحاول في هذا العرض السريع لتعريف الإفادة، السيطرة على المفهوم وتبّع خواصّه وتبيّن العلاقة التفاعلية بين صنفَي الإفادة حيث تفرض علينا دواعٍ منهجية التوقف عند كل تعريف على حدة، ونبدأ بالإفادة المقارنتية.

يضع الكاتبان لهذا الصنف من الإفادة شرطين:

- الشرط المقارني الأول: تكون فرضية مفيدة أكثر بالنسبة إلى الفرد عندما تكون التأثيرات السياقية الحاصلة بعد المعالجة أوفر.

- الشرط المقارني الثاني: تكون فرضية ذات فائدة أكبر عندما يكون المجهود المبذول في معالجتها أقلّ.

<sup>1</sup>. Dan Sperber et Deirdre Wilson, (1989), pp182-183.

وبعبارة إدماجية للشرطين تكون الإفادة أكبر، كلما تزامنت وفرة الدلالات مع مجهود ذهني أقل. ويذكرنا هذا الشرط في جزء منه بمفهوم البلاغة عند العرب حيث يشترط البلاغيون وفرة المعنى وقلة اللفظ، فخير الكلام ما دلّ قليله على كثرته، وخير الكلام ما قلّ ودلّ. تقاس الإفادة المقارنتية، إذن، بالتأثيرات السياقية التي تحدثها وبالمجهود المبذول للحصول على تلك التأثيرات، ويخضع لشرطين: التأثيرات السياقية التي تنتج عن تمثيلات ذهنية بيولوجية والجهد المبذول في إنتاج تلك السياقات.

وقد استعار الكاتبان هذا المفهوم من المؤسسة الاقتصادية التي تقاس مردوديتها بالعلاقة بين ما يخصص لها من مجهود واعتمادات وبين ما تنتجه من مادة. فالمرودية تقاس بالعلاقة بين المجهود الذي يبذله الذهن وبين التأثيرات السياقية التي تنتج عنه. وكلما كان المجهود أكبر، كانت درجة الإفادة أقل، يقول "جاك موشلار": "ليس مفهوم الإفادة مفهوما مطلقا وإنما هو تصوّر مقارني يحدّد بالشكل الموالي: كلما أنتج ملفوظ ما تأثيرات سياقية كان أكثر إفادة. وكلما تطلّب مجهودا ذهنيا أكبر كان أقلّ إفادة"<sup>1</sup>؛ أي كلما قلّ الجهد وتعاطم التأثير تحققت الإفادة، أما كلما تعاطم الجهد فقد قلت الإفادة...

وتعتبر خاصية المرودية إحدى أهم المميزات، وهي خاصية لها سند في علم النفس العرفاني وتكمن أهميتها في قدرة العقل على تقييم المدركات الحسية التي يتفاعل معها لإنتاج دلالة ذات إفادة تجعله يقرّر إما أن يواصل في مسار التأويل نفسه والذي سلكه وإما أن يعدّل من الاستنتاجات التي توصل إليها، يقول الباحثان: "ليس قيس التأثيرات السياقية والمجهود المبذول مبنيين متعلقين بالإفادة أو التداولية فحسب وإنما هما مبحثان بندرجان ضمن علم النفس بصفة عامة غير أنّهما يأخذان شكلا خاصا في إطار نظرية الإفادة والإشكال في الحقيقة لا يمكن في قيس العلاقة بين المجهود المبذول والتأثيرات السياقية المنتجة وإنما يمكن في توصيف كيفية تقييم العقل ونتائجه ومجهوداته بنفسه من الداخل وكيف يقرّر، نتيجة لذلك، أن يواصل مجهوداته في الاتجاه نفسه أو أن يعدل إلى مسار آخر"<sup>2</sup>؛ أي كيف يشتغل الدماغ وكيف يتفاعل مع ما يصله من السياق الذي يوجد فيه.

وفي الحقيقة يتوقف نهج الذهن لمسار محدد، سواء بالمواصلة في نفس الوجهة أو العدول إلى منحى جديد على مدى وضوح التصوّر الذي تمثله الباتّ في ذهنه وعبر عنه، وعلى مدى الانسجام الداخلي

1. Jacques Moeschler, (1995), p28. (en PDF, p10).

<https://sites.google.com/site/moeschlerjacques/publications/articles-1996-1995-1994>.

2. D, Sperber et D, Wilson, (1989), p198.

للقول بحيث يتجلى واضحا في ذهن المتلقي لا لبس فيه. يقول "سبيربر وولسن": "تكون فرضية مفيدة عند فرد ما في لحظة محددة إذا كانت على الأقل مفيدة في سياق قابل للتمثل عند فرد ما في لحظة بعينها"<sup>1</sup> من هنا كان للإفادة، إلى جانب خاصيتها المقارنتية، خاصية تصنيفية في علاقتها بالفرد، اعتبارا إلى أن خاصية الوضوح والمسارات الذهنية التي يعتمدها متلقي الخطاب في فهمه للمقول تدخل ضمن البعد التصنيفي للإفادة لا ضمن بعدها المقارني ولهذا كنا قد تحدثنا عن التداخل بين البعدين المقارني والتصنيفي ونهنا إلى أن الفصل هو فصل منهجي لا غير.

### 2.2.3. الإفادة التصنيفية:

يعتبر هذا التصنيف للإفادة الأكثر تشعبا في تبين أسباب انسجام الخطاب ووضوحه عند المتقبل وعند الذات التي يصدر عنها. وأول خاصية وجب توفرها لتحقيق الإفادة هي ما وقفنا عليه في الإفادة المقارنتية: أي خاصية الوضوح والجلاء. يقولان: "تكون الظاهرة مفيدة عند شخص ما، إذا كانت، فقط إذا كانت، إحدى الفرضيات، جلية، مفيدة عند ذلك الشخص"<sup>2</sup>، فالوضوح والإفادة على غاية من التلازم بل إن البيان والجلاء من شروط تحقق الإفادة.

يتطابق مفهوم البيان كما طرحه الكاتبان مع مفهوم الوضوح. والبيان شرط من شروط انسجام الخطاب وإفادته وقد تناول الكاتبان مفهوم الوضوح والبيان من بعدين:

- أما الأول فهو سحب هذا التصور على الفرضيات الذهنية المجردة والخروج به من رتبة الأحداث الواقعية، فالوضوح لا يتعلق ضرورة بالبعد المادي للمدركات وإنما يمكن أن يتعلق أيضا بالبعد التجريدي الافتراضي الذي يقوم على عمليات محض ذهنية ليس من الضروري أن يكون لها حضور في الواقع..

ويدعونا هذا المبدأ إلى توسيع دائرة الوضوح إلى ما تعقد من تلك الفرضيات التي ليس لها وجود واقعي أو شبه واقعي، فلا يتعلق الوضوح فقط بما أمكن اختباره بالحواس مثل البصر أو اللمس أو غيرها من الحواس لتتحدث عن وضوحه وتجليته، وإنما قد يكون المعروض فكرة مجردة أو استدلالا ذهنيا ليس له بالضرورة وجود مادي. ولكنه يبدو جليا واضحا عند منتج الخطاب ومتلقيه.

1. Ibid, p218.

2. Ibid, p229.

- وأما الثاني فهو اختلاف درجات الوضوح بين فرضية وأخرى. وقد لاحظنا أنه يمكن أن تلتبس الفرضيات الخاصة بمعارف حديثة حقيقية (*connaissances factuelles véritables*) شأن الخداع البصري الذي يمكن أن يلتبس مع الإدراكات الحسية البصرية الحقيقية. ومن الأمثلة على ذلك في ما يترأى على الإسفلت من خيالات عند اشتداد الحرارة أو ما يتبدى لتائه في الصحراء من سراب، إلى غير ذلك من الأمثلة؛ إذ يلتقط الإدراك البصري مؤثراً من المحيط الفيزيائي فيقرعه في القدرة الذهنية فينتج حقيقة جلية للذهن بقطع النظر عن صحتها ومطابقتها للواقع أو فسادها واختلافها معه. من هنا، كان تأكيدهما أنّ الفرضيات الخاطئة يمكن أن تتجلى للفرد صحيحة، ذلك أنّ الفرضية هي نتيجة لمؤثرات تقع في الفضاء الفيزيائي ينتج عن التقائها بالقدرة الحسية الإدراكية تجلّ ما، يكتسب صحّة أو فساداً من تفاعل بين الحقلين (الفيزيائي والعرفاني) لذلك يقولان: "تكون فرضية جلية في محيط عرفاني إذا وقر هذا المحيط ما يكفي من المؤثرات بما يتلاءم واختياره وهو ما يكون أحياناً حال الفرضيات الخاطئة"<sup>1</sup>. فإذا نزلنا هذا الشرط في مجال الخطاب تبيّن أنّ جلاء الفكرة أو الفرضية في الخطاب لا تتوقف على صدقية القول وإنما على مدى تجلّيه في الذهن؛ أي قدرة الباثّ مثلاً على اختيار وحدات لغوية بما هي مؤشرات فيزيائية تتلاءم والقدرة الذهنية للمتلقّي، فتجعله يستنتج فرضيات جلية بمثابة الحقائق، وهو شبيهه بمجال المغالطات عند أرسطو .

ويلتقي هذا الشرط في مستوى المنهج الخطابى مع الاستدلال البرهاني الذي يقوم على فرضيات تنتهي باستنتاج بناء على ضمان ما، ولا تحدّد صحّة الفرضية وضوحه وإنما يحددها منطقها الحسابى الاستنتاجى (*déductive*) الذي يصحّ متى خضع لشروط الاستدلال البرهاني ويجانب الصواب متى خالفها لا متى تطابقت النتيجة مع الواقع أو خالفته ومن المغالطات ما يروى عن الحجاج بن يوسف في تبريره لحرق خيمة رُوح، ويقول الخبر: "شكا عبد الملك إلى روح انحلال عسكره وأنهم لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله، فقال له: إنّ في شرطي رجلا لو قلده أمير المؤمنين أمر عسكره لأرحل الناس برحيله أو أنزلهم بنزوله. وذكر له الحجاج قلده شرطته. فلم يكن أحد يتخلف إلا أعوان روح بن زبناغ. فوقف عليهم يوماً وقد أرحل الناس وهم على طعام يأكلون. فقال لهم ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين؟ قالوا: انزل يا ابن اللّخاء فكل معنا. فقال لهم: هيات، قد ذهب ما هنالك. ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوّقهم في العسكر وأمر بإحراق خيمة روح نفسه، وشكا روح إلى الخليفة فلما أحضر الحجاج قال: ما

1. D, Sperber et D, Wilson, (1989), p66.

أنا فعلت وإنيّ فعله أمير المؤمنين، إنّما يدي يدك وسوطي سوطك وما على أمير المؤمنين أن يصرف لروح عوض الفسطاط فسوطاطين وعوض الغلام غلامين ولا يكسرنني فيما قدّمني له..<sup>1</sup>.

انبنى حجّاج الحجّاج في هذا الموضوع على مغالطة استدلالية برهانية وهي:

أ- الحجّاج هو يدُ أمير المؤمنين وسوطه

ب- حرق الحجّاج خيمة رُوح تمّت بيد أمير المؤمنين وسوطه

ج- الأمير من حرق الخيمة لا الحجّاج.

وهو استنتاج جليّ ويبيّن استلزامه البناء البرهاني الذي وضعه الحجّاج والذي لا تبدو مقدّمته الكبرى واضحة في ذهن الأمير فقط وإنيّ هي مسلمة لا يرقى إليها الشكّ.

وفي الإطار ذاته نورد الخبر التالي المتعلّق بالحجّاج أيضا حيث بعث برسالة إلى الخليفة عبد الملك يقول فيها: "إنّ الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين لأنّ الله خلق آدم بيده وأسجد الملائكة له وأسكنه جنّته ثمّ أهبّطه إلى الأرض وجعله خليفة وجعل الملائكة رسلا إليه"<sup>2</sup>.

أقام الحجّاج حجّته على قياس منطقيّ تبدو مقدّمته الكبرى محذوفة:

3- من يُسجد له فهو الأفضل (مقدّمة كبرى محذوفة)

4- الملائكة سجدوا لآدم

5- آدم (وهو خليفة الله في الأرض) أفضل من الملائكة والخليفة (عبد الملك) هو آدم.

كما أقام استدلالا ثانيا مقدّمته الكبرى محذوفة أيضا:

أ- من تُرسل إليه الرّسل أفضل من الرّسول (مقدّمة كبرى محذوفة)

ب- خليفة الله في الأرض (بما في ذلك عبد الملك) يرسل الله له الملائكة

ج- خليفة الله في الأرض (عبد الملك) أفضل من المرسلين والنبين.

وتوسّل الحجّاج في هذه الاستدلالات بما تحزّنه الذاكرة من حقول دلالية للألفاظ المستعملة حيث تلتبس المعاني فتتيسر المغالطة باللغة وهي مغالطة بين آدم/ الإنسان والذي هو خليفة الله في

1. عبد الجليل عبدة شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص 236.

2. المصدر نفسه، ص 243.

الأرض وبين ما اصطُح عليه القوم من أنّ الخليفة هو أمير المؤمنين، وهذا التطابق الصوتي بين المعنيين جعله الحجاج بمعنى واحد ثمّ سهّل عليه تبليغ المعنى. ويعتمد هذا النمط من الخطاب المغالطي أيضا في الدعاية السياسية وتشويه الخصوم. كما يستعمل في الإشهار للسلع للإقناع بقيمتها. ومن أمثلة تشويه الخصوم:

- الشيوعية كفر
- هذا شيوعي
- إذن فهو كافر.

تعتبر الإفادة التصنيفية إفادة سياقية تستمد مظاهرها من حقول متعدّدة ولذلك نطلق عليها إفادة السياقات، وإذا اعتبرنا الإفادة ما يتحقّق من تواصل ناصح للخطاب مع المتلقّي وما يحدث في الذهن من تجلّ للملفوظ وفهم كان لزاما أن ننزل هذا الفهم ضمن السياقات التي ظهر فيها الملفوظ حتى يتحقّق الجلاء والبيان وتتحقّق الإفادة. ويمكن أن نحدّد هذه السياقات في السياق النصّي/ الخطابي والسياق العرفاني والسياق المقامي.

### 3.2.3. إفادة السياقات:

### 1.3.2.3. السياق النصّي:

يشمل السياق النصّي ما ورد متن الخطاب من ملفوظات وقضايا تمهّد لفهم ما يتلوها من ملفوظ. وتتفق أغلب البحوث التداولية على أنّ سياق فهم الملفوظ، ليس محلّ اختيار؛ إذ أنّه سياق أسّسته الأقوال السابقة وما الملفوظ الجديد إلا بناء على ما سبق ذكره من قول، ولا يمكن أن يفهم هذا الملفوظ إلا إذا ربط بما سبقه وهو لذلك "يرد مكتملا في كلّ لحظة من التبادل اللغوي"<sup>1</sup> ويؤكد الكاتبان أنّ السياق مكتمل قبل أن يبدأ تمثي الفهم، ففهم الملفوظ يتحدّد بما سبقه من ألفاظ داخل الخطاب نفسه؛ أي يتحدّد بمجموع الفرضيات التي سبقته وهو ما يعني أنّ المكونات المعلنة في الخطاب تشرّع للأقوال اللاحقة فيه وتجعل منها ذات دلالة. وقد استدللّ الكاتبان على هذه الخاصية بالمثل التالي:

"- بيار: أنا متعب

1. Dan, Sperber et Déridier, Welson (1989), p202.

- ماري: إذا كنت متعبا، سأعدّ العشاء"

وخلصا إلى أنّ إفادة جواب "ماري" تتوقف على تصريح "بيار" سالف الذكر، هذا التصريح الذي يجعل للأقوال دلالة سياقية نصية حيث إنّها مرتبطة بما سبق ذكره في الخطاب ذاته، وهو ما يذكّرنا بالروابط التداولية كما وصّحها "فان ديك" والتي تربط مكونات الخطاب بعلاقات قبلية وأخرى بعدية.

يقول المسعدي في السدّ: "مميونة: أو تخاف ألا أقدر عليه في زلزلته وأنفاسه؟

- غيلان: نعم يا مميونة. لأنك لم تتعوديه.

مميونة: (وهي بارزة من الخيمة) من لم تخفه الجبال لا يخاف السدود. أنا إليك. هذه العقبة<sup>1</sup>.

فجواب غيلان وتعليقه كانا استجابة لسؤال مميونة سابق القول "أو تخاف...؟" وتعليقه لسبب الخوف كان مبررا لها لتعقب "من لم تخفه الجبال..." فتعلقت إفادة كلّ مخاطبة بسياق القول الذي سبقها وأنجزت دلالتها السياقية الخاصة النصية الخاصة بها.

### 1.1.3.2.3. الاستلزمات السياقية (*implications contxtuelles*):

يلتزم الكاتبان إلى ضرورة أخذ الاستلزمات السياقية بعين الاعتبار. فالأقوال تستمد مشروعيتها وإفادتها من الاستلزمات السياقية (*implications textuelles*) المترتبة على القول وليس عن القول ذاته فقط:

- بيار: أنا متعب.

- ماري: سأعدّ الغداء..

تبدو العلاقة بين ما صرّح به "بيار" وما عقبت به "ماري" دون إفادة بما أنّه لم يلتزم بالمصرّح به في سياق القول السابق إذا اعتبرنا السياق يتعلّق فقط بالمصرّح به من اللفظ. غير أنّ هذا القول يغدو منسجما إذا اعتبرنا ما يحتمله من استلزام وقع السكوت عنه وهو هنا أنّ "بيار" متعب ولا يستطيع إعداد الغداء.

1. محمود المسعدي، السد، ص99.

وهنا نجد نوعاً آخر من العلاقات هي العلاقات الاستدلالية لتقف مع الكائنين على نوعين من الروابط في الخطاب، روابط تداولية وأخرى استدلالية فالسياق يراعي، إلى جانب احتمال ما هو مصرّح به من أقوال، أيضاً ما وقع السكوت عنه واستلزمه القول ضمناً كما يأخذ في الاعتبار مقاصد المتكلم الأول الذي لا يفصح عنها ضرورة باللفظ.

فالسّياق، بهذا المفهوم، ليس بما ذكر من فرضيات فقط وإتّما بما لم يصرّح به من ألفاظ ليكون بذلك نتاجاً للمعلن من القول بصريح اللفظ وللضمني بما يستدلّ منه على مقاصد المتكلم.

يتنزّل السياق بهذا المعنى، ضمن المستوى التداولي للخطاب، ولكنه تداولي يأخذ في الاعتبار البعد الذهني العرفاني للقول، وذلك بتنزيل الظاهرة اللغوية ضمن نظرية فودور الطريفية/ القالبية. فهو سياق تداولي في مستوى الإحالات والتضمين والضمنيات والأعمال اللغوية وهو عرفاني باعتبار انتماء الملفوظ إلى النظام الطرفي للدماغ، وهو إدراك حسي يقع تأويله في المستوى المركزي للدماغ ويعقد استدلالات هي من صميم البعد العرفاني رغم ارتباطها بالسياق النصّي.

غير أنّ هذين المكوّنين يبدوان أيضاً غير كافيين لتحديد السّياق الذي يؤمّن إفادة الأقوال، وإنّ للمعرفة المخزّنة في الدّهن في شكل مداخل موسوعيّة دوراً أساسياً في تحقيق الإفادة من عدّها.

### 2.3.2.3. السّياق العرفاني

#### 1.2.3.2.3. المداخل الموسوعيّة:

أخذت النظرية العرفانية عن علم الحاسوب آلية التخزين في ذاكرة الجهاز في شكل ملفات يختصّ كلّ منها بموضوع، ويكتفي الباحث عن المعلومة بعد ذلك بأن يضع مؤشراً عن الموضوع حتى يستجيب الحاسوب بإيراد ما خزّنه في ذاكرته الموسوعيّة من معلومات لها علاقة بالمؤشّر الذي ذكر. ثمّ سحّب هذا المنهج على الذاكرة البشرية التي يرى العرفانيون أنّها تخزّن المعلومات في الذاكرة طويلة المدى في شكل ملفات/ أو مداخل تكتسب صفة الموسوعيّة باعتبار ما تخزّنه من ظواهر في ذاتها وما تخزّن حول تلك الظواهر من معلومات.

وتعتبر المداخل الموسوعيّة مكوّناً أساسياً من مكوّنات السّياق. فيتفرّع اللفظ في تلك المداخل بحثاً عن الدّلالة المقصودة من القول.

وقد اعتمد "سبيربر" و"ولسن" مثال "بيار" الذي قال إنني متعب وماري التي أجابته بأنّ المحلّيات قد أعدت، وأنّها ستعدّ الطبق الرئيسي، فإجابة "ماري"، إضافة إلى أنّها تتضمّن ما استلزمه خطاب "بيار" من أنّه يريدّها أن تعدّ الغداء، فإنّها تستند على معرفة موسوعيّة تعتبر أنّ الغداء يتكوّن من طبق رئيسيّ ومحلّيات<sup>1</sup>. ولئن كان هذا المدخل الموسوعي شموليًا فإنّنا نجد مداخل موسوعيّة جزئيّة نوعا ما، من ذلك قول "ماري" لـ"بيار" إنّ المحلّيات حاضرة وإنّها ستعدّ "الأسو-بيكو"، فهذا القول لن يستند، كي يكتسب مبدأ الإفادة، على ما صرح به من لفظ ولا على ما ضمّن في القول وإنّما يستند على معرفة موسوعيّة تعتبر أنّ هذا النوع من الأكل يصنّف ضمن الأكلات الرئيسيّة. فإذا أضفنا معرفة موسوعيّة سابقة بأنّ الغداء يتكوّن من أكلة رئيسيّة ومن طبق للتخلية توقّر لدينا عنصر رابع لتحديد السياق وهو المدخل الموسوعي الجديد الذي يذكر في سياق الحديث فيتكوّن السياق تبعاً لذلك من ملفوظات تصرّحيّة (*énoncées explicites*) وأخرى تضمينيّة (*énoncées implicites*) ومن مدخل موسوعيّ ضمنيّ (*implicites entrées encyclopédiques*) ومن مداخل موسوعيّة جديدة (*nouvelles entrées encyclopédiques*) تذكر أثناء القول.

يخضع اختيار السياق في عمليّة الفهم، إذن، إلى محتويات ذاكرة الفرد الاستنتاجيّة. وإلى الذاكرة الموسوعيّة من ناحية وإلى المعلومات الجديدة المستمدّة من الإدراك في المحيط الفيزيائي من ناحية أخرى. وهذه العوامل لا تحدّد سياقاً واحداً وإنّما مجموعة من السياقات الممكنة.

### 2.2.3.2.3. المحيط العرفاني (*environnement cognitif*):

يمثّل المحيط العرفانيّ مكوّناً أساساً في تحقيق انسجام الخطاب، وإغفال هذا المحيط عند إنتاج الدلالة أو الإغضاء عنه هو عدول بالخطاب عمّا وُضع له وقُصد إليه وهو إيذان بقصور الفهم وفشل العملية التواصليّة، هذه العمليّة التي تهدف إلى تغيير مكتسبات طرف ما بتقديم معلومات جديدة تتفاعل مع المعلومات السابّقة فتلغيها أو تثبتها أو تعدّلها. ويشترط التغيير وجود وضع سابق قوامه معلومات سابقة مشتركة بين المجموعة البشريّة الواحدة والقائمة بالفعل التواصلي، ولا يفترض أن يكون لهذه المعرفة المشتركة نظير في الواقع المادّي ولا تعدو أن تكون بناء يقوم على جملة من الأركان التي تكوّن المحيط العرفانيّ والذي يتكوّن بدوره من المحيط الفيزيائيّ والتمثلات التي يحملها الفرد عن ذلك المحيط. فالإنسان عموماً

<sup>1</sup>. اعتمدنا ما أورده سبيربر وولسن في كتابهما الإفادة في نسخته الفرنسية التي نعتمدها بين الصفحتين، 205-201.

يعيش في فضاء، له خصائص محدّدة في الزّمان وفي المكان وفي التاريخ وفي المعار وفي الثقافة إجمالاً، وفي التقاء الإنسان بهذا الفضاء يحاول أن يفهم ما يدور حوله قدر المستطاع وهو في الوقت ذاته يبني تمثّلاته الخاصّة وتمثّلاته عن العالم الفيزيائي الذي يتشاطره مع الآخر، وفي بنائه لتلك التمثّلات يختلف عن الآخر الذي يتقاسم معه الفضاء الفيزيائي نفسه. ويعود الاختلاف إلى أسباب لعلّ أهمّها اختلاف المحيط الفيزيائي الخاص من فرد إلى آخر فقد تتشارك المجموعة في فضاء شاسع بخصائصه الحضاريّة العامّة ولكن يختصّ كلّ فرد من هذه المجموعة بفضاء فيزيائيّ خاصّ به فقد يشترك (أ) و(ب) في الانتماء إلى مدينة تونس غير أنّ (أ) ينتمي إلى حيّ شعبيّ و(ب) ينتمي إلى حيّ راق، فهما يلتقيان في الانتماء إلى الفضاء الفيزيائيّ الأرحب ولكنهما يختلفان في الانتماء إلى الفضاء الفيزيائيّ الضيق الخاصّ. كما أنّ فعاليّة القدرات الحسيّة الإدراكيّة للإنسان (من سمع ولمس وبصر وتدوّق وشمّ) تختلف من فرد إلى آخر وهذا الاختلاف ينطبق أيضاً على القدرة الاستدلاليّة التي تختلف بدورها من شخص إلى آخر. فالتمثّلات هي قدح لمدرجات حسيّة في ما خزنته الذاكرة من معارف وفق استدلالات تختلف قدرة إنجازها من فرد إلى آخر، وفي اختلاف تلك القدرة اختلاف للمنجزات الجديدة التي تتمكّن بالذاكرة وتعيد صياغة تمثّلاتها للواقع وفق تفاعل قدراتها الإدراكيّة الحسيّة وقدراتها الاستدلاليّة ومكثباتها السابقة، من هنا، كان القول إنّ المعرفة المشتركة، التي قد تبدو متطابقة بين المجموعة البشريّة التي تحتلّ فضاء جديدا واحدا، بناء فلسفيّ ليس له نظير في الواقع الموضوعيّ باعتباره يخضع إلى تجربة الفرد التي لا تطابق في كلّ الأحوال تجربة الآخر، فالتاس يجرون لغات مختلفة وسيطرون على مفاهيم مختلفة، وهو ما يجعل تمثّلاتهم للكون والاستدلالات التي ينتجونها مختلفة باختلاف المعرفة التي يصدر عنها، ويمكن أن نستشهد بالمثل "أثّج الخبر صدره" فهذا القول يطلقه العرب، سكان المناطق الحارة، على الخبر المريح الذي يتمّ عن الفرح والذي يتفاعل معه الإنسان إيجاباً، ويعبّر البرد في "أثّج" عن تصوّر يرى في البرد علامة حياة وانتعاش.. وإذا تحوّلتنا إلى الأماكن الباردة، "أروبا" مثلاً، نجدهم يعبّرون عن الخبر المريح بالقول "أدفاً" الخبر صدره' في تصوّر يجد في الدّفء إمكان حياة في ظلّ البرد الذي يعصف بالأرواح سنويّاً. فالتجربة الدّاتيّة والمكان المخصوص هما اللذان كانا وراء اختيار اللّفظ ووراء المقاصد التي يريد كلّ متحدّث أن يتواصل بها مع الآخر.

هذا، إضافة إلى أنّ اكتساب التّاس لغات مختلفة يجعلهم يملكون تمثّلات مختلفة، وبالتّيجة فالتّمثّلات التي ينشعونها والاستدلالات التي يستطيعون القيام بها مختلفة أيضاً وسنأخذ مثلاً على ذلك هذا المقطع من كتاب السدّ للمسعدي: "هي: ألا نخط على البغل؟ يقبلان على البغل يريدان أن

يحطّأ عنه. فإذا هو أيضا رافع رأسه كالناظر إلى الجبل. هو (للبلغل) أو أنت أيضا؟ هي: لا يا غيلان، إنّا هو أن ثقل الظهر فامتدّ العنق وارتفع الرأس. كذا الدواب جميعا إذا انقضّ الحمل ظهرها.. وكذا العباد. غيلان: تعنين؟ هي: الصلاة والدّعاء. تنقضّ الأعباء ظهور العباد فتمتدّ الأعناق وترتفع الأبصار والرؤوس وتكون الصلاة ويكون الدّعاء.. (تبتسم) وأنت إله البلغل. بل انظر إليه يدعوك. أفلا تفهم الأدعية الصامته؟.. تقبل على البلغل تحط عليه ويسعدها غيلان.. ثم تجلس على حزمة أوتاد وهي مطرقة ساكنة ويجلس غيلان ويطرق أيضا ويبقى البلغل على رأسها واقفا مطرقا..<sup>1</sup>. لقد سبق الحطّ عن البلغل بتأمل غيلان وميمونة للجبل فعندما التفت غيلان إلى البلغل أوّل حركته على أنّها تأمل للجبل أسوة بسيده وقد كان غيلان يتأمل الجبل. يبرّر الإدراك الحسيّ، ممثّلا في الصورة البصرية التي عكسها مشهد الحصان يرفع رأسه إلى الجبل في علاقتها بسياق القول، تأويل غيلان لما رأى بأنّ البلغل يتأمل أيضا. غير أنّ ميمونة قرعت المشهد في سياق آخر قوامه المزج بين قوانين الفيزياء وبين علاقة العبد بالخالق وحركة الصلاة والدّعاء.. فميمونة رأّت البلغل وقد أثقلت الأعباء ظهره وانقضت ظهره أو كادت فتقوس وارتفع الرأس في حركة آلية ثمّ استحضرت المحيط العرفاني الديني الذي يتوجه فيه العبد إلى ربّه طالبا الصفح والعون عندما تحيق به الشدائد وتثقل عليه أعباء الحياة ولا يجد غير الله موئلا يبحث عنده عن خلاص. من هنا كان تأويلها لمشهد البلغل مغايرا لتأويل غيلان رغم انطلاقتها من الإدراك الحسيّ نفسه ومن المحيط الفيزيائيّ عينه، وكان تحيّر السياق العرفاني الذي تأوّل فيه كلّ منها المشهد مختلفا فتوصّلا إلى تأويلين مختلفين تماما.

تملك المجموعة البشرية الواحدة ذكريات مختلفة خزّنت حوادث جماعية وأخرى ذاتية وتجارب حياتية متفرّدة جعلتها تكسب خصائص في معاملة الوضعيات التي تعترضها. وقد تشتتت المجموعة البشرية الواحدة في الفضاء الفيزيائيّ ذاته، لكنّها لا تشتتت ضرورة في المحيط العرفاني الذي قد ينشابه بين الأفراد ولا يتكرّر. ويستدلّ الباحثان على تنوع المحيط العرفاني بجاسة البصر باعتبارها قدرة عرفانية تختلف حدّتها من شخص إلى آخر، وهذه القدرة يسلمها صاحبها على المحيط البصري الذي يوجد فيه ليخزّن من خلالها ما شاهد وينشئ تمثّلاته الخاصّة والتي تختلف ضرورة عن تمثّلات غيره. فما يراه فرد مخصوص هو التقاء القدرة الحسيةّ والمحيط الفيزيائيّ اللذين يكوّنان المحيط العرفاني، وهذا التعريف للمحيط العرفاني يلتقي مع مقارنة تصوّرين لنشأة المعرفة أمثال "لايكوف" و"جاكوف" اللذين يريان أنّ الإنسان

1. محمود المسعدي، السدّ، ص 47.

يكتشف العالم حوله بالحواس التي يملكها ثم يرفع هذه المحسوسات إلى الذهن لينشئ منها تمثلات تصبح لديه حقائق يعيد من خلالها اختبار الكون من حوله.

اهتم الباحثان ("سبيرر" و"ولسن") بالقدرات الذهنية التصورية واعتبرا أنّ الأحداث الجليّة تكمن في العرفان التصوري (*cognition conceptuel*) وفي المحيط العرفاني (*environnement*) (*cognitif*) فأما حضورها في العرفان التصوري، فيتمّ عندما يتجلّى حدث ما، لشخص ما، في لحظة محدّدة، ويكون الشخص قادرا في تلك اللحظة على تمثّل ذلك الحدث ذهنيًا ويقبل تمثله على اعتباره صحيحا في الغالب.

وأما المحيط العرفاني لشخص ما فهو مجموع الحقائق الجليّة له. فالوضوح والجلء هما أساس بناء التمثلات وإنشاء الدلالات وهما اللذان يؤسسان المحيط العرفاني باعتباره مجموعة من الحقائق الجليّة أو البيئية. فإذا كان المحيط الفيزيائي هو كلّ ما يدرك حسنا أمكننا اعتبار اللغة، بما هي رسوم أو أصوات، محيطا فيزيائيا يدرك حسيا ويقيم استدالات في الذهن باعتبار المعارف المخزّنة في الذاكرة، كثرت أو قلت، وكلّما كان المحيط الفيزيائي أبين وكان إدراكه الحسي يسيرا كانت الاستدلالات أقدر على وضع حقائق جديدة تميّز بالوضوح والبيان.

يوكّد سبيرر وولسن، في سياق تحديدهما لكون الفرد العرفاني، على مبدأي الجلء والوضوح باعتبارهما مصدرا لبناء التمثلات وإنشاء الاستدلالات عند الفرد. وينتج كون الفرد العرفاني، الذي هو مجموع ما يمكن إدراكه حسيا أو يستدلّ عليه ومجموع الأحداث التي تبدو جليّة ظاهرة، عن التقاء القدرات العرفانيّة بالمحيط الفيزيائي، وما تجب الإشارة إليه أنّ المحيط العرفاني لا يتوقّف فقط على المعارف التي تحصل للفرد من التقاء محيطه الفيزيائي بقدراته العرفانية وإنّما تشمل قدرة الذهن وما يحدثه التقاء تلك القدرة الذهنيّة والمحيط الفيزيائي من معرفة جديدة. لذلك يعتبر الباحثان أنّ المعلومة القديمة هي مكوّن من مكوّنات القدرات الذهنيّة وهو ما يجعلنا نستنتج أنّ مجمل ما يخزّن في الذاكرة من معارف ومعلومات هي مكوّنات من القدرات الذهنيّة التي تتفاعل مع المحيط الخارجي ليؤسّسا معا محيط الفرد العرفاني. وهو محيط متغيّر باعتباره خاضعا كلّ مرّة لما يستجدّ على المحيط الفيزيائي من تغيّر وعلى ما يطرأ من تحولات إثر كلّ تفاعل للمعلومة القديمة وما يمكن أن يكتسب حديثا.

يوقّر المحيط العرفاني، من بين ما يوقّره، مؤشّرات تناسب والإدراك الحسي الخاطئ الذي يصدر عنه وهذا يؤدّي ضرورة إلى فرضيات خاطئة ولكنها صحيحة في بنائها العرفاني لأنها تتوقّف على

الروابط الموضوعية من لقاء بين محيط فيزيائي وقدرات حسية إدراكية، هذا في مستوى سحب مفهوم الوضوح على الفرضيات؛ إذ تكتسب الفرضية وضوحها من المؤشرات التي يوقرها المحيط العرفاني والتي تحقق حدًا من الانسجام بين ما هو فيزيائي وما هو تمثلات إدراكية حسية وقد تكون هذه الفرضيات صحيحة أو خاطئة ولكنها منسجمة في الحالين. فالانسجام لا يتعلق بالصحة أو الخطأ بقدر ما يتعلق بالتناسب داخل البناء العرفاني والذي هو التقاء بين المحيط الفيزيائي والقدرات العرفانية والتي تمثل المعلومة اللغوية إحدى مكوناتها.

أما مستوى درجة الوضوح، فيؤكد الكاتبان درجة الاختلاف في مستوى الوضوح وبأخذان مثال المبصرات ذلك أننا في محيط بصري ما يمكن أن نرى أشياء متعددة لكنها تختلف في مستوى درجة وضوحها البصري اعتبارًا للزاوية التي ننظر منها. فبعض المبصرات "أنور" للعين من أخرى، ويسحب "سبيربر" و"ولسن" تصوّر الوضوح هذا على الفرضيات، فكلّ فرضية يستطيع الإنسان أن يبنيا ويقبلها باعتبارها حقيقة أو احتمال حقيقة، هي فرضية واضحة، غير أنّ الفرضيات التي لها أوفر حظًا للتقبل هي الفرضية الأشدّ جلاء، ويعود جلاء الفرضية، أساسًا إلى تأثير المحيط الفيزيائي والقدرات العرفانية المشتركين. ولا يمنع هذا الجلاء من القول إنّ خاصية الوضوح أقلّ قيمة في الحقيقة من خاصية المعلومة المعروفة أو المفترضة. وينتهي إلى أنّ معرفة أيّ أمر يستلزم تمثله ذهنيًا أولًا وهذا التمثل على ضربين، تمثّل متحقّق وتمثّل قابل للتحقق بناء على تمثّل سابق يقولان: "لا يملك الفرد المعرفة الممتلئة في العقل فقط، وإنّما أيضًا المعرفة القابلة للاستنتاج من المعرفة التي يمتثلها"<sup>1</sup>.

من هنا يمكن لبعض المعلومات أن تكون واضحة دون أن تكون في أصلها جزءًا من معارفنا، وليس ذلك إلاّ لأنّ بعض الأشياء الفاسدة يمكن أن تكون واضحة. ولكن، هل يمكن لفرضية أن تكون واضحة دون أن يكون لها تمثّل ذهنيّ؟

يرى الباحثان أنّ هذا الأمر ممكن باعتبار أنّ الفرضيات تختلف عن المعرفة؛ إذ ليس من الضروري أن تكون الفرضيات صادقة حتى يستنتج منها الفرد فرضيات واضحة.

وكما هو شأن المعرفة، لا ينشئ الفرد الفرضيات الممتلئة في ذهنه فقط، وإنّما أيضًا تلك الفرضيات التي يمكن أن تستنتج من الفرضيات الممتلئة؛ أي تلك الفرضيات المستلزمة من الفرضيات الأولى.

<sup>1</sup>. D, Sperber et D, Wilson, (2004), p67.

ويعيننا هنا تنزيل الظاهرة اللغوية في هذا البناء العرفاني باعتبارها مؤشرات وفرضيات تقصد إلى تغيير محيط الآخر العرفاني، ويعيننا أن ننزل الخطاب الحجاجي ضمن هذا البناء العرفاني، باعتباره إقناعا يستجد بعدد من الفرضيات (الحجج) ليغيّر فضاء الآخر العرفاني.

يؤكد الكاتبان تشارك أطراف الخطاب / الحوار المحيط الفيزيائي نفسه والحقل البصري نفسه، وهو تشارك ضروري ومبدئي لقيام عملية التواصل، غير أنّ هذا الالتقاء بين المتخاطبين لا يعني ضرورة أنّهما يتشاطران الرؤية ذاتها. فالقدرة البصرية تختلف من شخص إلى آخر، لذلك، لا يمكن لهما أن يتشاركا الحقل البصري في كليته في حين يمكن لهما أن يتشاركا حقلًا بصريًا جزئيًا. وهو ما يعني أنّهما قد لا يدركان نفس الظواهر رغم تواجدهما في الفضاء المكاني نفسه، ورغم امتلاكهما القدرة على رؤية الظواهر نفسها. وهنا يجب تمييز ما هو حادث فعلاً مما يمكن أن يحدث، فما هو حادث أو متحقق على أرض الواقع يختلف بالضرورة من شخص إلى آخر نتيجة الاختلاف في الإحاطة بالمحيط الفيزيائي ونتيجة الاختلاف في التفاعل بين هذا المحيط والقدرات العرفانية لكل فرد. غير أنّ هذا لا يعني أنّه لا يمكن إدراك التمثلات نفسها من حيث إمكان القيام بالفعل. ونأخذ المثال التالي من مسرحية السدّ للمسعدي لتبيين الفرق بين الإمكان والمتحقق في مستوى الحقل الفيزيائي والتمثلات الذهنية.

"على منحدر جبل أخشب غليظ حزيز، نباته كالإبر وأرضه ظمأى وغباره كثير وسماؤه صفراء آخر عشية.

امرأة ورجل يصعدان في عقبة يجزان وراءهما بغلا، فتنتهي العقبة عند كهف، فيقفان ويوقفان البغل. هي: انظر الجبل.

هو: (يمسح عرقه عن جبينه ثم يرفع البصر ثم يقول) قد نظرت الجبل.

هي: فما سمعت؟

هو: المنظورات لا تسمع. المنظورات ترى أو لا ترى.

هي: (ترفع بصرها وتنظر طويلاً ثم تقول) فماذا رأيت؟

هو: إني أرى جبلاً.. فيم السؤال؟

هي: إنّّه جبل وليس بجبل.

هو: إنّه جبل وليس بجبل..! ما هذا المنطق المعكوس<sup>1</sup>؟

اشترك غيلان وميمونة في هذا المقطع في الفضاء الفيزيائي نفسه، واشتركا في الحقل البصري نفسه.. غير أنّ تفاعل المنظور والقدرات العرفانية لكلّ منهما باعد بين ما رأياه، فقد وجدت ما يدركه بصرها قابلاً للسّاع.. في حين لم يجد في المنظورات غير ما يرى.. ويمكن أن نقول هنا إنّ المحيط البصري خاطب القدرة البصرية في غيلان وخاطب القدرة السّاعية في ميمونة. وفي تفاعل المحيط الفيزيائي مع قدرتين مختلفتين قدح لمشروعية التواصل بما هو سعي أحد الطرفين إلى التأثير في الآخر وحمله على مطابقة تماثلاته كلياً أو جزئياً. وذلك هو المقصد من كلّ تواصل بين طرفين. وقد نجح هذا المقصد مبدئياً عندما عاد الطرفان إلى الاشتراك في الفضاء الفيزيائي نفسه وقدحه في القدرة البصرية ذاتها. سألته عندها: فماذا رأيت؟ مستبدلة بذلك السؤال: ماذا سمعت؟

غير أنّ هذا التشارك في القدرة البصرية لن يؤدي ضرورة إلى تطابق في تمثّل ما يوجد رغم أنّ إمكان تحقّق الفعل قائم. ومن هنا جاء ردّه: "إنّي أرى جبلاً.." وكان ردّها: "إنّه جبل وليس بجبل". لقد بيّن هذا المثال أنّ الاشتراك في الفضاء الفيزيائي نفسه وتفاعل هذا الفضاء مع القدرة العرفانية لا يؤدي ضرورة إلى نتائج متطابقة. وإن كان من الوارد أن تكون هذه النتائج متطابقة.

ويمكن أن نلجأ إلى مثال آخر من المصدر نفسه يدعم ما ذهبنا إليه في المثال السّابق: "يصلان إلى منعطف من منعطفات العقبة يشرفان منه على السدّ بمنقطع الوادي فيقف غيلان وتقف ميمونة.

غيلان: انظري

ميمونة: (تلقت إلى صفاة عظيمة على يمين العقبة، معلّقة في الهواء فتقصد إليها وتقول) هذه الصفاة كالسدّ معلّقة في الهواء تدعو إلى الجلوس، أحبّ أن أعرف هل يجد القائم على المعلّقات في الهواء دواراً، وهل تجد يا غيلان دواراً إذا قمت على سدّك المعلق في الهواء. تذهب فتجلس على الصفاة، وتصرف وجهها إلى الأبعاد والسدّ تحتها وأعماق الوادي.

غيلان: (منكراً لتقول ميمونة)

السدّ راسخ في الأرض.

1. محمود المسعدي، السدّ، ص45.

ميمونة: السدّ معلق في الهواء.

غيلان: أنت مجنونة

ميمونة: كذلك تقول الجتة للجنية منهم ترى ما لا يرون: أنت مأنوسة.<sup>1</sup>

يتشاطر غيلان وميمونة المكان والمشهد فإذا هو منعطف من منعطفات العقبة يشرف على السدّ. ويعتمدان القدرة العرفانية نفسها، القدرة البصرية؛ إذ ينظر غيلان ويطلب منها أن تفعل حيث يوجّه بصره، انظري، لكنّها لا يتشاركان المحصلة نفسها فقد رأى، هو، السدّ راسخاً في الأرض ورأته معلقاً في الهواء. وما يبرّر هذا الاختلاف هو قيام عملية التواصل بما هي سعي بين طرفين أو أكثر، إلى التأثير في الآخر وتغيير رؤاه وحمله على بناء تمثّلات تتطابق وبعض التمثّلات الحاصلة لديه. غير أنّ الشقّة تزداد بين الطرفين رغم إدراك كلّ منهما لمقاصد الآخر. فهل إنّ إدراك طرف ما لمقاصد الطرف الآخر كفيّل وحده بإنجاح عملية التواصل؟

إنّا إن تحدّثنا عن التواصل بما هو تجاوب بين طرفين وتفاعل، يمكن القول إنّ إدراك المقصد كفيّل بتحقيق التواصل، أمّا الحديث عن التواصل بما هو تغيير للمحيط العرفاني وحمل للطرف الآخر على تغيير مواقفه أو تعديلها أو تأكيدها؛ أي بما هو نجاح للعملية التواصلية فإنّ إدراك المقصد ليس شرطاً كافياً لتحقيق التواصل.

وقد يشترك غيلان وميمونة في المحيط العرفاني نفسه بما هو محيط فيزيائيّ وقدرة ذهنيّة لكنّها لا يتطابقان فعلاً في إدراكهما لهذا المحيط، ولا يعبران عن الفرضيات نفسها، وقد رأيا الأطياف وسمعا ما قالت واستنتجا تبعاً لذلك مواقف تعبر عن تأثير الكون الفيزيائي المشترك بينهما في القدرة الذهنية لكلّ منهما لينتبيا إلى:

- غيلان: هذه الأطياف لطيفة. إنّي لأجد ريح عود وندّ. لعلمهم يتطهّرون بالعود لئلاّ يقربوا الماء.  
ميمونة: لا يا غيلان. إنهم يتطهّرون بالنور. بالشمس. بالقيظ. النار.  
غيلان: لا أرى المغتسل بالنار طاهراً.

ميمونة: هي الألفاظ تعرّك. إنهم لا يغتسلون بل يتطهّرون.  
غيلان: المحترق غير المتطهّر. إنّي أراهم فخماً.

1. المصدر نفسه، ص 103.

- ميمونة: ليس أظهر ممن احترق فصقته النار.

فإذا اعتبرنا اللغة بما توفره من ألفاظ وفرضيات محيطا فيزيائيا يقدر القدرة الذهنية للفرد بما توفره من مخزونات ومعارف لينتج المحيط العرفاني، فإنّ الانطلاق من المحيط الفيزيائي نفسه لن يؤدي ضرورة إلى التأويل نفسه. فـ"غيلان" الذي يجد ربح عود وندد يعيد الأمر إلى التطهر بالعود في حين تعتبر "ميمونة" أنّ التطهر لا يكون بالعود وإنما يكون بالتور، بالقبض، بالتار. وبحث "غيلان" في قدراته الذهنية عن تأويل وتصوّر للطهارة ليجده في الاغتسال ويجده يبين تصوّره للتطهر بالتار بما هو احتراق. غير أنّ "ميمونة" تختلف عنه في المحيط العرفاني الذي تصدر عنه والذي يرى أنّ التطهر بالتار بما هو احتراق هو أرقى درجات التطهر، فتقول: "ليس أظهر ممن احترق فصقته التار". وهي تعتبر تصوّر الذهني للتطهر غيره للاغتسال في الوقت الذي يخلط فيه "غيلان" بين المتصوّرين، المتصوّر الذهني للاغتسال والمتصوّر الذهني للتطهر.

وتجلى في المحيط العرفاني المشترك هوية الأطراف التي تتناول ذلك المحيط؛ أي أنّ كلّ فرضية جلية هي بالضرورة جلية للطرفين. اعتمد الباحثان مثال "ماري" و"بيار" اللذين يتقاسمان فضاء الغرفة ثم رنّ جرس الهاتف، فمن الجليّ بالنسبة إلى "ماري" و"بيار" أنّ الهاتف يرنّ، ومن الجليّ لـ"بيار" و"ماري" أنّه جليّ لها أنّ الهاتف يرنّ، ومن الجليّ لـ"بيار" و"ماري" أنّه جليّ لها أنّه جليّ أنّ الهاتف يرنّ.

إنّ نجاح عملية التواصل تتطلب أن يكون المتكلم على دراية بالمحيط العرفاني للآخر ليطرق فرضيات موجودة ضمن ذلك المحيط العرفاني ويبنى عليها تواصله، يقولان: لتتواصل، يجب على "ماري" أن تكون لها بعض المعرفة بالمحيط العرفاني لـ"بيار"، فنجاح تواصلها من نتائج توسيع المحيط العرفاني المشترك بينها<sup>1</sup>. وهنا نتحدّث عن معرفة المحيط العرفاني المشترك من وجهة مغايرة لمفهوم "غرايس" للمعرفة المشتركة والتي هي عنده مجموعة من التواضعات التي اتفقت المجموعة على اعتبارها نافذة الفعل. وإتّما تكمن أهمية إدراك محيط الآخر العرفاني في توجّه المحاور إلى اختيار الفرضيات الأشدّ تأثيرا في الآخر حتّى ينجح في تغيير تمثلاته أو تعديلها أو ترسيخها. فإذا جهل المحاور البنية الفكرية للطرف المقابل عجز عن التواصل معه وفق مفهوم التواصل كما طرحه "سبيربر" و"ولسن" والذي لا يكمن فقط في إيجاد

1. D, Sperber et D, Wilson, (2004), p73.

أرضية ملائمة للحوار وفهم المقاصد. فالفهم في ذاته لا قيمة له إذا لم يؤدّ إلى تغيير في المتصور الذهني وإلى إنشاء معرفة جديدة.

إنّ التواصل الذي نبحث فيه هو التواصل الناجح إن شئنا الاصطلاح، فلا يكون إدراك القصد غاية في ذاته وإنما هو أداة للتأثير وتغيير التمثلات ومتى قصر التواصل عن تغيير تمثلات الآخر كان التواصل فاشلا. وعليه تقيس الخطاب الحجاجي الذي يسعى إلى التأثير وتعديل التمثلات ومتى حاد عن ذلك وقعد، كان حجاجا فاشلا.

تحمل مفاهيم المحيط العرفاني والبيان، والبيان المشترك بعدا نفسيا لكنها لا تحدّد وحدها التمثلي العرفاني المعتمد في عملية التواصل.. ذلك أنّ المحيط العرفاني ليس مجموعة من الفرضيات التي ينتجها الإنسان ويقبلها باعتبارها صادقة.

يقول دان سبيرير ودريدر ولسن: "نعتقد أننا حين نتواصل، إنّما نقصد أن نغيّر المحيط العرفاني للمتلقّي كما نطمح أن نغيّر تمثيلات تفكيره"<sup>1</sup>. وهنا أيضا نتساءل، هل إنّ توقّر القصد التواصلية وشروط التواصل كفيلة وحدها بتحقيق هذا التواصل؟، وماذا نقول في وضعية يتعمّد السامع فيها أن يتهرّب ويدّعي أنّه لا يفهم في الوقت الذي يكون فيه الآخر على وعي أنّه لا يريد أن يعترف بالفهم، وإنما يريد تغيير الموضوع؟ هل حقق السامع الذي أجبر المتكلم على تغيير الموضوع التواصل فنجحت عملية التواصل التي لم تراع مقصد المتكلم وإنّما راعت مقاصد السامع؟

يؤكد الكاتبان في هذا الموضوع أنّ عملية التواصل قد نجحت. ونرى أنّ عملية التواصل قد نجحت ولكن بطريقتين مختلفتين، الأولى تهّم السامع/ القارئ الذي أدرك مقصد المتكلم، والمقصد هو أسّ التواصل، ثمّ استجاب بالعدول عن الموضوع الأول دون رابط وفي ذلك رفض للتواصل في ذاك الموضوع وإبلاغ الطرف الآخر بذلك القصد، وهو المستوى الثاني من التواصل حيث ينجح المتلقّي إلى تغيير مسار الفرضيات إلى مواضيع جديدة، فمن حيث القصد التواصلية، نجح كلّ في إبلاغ مقاصده للآخر وتوجيه الخطاب الوجهة التي يرتئها، أما إذا اعتبرنا التواصل تغييرا للمتمثلات الذهنية فإنّه يمكننا القول بفسل التواصل من هذه الوجهة. وهو ما يجعلنا نؤكد أنّ إدراك المقاصد لا يؤدّي ضرورة إلى نجاح التواصل.

1. Ibid, p76.

خلص الباحثان إلى أنّ مبدأ الإفادة هو الذي يقود فهم المتلقي وعرفانه، فيكفي أن ندرك المحيط العرفاني للآخر حتى ندرك أيّ الفرضيات نحتاج للتأثير فيه وتغيير تمثلاته لتوافق تمثلاتنا. ولقد استثار الجاحظ<sup>1</sup> على السبيل المثال، سخرية الخليفة حين ذكر له نماذج من غزل الخباز وغزل سائس الحيل وغزل القراش وهم الذين استندوا إلى كونهم العرفاني الضيق ولم يمنحوا القول ما يستحق من متطلبات استقرت عليها ذائقة العرب في الغزل، فلم يختاروا السبيل الصحيحة لإنتاج القول وهو ما جعلهم سخرية المتلقين، وما يلفت الانتباه في هذا المثال الذي يذكره الجاحظ في "رسالة القواد" أنه عمد إلى إثارة سخرية الخليفة من هذه النماذج التي لا تعلم كيف تؤثر في متقبلها ولا تراعي محيطه العرفاني، وغايته في ذلك أن يحمل الخليفة مؤدب صباه على أن يأخذ في تعليم ابنه من كلّ شيء بطرف حتى يختار القول المناسب في مقام المتلقين المناسب، ومثلت معرفة الجاحظ بالمحيط العرفاني للخليفة مدخلا لاختيار الفرضيات المناسبة لتعديل رأيه والتأثير فيه وهو ما تحقق للجاحظ حين نجح في تغيير تعليمات الخليفة للمؤدب آخر الرسالة فالجاحظ يخاطب متلقيا باعتبار ما ترسخ في ذاكرته وذائقته فيستثيرها إما سخرية أو تثمينا، وتكون تلك السخرية، أو ذاك التثمين، أداة لتحقيق القصد. فالغاية من الخطاب هي الإقناع وما السخرية إلا وسيلة من وسائل الإقناع.

ليس التواصل عملا عفويا وإنما هو فعل يخضع إلى تحديد محيط المتقبل العرفاني وإلى التعرف على نوازه وتخيّر ما يمكن أن يؤثر فيه، فهو إنجاز لفعل يستهدف الآخر ويتحدد نجاحه بقدرته على تغيير محيطه العرفاني. فإذا نظرنا إلى الحجاج من هذه الجهة التواصلية، في ظلّ نظرية الإفادة، تبينا أنه سيرورات وتخيّر لفرضيات تراعي محيط الآخر العرفاني بما هو معارف ومحيط بصري ونوازع نفسية، وهذه العناصر هي التي تحقق انسجام القول وتؤمّن فهم المتلقي. ولا يمكن الحديث عن نجاح عملية الحجاج وانسجامها إلا في ظلّ نجاح الفعل الحجاجي في تغيير محيط الآخر العرفاني. فقد يكون النشاط الحجاجي منسجما، في مستوى البناء، ومنسجما مفيدا عند منتج الخطاب ولكنه غير ناجح وغير مفيد ما لم توجد استجابة تصوّريّة، وهو غير ناجح وغير مفيد ما لم يوجد تغيير في تمثلات الآخر للكون. وهو لهذه الأسباب عمل لغويّ تظهر نتائجه في ما يترتب عن القول من سلوك.

1. كان ذلك في رسالة القواد حين طلب من أصحاب مهن مختلفة أن يلقوا أبياتا في واقعة خرجوا إليها مع الخليفة ثم في الغزل.

### 3.2.3.2.3 السياق الاستدلالي:

استند "دان سبرير" و"دريدر ولسن" في مقارنة المبحث الاستدلالي على ما بلغه علم النفس العرفاني من نتائج في مقارنة عملية الفهم، وخلصا إلى وجود سيوريتين في الاستدلال على المعلومة أثناء عملية الفهم. هما السيورة الموضوعية (*locaux*) والسيورة الكليّة أو الإجمالية (*globaux*)، وهو ما يوافق في علم النفس، التمثي الحسي الإداراكي (*les processus perceptionnels*) والتمثي العرفاني المركزي. (*processus cognitifs centrales*).

وتعتمد السيورة الموضوعية منوالا سننيا يفك الرموز المختصة، وتدرج ضمنها العلامات اللسانية وفضلا عن الاستدلال البرهاني؛ أي أنّ الذهن يلجأ لفهم القول إلى قائمة من المفردات ثابتة دون إدراج القول في سياقه، فالسيورة الموضوعية هي ذاك المنهج الذي تعبّر فيه كلّ كلمة عن المعنى الذي يقترحه عليها المعجم في معزل عن السياق الذي تنتزل فيه، وهو يقتصر على مجال محدّد وضيق شأن الإدراك الحسي - السمعي أو المنطق الاستنتاجي الذي يعتمد مسلمات في الانطلاق. لكن، أليس في هذا النظر إلى السيورة الموضوعية اقتصارا على المفردات والفرضيات الاستنتاجية دون اهتمام حقيقيّ بالبنى التركيبية في الجمل المختزلة مثلا (الدعاء والنداء والتحضيض والالتماس...) والتي تمثل في ذاتها بعدا تداوليا ضخما، كما أنّ علامات الإعراب بما هي حاملة لمعنى يمكن لها أن تستدعي السياق ولا تعزل عنه.. بل يمكن أن تعدّ هي في ذاتها سياقاً خاصاً..؟

ويمكن أن ننظر في هذين المثالين لتبين دور علامات الإعراب في إنتاج المعنى، وتبين علاقتهما بالسياق الخارجي:

(- ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات..)

- مات الرّجل..

وردت علامة الإعراب (الضمّة) في المثال الأوّل متعلّقة بـ"الله" التي وردت في محلّ المفعول باعتبار ما درج عليه ترتيب التركيب في الجملة الفعلية. فكان من المتوقع، استنادا على المواضع اللغوية، أن يحمل (إبراهيم) علامة الرفع لوروده بعد الفعل لكنّه حمل الفتحة الدالة على المفعولية عوضا عن ذلك. فشكل الجملة الفعلية يتكوّن عادة من:

محلّ المفعول (الفتحة)	محلّ الفاعل	محلّ الفعل
-----------------------	-------------	------------

هذا الشكل النمطي للجملة الفعلية تغيّر بتغيّر علامة الإعراب، فحمل دلالات تخالف دلالات الشكل التمثط فحملت الجملة تبعاً لذلك الشكل التالي:

محلّ الفاعل	محلّ المفعول (الفضة)	محلّ الفعل
-------------	----------------------	------------

ويعود التحوّل في الدلالة إلى المعنى الذي تحمله علامات الإعراب في ذاتها ما يجعلنا نؤكد أنّ علامات الإعراب تحمل بعداً تداولياً يحدّد دلالة الجملة فلا يقصر علامات الإعراب، وهي التي تنتهي إلى المدركات الحسية، في التمثي الموضوعي لتأويل المقووظ.

ويتعلّق اختيار مواضع علامات الإعراب في هذا المثال بما تواضعت عليه المعرفة بالكون الخارجي لمستعملي اللغة والذي يعتبر أنّ الله بما هو مالك الملك وخالق الكون وبما له من صفات لا يمكن أن يكون مفعولاً به؛ أي لا يمكن أن يكون مبتل.

وأما المثال الثاني، مات الرجل، فتتقرن علامة الرّف بالفاعل الوارد في مستوى البنية النموذجية للجملة الفعلية بعد الفعل، لكنّه في مستوى المعنى، ليس له من الفاعلية غير الموضوع باعتبار أنّ الفعل قد وقع عليه. وهو ما يعني أنّ علامة الإعراب ليست محدّدة لدلالة الجملة في الحالات جميعها.

ويعنى التمثي الإجمالي أنّه يمكن الالتجاء إلى أية معلومة في الذاكرة المفهومية تؤدّي الغرض المقصود بغضّ النظر عن مطابقتها لما يوفّره المعجم. وقد طبع التحيز للتمثي الإجمالي الفهم الاستدلالي بتلك السيورة غير البرهانية (*inference non demonstratif*) الذي توظّف كلّ المعلومات المخزّنة في الذاكرة المفهومية. وهو عين ما يعتمد التمثي المركزي الذي يهتّم بالاستدلال غير المختصّ وهو استدلال غير برهاني يستنجد بما خزّنته الذاكرة من مناويل عرفانية فهو برهان لا يتقيّد بصرامة المنهج القائم على مسلّمات ونتائج وإثما يستفيد ممّا تتيحه الذاكرة من معارف وما يفرضه المقام في انتقاء تلك المعارف. والمثل على ذلك الجملة: "قريباً يحلّ موسم الأمطار"، يفهم الفلاح الجملة على أنّها بداية لموسم فلاحي ناجح، ويفهمها مواطن مدينة تونس أنّها بداية المتاعب في الطرقات الموحلة، ويفهمها المتشرّد أنّها دعوة للبحث عن مأوى ولا تثير في ذهن الزائر لفترة قصيرة أية دلالات لأنّها لا تعنيه.

ويسعى سبيريير وولسن إلى وضع منوال للقدرات الاستدلالية المتعلقة بالفهم وينطلقان في ذلك من فرضيتين، أولاهما أنّ سيرورات الفهم الاستدلالية هي سيرورات غير برهانية باعتبار أنّ عملية التواصل يمكن أن تنشل حتى في أكثر الوضعيات مناسبة للتجّاح، وثانيهما أنّ المتلقي لا يستطيع فكّ الترميز ولا استنتاج مقاصد المتكلمّ الإبلاغيّة، وأقصى ما يستطيعه هو بناء فرضيات انطلاقاً من مؤشّرات مستمدّة من سلوك المتكلمّ الإشاري (*ostensif*).

ولئن درس الباحثان هذه السيرورة في فهم الخطاب متعلّقة بالخطاب الشفوي فإنّنا نعتقد أنّها تمثيلات تصحّ أيضاً في الخطاب المكتوب، فالسيرورة الاستدلالية غير البرهانية تحضر في الخطاب المكتوب كما تحضر في الخطاب الشفوي، وفشل التواصل في ظلّ توفّر شروط نجاحه فرضيّة ممكنة التحقق في الخطاب الشفوي كما هو الحال في الخطاب المكتوب. إضافة إلى أنّ الفرضيات التي يبينها المتقبل وقد استمدّها من سلوك المتكلمّ الإشاري يمكن أيضاً أن تبنى بدلالة اللفظ السياقية. وأولا تكون المؤشّرات اللغويّة نفسها بما تحمله من قيم دلالية ضامنة لنجاح عمليّة التواصل بما هي تغيير لتمثّلات أحد الأطراف سواء في ذلك أكان الخطاب شفويّاً أم مكتوباً؟

وسننظر في المثالين التاليين لتبين دور الاستدلال غير البرهاني في نجاح عملية التواصل أو فشلها، وهما مثالان من رسالة في "صناعات القواد" للجاحظ و"السّد" للمسعدي:

"خذ يا أمير المؤمنين أولادك بأن يتعلموا من كلّ الأدب، فإنك إن أفردتهم بشيء واحد ثمّ سألوا عن غيره لم يحسنوه وذلك أي لقيت حراماً حين قدم أمير المؤمنين من بلاد الروم فسألته عن الحرب كيف كانت هناك؟ فقال: لقيناهم في مقدار صحن الاضطبل فما كان بقدر ما يحسّ الرجل دابته حتى تركناهم في أضيق من ممرغة وقتلناهم فجعلناهم كأنهم أنابير سرجين فلو طرحت روثه ما سقطت إلاّ على ذنب دابة.. وسألته -أطال الله بقاءك- محمد بن داود الطوسي من مثل ذلك- وكان فرّاشاً- فقال: لقيناهم في مقدار صحن بساط، فما كان إلاّ بقدر ما يفرش الرجل بيتاً حتى تركناهم في أضيق من منصّة فقتلناهم فلو سقطت مخدة ما وقعت إلاّ على رأس رجل.."

قال: فضحك المعتصم حتى استلقى ثمّ دعا مؤدّب ولده فأمره أن يأخذهم بتعليم جميع العلوم<sup>1</sup>.

1. الجاحظ، رسالة في صناعات القواد، رسائل الجاحظ، الجزء الأول، تحقيق عبد السلام هارون، صص 381-393.

فبين مقصد التواصل، المصرّح به، " خذ يا أمير المؤمنين أولادك بأن يتعلّموا من كلّ الأدب.." والنتيجة التي انتهى إليها الخطاب " ... دعا مؤدّب ولده فأمره أن يأخذهم بتعليم جميع العلوم.." نجاح للتواصل باعتبار مفهوم التواصل القائم على تغيير تمثلات أحد طرفي عملية التواصل بما يتناسب ومقاصد القول. وقد تمّ الوصول إلى هذا النجاح بإيراد أخبار، اكتفينا بذكر اثنين منها تمثل وصف "سائس خيل" و"فراش" لحرب شاركا فيها. فوصفها الأول باعتبار المرجعيات المعرفية التي خزّنها في ذهنه التي لا يعرف غيرها. فحضرت مؤشرات لغوية تتعلّق بالاصطبل وما يوجد في الاصطبل ووظّفت في وصف ساحة الحرب. كما استنجد الفراش بمخزونه اللغوي والمعرفي ليصف الحرب فكانت البسط والبيوت والمنصّة والمخدّة أدوات معجميّة لوصف المعركة. ولم تظهر في هذين الخبرين استدلالات منطقيّة ومقدّمات كبرى وصغرى. وإنما هي استدلالات غير برهانية جعلت الخليفة يضع فرضيات من قبيل:

- للحرب معجم خاصّ يعبر عنها.
  - الفراش والسائس لا يعرفان هذا المعجم بحكم أنّ معارفهما مقتصرة على مجال واحد من المعرفة.
  - إذا اكتفيت بتعليم أولادي مجالا واحدا عجزوا عن التعبير عن بقية المجالات وأصبحوا سخريّة كما هو حال السائس والفراش في هذا الموضوع.
  - ضرورة أن يأخذ أبناء الخليفة في تعلّم كلّ المعارف حتى يحسنوا التواصل مع بقية فئات المجتمع (الرعيّة).
- كلّ هذه الفرضيات غير البرهانية التي قدحتها الأخبار في الدّهن أدّت إلى نجاح عمليّة التواصل وحملت الخليفة على تعبير رأيه.

أمّا المثال الثاني فهو من "سدّ ميمونة وغيلان" فقد دأب غيلان منذ البدء يدعو ميمونة أن تؤمن بسدّه وبدعوها، ودأبت تدعوه أن يؤمن بالواقع الصّلب وبالمرمر وانتهى الأمر بهما إلى فشل كليّ في التواصل فارتفع هو مع ميارى يبحثان عن النور وراء سراج يتراءى لهما وحدهما وأدركت هي الأرض الواقع الحقيقيّة فركضت تنحدر تبحث عن ثبات وسط الزلزال الذي يحيطها.

وتتمثّل الأنظمة الطرفية، بما هي مدخلات، الدرّجة الأولى التي لا بدّ منها للمرور إلى الاستدلال غير البرهاني ذلك أنّه في معزل عن الفهم الحرفي للاستدلال في بعده الشكلي لا يمكن أن نمرّ إلى المرحلة الثانية التي هي بناء على ما تقدّم. يقول الكاتبان: "إنّ العقل مجموعة من الأنظمة المدخلات المختصّة لكلّ منها مناهجها الخاصّة في بناء التمثلات ومعالجتها، فمن جهة تجد أنظمة المدخلات التي تعالج المعلومات الإدراكية الحسيّة مثل المعلومات البصرية والسمعيّة وأيضا المعلومات اللّسانية، ومن ناحية ثانية هناك

الأنظمة المركزية التي تولّف بين المعلومات التي تنتجها أنظمة المدخلات وبين المعلومة الموجودة سلفا في الذاكرة والتي تقيم أنشطة استدلالية متعدّدة"<sup>1</sup>.

يعتمد "سبيربر" و"ولسن" تمثيلات في معالجة المعلومة هي امتداد لمقاربة "فودور" للعقل؛ إذ يعتبر العقل مجموعة من الأنظمة الخاصّة ولكلّ منها مناهج بنائها ومناهج معالجتها لتمثّلاتها. لذلك يفترض الباحثان أنّ كلّ نظام مداريّ/ طرفيّ يعالج فقط المعلومات الماثلة في الشكل الخاص به وأنّ كلّ نظام مداريّ يشتغل وفق منهجه الخاصّ في بناء التمثّلات ومعالجتها.

وهما، لذلك، يصنّفان العلامات اللسانية ضمن الأنظمة الطرفية ويصنّفان الاستدلالات ضمن الأنظمة المركزية.

ويجعلنا اهتمامنا بالخطاب نعني بالظاهرة اللسانية بما هي نظام مداري يعالج المعلومات الإدراكية الحسية، من ناحية ثمّ ننظر في كميّة تفاعل هذه المدخلات اللسانية مع المعلومات الموجودة سلفا في الذاكرة بما يقترح استدلالات تحقّق الفهم في ذهن المتلقّي من ناحية ثانية، هذا الفهم الذي يجب أن يكون فاعلا ومغيّرا لمعتقدات الآخر؛ أي منتجا لعمل حجاجيّ.

يشمل النظام الطرفي مكونات الخطاب الحجاجي بما هي مؤشرات حجاجية وفرضيات، ويشمل النظام المركزي سائر المعارف المخزّنة في الذاكرة طويلة المدى كما يشمل العمليات الاستدلالية التي تمكّن من تأويل المدخلات التي يستقبلها النظام الطرفي.

من هنا أمكن لنا ربط انسجام الخطاب بالعلاقة بين المؤشرات اللغوية والفرضيات التي تطرق النظام الطرفي للدماغ وبين سائر المعارف المخزّنة في الذاكرة طويلة المدى فتمتّ تحقّق الفهم انسجم القول، ومتى جانب الإفادة كان فاقدا للانسجام. ومتى انسجم القول مع ما خزّن من معارف في النظام المركزي للدماغ أفاد ومتى لم ينسجم لم يفد.

#### 4.2.3.2.3. المعالجة الاستنتاجية للمعلومة:

يفترض الباحثان أنّ هذه القواعد الاستنتاجية تعمل بصفة عفوية في المعالجة الاستنتاجية للمعلومة، ويستندان في ذلك على مجموعة من المعطيات لعلّ أهمّها أنّ النظام الاستنتاجي يمكن من اقتصاد هام في الذاكرة، فالاستنتاجات المنطقية لكلّ مجموعة من الفرضيات يمكن أن تبنى استنتاجات ليس

<sup>1</sup>. D, Sperber et D, Wilson, (2004), p114.

من الضروري أن يُحتفظ بها في الذاكرة؛ أي أن النتيجة التي توصل إليها انطلاقاً من مجموعة من القواعد الاستنتاجية يجوز ألا يُحتفظ بها في الذاكرة لأن آلية التوصل إليها من جديد متى احتجناها موجودة، فالأصل في الأشياء، آلية العمل لا الدلالة في ذاتها التي تتغير بتغير المعطيات في حين تحافظ آلية العمل على وجودها الضروري، فهذه الآليات أو القواعد، بما توفره من قدرة على بناء معرفة استناداً على فرضيات ما، فاعلة في تمثّل الإنسان للعالم المختلفة التي تحيطه. من هنا نتبين أن القواعد الاستنتاجية بما هي آليات وتركيب تحدد معرفتنا بالعالم، وهي التي تحكم على النتيجة وعلى مقبولية النتيجة بالانسجام و"الصحة" أو بعدمها، وبالتالي هي التي تحدد الانسجام الداخلي للمقول. من هنا، ندرك أن قيام الخطاب على قواعد استنتاجية بما تطرحه من استنباطات منطقيّة هو مظهر من مظاهر انسجام الخطاب منطقيّاً. فالنظام الاستنتاجي، لا يوقر لمستعمله أداة قيس لحساب الانعكاسات الجديدة على تمثله الجديد للواقع، فقط، وإنما يضمن أيضاً صحّة كلّ نتيجة استنتجت من معطى صادق عند الانطلاق. وبالنسبة إلى كلّ كائن اجتماعي، يمثّل النظام الاستنتاجي وسيلة لاكتشاف عدم انسجام تمثلات العالم، وبالتالي يكشف عن أخطاء في تمثّل العالم. يقول الباحثان "تعتبر الأنظمة الاستنتاجية، الأنظمة الاستدلالية الوحيدة المتطورة التي تمنح إمكانات مثل تلك الإمكانيات"<sup>1</sup> وعندما تأخذ مجموعة من الفرضيات موقعها في ذاكرة الفرد الاستنتاجية، تمر كل القواعد الاستنتاجية وقتها إلى مرحلة العمل.

ويجدر التمييز بين نمطين من القواعد الاستنتاجية وهما القواعد التحليلية (*analytiques règles*)، وتمثّلها قاعدة الحذف ب(و/et) والقواعد التآلفية (*règles synthétiques*)، وتمثّلها القاعدة التشارطية (*modus ponendo ponens*) ففي حين تأخذ القاعدة التحليلية فرضية وحيدة مدخلاً لها، تستند القاعدة التآلفية إلى أكثر من فرضية.

### 5.2.3.2.3. بين الممثلات والعلاقات الاستنتاجية

الممثلات هي وحدات نفسية ذات بعد منطقي، تخزن في الذاكرة في شكل عناوين تملأ وظيفتين مختلفتين متكاملتين، فالتصور في المقام الأول، هو عنوان يمكن أن يحتفظ بالمعلومات مختلفة الأنماط ويتوصل إليها.. وهو في مقام ثان عنوان مكون ضمن شكل منطقي يمكن وجوده من القيام بتطبيق مجموعة من القواعد الاستنتاجية الخاصة.. وهذه الوظائف متكاملة بالضرورة، ذلك أنه إذا ظهر عنوان؛

1. Sperber and Wilson, (2004), p134.

أي متصوّر من التمثلات، في شكل منطقيّ، وقرّ معلومات مختلفة الأنماط تُخزّن تحت هذا العنوان، أمّا المعارف التي يمكن أن تطفو على الذاكرة فهي على ثلاثة أضرب، معلومات منطقيّة ومعلومات موسوعيّة ومعلومات معجمية. فأما المدخل المنطقي لتصور ما، فيشمل القواعد الاستنتاجية التي تعتمد في الأشكال المنطقيّة التي يكون المتصوّر عنصراً منها، وأمّا بالنسبة إلى المدخل الموسوعي فيجمع المعلومات عن المتصوّر في اتساعه وفي ما يؤثّر إليه؛ أي حول موضوع الأحداث أو الخصائص المتعلقة بالمتصوّر، أمّا بالنسبة إلى المدخل المعجمي فيتعلّق بالتعبير اللساني للمتصوّر؛ أي الكلمة أو المركّب الذي يعبر عن المتصوّر في اللغة، بهذا المعنى يكون العنوان التصوري نقطة وصل بين المعلومات المنطقيّة وبين المعلومات الموسوعيّة وبين المعلومات المعجميّة.

وتختلف المدخلات الموسوعيّة نمطيّاً من فرد إلى آخر ومن زمن إلى آخر، لذلك فنحن لا نتشاطر جميعنا المدخلات الموسوعيّة نفسها، هذه المدخلات التي تميّز بأنها منفتحة قابلة أن تسع معلومات جديدة في كلّ آن ولا يمكن أن ندعي أبداً اكتمال المدخل الموسوعي فلا يوجد محتوى أساسي أدنى في غياب السيطرة على المتصوّر، على خلاف ذلك فإنّ المدخلات المنطقيّة هي مدخلات محدودة ولا تختلف إلّا في حدود دنيا بين متكلم وآخر ويمكن للفرد أن يستبطن المدخل المنطقيّ المكتمل لمتصوّر ما، وإذا لم يفعل إلّا جزئياً فلن يتمكّن من السيطرة على المتصوّر.

وتختلف المداخل الموسوعيّة جوهريّاً عن المداخل المنطقيّة، فالمدخل الموسوعي يختلف من واحد إلى آخر ومن زمن إلى آخر ومعلوماتنا الموسوعيّة حول السّماء أو البحر أو العدل أو الظلم أو الرومان، تختلف من طرف إلى آخر وهي معرفة منفتحة أبداً على التعديل والإضافة. غير أنّ هذه المعلومات تحافظ على حدّ أدنى من النمطيّة تشاركها المجموعة البشريّة الواحدة وتكون ما يعرف في علم النفس العرفانية بالمناويل العرفانية المؤتملة حيث تنزع كلّ الفرضيات التي يقبها الأفراد حول الأشياء والأحداث التي تصادفهم بصفة منتظمة إلى خصائص نمطيّة.

وترتكز البحوث العرفانية في علم النفس على التمييز بين التمثلات وبين العمليات الخاصّة بهذه التمثلات. وتمييزنا بين الفرضيات الموسوعيّة والقواعد الاستنتاجية ليس إلّا حالة من هذا التمييز العام.

### 3.3.2.3. السياق المقامي:

يميّز علماء النفس بين محتوى المعلومة والسياق الذي قيلت فيه، فالمعلومة الواحدة يمكن أن تحيل على معان مختلفة باختلاف مقام التلقّظ وحال المتخاطبين والمقصد من التلقّظ، فمحتوى فرضيّة ما

لا يكفي أن يثير متصورا ذهنيا أو أن يطرق فرضية موسوعية ويستعين بمعرفة نمطية مؤتملة، إنما قبل هذا وذلك وجبت مراعاة مقام القول وما يجوز في وضعيته تواصلية قد لا يكون ذا جدوى في وضعيته أخرى وقد لا تكون الفرضية الملائمة لاستثارة تمثلات المتقبل ودفعها نحو الإقناع بمقصد المتكلم. ويقول "سبيرير وولسن" في الغرض "تحدّد مداخل التمثلات المنطقية (المفاهيم) محتوى الفرضية"<sup>1</sup>.

ويؤدّي مقام القول هذا إلى تغيير تمثلات المتقبل حول العالم وهو جوهر العمل الحجاجي، ومن هنا تتحدّد إفادة أيّ معلومة بقدرتها على تغيير تمثلات الفرد عن العالم وتحقيق مقصد التواصل. وتهدف مقاربة "سبيرير وولسن"، تبعا لذلك، إلى تحديد الفوارق بين الاستلزامات المنطقية والاستلزامات الدلالية، أو بعبارة أخرى بين الدلالات الجوهرية الكامنة في الفرضية وبين مأخذها العام أو دلالة المقصد (*Portée Générale*).

وتتأقّ الفرضيات التي يمكن أن توجد في الدّهن من أربعة مصادر مختلفة، الإدراك الحسي وفكّ الرّمز اللساني والذاكرة الموسوعية والسيرورة الاستنتاجية نفسها. وتتكوّن الفرضيات المتأتية من المداخل الموسوعية من معلومات قديمة في حين تتكوّن الفرضيات المتأتية من الإدراك أو من فكّ الرموز اللسانية أي من النظم الطرفية من معلومات جديدة. وهي معلومات تصبح قديمة ما إن تعالج. والمقصد من نظرية الإفادة عند الباحثين هو التظّر في أثر المعلومات الجديدة المنبثقة عن المدخلات اللسانية في المعلومات القديمة المستخلصة من تمثّل العالم الموجود، فيتمّان بمفعول الاستنتاجات حيث أنّ مجموع الأطروحات الأساسية يمكن أن تقسّم إلى مجموعتين (ب وس) حيث (ب) هي المعلومة الجديدة، و(س) هي المعلومة القديمة، فيقيان استنتاجا من اتحاد (ب وس) أي سياقية (ب) في السياق (س).. وتقود استنتاجية (ب وس) إلى استنتاجات جديدة لا تأخذ في الاعتبار (ب) وحدها أو (س) وحدها ويسمى ذلك "الاستباعات السياقية" أو الاستلزامات السياقية ل(ب) في (س). والاستلزامات السياقية هي تأليف للمعلومات الجديدة والقديمة وإنتاج مشترك تفاعلي بين هذه المعلومات.. ويمكن للمعلومة التفاعلية الجديدة أن تغيّر من تمثّلنا للعالم.. يقول المسعدي:

"هي: انظر الجبل

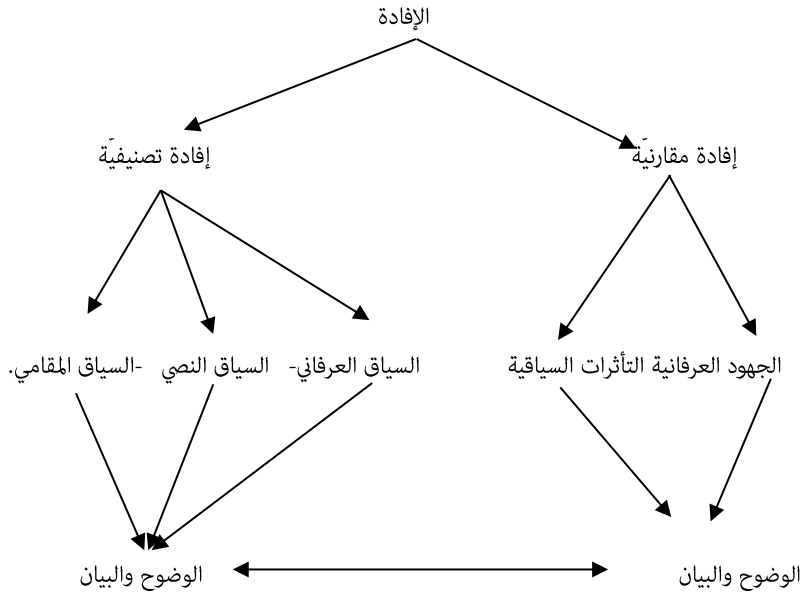
هو: قد نظرت الجبل

هي: فإذا سمعت؟

1. Spreber et Wilson, (2004), p160.

هو: المنظورات لا تسمع، المنظورات ترى أو لا ترى  
هي: فإذا رأيت؟"

إنّ سؤال ميمونة يتمّ على أنّها تنطلق من فرضية مفادها أنّ المنظورات تسمع، غير أنّ ملاحظة غيلان الذي يصدر عن فرضية أنّ المنظورات ترى جعلتها تتغيّر من تمثّلها للواقع وذلك بضرب الفرضية الجديدة في الفرضية القديمة وإنتاج استنزاج سياقيّ تحلّى في سؤالها الأخير "فماذا ترى؟".  
يمكننا بعد هذا النظر في مقارنة "سيرير وولسن" للإفادة أن نختزل النظرية في الرّسم التالي:



إنّ نظرية الإفادة عند "سيرير" و"ولسن" هي نظرية عرفانية تداولية في الوضوح والبيان، تشترط لتحقيقها مجموعة من المعايير نطلق عليها شروط الانسجام التداولي العرفاني وقد قرن الكاتبان في أكثر من موضع في مصنفها شرط الإفادة بمبدأ الانسجام. فلئن كانت الإفادة ما يتبدّى للذهن واضحا من معرفة فإنّ الانسجام هو المعيار الذي يراعى عند إنتاج الدلالة المفيدة وهذا المعيار يظهر في التفرعات التي تكوّن طرفي الإفادة، المقارنة والتصنيفية وننتهي مع "فان ديك" إلى العلاقة المتبسة بين المفهومين. ولئن طابق "فان ديك" بينها فإننا نرى أنّ إحداها تحيل على الأخرى فلا يمكن أن تتحقق الإفادة في غياب الانسجام ولا يمكن أن نجد انسجاما دون أن يُتوجّح بإفادة ومعالجة ناجعة للقول.

يمكننا أن نختزل معايير الانسجام باعتبار ما تفصح عنه الإفادة، في ما يلي:

1- السّياق النّصي: - التعلقات التداولية والتركيبية باعتبار بعدها العرفانية (عمليات ذهنيّة)  
- الأعمال اللّغوية

- الإحالات والضمّنات والاستلزامات السياقيّة النّصيّة

2- السّياق العرفاني: - المداخل الموسوعيّة: - الذاكرة الموسوعيّة

- المعلومات الجديدة

- المحيط العرفاني: العلاقة بين - المحيط الفيزيائي

- القدرات الحسيّة الإدراكية

- العناوين تصوّرية

- الاستدلال: - البرهاني

- غير البرهاني

3- السّياق المقاميّ: - المقام النّصي

- المقام الخارجي

- الحال.

وتبدو مبادئ الانسجام هذه مختصة بكلّ أنماط النصوص ولا يقتصر حضورها على النصّ الحجاجي فحسب. فالسياقات النّصيّة والعرفانيّة والمقاميّة هي سياقات عامّة لا يخلو منها خطاب. ولكننا نقول إنّ لكلّ نمط من أنماط الخطاب مظاهر يختصّ بها ضمن العام المشترك، وسنجد في مكونات السّياق النّصي ما يحضر في الخطاب الحجاجيّ ويغيب عن غيره، وقد يحضر في أكثر من خطاب ولكنه يأخذ في كلّ مرّة خصائص تناسب مع الخطاب الذي ترد فيه، فهي مظاهر سياقيّة تكتسب دلالتها من نمط خطابها. وكذا الشأن بالنسبة إلى السّياقين العرفانيّ والمقاميّ بما يتضمّناه من محيط عرفانيّ وعناوين تصوّرية واستدلالات وأحوال.

إنّ معايير الانسجام في الخطاب التواصلي الحجاجي، تعمل معاً لخدمة المقصد الحجاجي ضمن خطاب تواصليّ يتحدّد نجاحه بتحقيق العمل الحجاجي / المقصد الحجاجي. هذا المقصد الذي قد يرد معلناً أو يرد خفيّاً تدفع إليه الحجج / الفرضيات دون أن تصرّح به. ويكشف عنه العمل المنجّر عن الحجاج.

## خاتمة

يستمدّ الخطاب الحجاجي انسجامه، باعتباره خطابا تواصليا، من أطراف الحجاج (التخاطب)؛ إذ يسعى كلّ طرف إلى التأثير في الآخر. وليست المعطيات التي تحقّق انسجام خطاب المتكلم بالضرورة هي ذاتها التي تحقّق انسجام الخطاب في ذهن المتلقّي. وقد يُنتج المتكلم خطابا يبدو له منسجما باعتباره نتاجا لسياقاته العرفانية والمقامية الخاصة فينتلقى بإبهام وغرابة منشؤها أنّ المتلقّي لا يشارك المتكلم السياقات العرفية أو المقامية ذاتها. ولئن كان التواصل الشفوي يسعف أطراف الخطاب بتعديله متى تراءى لهم فشل التواصل والبحث عن تمثيلات جديدة تؤمّن عملية الفهم فإنّ الخطاب الحجاجي المكتوب ممدّد بالفشل في هذه الحال، وهذا الفشل لا يتعلّق بالخطاب الحجاجي داخل السياق النصّي أي بين متجادلين داخل البناء النصّي باعتبار أنّ الكاتب يسيّر الخطاب لينتهي إلى المقاصد التي وضعها، وقدرات الكاتب تظهر في وضع خاصيات عرفانية لأطراف الحجاج، حقيقتين كانوا أم وهميتين، والاستجابة إلى تلك الخاصيات في إنتاج خطابه أو خطابها، ومراعاة كلّ طرف من أطراف التواصل النصّي للخاصيات العرفانية للآخر، وإثما يهدّد الفشل علاقة الكاتب بمتلقّي خطابه. فبمعزل عن العلاقات داخل الخطاب النصّي، يتوجّه الكاتب بذلك الخطاب الحجاجي الذي يبدو للوهلة الأولى مفارقا للواقع إلى متلقّ، ويقصد إلى رسالة يريد تبليغها وتغيير تمثيلات ذلك المتلقّي للعالم، وهذا المقصد الحجاجي الذي يبدو خفيا، يستوجب من الكاتب عند إنتاج خطابه أن يحدّد المتلقّي المستهدف بالقول ويمثّل كونه العرفاني لتسهيل مخاطبته بما يملك من معارف، كما أنّ المتلقّي مطالب بتمثّل الكون العرفاني للكاتب ليؤمن حدّا أدنى من الفهم، من هنا ننبين أنّ فهم الخطاب الحجاجي ونجاحه باعتباره فعلا تواصليا يستوجب بالضرورة مجهودا من منتج الخطاب ومنتلقيه في إدراك الأبعاد العرفانية التي يحملها كلّ طرف. وينتج عن تحقّق تلك الأبعاد التداولية العرفانية تحقّق الإفادة في ذهن المتلقّي.

المصادر والمراجع:

- الجاحظ، رسالة في صناعات القواد، رسائل الجاحظ، الجزء الأول، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة سنة 1974.
- حمودي السعيد، "الانسجام والاتساق النصي، المفهوم والأشكال"، مجلة الأثر: عدد خاص بأشغال الملتقى الوطني الأول حول اللسانيات والرواية 22-23 فيفري، 2012.
- سهيل إدريس، المنهل، دار الآداب، 2009.
- عبد الجليل عبدة شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، ط3، 1987.
- ابن عبد ربّه، العقد الفريد، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982.
- أبو محمّد القاسم السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1980.
- محمود المسعدي، السّد، دار الجنوب للنشر، 1992.
- المرادي (ابن أمّ القاسم الحسن بن القاسم)، الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمّد نديم فاضل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، 1992.
- Dan, Sperber et Deirdre, Wilson, La Pertinence: Communication et cognition, les éditions de minuit, 1989.
- Deirdre Wilson and Dan Sperber. 2004. Relevance Theory. In Horn, L.R. & Ward, G. (eds.) 2004 The Handbook of Pragmatics. Oxford: Blackwell, 607-632.
- Gagnon, Odette, La Cohérence textuelle, Dialangue, volume11, avril, 2000.
- Jacques Moeschler, La Pragmatique après Grice, contrxte et pertinence, l'information grammaticale 66, p28. (en PDF, p10),1995.
- L.Horn and G. Ward (eds.) Handbook of Pragmatics (oxford: Blackwell), 2004.
- M.A.K. Halliday and Ruqaiya Hasan, Cohesion in English, Longman Singapore Publishers, 1994.
- Philippe Breton Philippe, L'argumentation dans la communication - 3e éd - Pans La Découverte, 2003.
- Van Dijk, Relevance Assignment in Discourse Comprehension, in Discourse processes 2,pp113-126 (1979)
- Van Dijk, Relevance in logic and grammar, Directions in Relevant Logic, Raison and argument, Jean Norman and Richard Sylvan (Eds), Volume1, 1989, p25.

- 
- <http://people.bu.edu/bfraser/Relevance%20Theory%20Oriented/Sperber%20&%20Wilson%20-%20RT%20Revisited.pdf>.
  - <http://www.discourses.org/OldArticles/Relevance%20assignment%20in%20discourse%20comprehension.pdf>.  
<https://sites.google.com/site/moeschlerjacques/publications/articles-1996-1995-1994>.
  - [ouargla.dz/documents/Archive/Archive%20Faculte%20des%20Lettres%20et%20des%20Langues/seminaires%20facultes%20des%20lettres/Linguistique%20et%20le%20roman/HAMOU DI%20ssaid.pdf](http://ouargla.dz/documents/Archive/Archive%20Faculte%20des%20Lettres%20et%20des%20Langues/seminaires%20facultes%20des%20lettres/Linguistique%20et%20le%20roman/HAMOU%20DI%20ssaid.pdf)
  - [ouargla.dz/documents/Archive/Archive%20Faculte%20des%20Lettres%20et%20des%20Langues/seminaires%20facultes%20des%20lettres/Linguistique%20et%20le%20roman/HAMOU DI%20ssaid.pdf](http://ouargla.dz/documents/Archive/Archive%20Faculte%20des%20Lettres%20et%20des%20Langues/seminaires%20facultes%20des%20lettres/Linguistique%20et%20le%20roman/HAMOU%20DI%20ssaid.pdf)
  - Waterlot, Martine, L'évaluation et l'enseignement de la cohérence textuelle.



## القصء وإنشاء المغالطة (دراسة حجاجية معجمية)

د. فاتن بن سالم

كلية الآءاب والعلوم الإنسانية بالقيروان / تونس  
[faten.bensalem@yahoo.fr](mailto:faten.bensalem@yahoo.fr)

### الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحديد مفهوم المغالطة باءتماد مقياس القصء. فالمغالطة، كما تقدمها غالبية المعاجم اللغوية والاصطلاحية العربية، ليست مجرد غلط غفل يرتكبه المتكلم في خطابه وإنما هو بالأساس غلط مقصوء يستهدف به المتكلم سامعه بحيث يوقعه في تصورات وأحكام مغالطة لا تناسب مع صدقية الموجودات في الواقع.

وينطلق البحث من إقرار العلاقة الوطيدة القائمة بين مفهومي القصء والمغالطة في تراثنا العربي وذلك من خلال تتبع أهم التعريفات التي قءمت لمفهوم المغالطة. ويركز بالأساس على أبرز التعريفات المعجمية التي ساهم في صناعتها المدارس الفلسفية العربية في هذا المجال. هذا باءتبار أن المغالطة - كما سيتبين من خلال البحث- هي مفهوم منطقي بالأساس، نشأ مع الشروح العربية للأرغانون الأرسطي (organon)، قبل أن يتحول في ما بعد إلى مجالات بلاغية وحجاجية وتداولية أخرى.

وينتهي البحث في هذا القسم منه إلى بيان أهمية "القصءية" في إنشاء مفهوم المغالطة. ويعتبرها، في المنظور العربي القديم، معيارا أصليا في إسناد حكم القيمة: أي في الحكم على كلام ما بأنه مغالطي أو لا. ومن ثم يذهب البحث إلى إقامة مقارنة في هذا الخصوص بين المدونة العربية التراثية والنظرية الغربية السائدة اليوم. ويتجه أساسا صوب ما تقترحه بعض المقاربات البراغما-ديالكتيكية الأنجلوفونية المعاصرة من تغييب لمفهوم القصءية أو إضعافه وتهميشه في الحساب الدلالي للمغالطات.

الكلمات المفاتيح:

الحجاج، القصء، المغالطة، السفسطة، اللغة

## *The Intention and the Creation of Fallacy (Argumentative lexical study)*

Dr. Faten ben Salem

Faculty of Literature and Human Sciences of Kairouan, Tunisia  
faten.bensalem@yahoo.fr

### ***Abstract:***

The development This research aims to identify the meaning of fallacy using the measurement of intention. In fact, fallacy ,as presented by the majority of the linguistic and terminological Arabic dictionaries, is not an inattentively made mistake that the speaker commits in his speech but rather an intentional wrongdoing by which he manipulates the listener so that he falls into the trap of misconception and judgments that doesn't fit the validity of the things in reality.

The research starts with admitting the strong relation that exists between the concepts of "intention" and "fallacy" in our Arab heritage by tracing the most important definitions that were given to the concept of fallacy. And it basically focuses on the main lexical definitions that the Arab philosophical schools contributed to creating in this field. All with taking into consideration that fallacy –as it will be shown in the research– is basically a logical concept created by the Arabic explanation of Aristotle's Organon, before its transition into other rhetorical, argumentative fields later.

The research ends with representing the importance of intentionality in establishing the concept of fallacy, and considers it, in the ancient Arab perspective, an original norm in attributing the judgment of the value; judge the speech as fallacious or not. And then the research tends to make a comparison between the Arab heritage blog and the western theory prevailing nowadays. And it heads mainly to what some contemporary Anglophonic pragmatic-dialectical approach suggests: to absent the concept of intentionality and to weaken it in the rhetorical calculation of fallacies.

### ***Keywords:***

Cognitive sciences, narrative structures, mind, interface interactions, Theory of Mind, mental representations, fictional narratives.

## 0. تمهيد:

"المغالطة" هي مفهوم منطقيّ المحتد، غارق في الأصول الفلسفية الإغريقية. ولكنه نشأ في بيئة عربيّة: أظهره المناطق العرب لترجمة بعض المصطلحات الأرسطية المتعلقة أساسا بالسفسطة.

هذا المصطلح يلقي اليوم اهتماما متزايدا على إثر التحاقه بالمنطق الموسع (اللاصوري) وانفتاحه على إثر ذلك على المباحث الحجاجية أو ما يسميه بعض التارسين اليوم بالبلاغة الجديدة.

وككلّ علم جديد أو متجدّد لابدّ أن تلقى مصطلحاته بعض الصعوبات التعريفية حتّى تستقرّ ويعود إليها ثباتها من جديد.

وفي هذا الإطار أردنا أن نتبع كلمة "المغالطة" تتبعا معجميا تاريخيا لتتعرّف على ظروف نشأتها ولننظر في مدى انسجام المصطلح مع القواعد المعجمية والتصريفية المتحكّمة في اللغة العربيّة، ولنقيس أيضا قدرته على مواكبة التحديثات العلمية الجديدة الداخلة عليه.

## 1. مفهوم المغالطة في المعجم العربيّ القديم وعلاقته بالقصدية:

قد تبدو كلمة "مغالطة" اليوم كلمة متداولة وشائعة، لا يحتاج معظمنا للبحث عن معناها أو استعمالها في المعاجم. وقد يعطينا هذا الذبوع والانتشار الانطباع أيضا بأن الكلمة قديمة في اللغة أصلية في الاستعمال. ولكنّ العودة المتأنيّة إلى المعاجم تفنّد هذه الفكرة وتقدّم طريقة أخرى في التظر إلى هذه الكلمة.

### 1.1. المغالطة في المعاجم اللغوية العربيّة حتّى القرن الرابع الهجريّ:

انطلقنا في البحث من أوّل محاولة معجمية ناجحة قدّمتها لنا الثقافة العربيّة ونقصد بكلامنا كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ). لقد بُني هذا المعجم على نظام حسابيّ صارم يجعلنا

نستبعد أن تفلت منه مفردة معجميّة ما خاصّة إذا كانت مسموعة متداولة. والمفاجئ أنّ الكتاب كان لا يحتوي على كلمة مغالطة. فبالعودة إلى (باب الغين والطاء واللام) من الفعل الثلاثي الصحيح، لم نخط بغير تقليبات بسيطة للمادّة (غ.ل.ط) وهي تقليبات تبدو شحيحة العدد كما أنها لا تعتمد كلمة "مغالطة" كواحدة من جملة الحقل المعجمي المقترح لتوليد الجذر. يقول الخليل "الغلاط: كلّ ما غالطت به. والغلاطة المرّة الواحدة. وغلّطني وأغلّطني فغلطت غلطا"<sup>1</sup>.

وبما أنّنا لا نعتقد أنّ النظام الرّياضيّ الصارم الذي اعتمده الخليل في ترتيب معجمه كان يسمح بتفويت الكلمات الشّهيرة على الأقلّ، فقد قمنا بافتراض مفاده أنّ كلمة "مغالطة" لم تكن معروفة بعد وإلّا لكان الخليل قد ذكرها. وهذا يعني أنّ الكلمة "مغالطة" كانت غريبة في الاستعمال العربيّ حتّى القرن الثاني للهجرة، زمان وضع الخليل معجمه، فمن المعلوم أنّ أصحاب المعاجم لم يدوّنوا في معاجمهم إلّا ما صحّ لديهم من الألفاظ.

يدعم هذا الرّأي ما وجدناه أيضا من غياب للفظ في كتاب "الجيم" لأبي عمرو الشيبانيّ الذي زامن أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث (ت 213هـ). فعلى الرّغم من طابع الجمع المكثّف الذي قام به هذا الكتاب لألفاظ ما يزيد عن الثمانين قبيلة عربيّة، وعلى الرّغم من احتفائه بالغريب إلّا أنّه أيضا -وعلى غرار الخليل- لم يُثبت كلمة "مغالطة"، بل إنه قد أهمل ما وجدنا الخليل أثبتته في الجذر (غ.ل.ط). وفي باب الغين يُثبت كتاب "الجيم" كلمات من قبيل "غلث، مغلّثة، غيطل، مغثّل، غيلات..."<sup>2</sup> من غير إشارة إلى "غلط".

وحثّى إذا سرنا في الزمان أكثر ووصلنا إلى حدود القرن الرابع سنجد أنّ كلمة "مغالطة" لم تكن قد ظهرت بعد. فهذا كتاب "البارع" للبعثدي (ت 356هـ) وهو الذي "دفع حركة التّأليف المعجميّ خطوات إلى الأمام في ما يتعلّق بالمادّة كجّ وكيفا، وزاد على كتاب الخليل نحو ثلاث وثمانين وستائة وخمسة ألف كلمة (والذي) قال عنه الرّبيدي "لا نعلم أحدا من المتقدّمين أو المتأخّرين ألف

<sup>1</sup>. الفراهيدي، (الخليل بن أحمد)، العين، تحق مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائي، ج4، ص 387.  
<sup>2</sup>. الشيباني، (أبو عمرو)، الجيم، تحق: ابراهيم الأبياري، ج3، ص 1-23.

نظيره في الإحاطة والاستيعاب"<sup>1</sup>، هذا الكتاب لم يثبت في زيادته كلمة "مغالطة" وإن كان قد أثبت مثلا "غملط"<sup>2</sup>.

وهذا، أيضا، كتاب "التّهذيب" لأبي منصور الأزهري (ت370هـ) و"هو من أوثق المعاجم اللغوية في تاريخ المعجم العربي"<sup>3</sup> يسير على التهج نفسه ولا يثبت لفظ "المغالطة" في مادته، يقول "غلط الرجل في كلامه وغلط في حسابه غلطا وغلنا. وقال الليث: الغلط: كل شيء يعيا الإنسان عن جهة صوابه من غير تعمد، والأغلوطة: ما يُغلط فيه من المسائل وجمعها أغلوطات وأغاليط"<sup>4</sup>.

وإذا بقينا في سياق القرن الرابع للهجرة فيمكننا القول إن كلمة "مغالطة" لم تكن متداولة حتى أواخر هذا القرن، ذلك أن معجم "مقاييس اللغة" لصاحبه "أحمد بن فارس"، وهو من أبرز علماء الأدب واللغة في أواخر القرن (ت395هـ)، لا يرد على ذكر مغالطة في تعريفه لمادة الغين واللام والطاء، يقول: "الغين واللام والطاء كلمة واحدة وهي الغلط، خلاف الإصابة. يُقال: غلط يغلط غلطا. وبينهم أغلوطة أي شيء يُغالط به بعضهم بعضا"<sup>5</sup>. وهذا التعريف لا يخرج أبدا عن ما سبق أن وضعه الخليل من حدود لتعريف المادة (غ. ل. ط) وإن كان قد أثبت -مبدئيا- كظيره الأزهري مصدرا جديدا للفعل وهو "أغلوطة"، جمعه الأزهري في "أغلوطات" و"أغاليط".

نستنتج من كل هذا أن كلمة "مغالطة" التي لا يكاد اليوم يخلو منها معجم لم تكن موجودة في المعاجم العربية القديمة إلى حدود القرن الرابع، وأن كل ما كان يوجد وقتها هو تقليبات قليلة العدد للجزر (غ. ل. ط) أنى الخليل على ذكرها في كتاب "العين" وبقية كما هي أو تقلص ذكرها في بقية المعاجم. وبقي علينا الآن أن نعرف المعاني التي أشار إليها الخليل في تقليباته.

1. عبد العزيز منوفلي حمد، (إقبال)، المعاجم العربية القديمة بين العجمة والإعجام، ص 166-167.  
2. القالي البغدادي، (أبو عليّ اسماعيل بن القاسم)، البارع في اللغة، تحق هاشم الطّعان، ص 461.  
3. محمد أصلان، (فاطمة)، نشأة وتطور المعاجم العربية، مقدمة معجم تهذيب اللغة للأزهري، ج 8، ص 25.  
4. الأزهري، (أبو منصور محمد بن أحمد)، تهذيب اللغة، ج 8، ص 82.  
5. بن فارس، (أحمد)، مقاييس اللغة، تحق: عبد السلام محمد هارون، ج 4، ص 390.

## 2.1. القصديّة والغلاط:

حين نستذكر التعريف الأوّل الذي وضعه الخليل والذي بقي مهمّنا وكافيا طيلة قرون أربعة ("الغلاط: كلّ ما غالطت به. والغلاطة المرّة الواحدة. وغلّطني وأغلّطني فغلطت غلطا"<sup>1</sup>)، نرى أنّ تعريف "الغلاط" يرجع أساسا إلى الفعل المزيد "غالط" وليس إلى الفعل المجرد "غلط". وبما أنّ "المزيد فيه لا يبدّل لزيادته من معنى"<sup>2</sup> كما يقول الاسترابادي فسيكون من المهمّ البحث في معاني الزوائد التي علّقها الخليل بالفعل غلط.

استعمل الخليل الوزن "فاعل" وفعل "وأفعل" (غالط وغلّط وأغلط). وبالعودة إلى معاني الزيادة في الأفعال سنجد أنّ فاعل تُستعمل عادة للدلالة على معنى المشاركة<sup>3</sup>. والمشاركة تقتضي وجود مُشارك ومشارك "فيكون الأوّل فاعلا صريحا والثاني مفعولا صريحا"<sup>4</sup>. فالفعل "غالط" إذن، يقتضي وجود شريكين أحدهما فاعل "للغلاط" والثاني واقع عليه الفعل. أمّا الوزن "فعل" فيكون "للتكثير غالبا... أي أن يكون لتكثير فاعله أصل الفعل"<sup>5</sup> ومن هنا قدّم الخليل استعمال صيغة الجمع (غلاط) على الاسم المفرد (غلطة). وأمّا "المعنى الغالب في أفعل (فهو) تعدية ما كان ثلاثيا وهي أن يجعل ما كان فاعلا للارزم مفعولا لمعنى الجعل"<sup>6</sup> والتصيير. فأغلطه أي جعله يغلط.

وهذا الجعل والتصيير والجمع والتكثير وإيقاع الفاعل الغلط بمفعوله، كلّ هذا يجعلنا نعتقد أنّ كلّ هذه الأفعال المزيدة المتعلقة بالمصدر "غلاط" هي أفعال قصديّة بالمعنى البسيط الأوّل للقصديّة؛ أي بوصفها توجّها. فالقصديّة كما يعرفها سيرل هي "صفة للحالات العقلية والحوادث التي يتمّ بها التوجّه

<sup>1</sup>. الفراهيدي، (الخليل بن أحمد)، العين، تحق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج4، ص 387.  
<sup>2</sup>. "اعلم أنّ المزيد فيه لغير الإلحاق لا يبدّل لزيادته من معنى، لأنّها إذا لم تكن لغرض لفظي كما كانت في الإلحاق ولا لمعنى كانت عينا" الاسترابادي، (رضيّ الدين)، شرح شافية ابن الحاجب، تحق: محمد نور الحسن وآخرين، ج1، ص83.  
<sup>3</sup>. يقول رضيّ الدين الاسترابادي في شرح شافية ابن الحاجب: "فاعل لنسبة أصله إلى أحد الأمرين متعلّقا بالآخر للمشاركة"، ج1، ص96.  
<sup>4</sup>. المرجع نفسه، ص98.  
<sup>5</sup>. المرجع نفسه، ص92.  
<sup>6</sup>. المرجع نفسه، ص86.

إلى موضوعات العالم الخارجي"<sup>1</sup>. والتوجّه القائم بهذه الأفعال هو قصد الفاعل إيقاع مفعوله في الغلط، وهو ما عبّر عنه الخليل في صيغة (سبب- نتيجة) بقوله: "عَلّطني وأغلطني فـِغَلطت غلطا".

وإذ "يجب أن يكون لدينا انطباع عميق بهذا التطابق الواضح في الدلالات اللفظية والتراكيب التحوّية إذ تمثّل كلّ عبارة حالة قصدية"<sup>2</sup> على حدّ عبارة سيرل، فيجب أن يحصل لدينا الاعتقاد بأنّ استعمال الجذر (غ. ل. ط) كان في بداية استعماله مقرونا بالقصد إلى الفعل. وأنّ المصدر الأوّل المقدم في المعاجم (غلاط) لا يخلو أبداً من القصدية بل إنّ القصد إلى الفعل يعدّ الميسم الرئيسيّ الأوّل في كونه المعجميّ. ونحن هنا نستعمل القصد بالمعنى العاديّ للكلمة، وذلك باعتبار القصد، في معناه العاديّ هو حالة من حالات القصدية.<sup>3</sup> وكأنا بـ"الغلاط" إذن، منذ وضعها الأوّل في المعاجم قد ارتبطت بفعل قصديّ مقصود، أو لنقل بطريقة أيسر أنّ "الغلاط" متعلّقة في مفهومها الأوّل تعلقاً مباشراً بفعل قصديّ واضح: إذ يقصد فاعل "الغلاط" قصداً إلى إيقاع مفعوله في الغلط.

ولنا أن نستنتج بعد هذا أنّ قصدية التعليل قد تقدّم ظهورها في المعجم على ظهور لفظ "المغالطة" وذلك عبر تعلق هذه القصدية بالتوليفات الصرفية الأولى المتولّدة عن الجذر (غ. ل. ط). ويبقى لنا أن نعرف بعد ذلك ما إذا كان ظهور المصطلح "مغالطة" قد حافظ على هذه القصدية أم لا.

## 2. القصدية وظهور مصطلح المغالطة أواخر القرن الرابع:

يعدّ كتاب "الصّحاح تاج اللغة وصّحاح العربيّة" للجوهريّ (ت 393) من المعاجم اللغويّة المبكّرة التي تناولت كلمة "المغالطة" وأردفتها إلى جملة الكلمات الأخرى المكوّنة للحقل المعجميّ لمادّة "غ. ل. ط". يقول الجوهريّ "غلط في الأمر يغلط غلطا، وأغلطه غيره. والعرب تقول غلط في منطقه، وغلّت في الحساب. وبعضهم يجعلها لغتين بمعنى. وغالطه مغالطة. والتعليل أن تقول للرجل غلّطت. والأغلوطة ما يُغلط به من المسائل ونهى رسول الله (ص) عن الأغلوطات ومنه قولهم حدّثته حديثا ليس بالأغاليط".

<sup>1</sup>. سيرل، (جون)، القصدية: بحث في فلسفة العقل، ت: أحمد الأنصاري، ص 21.

<sup>2</sup>. المرجع نفسه، ص 112.

<sup>3</sup>. يقول سيرل "يوجد مستويان للقصدية عند أداء الفعل الكلاميّ، يوجد أولاً الحالة القصدية المعبّر عنها، ويوجد ثانياً "القصد" بالمعنى العاديّ للكلمة". المرجع نفسه، ص 51.

وهذا التعريف مهم في نظرنا من جهتين: الأولى أنّ ظهور كلمة "مغالطة" في التعريف قد تزامن مع إيراد كلمة منطق. والجهة المهمة الثانية أنّ البعد التصديّ الموجود في الأغليط قد أبرز -وحدّة- توجّها دينيّا أخلاقيا في التعامل معها.

## 1.2. ظهور المنطق ونشأة "المغالطة":

لا يمكننا أبدا أن نجزم بأنّ كلمة "منطق" التي وردت في تعريف الجوهريّ لها دلالة على المنطق الفلسفي بمعناه الأرسطيّ ولكن لا يمكننا أن نتجاهل أيضا هذا الاتفاق الزمنيّ (التزامن) الواضح بين الظهور المعجميّ الأوّل لكلمة "مغالطة" وبروز كلمة "منطق" إزائها في نفس الحانة التعريفية وفي نفس الوقت<sup>1</sup>.

وإذا وضعنا هذه المعطيات في سياقها التاريخيّ، وأخذنا بعين الاعتبار ازدهار حركة الترجمة التي أطلقتها بيت الحكمة ببغداد أيام المأمون، وما خُصّت به الفلسفات الاغريقيّة من عناية، سنرى صلة فلسفيّة -معجميّة ما تتعدّد بين ظهور المنطق وظهور الـ"مغالطة".

يقول حاجي خليفة في "كشف الظنون": "لما أفضت الخلافة إلى عبد الله المأمون ابن الرشيد تمّ ما بدأ به جدّه... فداخل ملوك الروم وسألهم وصلة ما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا إليه منها بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطو وقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم. وأحضر لها مخرّة المترجمين فترجموا له على غاية ما أمكن ثمّ كلّف الناس قراءتها ورعّبهم في تعلّمها"<sup>2</sup>.

ويبدو من خلال هذا الشاهد أنّ حركة الترجمة كانت حركة قويّة في بداية القرن الثالث للهجرة وأنها ساهمت في إدخال علوم جديدة في نسيج الثقافة العربيّة. وهذا يشرح ولا شكّ بروز توليفات اشتقاقية جديدة في المعجم العربيّ. ويشرح في ما يشرحه أيضا ولادة لفظ "المغالطة" ونشأته في محاد الفلسفة الوافدة.

<sup>1</sup>. يمكن أن ندعم هذه الملاحظة أيضا بما أورده ابن سيده (ت398 هـ) عن المغالطة في "الحكم والمحيط الأعظم".  
<sup>2</sup>. خليفة، (حاجي)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحق محمد شرف الدّين يالتقاي ورفعت بيلكه، م1، ص34.

لقد كان المعلم الثاني أبو نصر الفارابي (ت 339هـ) من أوائل الذين حاولوا استخراج لفظ منطقيّ عربيّ يُقارب به معنى كلمة "سفسطيا" الاغريقية (أي السفسطة). فكان أن استعمل عبارة مركّبة هي "الأمكنة المغلطة"<sup>1</sup>. وقد تلقّف المناطقة من بعده هذا المركّب وجعلوه واحدا في كلمة "مغالطة" استعملوها جنبا إلى جنب مع كلمة سفسطة. وها هو الشيخ الرئيس ابن سينا (ت 427هـ) يطلق بها الكلام في مؤلفاته فيكتب، في موسوعته "الشفاء"، فصولا عن المغالطة وأنواعها وأسبابها وكيفية الوقوع فيها أو الردّ عليها، ويتحدّث أيضا عن المغالطتين وكيفية مقاومتهم. كلّ ذلك في إطار شرحه للسفسطة وبيان صناعة المشاغبة. حيث إنّ "المغالطة تجمعها جميعا"<sup>2</sup>.

ويمكن أن نستشفّ من هذا الظهور القويّ للفظ "المغالطة" الناشئ، أنّه كان لفظا مستجيبا لمتطلبات المعنى المترجم له من جهة متأصلا في جذر لغته الأصلية من جهة ثانية، وأصبح بذلك داخلا في صميم اللغة الفلسفية العربية، وهي لغة أسهمت مجهودات ابن سينا كثيرا في وضع قواعدها باعتبار تقدّمه الزمانيّ ونزعه الموسوعيّة وتأثيره في من تلاه من فلاسفة. وإذ "حلّت كتبه (ابن سينا) محلّ كتب أرسطو عند فلاسفة الأجيال المتلاحقة"<sup>3</sup>، فقد صارت مفرداته اللغويّة ضربا من المراجع الاصطلاحية التي تواضع عليها الدارسون من بعده وبهذا صار لفظ "المغالطة" مفردة اصطلاحية فلسفية بامتياز.

وانطلاقا من جماع هذه الملاحظات يمكننا القول إنّ الظهور الأوّل للفظ "المغالطة" كان ظهورا اصطلاحيا منطقيّا محضا ابتدعه فلاسفة العرب بغرض التعبير عن صناعة بعينها هي "السفسطيا" وما لّف لها من صناعات مشاغبيّة "غير نافعة"، غير أنّه اتّسع بعد ذلك ليشمل مجالات لغوية أخرى غير منطقيّة ثمّ بلغ في الاتساع حدودا أن تفسّخ في الأذهان مجال اشتغاله الخاصّ الأوّل واندرج في مسار اللغة العامّة غير المختصّة، وهو الحال اليوم أو على الأقلّ حال عدد لا بأس به من التعريفات التي يقدّمها كثير من المعاجم الحديثة والمعاصرة للفظ "المغالطة".

<sup>1</sup>. يمكن هنا الرجوع إلى كتاب "الأمكنة المغلطة" لأبي نصر الفارابي.  
<sup>2</sup>. يقول ابن سينا "عرفت الفرق بين المشاغبيّة والسفسطائيّة وعرفت أنّ المغالطية تجمعها جميعا": ابن سينا، (حسين ابن عبد الله)، الشفاء، تحقّق: أحمد فؤاد الأهواني، ج 4، ص 45.  
<sup>3</sup>. زيتون، (محمد محمود)، اللغة الفلسفية عند ابن سينا.

## 2.2. القصديّة في "المغالطة" وبرزو البعد الديني-الأخلاقي:

لقد سبق وتبيّنّا أنّ البعد القصديّ في قول الخليل "عَلَطَنِي وَأَعْلَطَنِي فَغَلَطْتُ غَلَطًا"؛ إذ القصديّة سمّة ملازمة للجذر "ع. ل. ط" تستصحب بالضرورة استعماله المختلفة. وتحليل المعطيات المعجميّة المرافقة لتعريف هذا الجذر انطلاقاً مما أورده الخليل والجوهريّ يعطينا أنّ الاستعمال العربيّ له قد جرى بحيثيّة أنّ فاعل "الغلاط" يقصد قصداً إلى إيقاع مفعوله في الغلط. فهو إذن فعلٌ عمدٌ تغذوه تية مسبقة في التعليل يقوم بها المتكلّم تجاه السّامع.

وللنظر في طبيعة هذه التّية يكفي أن نرى الجوهريّ يتحدّث عن نهي رسول الله (ص) عن الأغلوطات. فقد روى الأوزاعي عن معاوية مرفوعاً عنه أنّه نهى عليه السلام عن الغلوطات" ورواه غيره "الأغلوطات"<sup>1</sup>. فالنتية الثّابته وراء المغالطة إذن هي تية خبيثة منيّي عنها شرعاً أي أنّها تية محظورة وجب التوقّي منها والابتعاد عنها وحكمها يقترب من حكم المحرّمات الدينيّة.

ويبدو أنّ هذا النهي الشرعيّ قد أثر كثيراً في المعاجم التي تناولت مادّة "المغالطة" عند استقرارها في أدبيات القرن الخامس والسادس للهجرة بعد أن لم تكن تظهر في المعاجم المتقدّمة، فهذا الزّمخشري (ت 537) وقد برّز في جمع المجازات اللغويّة والتّعيرات الأدبيّة يقول في "أساس البلاغة" في مادّة "ع. ل. ط": "إيّاك والمكابرة والمغالطة، وأنهاك عن الأغاليط وأربأ بك عن التخاليط. ونهى رسول الله (ص) عن الأغلوطات وهي المسائل التي يُغالط بها"<sup>2</sup>.

ويسهل هنا ملاحظة أنّ الزّمخشري قد غلبه حسّه الدينيّ فاستعاض عن تعريف المادّة (غلط) بالنهي عنها والتّحذير منها وربطها بالتخليط والمكابرة وهما لفظان يدلّان على المرض العقليّ والتفسيّ. والطريف أن تتصدّر كلمة "المغالطة" هذا الباب لتتولّى هي رئاسته وتصبح العلامة اللغويّة الأبرز على هذا المنهيّ عنه وعلى ما يمكن أن يطرأ على عقل الإنسان أو نفسه من المفاسد.

<sup>1</sup>. عن جامع البيان: "أخبرني سعيد بن نصر، ثنا قاسم بن أصبغ ثنا ابن وضّاح ثنا أبو بكر ابن أبي شيبة. قال: عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن عبد الله بن سعد عن الصّناجحي عن معاوية قال: نهى رسول الله (ص) عن الأغلوطات": ابن عبد البرّ، أبو عمر يوسف، جامع بيان العلم وفضله، تحق: أبو الأشبال الزهيري، ص 1056.

<sup>2</sup>. الزّمخشري، (أبو القاسم جار الله)، أساس البلاغة، تحق: محمد باسل عيون السود، ج 1، ص 707.

وهذا يعني أنّ كلمة مغالطة قد صار لها وضع لغويّ معجميّ يضاهاه بقيّة مفردات الحقل (غلط) أو يفوقها كفاءة. ويمكن أن نعدّ هذا ميزة اصطلاحية محمّمة في كلمة "مغالطة" وسببا مباشرا من الأسباب التي جعلت المصطلح يفيض عن سياجه الفلسفيّ الأوّل ويتنزّل في ما بعد إلى عالم اللغة الطبيعيّة.

وإذا ربطنا هذا بمجهودات ابن سينا في نشر المصطلح عرفنا قيمة هذه المجهودات وأثرها في تطوير اللغة العربيّة وإكسابها كلمات جديدة. ولعلنا نشارك بعض التّقاد ملاحظتهم بأنّ "اللغة الفلسفيّة عند ابن سينا مزاجٌ طريف من اللغة والفلسفة والتّفنيس"<sup>1</sup>. فهذا المزاج قد سمح للكلمة، موضوع البحث، بتشرّب كلّ المعاني القصدية القديمة للجذر وإحاقها بالدلالة الفلسفيّة الحادثة ليتمّ صناعة لفظ أصيل- جديد قادر على حمل كلّ المعطيات اللغوية المتعلّقة بالجذر (غلط) وشحنه الشّحن التّفنيسيّ والأخلاقيّ الملائم له.

ويبدو أنّ هذا المزاج اللّغويّ- الفلسفيّ- التّفنيسيّ قد استحكّم في المصطلح "مغالطة" إلى درجة أنّه قد استطاع أن يحمل إليه كلّ الدلالات اللّغوية والقصدية والدينيّة والأخلاقيّة التي صاحبت الجذر غلط ويصبح هو العلامة اللّغوية الأكثر إفادة دلالية في مجاله.

### 3 - المغالطة واستقرار المصطلح بداية من القرن السادس هجريّاً:

يمكننا اعتبار القرن السّادس، نهايته تحديداً، مفصليّة في تحديد مفهوم "المغالطة". ففيه وصلت الشروح العربيّة للفلسفة الأرسطيّة إلى أوج كمالها. وفي هذا القرن تمّت تأليف ابن سينا ووصلت إلى ابن رشد الحفيد الذي أسندت إليه الثقافة العربيّة لقب الشّارح الأكبر، والذي غزا بشروحه العالم العربيّ والغربيّ أيضاً وكان العلامة الأبرز في هذا الفنّ.

والذي يهّمنا في هذا هو موقف ابن رشد (ت595 هـ) من المصطلح "مغالطة". لأنّ هذا الموقف سيطبع بقيّة المواقف التي عاصرت أو جاءت من بعده، نظرا إلى ذبوع صيت الرّجل وانتشار شروحه.

<sup>1</sup>. زيتون، (محمّد محمود)، اللغة الفلسفيّة عند ابن سينا.

وما يمكن ملاحظته أنّ ابن رشد قد واصل ما كان ابن سينا قد بدأه في وضع كلمة "مغالطة" مجعاً لأبواب الشغب والسفسطة؛ إذ يقول في "تلخيص السفسطة" إنّ "القياس المغالطيّ منه مرّايّ ومشاعبيّ ومنه سوفسطائيّ"<sup>1</sup>، وهذا في الحقيقة عين ما قاله ابن سينا حين عرض للمغالطة في موسوعته "الشفاء"، فقال إنّ "المغالطة تجمعها جميعاً"<sup>2</sup>، يقصد المشاغبة والسفسطة.

وبهذا يتأكد لنا أنّ كلمة "مغالطة" قد صارت أمّا للباب، وأمّا قد تقدّمت على نظرائها المعجميين وظهرت عليهم بعد أن لم تكن. وصحيح أنّ المغالطة ارتبطت في حديث الفلاسفة بالمنطق الأرسطيّ وبالقياس تحديداً لاشتغالها على كلّ قياس فاسد، ولكنّ نسبتها القريبة من لفظ الحديث التّبويّ وأصالة جذرها الاشتقاقيّ وسهولة استعماله جعلتها تدخل بسرعة حين الاستعمال العاديّ الفصيح. وإذّاك تواتر ذكرها في المعاجم اللغويّة العامّة بحيث لم يعد يظهر نسبها الفلسفيّ إلا في المعاجم المختصّة<sup>3</sup>.

### 1.3. المغالطة في المعاجم العامّة:

لا يمكن الادّعاء أنّ كلمة "مغالطة" قد صارت لازمة في تفسير الجذر (غلط) في كلّ المعاجم بدءاً من القرن السادس، ولكن يمكن القول إنّها أخذت تفرض مكاناً مهمّاً لها منذ ذلك الوقت. يؤيّد هذه الفكرة ما وجدناه من حضور للكلمة في معاجم عديدة مهمّة انطلاقاً من ذلك القرن مثل "لسان العرب" و"القاموس المحيط" و"تاج العروس" وغياها أيضاً من بعض المعاجم التي لا تقلّ أهمّيّة مثل "مختار الصحاح".

و"مختار الصحاح" لمحمد بن أبي بكر الرّازي (ت 666هـ) هو كما يدلّ اسمه مختارات من صحاح الجوهريّ، ذكر فيه من الصحاح الأهمّ فالمهمّ واجتنب فيه غريب اللغة وعويصها<sup>4</sup>. وإذا علمنا أنّ

<sup>1</sup>. ابن رشد، (أبو الوليد)، تلخيص السفسطة، تحقق: محمد سليم سالم، ص 57.  
<sup>2</sup>. يقول ابن سينا "عرفت الفرق بين المشاغبيّة والسفسطائيّة وعرفت أنّ المغالطيّة تجمعها جميعاً": ابن سينا، (حسين ابن عبد الله)، الشفاء، تحقق: أحمد فؤاد الأهواني، ج 4، ص 45.  
<sup>3</sup>. يقول إبراهيم بن مراد: "المعاجم المؤلّفة بالعربيّة صنفان: أوّلها وأكثرهما عدداً وأوسعهما انتشاراً وأشهرهما ذكراً هو صنف المعاجم اللغويّة العامّة. وهي معاجم عني مؤلّفوها بتدوين ألفاظ اللغة العامّة التي استعملها الفصحاء من العرب... وثانيهما هو صنف المعاجم المختصّة. وهي معاجم ليست في الغالب من وضع اللغويين المعجميين بل هي من وضع العلماء": بن مراد، (إبراهيم)، المعجم العلمي العربيّ المختصّ حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجريّ، ص 5-6.  
<sup>4</sup>. "اقتصرت فيه على ما لا بدّ لكلّ عالم فقيه، أو حافظ، أو محدث، أو أديب من معرفته وحفظه لكثرة استعماله وجريانه على الألسن، مما هو الأهمّ فالأهمّ، خصوصاً ألفاظ القرآن العزيز والأحاديث النبوية،

كتاب "الصّحاح" قد أثبت لفظ "المغالطة" في حين أسقطها "المختار" فعنى هذا أنّ لفظ "المغالطة" رغم ظهوره القويّ آنذاك فقد ظلّ لفظاً ضعيفاً غريباً عند الصّفويين من المعجميين، أصحاب الموقف المحافظ في اللغة الذين لا يتردّدون في إهمال مثل هذه الألفاظ المستحدثة التي تبقى دائماً هجينة في نظرهم.

فهذا موقف نسجّه للرازي ونحن نعدّه من المعجميين المتأخرين نسبياً (فرغ من تأليف معجمه سنة 660هـ) ولكنّ كثيراً من المعاجم الشهيرة لم تبد تحمّظاً إزاء لفظ "المغالطة" بل إنّها دعمت حضور المادّة وأسهمت في شرحها. ومن ذلك ما وجدناه في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) في مادّة غلط. يقول: "الغلط: أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه وقد غلط في الأمر يغلط غلطا وأغلطه غيره، والعرب تقول: غلط في منطقته وغلّت في الحساب غلطا وغلّتا، وبعضهم يجعلها لغتين بمعنى. قال: والغلط في الحساب وكل شيء، والغلّت لا يكون إلا في الحساب. قال ابن سيده: ورأيت ابن جني قد جمعه على غلاط، قال: ولا أدري وجه ذلك. وقال الليث: الغلط كل شيء يعيا الإنسان عن جهة صوابه من غير تعمد. وقد غلّطه مغالطة. والمغالطة والأغلوطة: الكلام الذي يغلط فيه ويغالط به؛ ومنه قولهم: حدثته حديثاً ليس بالأغاليط. والتغليط: أن تقول للرجل غلّطت. والمغالطة والأغلوطة: ما يُغالط به من المسائل، والجمع الأغاليط. وفي الحديث: أنه، صلى الله عليه وسلم، نهى عن الغلوطات، وفي رواية الأغلوطات؛ قال الهروي: الغلوطات تركت منها الهمزة كما تقول جاء لحمم بترك الهمزة، قال: وقد غلط من قال إنها جمع غلوطة، وقال الخطابي: يقال مسألة غلوط إذا كان يغلط فيها كما يقال شاة حلوب وفرس ركوب فإذا جعلتها اسماً زدت فيها الهاء فقلت غلوطة كما يقال حلوبة وركوبة وأراد المسائل التي يغلط بها العلماء ليزلوا فيهبج بذلك شر وفتنة، وإنما نهى عنها لأنها غير نافعة في الدين ولا تكاد تكون إلا فيما لا يقع، ومثله قول ابن مسعود: أنذرتكم صعاب المنطق؛ يريد المسائل الدقيقة الغامضة. فأما الأغلوطات فهي جمع أغلوطة أفعولة من الغلط كالأحدوتة والأحجوبة"<sup>1</sup>.

وانطلاقاً من هذا التعريف يمكن أن نستنتج أنّ الحقل المعجميّ لمادّة غلط قد اتسع اتساعاً كبيراً، فقد استعمل ابن منظور (غلط غلطا وغلّتا وغلّطا وأغلط وأغلطت ومغالطة ومغلطة وأغلوطة وأغاليط وغلوطات وأغلوطات وغلوط وغلوطة). وهذه الاستعمالات تبدو متطوّرة جداً مقارنة بمن

وتيسيراً على طلاب العلم اجتنبت فيه الغريب وعويص اللغة: الرازي، (محمد بن أبي بكر عبد القادر)، مختار الصّحاح، خطبة المؤلف.  
<sup>1</sup>. ابن منظور، (محمد بن مكرم)، لسان العرب، م 7، ص 363.

سبقها. وهذا أمر طبيعي في معجم جامع لكسان العرب، والمعروف أنّ لسان العرب قد "جمع الجهرة لابن دريد والتهذيب للأزهري والصحاح للجوهري والمحكم لابن سيده والنهاية لابن الأثير وأمالي ابن بري وبلغ عدد موادّه ثمانين ألف مادّة. وهذا العدد لم يجتمع مثله في أيّ معجم آخر من المعجمات القديمة من قبله ولا من بعده"<sup>1</sup>.

وما يمكن ملاحظته من مادّة لسان العرب أنّه:

- ربط الغلط بالمنطق (العرب تقول غلط في منطقه)، ولكنّه يطلق كلمة منطوق ولا يشير إلى معنى مخصوص أو اصطلاحيّ للمنطق.

- جعل الغلط عن غير عمد. فعنصر قصد المتكلم في الغلط غير موجود في المجرّد "غلط".

- جعل "المغالطة" مصدرا للفعل "غالط"، يقول: "غالطه مغالطة"، وهذه إشارة إلى عنصر التعمّد الموجود في المزيد "غالط" وإعلان عن قصدية التعليل التي يريد المتكلم إيقاعها بالسامع محمولة كلّها في ألف الزيادة.

- قدّم المصدر الميميّ مغالطة على بقية المصادر الأخرى الممكن تعليقها بالفعل غلط، وفي هذا استجابة لما رأينا أنّ كتب المنطق الرشديّة والسينويّة من قبلها قد فرضته.

- استخراج مصدرا ميميّا أرفده إلى المصدر القياسيّ "مغالطة" هو "مغلطة" وهذه ملاحظة تدعم سابقتها التي تقول بالأثر الواضح للفلسفة والتراجم الفلسفيّة في المعجم العربي الخاصّ بهذه المادّة.

- ربط "مغلطة" أيضا بالفعل غلط. (المغالطة ما يغلط به من المسائل). فكأنّا بالفعل "غالط" آخذ في السير ليصبح عدليا دلاليّا للفعل "غلط"، مختصّا بحمل دلالة القصد والتعمّد عنه.

وغير بعيد عن ابن منظور زمانيّا، نرى للفيروزبادي (ت 817هـ) أيضا حقلا معجميّا ثريا اشتمل على (غلط وغلّت) (بالتاء) ويغلط فيه ويغلط به وغلوطه وأغلوطه ومغلطة ومغلط ومغلط ومغلط (وغلط)<sup>2</sup>. ورغم أنّ الفيروزبادي لم يسهب في الشرح إسهاب ابن منظور، إلاّ أنّه تسهل عنده ملاحظة

<sup>1</sup> محمد أصلان، (فاطمة)، نشأة وتطور المعاجم العربيّة، مقدّمة معجم تهذيب اللغة للأزهري، ج 1، ص 21.

<sup>2</sup> "الغلط: أن تعيا بالشّيء فلا تعرف وجه الصّواب فيه، وقد غلط كفرح في الحساب وغيره، أو خاصّ بالمنطق، وغلّت بالتاء في الحساب، والغلوطة كصبورة، والأغلوطة بالضّم، والمغلطة: الكلام يُغلط فيه، ويُغلط

أنّ المتعلّقات المميّية المرتبطة بالمزيد من غلط آخذة في الزيادة؛ إذ نسجّل دخول صيغة المبالغة (مغلّاط) إلى جانب المصادر المميّية والقياسيّة (مغلطة ومغلّطة).

وفي "تاج العروس" للزبيدي وهو شرح لـ"القاموس المحيط" يفيض الزبيدي (ت 1206هـ) أكثر في شرح مادّة غلط ويستدرك كثيرا من المتعلّقات المميّية للمزيد من غلط، ويقدم مادة دسمة تعادل ما رأينا "اللسان" قد قدّمه أو تفوقه. حيث قال: "الغلط محرّكة: أن تميّا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه. كذا في المعجم، وزاد اللّيث من غير تعمد. غلط بالطاء خاص بالمنطق، وعلت (بالتاء) في الحساب. والغلوطة كصبورة وكذلك الأغلوطة بالضمّ. وأيضا المغلطة بالفتح (الكلام يُغلط فيه). وقيل الغلوطة والأغلوطة ما يُغالط به من المسائل العالم لئستزّل ويُستسقط رأيه. وفي الصّحاح: الأغلوطة ما يُغلط من المسائل ونهى عليه السّلام عن الأغلوطات، ومنه قولهم حدّثته حديثا ليس بالأغليط. قلت: ورؤي: نهى عن الغلوطات، ويقال مسألة غلوط كشاة حلوب وناقرة ركوب. وإذا جعلتها اسما زدت فيها الهاء، قاله الخطابي. وقال أبو عبيد الهروي: الأصل فيها الأغلوطات، ثم تركت الهمة، قال وقد غلط من قال: هي جمع غلوطة، وقال القتيبي: وإتّما نهى عن ذلك لأنها غير نافعة في الدّين، ولا يكاد يكون فيها إلا ما لا يقع أبدا، ومثله قول ابن مسعود: أنذرتكم صعب المنطق. يريد المسائل الدّقيقة الغامضة. (والمغلّاط بالكسر، الكثير الغلط) من الرّجال، قال رؤبة: فبئس عَضّ الخرف المغلّاط والوغل ذي النّيمة المخلّاط (والتّغليط: أن تقول له غلّطت) نقله الجوهري، وقد غلّطه وغلّطه مغالطة وغلّاطا، بالكسر).

ومّا يستدرك عليه أغلّطه إغلاطا: أوقعه في الغلط، كغلّطه تغليطا. ويجمع الغلط على أغلاط. قال ابن سيده: ورأيت ابن جني قد جمعه على غلاط، قال ولا أدري وجه ذلك. ورجل غلطان، كسكران. وكتاب مغلوط: قد غلط فيه، وكذلك حساب مغلوط وغلط ومُغلط. وهو غلاط كشّداد كثير الغلط. ويقال: وقع فلان في المغلطة، أي الغلط، وهو مغلطاني، بالفتح يغالط الناس في حسابهم<sup>1</sup>.

به. والمغلّاط بالكسر: الكثير الغلط. والتّغليط: أن تقول له غلّطت، وغلّطه مغالطة وغلّاطا": (الفيروزيادي)، القاموس المحيط، محمّد بن يعقوب، تحقّق: محمد نعيم العرفوسوسي، ص 680.  
1. الزبيدي، (محمد مرتضى الحسيني)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقّق: عبد الستار أحمد، ج 19، ص 516-518.

وهذا التعريف يقدم قائمة ثرية من المولدات المتعلقة بالمادة "غلط" تزيد عن العشرين كلمة هي: غلط، غلت، غالط، أغلط، غلّط، غلطّ، غلوطة، أغلوطة، مغلطة، أغلوطات، أغليط، غلوطات، غلوط، مغلاط، مغالطة، غلاط، إغلاط، تغليط، أغلاط، مُغلط، غلاط، مغطانيّ.

ويبدو من خلال الثراء التوليدي أنّ الجذر غلط قد صار مادة معجمية رئيسية في معاجم القرن التاسع عشر بعد أن كان يُستسقط في كثير من المعاجم الأولى والمعاجم الصّفوية. ويظهر أيضا أنّ معظم المولدات قد تعلّقت بالمزيد من غلط وليس بالمجرّد منه، وهذا يعني أنّها تحمل في ذاتها قصدية فعل التغليط القائمة على سوء التّية والاحتجاج الزائف. وبالتالي فإنّ كلّ المتعلّقات المبيّنة الصّادرة عن المزيد هي مرشحة لحمل مقصدية التغليط ونخصّ من ذلك تحديدا المصدر القياسي "مغالطة" ونلحق به مغلاط ومُغلط ومغلاط ومغلطانيّ. أمّا "مغلطة" فيبدو أنّه بالإمكان تعليقها بالمجرّد والمزيد معا (غلط وغالط) وبالتالي فإنّها قد تحمل قصد التغليط وقد لا تحمله.

### 2.3. المغالطة في المعاجم المختصة:

"مع اتساع الفتوحات وازدهار فنّ الترجمة ظهر نوع من المؤلفات قامت بجمع مصطلحات العلوم والفنون وشرحا معقدة على ترتيب المعجم ولعلّ مفاتيح العلوم للخوارزمي (ت387هـ) من أقدم المصنّفات التي اهتمت بتعريفات مصطلحات العلوم والفنون، ثمّ جاء كتاب التعريفات للجرجاني (ت816هـ)<sup>1</sup>.

وسنعود في موضع لاحق لكتاب الخوارزمي، ونأتي الآن على ما جاء في "التعريفات"، قدّمناه لأنّ هذا الكتاب كان المنطلق الأهمّ لما جاء بعده من الكتب الاصطلاحية. ولقد "لقبه صاحب الكشّاف بالسيد السند"<sup>2</sup>. والحقيقة أنّ كتاب الشريف الجرجاني كان ضابطا لعلوم عصره وما تلاه، وما زالت الدراسات المتخصصة حتى يومنا هذا تعتمد عليه وترجع إليه في تحديد المفاهيم والمصطلحات.

<sup>1</sup>. المنشاوي، (محمد صدّق)، مقدّمة معجم التعريفات للجرجاني، ص3.  
<sup>2</sup>. العجم، (رفيق)، إشكالية المصطلح بين اللفظ والمعنى، مقدّمة "كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم" تحق: رفيق العجم وعلي صXX.

## أ. المغالطة عند الجرجاني:

يخصّص الجرجاني لمادة المغالطة موضعين: يقول في الأول "المغالطة: قياس فاسد إمّا من جهة الصورة أو من جهة المادة... وقيل المغالطة مركبة من مقدّمات شبيهة بالحقّ ولا يكون حقًا ويُستى سفسطة أو شبيهة بالمقدّمات المشهورة وتسمّى مشاغبة"<sup>1</sup>. ويقول في موضع يليه "هي قول مؤلّف من قضايا شبيهة بالقطعيّة أو بالظنيّة أو بالمشهورة"<sup>2</sup>.

وقد يبدو للتأظر أنّ الجرجاني متردّد في ضبط مفهوم المصطلح بدليل قسمته على موضعين وتقديمه لثلاثة تعريفات. ولكنّ ذلك راجع في الحقيقة إلى طبيعة المصطلح في ذاته، فهو الذي يفرض هذا التعدد المفهوميّ وذلك بناء على اختلاف زاوية النظر. فمن المعلوم أنّ المغالطة هي خروج عن قواعد المنطق وأن هذا الخروج ليس له قوانين تضبطه أو مجالات تحدّه ولذلك يصعب تقديم تعريف جامع مانع له. ولذلك حاول الجرجاني أن يأتي على أهمّ التعريفات له، فقدّم التعريف الأول وهو عن المعلّم الأول أرسطو وضعه في مقدّمة كتاب "التبكيّات السفسطائيّة"، ثمّ قدّم التعريف الثاني وهو عن الشّخ الرئيس ابن سينا وضعه في كتاب الشفاء وقد عرضنا له آفنا، وهذان التعريفان لرئيسي المنطق الإغريقيّ والإسلاميّ جمعها في الموضوع الأول. أمّا التعريف الثالث فهو ينظر إلى المغالطة بحسب طبيعة المجال الذي تنتمي إليه قضاياها (البرهان، الجدل، الخطابة)، ويبدو أنّه تعريف تأليفيّ أقلّ شهرة من سابقه ولعلّه راجع إلى محاولة المؤلّف استقصاء معنى المغالطة في كلّ المدوّنة المنطقيّة وهي مدوّنة قد شهدت في عصره تفرّعات كثيرة ومدارس مختلفة.

وما يمكن ملاحظته أيضًا أنّ الجرجانيّ قد ربط المغالطة بالسفسطة. وجعل السفسطة جزءا من المغالطة أو نوعا خاصًا منها جريا على ما سنّه لها ابن سينا في "الشفاء". ولكنّه في موضع آخر، في تعريف مادة سفسطة يقول: "السفسطة: قياس مركّب من الوهميّات والغرض منه تغليب الخصم وإسكاته"<sup>3</sup>. و"الوهميّات هي قضايا كاذبة يحكم بها الوهم في أمور غير محسوسة"<sup>4</sup>. و"الوهم هو إدراك

<sup>1</sup>. الجرجاني، (محمد السيّد الشريف)، التعريفات، تحق: محمد صديق المنشاوي، ص 187.

<sup>2</sup>. المرجع نفسه، ص 187.

<sup>3</sup>. المرجع نفسه، ص 102.

<sup>4</sup>. المرجع نفسه، ص 214.

المعنى الجزئي المتعلق بالمعنى المحسوس<sup>1</sup> و "الوهم هو قوة جسمانية للإنسان محلها آخر التجويف الأوسط من الدماغ وهذه القوة حاکمة على القوى الجسمانية كلها"<sup>2</sup>. وإذا تمعنا مليا في هذه التعريفات المقدمة للوهم وربطناها بالفسفة وقرنا بينها وبين مفهوم المغالطة وجدنا أن الحدود بين مفهومي السفسطة والمغالطة غير واضحة المعالم. فالمغالطة في بابها متقدمة على السفسطة ولكن السفسطة في بابها مقدمة على المغالطة؛ لأن ربط السفسطة بالقوى الإنسانية المتحكمة فيه دوننا عن المغالطة يعطينا بطريق غير مباشر أن مصطلح السفسطة هو المصطلح الأصل في المجال.

ولهذا الأمر في الحقيقة ما يبرره، لأن مفهوم المغالطة كما قدمه المنطقة هو ضرب من الترجمة لمفهوم السفسطة. ولكن الترجمة المقترحة أبت على الكلمة الأصل (سفسطيا) بل وجعلتها جزءا تابعا لها؛ إذ المغالطة تشتمل عند المنطقة على فرعي السفسطة والمشاعة. وهذا الاشتغال أدخل إرباكا على اللفظ الجديد المولد (مغالطة)؛ لأن المصطلح الأصلي سفسطيا يعود أحيانا ليسيير على مجالات حيوية في اللغة لم تصل إليها يد المنطق العربي بعد، أو بقيت ضعيفة فيها، ومن ذلك ما رأيناه في ما يتعلق بالقوة الوهمية عند الإنسان، وهي قوة "حاکمة على القوى الجسمانية كلها" ولكنها عند كذبها ترتبط في المعاجم بالسفسطة وليس بالمغالطة والحال أن المغالطة أولى، لأنها في وضع المنطقة العرب أصل لهذا الباب.

ولعل ما زاد الأمر تعقيدا هو اعتماد طريقتين في ترجمة المفهوم الواحد وهو ما ذكره الفارابي؛ إذ يقول في كتاب الحروف "إذا حدثت ملة في أمة لم تكن لها ملة قبلها... فإذا احتاج واضع الملة إلى أن يجعل لها أسماء، فإما أن يخترع لها أسماء لم تكن تُعرف عندهم قبله، وإما أن ينقل إليها أسماء أقرب الأشياء... وربما استعمل أسماء شرائع تلك الملة بعد أن يغير تلك الألفاظ تغييرا تصير بها حروفها وبنيتها حروف أمته وبنيتها ليسهل النطق بها عندهم"<sup>3</sup>.

فالمناطق العرب قد اعتمدوا في ترجمة مفهوم السفسطيا على طريقة اختراع اللفظ "مغالطة" وهو ما نسميه اليوم بالتوليد الشكلي؛ إذ اشتقوا من الفعل غلط المصدر "مغالطة" وجعلوه خاصا بهذا المعنى، إذ اللفظة لم تكن موجودة من قبل. واعتمدوا أيضا وبالإضافة إلى ذلك على طريقة الاقتراض

1. المرجع نفسه، ص 214.

2. المرجع نفسه، ص 213.

3. الفارابي، (أبو نصر)، كتاب الحروف، تحق محسن مهدي، ص 153.

وهو "تصيير حروف الغير وبنيته حروف الأمة" على حدّ عبارة الفارابي. وبالتالي فقد صار عندنا مصطلحان للمفهوم الواحد. وهذا ما أدخل قدرا من الإرباك على المصطلح المولّد الجديد "مغالطة"، خاصّة وأنّه وضع جنبا إلى جنب مع المصطلح الوافد "سفسطة" وإن كان الجماعة قد أعطوه الرّئاسة عليه. والحقيقة أنّ هذا الأمر يمكنه أن يشرح لنا أيضا سببا من أسباب إهمال (أو عدم تفتّن) المعاجم العامّة للحقيقة الاصطلاحية لكلمة "مغالطة" وإدراجها في مادة غلط دون تمييز لها في كثير من الأحيان.

يدعم هذا الرأي في الخلط الاصطلاحيّ بين السفسطة والمغالطة ما وجدنا الخوارزميّ (ت387هـ) يشير إليه في المقالة الثانية في الباب الثاني من المنطق؛ إذ يقول "سوفسطيقا ومعناها التّحكّم، والسّفسطائيّ هو المتحكّم، يذكر فيه وجوه المغالطات وكيف التّحرّز منها والسّفوسطائيّون هم الذين لا يثبتون حقائق الأشياء"<sup>1</sup>. فالسفسطة في هذا التعريف هي التّحكّم؛ أي التّظاهر بالحكمة وموضوعها ذكر وجوه المغالطات. فالمغالطات إذن، هي موضوع السفسطة أو السّفسطيقا، ولا فرق بينها وبينها إلّا بما يقوم به الفرق بين التّال ومدلوله. ويبدو أنّ الخوارزمي كان من السّباقيين إلى وضع المصطلحات التّاجمة عن العلوم الوافدة. و"مفاتيح العلوم" كانت فاتحة علم المعاجم الاصطلاحية أيضا فمعجمه كان أسبق المعاجم لم يصلنا قبله معجم في ما علمنا.

وقد يكون ابن سينا متأثر به في اختيار مصطلح المغالطة، ولكنّه عدل عن التسوية بين المغالطة والسفسطة، لصالح تغليب المغالطة؛ إذ جعل السفسطة جزءا منها، وأجرى ذلك قاعدة في المنطق العربيّ سار عليها كلّ من تلاه. في حين أنّ الخوارزمي سوّى بين السفسطة والمغالطات ولم يجد رأيه بعد ذلك صدى كبيرا في المؤلّفات المنطقية.

ولكنّ أثر الخوارزمي بقي ولا شكّ ثاويا في اللغة وسنرى أنّه ظهر بعد ذلك بقوّة في المعاجم اللغوية المعاصرة؛ لأنّ هذه المعاجم تسوّي في كثير من الأحيان بين المصطلحين وتدخّلها في باب المترادفات. ويذكر للخوارزمي أيضا سبته لإظهار كلمة "مغالطات" وهي جمع "مغالطة"، لم نر أيّا من

<sup>1</sup>. الخوارزمي، (محمد بن أحمد بن يوسف)، مفاتيح العلوم، تحق: ابراهيم الأبياري، ص176.

المعاجم اللغوية أو المختصة قد أثبتت حتى الآن. ولكن هذا الجمع سيظهر بعد ذلك في المعاجم المعاصرة وفي الدراسات المتخصصة أيضا<sup>1</sup>.

#### ب. المغالطة بعد الجرجاني:

لقد سار الكفوي، في القرن الثامن عشر (1094هـ)، على خطى الجرجاني ولكن سيره كان على سبيل التلخيص والاختصار. فقد اكتفى الكفوي بالتعريف الأوتوي الأشهر للمغالطة، يقول: "المغالطة قياس مركب من مقدمات شبيهة بالحق ويُسمى سفسطة أو شبيهة بالمقدمات المشهورة ويسمى مشاغبة"<sup>2</sup>. فهو إذن، أيضا يجمع بين كلمتي سفسطة ومغالطة ويقدم المغالطة على السفسطة ويجعلها أما للباب جريا على ما أقره الشريف الجرجاني من سنن المناطقة.

ولكن ميزة "الكليات" أنها فصلت بين "المغالطة" و"الأغلوطة". و"الأغلوطة" هي الكلام الذي يُغلط فيه ويغالط به" فهي إذن، تقوم في اللغة بمعنى "المغالطة" فيم تختص "المغالطة" عنده للاصطلاح ولا تستعمل في عامة اللغة، وفيه وعي عميق بالمعنى الاصطلاحي المنطقي الدقيق لكلمة "مغالطة"، وهو معنى لا يجوز التنزل به عنده إلى الاستعمال العادي. فإذا أراد المرء أن يحيل على معنى التعليل فعليه استعمال كلمة "أغليط" لا كلمة "مغالطة". ولعله مال إلى "الأغليط" بعينها دوناً عن المودات الأخرى باعتبار أصالة الكلمة وقدمها واتمائها إلى مدونة الحديث. وفي هذا موقف انتقائي للكلمات ينبنى على معرفة عميقة بالتاريخ اللغوي والمنطقي لهاته المفردات ومحاولة أيضا لرسم حدود فاصلة بينهما. فلا يسمح عند الكفوي باستعمال كلمة مغالطة خارج السياق المنطقي الأرسطي وهو ما رأينا وسنرى أن معظم المعاجم من قبله ومن بعده قد أهملته وواصلت إهماله.

أما "كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" للتبناوي، وهو من المعاجم الاصطلاحية المتأخرة، فقد خصص مقالا طويلا للحديث عن "المغالطة" حاول فيه أن يأتي على كل كتب القوم في هذا الخصوص وأن يناقشهم فيها أيضا. ومقال التبناوي يُشعر أكثر من غيره بأهمية المغالطة وقيمتها كصناعة

<sup>1</sup>. لعله من المفيد هنا أن نضيف أن وضع المصطلحات لا يخضع للقواعد العلمية فحسب ولكنه يخضع أيضا لقواعد أخلاقية يرفعها إلينا قول ابن حزم في "الفصل": "لا يحل لأحد صرف لفظة معروفة المعنى في اللغة عن معناها الذي وضعت له في اللغة"، وهذا يعني أن مراعاة قواعد اللسان في وضع المصطلح هو شرط علمي وديني معا، دونه الوقوع في ما لا يحل. راجع ابن حزم، (أبو محمد علي بن أحمد)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3، ص50.

<sup>2</sup>. الكفوي، (أبو البقاء أيوب بن موسى)، الكليات، ص849.

في ذاتها. يقول: "المشهور في كتب القوم أنّ الصنّاعة الحامسة هي المغالطة التي تحتها السفسطيا"<sup>1</sup>، وهذه الصنّاعة لها منافعها ككلّ الصناعات، رغم أنّها كاذبة إلا أنّها تنفع بالعرض، وهي صعبة الحصر، وجماع مفهومها عند المنطقيين "قياس فاسد إمّا من جهة الصّورة أو من جهة المادّة أو من جهة معناها معاً والآتي بها غلط في نفسه مغالط لغيره"<sup>2</sup>. والطّريف في تعريف التّهانوي أنّه أدرج الغلط في المغالطة وهذا يضرب مباشرة عنصر القصدية، فالمغالطة مصدر قياسي من الفعل المتعدّي غلط أي الفاعل مفعوله وليست من اللازم غلط الذي يوقع الفعل على النفس. وهذا ما رأينا كلّ المعاجم اللغوية والاصطلاحية السابقة قد بنت عليه تعريفاتها. ونعتقد أنّ السبب في هذا الموقف الذي يتبنّاه نصّ التّهانوي واقع بالترجمة. فنصّ "الكشاف" فارسيّ الأصل منقول إلى العربيّ، وهذا هو سبب الاضطراب. ولا نظنّ أنّ التّهانوي أراد أن يحدث في المسألة أمراً. وإن كانت مسألة رفع عنصر القصد عن المغالطة قد صارت قضية في ذاتها في المؤلفات الحديثة.

#### 4. القصد و"المغالطة" في المعاجم والدراسات الحديثة:

##### 1.4. المغالطة في المعاجم المعاصرة: اضطراب المفهوم وقلق المصطلح:

قد لا يكون مفيداً هنا التوقّف طويلاً عند كلمة "مغالطة" في المعاجم الحديثة. لأنّ معظم هذه المعاجم (حتى المشهورة منها والمعتبرة) لم تقم بغير إعادة الإرث المعجميّ المتقدّم وتكريره بطريقة ميسّرة ومختصرة في غالب الأحيان.

وحسبنا أن ننظر في "المنجد في اللغة والأعلام" في طبعته الثالثة والثلاثين لنفهم أنّ معاجمنا المعاصرة (حتى الأكثر تداولاً بينها) لم تقد شيئاً ممّا قدّمته المعاجم المختصة في شأن "المغالطة". وعاملت المفردة كما يعامل أيّ مصدر عاديّ من مصادر الفعل. ويمكن أن نتأكد من هذا إذا عدنا إلى "البستان" أو "الوسيط" أو "الجامع" أو "الزائد" أو "الغني" أو "العربيّ المعاصر" وغيرهم كثير ممّا تزخر به المكتبات العربيّة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> التّهانوي، (محمد علي)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقق: رفيق العجم وعلي دحروج، ص1603.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص1602.

<sup>3</sup> ورد في "المنجد" غلط غلطاً في الأمر: لم يعرف وجه الصّواب فيه. فهو غلط والأمر مغلوط فيه. غلطه نسبه إلى الغلط. غلط غلطاً ومغالطة، وأغلطه أوقعه في الغلط. تغلط القوم غلط بعضهم بعضاً. الغلط

ومعنى هذا أنّ المعاجم المعاصرة تُبقي على العلاقة القائمة بين الفعل "غالط" والمصدر مغالطة وهي بذلك تحافظ على معنى القصد وسوء النية الأول الذي نشأت في ظلّه كلمة "مغالطة". فالمغالطة إذن، لا تجري على سبيل الخطأ الغفل، ولكنّها غلط مقصود يوقعه المتكلمّ بسامعه عن سابق نية وإضرار خبيث. وهي (المعاجم) وإن كانت لا تشير إلى الموقف الفقهيّ من المغالطة لكونها في الغالب لا تستعيد نصّ نهي النبيّ عنها في الحديث، إلّا أنّ فحوى التعريف يحمل في الغالب ذلك باعتبار أنّ هذه التصوص هي اختزال وتلخيص في مجملها لما تقدّم من التعريفات.

وهذا في الحقيقة يُحسب لهذه المعاجم: كونها استطاعت، رغم إكراهات التيسير والاختصار، الاحتفاظ بالمعنى الأصليّ الأهمّ الذي يميّز غلط عن غلط ويسم بالتالي "المغالطة" بميسم سوء القصد وفساد النية.

ولكنّ هذه المعاجم أهملت تماما الصلة المعجمية التاريخية القائمة بين "المغالطة" والمنطق؛ إذ لا يمكننا ونحن نقرأ تعريفات "المغالطة" المختلفة أن نتكهن بالولادة الشكلية الاصطلاحية لكلمة "المغالطة" ولا بالعلاقة الوطيدة القائمة بينها وبين الفلسفة الإغريقية باعتبارها لفظا تقنياً فنياً وضعه المناطقة خصيصاً لترجمة بعض معاني الأركان المتعلّقة أساساً بالسفسطة.

ولكننا في المقابل نلاحظ دخول اللفظ "سفسطة" على هذه المعاجم واستثناؤه الدائم بمادّة تعريفية أو حتّى أكثر. وهذا اللفظ لم يكن موجوداً في المعاجم المتقدّمة فلا يمكن العثور عليه مثلاً في "لسان العرب" ولا في "مختار الصحاح" ولا حتّى في "تاج العروس" باعتباره من المعاجم المتأخّرة نسبياً (ق 18 م). في حين أنّ اللفظ صار مادّة ثابتة في المعاجم والقواميس العربية المعاصرة.

وهي (السفسطة) وإن كانت لفظاً مقترضاً معاراً من اللاتينية إلّا أنّها أصبحت في بعض المعاجم وكأنّها لفظ من مادّة أصل؛ إذ لا يندر أن نجد تعريفاً من قبيل: "سفسط يُسفسط سفسطة فهو

(مصدر) الخطأ. ويجمعها بعض الكتاب على أغلاط وهذا لحن لأنّ المصدر الثلاثي لا يُجمع وما ورد منه مجموعاً فغير فصيح.. المغلطة جمع مغالط والأغلوطه ج أغلوطات وأغاليط. والغلوطه ما يُغلط به من المسائل المهمة أو ما يغلط فيه أو يكثر الغلط فيه. ويقال هذه مسألة غلوطه أي يغلط فيها كثيراً. المغلاط كثير الغلط". عن المنجد في اللغة والأعلام، ص 557. وورد في "البستان": "غلطه تغليطاً قال له غلطت. غالطه مغالطة: أوقعه في الغلط. تغالط القوم: غالط بعضهم بعضاً، الغلوطه: الكلام يغلط فيه. الأغلوطه كأحدوثه، الغلوطه ج أغاليط وأغلوطات. المغلاط: الكثير الغلط، المغلطة: الغلوطه، ج مغالط": البستاني، (عبد الله)، البستان، ط 1، ص 791.

مُسْفِط<sup>1</sup>. ومثل هذه التعريفات لم تكنف بإدراج اللفظ اللاتيني معرّباً (أي: مكتوباً بحروف العربية) وإثماً جعلت له جذراً رباعياً وفعلاً يشتق منه ويصرف ويستخرج منه المصدر واسم الفاعل واسم النسبة...

وإذا ما قارنا هذه الخطوة التي عوم لها اللفظ "الدخيل" سفسط مع الفعل "غالط" في المعاجم المعاصرة سنرى بسهولة ميلان الكفة المعجمية لصالح اللفظ اللاتيني على حساب اللفظ العربي. وبالرغم من أنّ اللفظ "مغالطة" كان وعلى امتداد قرون متطاولة مهميناً "اصطلاحياً" في المدونة المنطقية العربية على لفظ "سفسطة" إلا أنه من الواضح أنّ هذا الرّجحان التاريخي لم يؤثّر أبداً في المعاجم العربية المعاصرة كما لم يؤثّر فيها، قبل ذلك، انعدام وجود أصل عربي للكلمة.

وقد يُعزى الأمر إلى العوامل الحضارية التي مرّت بها الثقافة العربية، وقد يبدو حال المصطلح "مغالطة" في المعاجم دليلاً صادقاً على هيمنة الثقافة الغربية الوافدة على حساب الثقافة الأصلية، ومن ذلك أن حظي اللفظ الوافد بأهمية أكبر من اللفظ الأصلي في اللغة. يمكننا إن شئنا أيضاً أن نكبر زاوية النظر فنقول إنّ اللفظ "مغالطة" هين معجمياً واصطلاحياً على لفظ "سفسطة" زمان قوّة الحضارة العربية وهيمنتها ثمّ عادت الآن الكثرة "للسفسطة" على حساب "المغالطة" نظراً إلى انقلاب الأوضاع.

ولكنّ تأويلاً كهذا قد يعتمى على بعض التفاصيل المعجمية المهمة في التعامل مع مادّة "المغالطة". ذلك أنّ المعاجم المعاصرة لا تسيّر على نهج واحد في تفسير المادّة. وإثماً هي تتخذ في ذلك منهجين على الأقلّ نرى فيها ضرباً من التقابل. المنهج الأوّل بشرح الفعل "سفسط" بالفعل "غالط" ويجعل السفسطة مرتبطة بالخداع والمغالطة. وهذا منهج يقدّم بوضوح اللفظ "سفسطة" على اللفظ "مغالطة"؛ إذ يجعل "المغالطة" مجرّد شرح "للسفسطة" ويؤيّد لهذه الأخيرة منزلة الرّأس. فهذه إذن، معاجم تكنفي بقلب المعطى الاصطلاحى التاريخي وتُعطي للسفسطة كلّ المعاني التي حظيت بها كلمة المغالطة من تضليل وتمويه وخداع ونوايا سيّئة ومقاصد خبيثة. (انظر "الوسيط" أو "الغني" أو "العربي المعاصر").

ولكنّ جزءاً من المعاجم المعاصرة لا تعقد الصّلة بين السفسطة والمغالطة بل تبدو وكأنّها تحزّرى في تعريف المغالطة عدم الإشارة إلى السفسطة والعكس. فلا نجد في تعريف السفسطة كلمة مغالطة ولا حتّى الفعل غالط. ومن ذلك ما نجده في "المنجد": "سفسط: غلط وأتى بحكمة مؤهّمة، مضلّة #

<sup>1</sup>. انظر مثلاً "المعجم العربي المعاصر" مادّة: س ف س ط.

السفسطة: استدلال خاطئ: قياس مركب من الوهيمات، قياس مقدماته صحيحة ونتأجه كاذبة لا ينخدع بها أحد أو ظاهره حق وباطنه باطل<sup>1</sup>.

مثل هذا النوع من التعريفات لا يقبل المعادلة بين لفظي "المغالطة" و"السفسطة" فحسب بل هو يتجاوز مفهوم "المغالطة" ويتعد عنه لأنه يضرب سمتها الأخص فيها وجوهر تفردها المعنوي وهو عنصر القصد الذي انبنى عليه الفعل "غالط" وتميّز به عن بقية مشتقات الجذر (غ. ل. ط)، فتغدو السفسطة مجرد غلط غفل، أو خطأ بسيط أو لحن لا يستبطن وجوبا النية السيئة والمقصد الخيث.

وقد نشعر للوهلة الأولى برداءة هذا الخيار المعجمي ومخالفته للقواعد التصريفية والاشتقاقية العربية في جعل الفعل "غلط" مساويا دلاليًا للفعل "غالط". الأمر الذي جرّنا إلى جعل السفسطة مساوية للغلط وإلى تجاهل عنصر القصد، والقصد هو عمود التعليل. ولكن الحقيقة أنّ مثل هذا التصرف ليس شاذًا ولا منفردًا، لأنّ معاجم الترجمة اليوم تجري كلّها تقريبا في هذا الاتجاه.

وهي قد لا تبدي ذلك عيانا (أي: ضرب عنصر القصد في المغالطة) ولكنّ قدرا بسيطا من التمعّن في المتقابلات اللغوية المقدّمة يعطينا بسرعة هذه النتيجة. ذلك أنّ المقترحات المخصّصة لتعريب *sophisme* تكون في العادة: سفسطة/ أغلوطة/ مغالطة<sup>2</sup>. وإذا كانت كلمة "مغالطة" تحمل صرفيا وتاريخيا عنصر القصد فإنّ كلمة "أغلوطة" ليس لها التاريخ ذاته ولا الاشتقاق نفسه. وفي "اللسان": "الأغلوطة هي الكلام الذي يغلط فيه ويغالط به" وفيه أيضا "الأغلوطة: ما يُغالط به من المسائل، والجمع الأغاليط"، وأيضا "الأغلوطات هي جمع أغلوطة أفعولة من الغلط كأحدوة والأعجوبة"<sup>3</sup>. وإذا جمعنا هذه المعطيات الثلاث عن "الأغلوطة" وجدنا أنّ الكلمة قد لا تحمل بالضرورة عنصر القصد؛ لأنّها تُعلّق بالجرّد مرّة وبالمزيد من غلط مرّة أخرى.

وهذا يعني، في ما يعنيه أنّ الترجمات الحديثة لا تأخذ عنصر القصد بعين الاعتبار في تقديم مقترحات التعريب ولا تُجري فيها قواعد المتقدّمين بشكل دقيق.

<sup>1</sup>. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص 674.

<sup>2</sup>. راجع "القاموس المزدوج" عربي-فرنسي، و"المنهل" فرنسي-عربي

<sup>3</sup>. راجع "لسان العرب"، مادة غلط، وقد تقدّم ذكرها في البحث.

وهذا الأمر لا يمسّ المعاجم اللغوية فحسب ولكنه أيضا يشمل الكثير من المعاجم المختصة في مصطلحات علم المنطق وفي تحليل الخطاب. فمثلا في "معجم تحليل الخطاب" لباتريك شارودو ودومينيك مانغو الذي ترجمه عبد القادر المهيري وحمّادي صمود نجد تعريفا للمغالطة يتعد عن الأخذ بعين الاعتبار نية المتكلم<sup>1</sup> أو لنقل أنه يفترض "للمغالطة" براءة النية؛ لأنه يجعل المصطلح "مغالطة" مقابلا لـ *paralogisme* في حين يقدم السفسطة *sophisme* على أنه المصطلح الجدير بحمل سوء نية المتكلم والحاوي على نية مشينة "تخدم مصالح صاحبه وأهواءه"<sup>2</sup>، وقد نغزو مثل هذه الأخطاء في المعاجم إلى إكراهات الترجمة، ولكننا نجابه أحيانا كثيرة بما يفند مثل هذا التعليل. ومن ذلك مثلا ما نجده من اضطرابات في تعريف المصطلح في "موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب". ففي هذه الموسوعة يغيب عنصر القصد في تعريف المغالطة في حين يعود ليظهر من جديد في تعريف السفسطة التي هي مساوية للمغالطة في هذه الموسوعة<sup>3</sup>. وفي مثل هذه الأمثلة قدر كاف من الدلالة على الاضطراب المفهومي والقلق الاصطلاحي الذي غدا حاقا بالمغالطة في المعاجم الحديثة<sup>4</sup>.

#### 2.4. المغالطة في الدراسات العربية الحديثة: بين اشتراط القصد وبراءة المصطلح:

لا تُبدي الدراسات الحديثة، هي الأخرى، اتفاقا على مفهوم واحد للمغالطة بالنظر إلى علاقتها بمفهوم القصد. فبعض الدارسين يشترط القصد في الحديث عن المغالطة وبعضهم الآخر لا يراه ضروريا في تحديد المفهوم.

<sup>1</sup> "المغالطة حجاج غير صحيح يُذكر شكله بشكل حجاج صحيح؛ أي إنه حجاج مغالطي. والمغالطة في معنى أرسطو قياس ينطلق من مقدمات صادقة ولكنه يجري عليها ضربا من الاستنتاج غير صحيح": شارودو (باتريك) - مانغو (دومينيك)، معجم تحليل الخطاب، ت: عبد القادر المهيري-حمّادي صمود، مادة مغالطة ومادة سفسطائية، ص 406.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 522.

<sup>3</sup> "المغالطة قياس تفسد صورته بأن لا تكون على هيئة منتجة لإخلال شروط معتبرة بحسب الكمية والكيفية والجهة": جبر (فريد) - دغيم (سميح) - العجم (رفيق) - جهامي (جيرار)، ص 942. وفي ص 413 من المصدر نفسه نجد في تعريف سفسطة: "المغالطة وهو قياس مؤلف من مقدمات كاذبة شبيهة بالحق".

<sup>4</sup> قد يبدو مفيدا هنا أن نذكر أيضا أنّ كثيرا من المعاجم الاصطلاحية الأخرى لا تبدي ذكرا لهذا المصطلح ولا محاولة لتعريفه ومن ذلك مثلا: القاموس الموسوعي للتداولية لجاك موشليير وأن ريبول، وموسوعة مصطلحات الفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر لجيرار جهامي، والقاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان لأوزوالد ديكر وغان ماري سشايغر.

فالمهدي فضل الله مثلاً، يميّز بين الأغلاط والمغالطات باعتبار معيار القصد، يقول: "إنّ المنطق هو مجموعة القواعد التي تجنب مراعاتها الوقوع في الخطأ في التفكير فإذا أهملنا هذه القواعد فإننا قد تقع في أخطاء يمكن تسميتها بـ"الأغلاط المنطقية" *paralogisme*. أما إذا استخدمنا هذه القواعد لغاية التموه على الآخرين، وبغية إيقاعهم في شرك معيّن، للانتصار عليهم فنسمّى هذه الأخطاء بـ"المغالطات المنطقية" *sophismes*. فالمغالطة "مفاعلة" من الغلط؛ أي الخطأ، والغرض منها إيقاع الخصم في الغلط أو بما يشبه الصواب"<sup>1</sup>.

ويبدو هذا التحديد دقيقاً جداً ومراعياً تمام المراعاة لمبادئ الترجمة والمعجم والاصطلاح؛ إذ نحصل على المتقابلات التالية:

*Paralogisme* = الغلط المنطقي غير المقصود = غلط (من المجرد غلط)

*Sophismes* = الغلط المنطقي المقصود = مغالطة (من المزيد غلط)

ويمكننا أن نضيف لطيفة هنا مفادها أنّ كلمة أغاليط (ج أغلوطه) قادرة على التعبير عن معنى الغلط والمغالطة كليهما في آن معاً نظراً إلى قدرتها على التعلّق الاشتقاقي بالمجرد والمزيد من غلط<sup>2</sup>.

يدعم هذا الموقف أيضاً في ترجمة المغالطة، ما ذكره محمد التويري في دراسته عن "الأساليب المغالطية"؛ إذ يقول إنّ "الكلمة الفرنسية *paralogisme* من اليونانية *paralogismos* تتكون من جزأين *para* وتعني (مجانب-خاطئ) و *logismos* وتعني *calcul-raisonnement* فهي إذن، تعني حجاجاً خاطئاً. وتضيف المعاجم الحديثة فكرة حسن التّية ممّا يجعل من تعريف البارالوجيسم فيها حجاجاً خاطئاً عن حسن تّية<sup>3</sup>، ويكون بذلك مقابلاً لمفهوم *sophisme* حيث يبدو اختلال الحجّة قائماً على سوء تّية أو بصفة أدقّ حيث يحكم سوء التّية البنية المنطقية للحجّة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>. فضل الله، (مهدي)، مدخل إلى علم المنطق، ص 234.

<sup>2</sup>. "الأغلوطه: الكلام الذي يغلط فيه ويغالط به؛ والجمع أغاليط". ابن منظور، (محمد بن مكرم)، م 7، ص 363.

<sup>3</sup>. انظر معجم le petit robert المادّة.

<sup>4</sup>. النويري، (محمد)، الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج، مقال ضمن مؤلّف (أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم)، مجلد XXXIX ص 406.

فهذان إذن، نموذجان عن التّارسين الذين قاموا بالتّدقيقات الاصطلاحية اللّازمة والذين انبنت تدقيقاتهم في حقل المغالطات على محور القصد والنتية.

ولكن كثيرا من التّراسات أيضا لا تأخذ بعين الاعتبار هذه الفوارق ولا تجعل "القصد" مدخلا للتمييز بين المصطلحات ولا عمودا للبحث في "المغالطة". من ذلك مثلا ما ذكره عزمي طه السيّد أحمد، في كتابه: "مدخل إلى علم المنطق" في فصل المغالطات حيث يقول: "إنّ الغلط قد يكون ورد في استدلال ما دونما قصد من صاحبه، وقد يكون الغلط مقصودا في أحيان أخرى لتضليل المتلقّي وإبعاده عن معرفة الصواب. والذي يهمننا معرفته في سياق علم المنطق هو معرفة الاستدلال الذي ينطوي على غلط؛ أي مغالطة، ومعرفة موضع الغلط فيه. أما الجانب النفسي المتعلق بقصد مقدّم الاستدلال، إن كان الغلط عن قصد وسبق إصرار ونية غير سليمة، أو كان خطأ أو غلطا غير مقصود، (فغير محتم)، المهمّ عند طالب علم المنطق أن يميّز الاستدلالات الصحيحة من التي تنطوي على الغلط"<sup>1</sup>.

ومن ذلك أيضا مثلا ما أشار إليه حيدر غضبان الجبوري في دراسته للمغالطة من أنّ بعض التّارسين مثل كرستيان بلونتان يميّز بين مصطلح *paralogisme* ومصطلح *sophisme* حيث يقوم الأوّل على حسن النية والثاني على سوء النية في حين أنّ بعض اللّسانيين يعدّون تلك المصطلحات مترادفة وتدلّ على مضمون واحد، فتكون السّفسطة والمغالطة بمعنى واحد<sup>2</sup>.

إنّ مثل هذه المواقف التي لا تعير اهتماما للتمييز بين الغلط والمغالطة وتجاهل عنصر القصد تدخل، في نظرنا، اضطرابا كبيرا على المنظومة الاصطلاحية وتضّر بعدد محمّ من القواعد العلمية الحاملة لها. فمن المعلوم أنّ "مفاتيح العلوم هي مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى. فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما يميّز به كلّ واحد منها عمّا سواه"<sup>3</sup>. فكلّ إضرارا بالمصطلح محمّا بدا بسيطا أو هامشيا هو في الحقيقة إضرار مباشر بالعلم في حدّ ذاته. وإذا كان ذلك كذلك فلماذا يقع اليوم تجاهل المسألة في عدد محمّ من الدراسات؟ ولماذا لم يعد القصد ركيزة المعنى في المغالطة؟

<sup>1</sup>. السيّد أحمد، (عزمي طه)، مدخل إلى علم المنطق، ص 244.

<sup>2</sup>. الجبوري، (حيدر غضبان)، المغالطة في تصنيف المناهج اللّسانية، ص 95.

<sup>3</sup>. المسدي، (عبد السلام)، مقدّمة في علم المصطلح، ضمن "قاموس اللّسانيات"، ص 11.

نعتقد أنّ الإجابة عن سؤال كهذا ليست بالأمر الهين لأنّها قد لا تتعلّق بمعطيات لغويّة مباشرة. ولكن يمكننا ربّما أن نجمل الأمر في عدد من التقاط الرئيّسيّة التي يستتبع بعضها بعضاً:

1. العامل المهمّ الأوّل في نظرنا هو توسّع حقل اشتغال "المغالطة"، فالمغالطة اليوم لم تعد مفهوماً تابعاً للمنطق الصوريّ الأرسطيّ بل أصبحت منذ سبعينات القرن الماضي ميداناً من ميادين اشتغال المنطق غير الصوريّ. و"المنطق غير الصوريّ هو الاسم الذي تبنته حركة إصلاح المنطق... وهدفها هو تغطية كلّ الجوانب التي يتطلّبها التّقويم المنطقيّ غير الصوريّ للحجج والحجاج"<sup>1</sup>. وإذا كان المنطق الصوريّ هو منطق البرهان فإنّ المنطق غير الصوريّ هو منطق الحجاج"<sup>2</sup>. وهذا التحوّل من المجال المنطقيّ المضبوط إلى المجال الحجاجيّ الأقلّ ضبطاً والأكثر حيويّة وتفاعلاً لغويّاً كان له انعكاساته المباشرة والخطيرة على مفهوم "المغالطة"، لأننا لم نعد نتحدّث عن قائمة محدّدة من المغالطات كان أرسطو قد وضعها بصفة تامّة ونهائيّة منذ ألفي سنة بل صرنا اليوم نتحدّث عن قوائم مفتوحة، متجدّدة وغير ثابتة للمغالطات تابعة لمقتضيات التّخاطب.

2. انفتاح "المغالطة" على عالم الحجاج والمخاطبات جرّها لاعتماد قوانين الجدل والمحاورة وإلى التّظر في البعد التّداوليّ للعمليّة التّواصلية. وهي القوانين التي حاول فان إيميرن وروب غروتندروست<sup>3</sup> وضعها استناداً إلى مبدأ التعاون الذي أرساه بول غرايس. "ولكنّ هذه المبادئ المعتمدة بدت غير كافية للإحاطة بمفهوم "المغالطة". ولعلّ أهمّ ما قدح في هذه التّظرية هو عدم التفاتنا لشرط القصد والنتية الذي يميّز مفهوم "المغالطة"، الأمر الذي جرّنا إلى التّسوية بين الغلط والمغالطة. وعند هذه التّقطعة بالتّحديد وقف معظم دارسي المغالطة في حقلها التّداوليّ الجديد، ومن أبرزهم الأمريكيّ والتّن دوغلاس الذي حاول تقديم نظرية في المغالطات تأخذ بعين الاعتبار الجانب القصدّي فيها ولكنّه حاد بالقصد من مفهومه الأخلاقيّ الأوّل الذي وضع لأجله في حقل المغالطة إلى معنى ثانٍ للقصد يحفظ أهداف الحوار ومصالح

<sup>1</sup>. بلير، (أنطوني)، ما المنطق غير الصوري؟، ت: أسامة المتني، مقال ضمن كتاب "الحجاج مفهومه ومجالاته"، ج5، ص182.

<sup>2</sup>. بيرلمان، (شاييم)، المنطق الصوري والمنطق غير الصوري، ت: أسامة المتني، مقال ضمن كتاب "الحجاج مفهومه ومجالاته"، ج5، ص193.

<sup>3</sup>. Les sophismes dans une perspective pragmatique-dialectique.

ترجمه إلى العربيّة: الرّاضي، رشيد، مقال ضمن كتاب "الحجاج مفهومه ومجالاته"، ج5، ص160. وهو يقدّم نموذجاً للمحاورة الجدليّة تمرّ عبر مراحل أربعة هي: الطور التّنازعي والطور الافتتاحي والطور الحجاجيّ والطور الختاميّ.

المتحاورين وغاياتهم من بناء المحاوره الحجاجية أكثر من حفظه للقصد بمعناه الأخلاقي والديني والفلسفي الذي صنع مفهوم المغالطة<sup>1</sup>.

3. إن دخول المغالطة لعالم النظريات التداولية والحجاجية الجديد وعلاقتها بالقلق بمفهوم القصد أدخل على منظومتها الاصطلاحية، المضطربة أصلاً في العربية الحديثة، مزيداً من الاضطراب حين لجأ الغرب إلى إضافة مصطلح آخر يعبر عن هذا التحول "الثوري" في مجالها ويجزئها من نقل تاريخ المنطق القديم وهو المصطلح الانجليزي "فالاسي" *fallacy*. هذا المصطلح اختاره المؤسس الأول للتوجه الحجاجي في المغالطات أو الأب الروحي لهذا الاتجاه ليونارد هامبلين؛ إذ وضعه عنواناً لكتابه الذي أصدره في السبعينات من القرن الماضي (1970) "*fallacies*", هذا الكتاب لقي صدقاً واسعاً عند الباحثين وأدخل إلى عالم "المغالطة" منذ ذلك التاريخ مصطلحاً جديداً يعيش جنباً إلى جنب مع *paralogisme, sophisme*.

والحق أن هذا الأمر لم يكن هيناً، ولقد أثار لدى المختصين أسئلة محمّمة وإشكاليات كبرى في رسم حدود كل مصطلح وضبط المفاهيم المتعلقة به<sup>2</sup>. ولعلّه من نافلة القول هنا الحديث عن الاضطراب الكبير الذي أحدثه دخول هذا المصطلح في المنظومة اللغوية الانجليزية والفرنسية، ناهيك عمّا أصاب العربية. فإذا كانت هذه اللغات ما زالت لا تحسن احتواء المفهوم وهي التي صنعتها فما بالك بالعربية وهي تضيف إلى كل هذه الصعوبات أعباء التقل والترجمة. ولسنا نبالغ أبداً إذا قلنا أننا مازلنا إلى حدّ الساعة

<sup>1</sup>. يمكن هنا النظر في:

Douglas, (Walton), A pragmatic theory of fallacy, The university of Alabama Press, 1995.

<sup>2</sup>. «Les études d'argumentation ne rompent pas forcément un rapport qu'on pourrait juger ambigu avec l'étude des paralogismes, comme en témoigne le titre de l'ouvrage fondamental de Hamblin, Fallacies (1970), auquel fait écho, douze ans plus tard, celui de Woods et Walton: Argument: The Logic of the Fallacies (1982). L'idée d'argumentation a en effet toutes les connotations d'une activité positive, qu'il serait bien difficile de lire dans le terme anglais fallacy. Mais qu'est-ce qu'une «fallacy», et que faut-il penser des équivalents ici possible, sophisme, paralogisme? Voyons le mot, avec sa charge d'histoire». plantin, (christian), essai sur l'argumentation, p201.

لا نستطيع استيعاب كلّ الأبعاد الدلالية للكلمة. فكيف، والحال هذه، سنترجم اليوم إلى العربية مصطلحا حجاجيا مشكليا في أبعاده التصديّة والمفاهيمية كمصطلح فالآسي؟

## 5. نتائج البحث:

بعد أن تتبّعنا مفهوم المغالطة في المدوّنة المعجمية العربية أمكننا أن ننتهي إلى متوالية من الملاحظات نجملها في:

- مفردة "المغالطة" ظهرت ظهورا متأخرا مقارنة بالوضع المعجمي الأول للجزر (غ.ل. ط.).
- ظهور المفردة تزامن بشكل لافت مع ازدهار حركة الترجمة الفلسفية في القرن 4 هـ..
- مجمل التعريفات المعجمية (اللغوية والاصطلاحية) تُرجع "المغالطة" إلى المنطق وتقرن بينها بما يرجح سبق الاستعمال الاصطلاحي للكلمة على الاستعمال اللغوي العادي لها وهو ما عبّرنا عنه في البحث بـ"الولادة الاصطلاحية" للفظ.
- يُبدي لفظ المغالطة في المعاجم القديمة تعلقا اشتقاقيا وثيقا بمفهوم "القصد" وهو معنى ألف الزيادة الفاصلة بين الفعل غلط والفعل غلط مما دعانا إلى القول بلزوم مفهوم القصد لمعنى المغالطة فلا وجود لمغالطة بلا قصد ميّت لها.
- وينتهي البحث إلى ملاحظة ما أحدثته الدراسات الحجاجية والمناويل البراغماتية والكتيبية الحديثة من إرباكات على المستوى المفهومي والاصطلاحية لكلمة مغالطة الأمر الذي جعل المعاجم الحديثة تميل اليوم إلى الجمع بين مفهومي المغالطة والسفسطة واعتبار أحدهما بديلا عن الآخر.

## القائمة البيبليوغرافية

### 1. المراجع باللسان العربي:

- إدريس (سهيل) وجبور (عبد النور)، المنهل فرنسي-عربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1983.
- الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد)، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط، 2001.
- الاستراباذي (رضي الدين)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج، د.ت.
- أصلان (فاطمة محمد)، نشأة وتطور المعاجم العربية، مقدّمة معجم تهذيب اللغة للأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط، 2001.
- البستاني، (عبد الله)، البستان، مكتبة لبنان، 1993.
- بلير (أنطوني)، ما المنطق غير الصوري؟، ت: أسامة المتني، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج5، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010.
- بيرلمان (شاييم)، المنطق الصوري والمنطق غير الصوري، ت: أسامة المتني، مقال ضمن كتاب "الحجاج مفهومه ومجالاته"، ج5، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010.
- التهانوي (محمد علي)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقق: رفيق العجم وعلي دروج، مكتبة لبنان، 1996.
- جبر (فريد) - دغيم (سميح) - العجم (رفيق) - جهامي (جيرار)، موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية، مكتبة لبنان، ناشرون.
- الجبوري (حيدر غضبان)، المغالطة في تصنيف المناهج اللسانية، مقال منشور بمجلة "سياقات"، العدد الخامس، أبريل 2017.
- الجرجاني (محمد السيد الشريف)، التعريفات، تحقق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004.
- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، طبعة مصر، د.ت.
- خليفة (حاجي)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقق محمد شرف الدين يالتقيا ورفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

- الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف)، مفاتيح العلوم، تحقق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1989.
- ديكر (أوزوالد) وسشايفر (جان ماري)، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ت: مندر عياشي المركز الثقافي العربي، بيروت، 2007.
- ابن رشد (أبو الوليد)، تلخيص السفسطة، تحقق: محمد سليم سالم، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1972.
- الرازي (محمد بن أبي بكر عبد القادر)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، 1986، خطبة المؤلف.
- الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقق: عبد الستار أحمد فراج، سلسلة التراث العربي، الكويت، 1965.
- الرمخشري (أبو القاسم جار الله)، أساس البلاغة، تحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج، ط، 1998.
- زيتون (محمد محمود)، اللغة الفلسفية عند ابن سينا، مجلة الرسالة، عدد 859، بتاريخ 1949/21/91.
- سيرل (جون)، القصدية: بحث في فلسفة العقل، ت: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2009.
- ابن سينا (حسين بن عبد الله)، الشفاء، تحقق: أحمد فؤاد الأهواني، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، إيران، ط2، 2012.
- السيد أحمد (عزمي طه)، مدخل إلى علم المنطق، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2015.
- شارودو (باتريك) - مانغو (دومينيك)، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري-حمّادي صمّود، المركز الوطني للترجمة، دار سينلتر، تونس، 2008.
- الشيباني (أبو عمرو)، الجيم، تحقق إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1974.
- ابن عبد البرّ (أبو عمر يوسف)، جامع بيان العلم وفضله، تحقق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط، 1994.
- عبد العزيز منوفي حمد، (إقبال)، المعاجم العربية القديمة بين العجمة والإعجام، مجلة جامعة الناصر، جامعة بيشة، المملكة العربية السعودية، العدد 6، م، يوليو-ديسمبر 2015.
- العجم (رفيق)، إشكالية المصطلح بين اللفظ والمعنى، مقدّمة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم تحقق: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، 1996.

- الفارابي (أبو نصر)، كتاب الحروف، تحقق محسن مهدي، سلسلة الفكر العربي والإسلامي، دار الشرق بيروت، لبنان.
- ابن فارس (أحمد)، مقاييس اللغة، تحقق: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، 1979.
- الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، العين، تحقق مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- فضل الله (مهدي)، مدخل إلى علم المنطق، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1985.
- الفيروزبادي (مجد الدين) القاموس المحيط، محمّد بن يعقوب، تحقق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرّسالة، ط8، 2005.
- القالي البغدادي (أبو عليّ اسماعيل بن القاسم)، البارع في اللّغة، تحقق هاشم الطّعان، مكتبة النّهضة ودار الحضارة العربيّة، بغداد وبيروت، ط، 1975.
- الكفويّ (أبو البقاء أيوب بن موسى)، الكلّيّات، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط2، 1998.
- مذكور (عمر)، المعجم العربيّ المعاصر، دار البصائر للطباعة والنشر، ط1، 2008.
- ابن مراد (إبراهيم)، المعجم العلمي العربيّ المختصّ حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، كتيّة الآداب جامعة تونس الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط، 1993.
- المسديّ (عبد السلام)، مقدّمة في علم المصطلح، ضمن "قاموس اللّسانيّات"، الدّار العربيّة للكتاب، 1984.
- معلوف (لويس)، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط33، 1992.
- معلوف (لويس)، المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، دار المشرق، بيروت، 2000.
- المنشاوي (محمد صدّق)، مقدّمة معجم التّعريفات للجرجاني، دار الفضيلة، القاهرة، 2004.
- ابن منظور (محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- موشلير جاك وريبول آن، القاموس الموسوعي للتّداوليّة، ت: مجموعة من الأساتذة بإشراف عز الدين المجذوب، دار سيانتر، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010.
- النويري (محمّد)، الأساليب المغالطيّة مدخلا في نقد الحجاج، مقال ضمن: أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، مؤلّف جماعي بإشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيّة، تونس، 1998، ص 447-403.

## 2. المراجع باللسان الأجنبي:

- Douglas (Walton), A pragmatic theory of fallacy, The university of Alabama Press, 1995.
- Plantin (christian), Essai sur l'argumentation , édition kimé 4, PARIS IV, 1990.
- Robert (Paul), Rey (Alain), Rey-Debove (Josette), Le Petit Robert, éd : Dictionnaire le Robert, 2007.
- Van Eemeren & Grootendorst, Les sophismes dans une perspective pragmatico-dialectique, Argumentation colloque de cerisy, Pierre Mardaga éditeur, Liège 1991.

ترجمه إلى العربية: الرّاضي، (رشيد)، مقال ضمن كتاب "الحجاج مفهومه ومجالاته"، ج5، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (2010).

## حجاجية الحوار في رواية (الكرنك) لنجيب محفوظ

د. أميمة صبحي خليل علاء الدين

كلية الآداب- جامعة الفيوم، مصر

osk00@fayoum.edu.eg

### الملخص:

الحوار هو حلبة لتبادل الأفكار والمواقف والأيدولوجيات كما ذكر باختين، وهو بهذا المفهوم أحد صور التواصل الحجاجي الإقناعي بين الأطراف المتحاور، فلا حجاج دون تواصل، ولا تواصل دون حجاج.

وليس من ريب في أن تعدد الأيدولوجيات وتباينها يُعدُّ بيئةً خصبةً لتنامي الحوار وتطوره وظهوره بأنماط مختلفة؛ لذا أولت هذه الورقة البحثية عنايتها بأنماط الحوار في رواية (الكرنك) - إحدى أشهر روايات نجيب محفوظ- وكشفت عن الوظائف الحجاجية لكل نمط حوار، وارتباط هذي الوظائف بمقاصد محفوظ وأهدافه في تقييم ثورة يوليو 1952، وإبراز منجزاتها الحقيقية، ورصد سلبياتها التي أدت إلى نكسة يونيو 1967.

وقد انتهت الدراسة إلى ظهور أربعة أنماط حوارية في (الكرنك) :

1- الحوار التناوبي: الذي يختفي فيه الراوي خلف وظيفة الناقل المحايد من خلال إسناده الأصوات إلى أصحابها.

2- الحوار المبتور: وهو ما تم فيه خرق نظام التناوب الصوتي، وتعبّر فيه المناوبة الحوارية عن استجابة الطرف المشارك في العملية الحوارية بفعل غير لغوي.

3- الحوار غير المباشر: ويُقصد به اشتراك عناصر لغوية وغير لغوية في عملية تفاعلية لها وظيفة داخل خطاب الرواية .

4- الحوار التفاوضي: الذي يعتمد على مبدأ المساومة لتحقيق مصلحة أحد الطرفين على مصلحة الآخر.

الكلمات المفتاح:

الحوار، التواصل الإقناعي، الوظائف الحجاجية، الحوار التناوبي، الحوار التفاوضي، الحوار غير المباشر، الحوار المبتور، رواية الكرنك.

## *The Argument of Dialogue in The Novel (Karnak) Najib Mahfouz*

Dr. Omya Subhi Khalil Aladdin

Faculty of Arts, Fayoum University

osk00@fayoum.edu.eg

### *Abstract:*

Dialogue is an arena for the exchange of ideas, attitudes and ideologies, as Bakhtin mentioned, and is in this sense one of the forms of persuasive argumental communication between the parties involved. There is no doubt that the multiplicity and diversity of ideologies is a fertile environment for the growth, development and emergence of dialogue in different patterns; July 1952, highlighting its real achievements and monitoring its negatives, which led to the June 1967 setback.

The study concluded that four dialogic patterns appeared in Karnak:

- 1- Alternating dialogue: in which the narrator hides behind the function of the neutral transmitter by assigning the sounds to their owners.
- 2- The truncated dialogue: in which the system of vocal alternation has been violated, in which the dialogic alternation expresses the response of the party participating in the dialogic process by a non-linguistic act.
- 3- Indirect dialogue: It means the participation of linguistic and non-linguistic elements in an interactive process that has a function within the discourse of the novel.
- 4- Negotiating dialogue: which depends on the principle of bargaining to achieve the interest of one party over the interest of the other.

### *Keywords:*

Dialogue, persuasive argumental communication, Alternating dialogue, The truncated dialogue, Indirect dialogue, Negotiating dialogue, Karnak.

## رواية

linguist  
المجلد 3

رواية الكرنك لنجيب محفوظ الفترة الزمنية التي عاشتها مصر بين حرب النكسة عام 1967م وحرب التحرير (حرب أكتوبر) عام 1973م، وتعرض الرواية لمظاهر الاستبداد ووقوع الحريات وكم الأصوات المعارضة للنظام السياسي في فترة حكم الرئيس جمال عبد الناصر، فضلا عن تعرضها لفساد أجهزة الأمن والمخابرات المصرية، وتنطلق أحداث الرواية من مقهى (الكرنك) حيث يلتقي فيه مجموعة من شباب الجامعة، وبعض المفكرين الذين ينتقدون الثورة وأخطاءها، فيتم اعتقالهم دون أسباب واضحة ودون أية جريمة. ثم يقضي هؤلاء الشباب فترة في المعتقل، يتعرضون خلالها للتعذيب والإهانة بشتى الأساليب؛ حتى تُنتزع اعترافات منهم بجرائم لم يرتكبوها. ثم تجبرهم أجهزة المخابرات على العمل جواسيس داخل أروقة الجامعة، وفي كل مكان تطؤه أقدامهم، وكتابة تقارير عن أي نشاط يمكن أن يحدث داخل الجامعة أو خارجها، الأمر الذي أحدث تمزقات وشروخ في الجبهة الداخلية، وأدى في النهاية إلى إلحاق الهزيمة بمصر واحتلال إسرائيل لسيناء. وفي النهاية يختم محفوظ الرواية بثورة التصحيح التي انتهجها الرئيس أنور السادات عندما أفرج عن المعتقلين السياسيين، وعاقب الفاسدين وتحقق الانتصار على إسرائيل واستردت سيناء عن طريق الحرب والسلام معاً.

يعد الحوار واحداً من أهم التقنيات المستخدمة في المجال الحجاجي؛ فاختلاف الأفكار وتباينها أو اتفاقها وتماثلها لا تنجلي مظاهره إلا بالحوار؛ فهو إذن، أحد أهم وسائل التواصل مع الآخرين، ولا تواصل دون حجاج كما صرح طه عبد الرحمن قائلًا: "لا تواصل باللسان من غير حجاج، ولا حجاج بغير تواصل باللسان"<sup>1</sup>، ويكون من خلاله المجال

1. طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، ص5.

مفتوحاً أمام أطراف المحاوره لتُراجع قناعاتها، وأفكارها إما بالانتصار لها والثبات عليها، أو بالتراجع عنها وتبني قناعات أخرى.

ولذلك جعل باختين (*M. Bakhtin*) الحوار أشبه "بمجلبة لتبادل الكلام وتبادل الأفكار والمواقف ووجهات النظر وتناظر العقائد، وقد يكون ذلك على الصدام أو التوافق أو الحياد"<sup>1</sup>.

يكون الحجاج وسيلة المحاور إزاء صدامه أو توافقه أو حتى حياده مع الرأي الآخر؛ فينبغي في خطابه "عالمًا يلتقي عناصره ويتخير تفصيله ودقائقه انتقاءً واعياً واختياراً مدروساً"<sup>2</sup>، فتكون غاية المحاور أن يقع المعترض عبر ملفوظاته بما يعصّد فكرته ويثبتها وفي المقابل يقوّض فكر الآخر وينفيه.

وبهذا المفهوم تتحقق لدينا الفعالية الخطابية للحجاج التي تستهدف الإقناع، وبهذا الاعتبار ننظر للحجاج على أنه بناء يتعالق فيه قصدان، "قصد الادعاء الذي يختص به المتكلم، وقصد الاعتراض الذي هو من حق المتلقي"<sup>3</sup>.

#### الحوار لغة:

وردت لفظة الحوار في المعاجم العربية بمعانٍ مختلفة، فالحوار مأخوذ من الجذر اللغوي (حَوَرَ)، ويجده الفيروز آبادي في القاموس المحيط بقوله: "الحوار الرجوع كالمحار والحوارة والحوّور والنقصان وما تحت الكور من العمامة، والتحير، والتعر والعمق ...، وما أحر جواباً: ما ردّ، والتحاور: التجاوب"<sup>4</sup>.

وقد وردت لفظة الحوار في لسان العرب بمعنى: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة...، واستحار الدار: استنطقها، من الحوار الذي هو الرجوع"<sup>5</sup>.

ومن هذه الدلالات اللغوية التي فاضت بها المعاجم العربية، يتبين أن الجذر اللغوي (حَوَرَ) يشير إلى دلالة الرجوع، وهي دلالة تتسق مع طبيعة الحوار التي تسمح بالتعديل والتغيير والرجوع عن بعض الأفكار والآراء وفق مستجدات معينة للمحاور أو لسياق التحاور.

1. باختين، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد براءة، ص 51.

2. سامية الدريدي، دراسات في الحجاج، ص 147.

3. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 226.

4. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، باب الرء.

5. ابن منظور، لسان العرب، باب الرء.

أما في الاصطلاح فالحوار "حديث يدور بين اثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات... ويفترض فيه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس"<sup>1</sup>، فهو ضرورة مجتمعية على مستوى الأفراد، والجماعات.

وإذا انتقلنا من عموم القول في الحوار بوصفه نمطًا اتصاليًا، إلى خصوصية وظيفته في علم السرد والحكي، لاحظنا أن وظيفته الحجاجية تكون هي الأولى والأكثر أهمية لدى المؤلف أو الراوي؛ فمن خلال الحوار يمكنه تجسيد أفكار الشخصية في صورة أقوال وملفوظات مدعياً من خلالها مصداقية النقل التي تُضفي عليها شرعية وطاقته إقناعية يمتاح منها منشئ الخطاب لتوجيه المخاطب وفق مقاصده وغاياته، فالحوار بذلك "يؤدي عملاً مساعداً للسرد في مجال تعميق الوصف التركيبي للشخصية وأحوالها في سياق الرواية"<sup>2</sup>.

وتأسيساً على ما سبق، فإن رواية الكرنك واحدة من روايات نجيب محفوظ التي تقدمت سلبيات الثورة وسقطته الانفتاح والغلاء وغياب العدل الاجتماعي والعدل القانوني ... والنصر والسلام وغير ذلك من الأحداث العامة التي تشغل كل طوائف الشعب المصري واتجاهاته المتعددة. وجميعها أيديولوجيات وأطروحات تحتاج من نجيب محفوظ أن يعرضها في إطار فني حجاجي، يربط الأصوات بقائلها في الحوار، فيستطيع من خلالها توجيهها وفق غاياته الإقناعية ومقاصده ووجهة نظره.

وتبناين مسارات هذا التوجيه من راوٍ إلى آخر ومن خطاب إلى خطاب، فقد يعمد الراوي مثلاً أن يحافظ على تناوب الأصوات لتفسير نحو وجهة يقصدها وبتبنيها، وقد يقدم لنا حواراً مبتوراً، أو يستدعي سلطة قائلها وفوزهم، وقد ينتهج المزج والخلط والتداخل بين صوته وبقية الأصوات في الخطاب بهدف استعارة نجاحها وفعاليتها الإقناعية، وكل هذه السبل والمسارات يحددها منشئ الخطاب وفق أهدافه ومقاصده<sup>3</sup>. وقد تجلّت هذه المسارات جميعها في رواية الكرنك كما سنعرض لذلك لاحقاً.

1. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص 100.

2. عادل عوض، تعدد الأصوات في الرواية المحفوظية، ص 253.

3. ينظر: عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص 269.

ولما لاحظتُ أن آليات التشكيل البنائي لمعمار الحوار في رواية الكرنك لم يخلُ من مسارات التوجيه آفة الذكر، خطرت لي تساؤلات هذه الورقة البحثية التي ضبطت حدودها وشكلت محاورها، ومنها:

- ما غاية نجيب محفوظ أو باعته من رواية الكرنك؟
- لماذا هدف إلى هذه الغاية؟
- كيف حقق غايته؟

وعبر استنطاق الخطاب الروائي في الكرنك، تكشّف تعدد بواعث التأليف لدى محفوظ؛ فكان منها: تقييم ثورة يوليو؛ تقييم يعري السقطات والزلات، كما يمجّد الإنجازات والأهداف. ثم ظهر باعث الرغبة في إبراز مدى انعكاس سقطات الثورة وإنجازاتها على طوائف الشعب المصري المختلفة<sup>1</sup>. وقد تبع تلك البواعث باعث فرعي آخر هو الحديث عن فترة ما بين حرب النكسة وحرب التحرير<sup>2</sup>، وما بينها من فضيحة فساد المخبرات المصرية، وما تلاها من الاتهامات التي وُصم بها أفراد من طوائف الشعب المصري، وما نالهم من الاعتقال والتعذيب وانتهاك الحريات وتكليم الأفواه وهتك الأعراض.

لقد عكست الرواية جانباً من معاناة هؤلاء الذين آمنوا بثورة يوليو ثم افتروستهم آلية الديكتاتورية لاحقاً قبل النكسة بعامين أو أقل...، لقد عانى محفوظ -كما يبدو من غايات خطابه- من اضطراب تقييمي لثورة يوليو، لحقه كما لحق غيره من أبناء الشعب المصري، فهو تارةً يتبدى لنا متحمساً لها، منتصراً لتقييمها ومبادئها، وأخرى يكشف عن نقمته عليها، وعلى ما فعلته بأبنائها. ولعل الجامع الوحيد في نظري بين الانتصار للثورة والنقمة عليها هو الدافع الإنساني وليس الدافع السياسي. إذن، رصدنا الغاية والعلة، وتبقى لنا الوقوف على الآلية التي رام من خلالها إقناع الآخر تجاه هذا التضارب التقييمي للثورة ومنجزاتها، الذي من المحتمل أن يكون نجيب محفوظ قد حسمه؛ فكفر بالثورة وإن لم يكفر بمبادئها، المهم أننا إزاء قناعتين؛ أو بالأحرى إزاء قناعة واحدة مرت بأطوار تكوين،

1. ينظر: عادل عوض، تعدد الأصوات في الرواية المحفوظية، ص 260.

2. نكسة 1967 أو (حرب حزيران) أو (حرب الأيام الستة) هي حرب نشبت بين دولة الاحتلال الإسرائيلي وكل من مصر وسوريا والأردن عام 1967، انتهت باحتلال إسرائيل لقطاع غزة والضفة الغربية وسيناء وهضبة الجولان. والمقصود بحرب التحرير هي حرب السادس من أكتوبر 1973.

بدأ الطور الأول فيها بمرحلة الإيمان بالثورة والامتنان لها، وهو الطور الذي كشفته بعض الأصوات في الخطاب الروائي، كما ورد على لسان (قرنفة) صاحبة المقهى "لنحمد الله الذي أنعم علينا بالثورة"<sup>1</sup>.

ثم تلاه الطور الثاني الذي تشكلت من خلاله زعزعة ذاك الإيمان وخلخلته، وهذا ما كشفته عبارة (إسماعيل الشيخ) مخاطبًا الراوي: "في السجن اجتاحتنا الضياع فاهتَز بناؤنا المتين من أساسه"<sup>2</sup>.

ثم انتهى محفوظ بالطور الثالث الذي استحال فيه الإيمان كُفْرًا، والتصديق تكذيبًا، والسعادة حزنًا وكآبة، تقول (قرنفة) تعقيبًا على توالي حملات الاعتقال غير المبررة: "هل نخزن لأمر تقع بانتظام مثل الشروق والغروب؟ ... سوف يعودون، وسيجلسون بيننا كالأشباح، وعهد الله أن أسمي المقهى وقتذاك (مقهى الأشباح)"<sup>3</sup>.

فإذا تساءلنا عن الاستراتيجية<sup>4</sup> التي توسلها نجيب محفوظ لتحقيق غايته الإقناعية ألفينها استراتيجية الحوار، التي عمد من خلالها إلى تشكيل الحوار وبنائه بالصورة التي تخدم أهدافه ومقاصده الحجاجية، لما للحوار من خاصية جذب "للمتقبل الحكائي الذي يتأثر بها ويسمع إلى أصواتها وقد يصبح طرفًا فيها يتبنى إحدى وجهات نظر ليختفي وراءها"<sup>5</sup>.

1. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، ص 515.

2. المصدر نفسه، ص 526.

3. المصدر نفسه، ص 523.

4. مفهوم الاستراتيجية: إن الإنسان "عندما يمارس أفعالاً فإنه يريد من ورائها تحقيق الأهداف، ولا يمكن تحقيق هذه الأهداف إلا بمساعدة سياق المجتمع الذي ينتمي إليه، ولذلك فإنه يتخذ طريقة معينة يتمكن بها من مراعاة الظروف التي تحيط بعمله أولاً؛ أي عناصر السياق، وتمكنه من بلوغ قصده ثانياً". ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب...، ص 24.

5. عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص 268.

من هنا جاءت تقنية الحوار ثكأة يتكئ عليها الراوي داخل المتن الحكائي، ليحقق غايته من خلال التنوع في أنماط الحوار، ودراسة هذه الأنماط الحوارية، تبين أنها خمسة أنواع: الحوار التناوبي- الحوار المتبور- الحوار غير المباشر- الحوار التفاوضي- المقارعة الشخصية<sup>1</sup>. وفيما يلي تفصيل ذلك:

### أولاً: الحوار التناوبي

في هذا النمط من الحوار يسند الراوي "الأصوات إلى أصحابها ليختفي خلف وظيفة الناقل المحايد، فتكتسب أقوال المقطع الحوارية القوة الإقناعية التي تستمدّها من أصحابها وما تظهره من صدقية هذه النسبة"<sup>2</sup>.

فن خلال هذا التناوب بين الأصوات يظهر السجال بينهم، ومن ثم يُستدرج المتلقي للانخراط في هذا السجال، فيغدو مُشاركاً فيه، ومتبلياً وجهة نظر معينة بناء على ما أظهرته من أدلة تدعم بها رأيه، وتنقض به رأي الآخر.

من ذلك ما ورد في الحوار القائم بين (طه الغريب) و(رشاد مجدي) و(محمد بهجت) حول محاولة تفسير غياب شباب المقهى لعدة أسابيع وعلى رأسهم (حلمي حادة) و(إسماعيل الشيخ) و(زينب دياب):

"ويوما قال طه الغريب: سمعت عن أنباء اعتقالات واسعة. فوجئنا جميعاً وقلت: ولكن أغليبتهم تنتمي للثورة..."

فقال رشاد مجدي: ولكن وُجد أقلية مخالفة لا يُستهان بها.

فقال محمد بهجت: وضع الحق، قد أرادوا اعتقال المتهمين فساقوا أصدقاءهم معهم حتى يتم التحقيق"<sup>3</sup>.

حاول الراوي عبر الأصوات الآتية أن يقدم للمتلقي أيولوجياتها عن الثورة، وأن يبرز مدى إيمانها بالثورة أو تحبطها واضطرابها في تقييمها وفهم آليات النظام في الحفاظ على منجزاتها.

1. وردت الأنواع الثلاثة الأولى في كتاب الحجاج في قصص الأمثال لعادل بن علي الغامدي، أما النوعان الأخيران فقد وردا في كتاب الحجاج والمغالطة لرشيد الراضي. وقد اعتمدت على هذه الأنماط الحوارية لمناسبتها لطبيعة الحوار في رواية الكرنك.

2. عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال، ص 273.

3. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 517.

لقد كانت الملفوظات السابقة حاملة لتأويلات متعددة حيال اعتقالات الشباب، ويمكن أن نفهم إشارات هذه الملفوظات كما يلي:

الصوت الحواري	الملفوظ الحواري	إشارية الملفوظ الحواري
طه الغريب	"سمعت عن أبناء اعتقالات واسعة".	تفسير (غياب الشباب سببه الاعتقال).
الراوي	"ولكن أغليبتهم تنتمي للثورة..."	استنكار (كيف يتم اعتقالهم وهم من أبناء الثورة!؟)
رشاد مجدي	"ولكن وجد أقلية مخالفة لا يُستهان بها".	تقديم تبرير للاعتقال ينفي استنكار الراوي (الثقة المخالفة المندسة بينهم).
محمد بهجت	"وضح الحق، قد أرادوا اعتقال المتهمين فساقوا أصدقاءهم معهم حتى يتم التحقيق".	استخلاص النتيجة وتقديم التفسير المقبول المنطقي للغياب (النظام يجرم المتهم المخالف وصديقه وإن كان حليفاً للثورة).

في المقطع الحواري الآنف، استخلصت النتيجة التي تفسر - غياب شباب المهفي تفسيراً مقبولاً منطقياً، قادت إليه أصوات ممدت له؛ فالملفوظ الحواري استدعى ملفوظاً حوارياً آخر ممد ملفوظ حوارياً آخر جديد.

وليس من ريب أن مثل هذه السجلات التناوبية بين أصوات الشخصيات تساهم حتماً في تكوين أيولوجية خاصة بالمتلقي الحكائي، الذي وجهه الراوي إلى غاية محددة، هي ذاتها غاية الراوي

وأيدولوجيته، وهي "إقامة الحجة، ودفع الشبهة والفساد من القول والرأي"<sup>1</sup>، فأصبح الحوار الآنف تعاونًا "من المتحاورين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق"<sup>2</sup>.

وإذا ما اطمأنَّ الراوي إلى تحقيق مقصده الحجائي، فإنه يحاول توطيد أركانه داخل الذات المتلقية، فلا يبرح يترك متلقيه حتى يوقعه في شركٍ حجاجيٍّ جديد، فيحاول انتهاك نظام التناوب الحواري المعين بأصوات حوارية محددة، إلى حوار تناوبي غير معين الأصوات، فيغدو نظامًا حواريًا مركّزًا على التعميم أو الإخفاء المقصود لماهية الصوت الحوارية. وهذا ما يجسده المقطع الحوارية التالي الذي تمّده الراوي قائلاً<sup>3</sup>:

"وجرى الحديث بيننا تعليقًا على الحدث:

- الاعتقال فعلٌ مخيفٌ حقًا.
- وما يُقال عمّا يقع للمُعْتَقَلِينَ أفضح.
- شائعات يقشعُرُ منها البدن.
- لا تحقيق ولا دفاع.
- لا يوجد قانون أصلًا.
- يقولون إننا نعيش ثورة يستوجب مسارها تلك الاستثناءات.
- وإنه لا بد من التضحية بالحرية والقانون ولو إلى حين.
- ولكن مضي - على الثورة ثلاثة عشر - عامًا أو يزيد فأن لها أن تستقر على نظام ثابت.

1. صالح بن عبد الله بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، ص 8.

2. المرجع نفسه.

3. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 517.

بالرغم من تعدد الأصوات المتحدثة، فإنها سارت نحو وجهة واحدة، واتفقت جميعها على تأطير الثورة إطارًا يأخذ من منجزاتها ومبادئها.

إن هذا الإسناد الحواري غير المعين لأصوات المتحدثين "يفهمنا قوة هذا الصوت؛ لتعدد الأصوات المتحدثة به وتطابق وجهات النظر حوله ... إن هذا الصوت المطلق يمد القول بقوة إقناعية كبيرة؛ إذ يحوِّله إلى حقائق مرسلة، وأقوال صادقة ليس لها معترض، فهي أقوال مُجمَع عليها..."<sup>1</sup>.

ولعل الحقيقة التي قاد إليها ذلك النمط الحواري التناوبي وآمنت بها معظم طوائف الشعب المصري، هي حقيقة الارتداد إلى الماضي والحكم بأفضليته على الحاضر؛ حقيقة تجلّت كثيرا من التناوبات الصوتية غير المعينة للشخص سوى أنهم (جماعة الشيوخ):

- "لم نصل إلى مثل هذه الحال في أي عهد من العهود.
- حسبنا ما كنا نستظل به من حماية القانون.
- وحتى أعنف أيام الاستبداد لم تخل من صوت مُعارض حر.
- وأيام الجهاد والنفي والهدوء المحيطة، كيف يمكن أن تُنسى؟

وما لبثوا أن رجعوا إلى الوراء أكثر وأكثر حتى استقرّوا في عهد ابن الخطاب والرسول، فتنافسوا في نبش الماضي يستخرجون أمجاده يتسلّون بها عن حاضرهم"<sup>2</sup>.

لقد أفصحت سجالية الحوار الآنف عن وجهات نظر متكاملة تحدو بالقارئ نحو إقرار حقيقة؛ بطانتها اليأس والمرارة من حاضر جثم على الصدور بضرارة لم تشهدها أشد العصور استبدادًا وديكتاتورية، ولعلها إشارة إلى عصور الاستعمار الإنجليزي والفرنسي، وهي حقيقة كانت تراود الشيوخ رغم حماسهم الفاترة للثورة "لم يكن الماضي شرًّا خالصاً"<sup>3</sup>.

1. عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص 302.

2. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 524.

3. المصدر نفسه، ص 515.

## ثانيا: الحوار المبتور

هو ذلك الحوار الذي يشهد انتهاكاً وخرقاً لنظام التناوب الصوتي في الحوار<sup>1</sup>، فإذا كان الحوار التناوبي يتأسس على محور التبادل اللغوي بين الأصوات المتعددة المشاركة في الحوار، سواء أكانت أصوات متحدثين معيّنين (بالنعت أو بالاسم) أم غير معيّنين، فإن هذا النمط الحوارية المبتور يتأسس على محور أن المناوبة الحوارية تعبر عن استجابة الطرف المشارك في العملية الحوارية بفعل غير لغوي. ومما لا شك فيه أن رد الفعل لغوياً كان أم غير لغوي يقوم حتماً بوظائف سردية في المتن الحكائي، وتعدد هذه الوظائف وفق مقصدية المبدع من خطابه السردية.

فقد يكون مثلاً من هذه الوظائف: إبراز قول معين يجسّد حقيقة ما، وتأني هذه الحقيقة - بالرغم من كونها وجهة نظر لأحد الأصوات- تأكيداً لقناعة عامة لطائفة من الشعب؛ الشيء الذي تجلّى من البتر الحوارية بين (إسماعيل الشيخ) والراوي حول تقييمه الأولي للثورة، وإيمانه بها حتى حدث له أمر الاعتقال:

- "لقد ظنك البعض شموعياً أو من الإخوان.

فقال بيقين: لا هذا ولا ذاك، واتمائي الوحيد كان إلى ثورة يوليو أما الآن...  
وجعل يهز رأسه صامتاً كأنما لا يدري ما يقول، ثم قال: وقد عشثُ دهرًا وأنا أظن أن تاريخ مصر - يبدأ بالثالث والعشرين من يوليو، ولم أتجه للبحث عما وراء ذلك إلا بعد النكسة"<sup>2</sup>.

تزعزع الثقة في الثورة والإيمان بها كانت هي الحقيقة التي تكشّفت أمام جموع المعتقلين ومنهم (إسماعيل الشيخ)، وقد أدى بتر الحوار إلى ترسيخها، وقيادة المتلقين نحو فهم محدد عبر قوله: "في السجن اجتاحتنا الضياع فاهتز بناؤنا المتين من أساسه"<sup>3</sup>، وقوله أيضاً بعد مثوله بين يدي (خالد صفوان)، ممدّ الأعصاب، رثّ الثياب "وتحلّلت البقية الباقية من آدميتي في رهبة شاملة"<sup>4</sup>.

1. يُنظر: عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص 280.

2. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 525.

3. المصدر نفسه، ص 526.

4. المصدر نفسه، ص 528.

وقد يكون أحد أهم دوافع البتر الحوارى الحكم على وجهة نظر ما، كما ظهر فى ملفوظ (إسماعيل الشيخ) خلال محاولته تبرير أخطاء الثورة والنظام، وما آلت إليه النكسة؛ فىقول مخاطباً للراوى: "لا أخفى عنك أنى أعجبت بقوة المعارضة وحرمتها، وبالذور الذى لعبه القضاء المصرى، لم يكن العهد شراً خالصاً، وكان به عناصر فكرية جديرة بالاستمرار والنمو والازدهار، وكان التنكر لها من أسباب نكستنا"<sup>1</sup>.

وقد أفصح عنها أيضاً حوار (خالد صفوان) مع (زينب دياب) فى محاولة منه لتبرير عنفه معها خلال التحقيق، فىقول: "إنها حماية الثورة وهى أهم على أى حال من الأخطاء المحدودة، ونحن نبادر إلى إصلاح ما ينبغى إصلاحه منها، وسوف تذهبن وقد اكتسبت قيمة جديدة هى صداقتنا"<sup>2</sup>.

هذا، وقد تتجلى غايات أخرى للحوار المتور، مثل "إظهار وجهة نظر شخصية واحدة، وذلك بتأييدها ودعمها وإخفاء الرد المعارض لها، فتكون الصوت الظاهر الذى يستدعى منا الموافقة والقبول"<sup>3</sup>، الأمر الذى جسده خطاب (خالد صفوان) فى أول ظهور له بالمتقى بعد النكسة، وتلاعبه بالكلمات التى تحيل منه مجرماً وضحياً فى آن، فىقول موجهاً خطابه ل(قرنفة) ومن معها بالمتقى:

"براءة فى القرية

وطنية فى المدينة

ثورة فى الظلام

كرسى يشع قوة غير محدودة

عين سحرية تعزى الحقائق

عضو حى يموت

1. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 529.

2. المصدر نفسه، ص 536

3. عادل بن على الغامدى، الحجاج فى قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص 282.

### جرثومة كامنة تدب فيها الحياة"<sup>1</sup>.

لقد عمد الراوي من خلال الإفصاح عن الحوار المناوب له، إلى إبراز صوت (خالد صفوان) وأيدولوجيته وإقناع المتلقي بهذه الأيدولوجية، التي أقرّ الراوي نفسه فيما تلا هذا الحوار من صفحات، أن عددًا من الجالسين في المقهى قد استماتهم كلمات (خالد صفوان) "فاكتسب شعبية عقب انصرافه، وتوه كثيرون بقيمة عرضه، وبثراء مخزونه من الأسرار، بل وجد من يُدافع عنه، فيقول إنه لم يكن مسئولًا عن جرائمه أو لم يكن يتحمل المسؤولية الأولى"<sup>2</sup>. لقد حاول (صفوان) استقطاب الآخرين باستراتيجية حوارية تضامنية، ويقصد بها "الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينها، وإجمالًا هي محاولة التقرب من المرسل وتقريبه"<sup>3</sup>، فمحاولة تأسيس علاقة ودية بينه وبين الحضور في مقهى الكرنك، وتحسين صورته أمامهم كانت من أهم دوافع هذه الاستراتيجية التضامنية.

حقيق أن كلماته تركت صدًى إيجابيًا في نفوس معظم الحاضرين، إلا أنه لم ينطل على (قرنفة) التي عقبّت محتدة: "زحزحوا المسؤولية من شخص لشخص حتى تستقر في النهاية فوق جمعة مسّاح الأذى"<sup>4</sup>.

### ثالثًا: الحوار غير المباشر

تلوّنت أنماط الحوار في الكرنك بما يخدم مقاصد الراوي، فظهر الحوار التناوبي، والحوار المبثور، ثم يظهر لنا الحوار غير المباشر الذي تتمزج فيه "أساليب مختلفة وأصوات من مستويات متباينة، وعناصر لغوية وغير لغوية في عملية تفاعلية موظفة بعناية داخل خطاب القصة"<sup>5</sup>. وما يحدث في هذا النمط أن الراوي ينقل لنا أصوات الشخصيات في صورة حوارية إذا كانت هذه الأصوات تحمل دلالات تسهم في رفع كفاءة الحجاج، وتزيد من مقبوليتها عند المتلقي، أما إذا كانت أصواتًا لا

1. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 541.

2. المصدر نفسه، ص 542.

3. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 257.

4. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 542.

5. عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص 286.

ترقى في أهميتها ولا في وظيفتها إلى درجة الحوار المباشر، فإنها تتماهى تماما في السرد، وتختفي منها الصبغة الحوارية.

وقد حفلت (الكرنك) بهذا النمط الحوارى في أكثر من موضع، نجده في اختزال الراوى لقصة (قرنفلة) مع (عارف سليمان) "وقصت عليّ قصة عادية، فقد جُنّ بها، ولكنها لم تشجعه قط. ولم تكن موارده تسمح له بالتردد الدائم على الملهى، فامتدت يده إلى اختلاس أموال الدولة. وظهر بين الرواد كالورثين، ولكنها لم تنل منه مليماً واحداً، ولم تنشأ بينها إلا العلاقة الرسمية التي تنشأ بحكم تقاليد الملاهى الليلية، ولم يتقدم خطوة حتى ضُبط متلبساً فقدّم للمحكمة ودخل السجن"<sup>1</sup>. هكذا لا يقدم هذا النمط الحوارى إلا ما يُثير الاهتمام لدى المتلقى.

وفي موضع آخر يتم الدمج بين الحوار التناوبى (المباشر وغير المباشر) الذي يعرض فيه الراوى محتزلاً- ساردا لنا مرحلة توطيد علاقته بأسرة المقهى، فيقول: "انضمتُ إلى أسرة الكرنك بصفة نهائية ونفذت الأسرة في صميم حياتى. منحتنى (قرنفلة) صداقتها ومنحتها، لعبتُ الترد مع الشيوخ (محمد بهجت ورشاد مجدى وطه الغريب)، عرفتُ الشباب وعرفونى خاصة (زينب دياب وإسماعيل الشيخ وحلمى حمادة)، كما عرفتُ (زين العابدين عبد الله) مدير العلاقات العامة بإحدى المؤسسات، حتى (إمام الفوال) الجرسون و(جمعة) مسّاح الأحذية وعامل النظافة صارا لي صديقين. وعرفتُ سر الكرنك الاقتصادى فهو لا يعتمد أساساً على زبائنه المحدودين ولكن على أصحاب الحوانيت بشارع المهدي وزبائهم، وهو السر- وراء جودة مشروباته وامتيازها. ومن أسرارها أيضا أنه كان -وما زال- مجمع أصوات عظيمة الدلالة، تفصح نبراتها العالية والحافنة عن حقائق التاريخ الحيّ. لا يمكن أن تُنسى أحاديث القوم على عهد انضمامي إليهم"<sup>2</sup>. ثم تجلّى هذا الدمج الحوارى أيضًا في خطاب (قرنفلة) عن مراحل تطور علاقتها بـ(حلمى حمادة) "وقد اعترفتُ لي قرنفلة بأنها هي التي بادأته بالغزل، وأمام رفاقه أيضًا. وتابعتُ مرة رأياً سياسياً يُدلى به ثم هتفتُ له وهي جالسة على مقربة منه: ليحى كل من تريد له الحياة، وليُث من تريد له الموت، ولما لُبى دعوتها لزيارة شقتها في الدور الرابع من العارة التي تقع

1. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص514.

2. المصدر نفسه، ص515.

الكرنك في أسفلها استقبلته استقبالا فاحرا، زينت حجرة الجلوس بالورود ومدت مائدة حافلة وتصادعت أنغام راقصة من جھاز تسجيل"<sup>1</sup>.

وإذا كان هذا النمط الحوارى يؤدي وظيفة اقتصادية تحمل دلالة التكميف والإيجاء، فإنها فضلا عن ذلك تلبي أفق التوقع عند المتلقي وترفع من درجة اقتناعه، فإذا كانت الكرنك قد كشفت من خلال شخصها وأحداثها اتصال العرى بين الراوى و(قرنفة وزينب دياب وإسماعيل الشيخ) بصفة خاصة؛ فكان لزاما على الراوى أن يهين المتلقي إلى قبول مسببات هذه العرى الموثقة.

وقد أسهم الحوار غير المباشر في عمل هذه التهيئة في كثير من المواضع. منها ما ورد على لسان الراوى ساردا "وظلت معلوماتي ترتكز على الخيال حتى أتيح لي بعد ذلك بسنوات أن نتفح لي القلوب المغلقة في ظروف جد مختلفة، وتمدني بالحقائق المرعبة وتفسر لي ما غمض علي فهمه من الأحداث في إبان وقوعها"<sup>2</sup>، الأمر الذي أكده في موضع آخر قبل افتتاح حواراه مع (إسماعيل الشيخ) "وفي تاريخ متأخر نسيئا تهيأت لي ظروف وثقت ما بيني وبين بعض أصدقاء الكرنك، وعند ذاك علمت منهم ما لم يكن لي به علم، فاطلعت على خبايا الأحداث والقلوب وشربت الكأس حتى الثالثة"<sup>3</sup>.

لقد أتاح هذا النمط الحوارى للراوى تصنيف الأقوال وفق الأهمية، فما هو دون الأهمية يُسرد بوصفه حدثا، ويسهم في توجيه الحوار حجاجيا، مثل أن تكون مدخلات أو عرض أيديولوجيات شخصية بما يخدم مقاصد الراوى الحجاجية، فإن الراوى يعمد إلى إبرازها بأصواته المعينة.

#### رابعا: الحوار التفاوضى

هو نوع من الحوار يعتمد على مبدأ المساومة لتحقيق مصلحة أحد الطرفين على مصلحة الآخر، ويصبح فيه "الاهتمام الأكبر إلى جئي أكبر قدر من التعاون لكي يأخذ كل طرف نصيبه"<sup>4</sup>. وليس من ريب في أن مثل هذا النمط الحوارى قد سجل حضورا مكثفا في حوارات الاعتقالات مع

1. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص516.

2. المصدر نفسه، ص519.

3. المصدر نفسه، ص525، ومنها ص529 (كانت التجربة قاسية)، و ص530 (ومضى زمن...).

4. رشيد الراضى، الحجاج والمغالطة.

(زينب دياب وإسماعيل الشيخ)؛ إذ ظهرت مساومة (خالد صفوان) معها واضحة لتجنيدهما مُرشدَيْن لجهاز المخابرات. وهذا ما يمثله حوارُه مع (إسماعيل الشيخ) عقب اعتقاله الأول:

- "واضح أنك تلتزم بالصمت احتراماً لعهد الصداقة.
- وسكت لحظة ثم استطرد: وذاك الإيمان بالصداقة يجعلنا نطمع في صداقتك!
- تُرى متى يأمر بالانصراف؟
- كن صديقاً لنا، قلت إنك تنتمي للثورة وأنا أصدِّقك، فلتكن صديقاً لنا، ألا يُرضيك ذلك؟
- إنه ليسعدني يا سيدي.
- كلنا أبناء ثورة واحدة وواجب علينا أن نصونها بقوة، أليس كذلك؟
- طبعاً.
- ولكن لا بد من موقف إيجابي، نريد صداقة إيجابية!
- إني أعتبر نفسي صديقاً منذ البدء.
- يُرضيك أن تعلم بأن شرًّا يهدد الثورة وتسكت عنه؟
- كلا.
- هذا ما نطالبك به، وستذهب إلى زميل ليهديك سواء السبيل، ولكنني أحب أن أذكرك بأننا قوة تملك كل شيء ولا تخفى عنها خافية، تكافئ الصديق وتكفل بالخائن!"<sup>1</sup>.
- إن إشارات ملفوظات الحوار الآنف لتؤكد سمة التفاوضية بوضوح، فالجمل الحوارية في مستهل الحوار تبدو استقطابية تعتمد تقنيات حجاجية متنوعة نحو: التكرار اللفظي أو المعنوي، كما تركز على صيغة التأكيد بوساطة الاستفهام الإنكاري، وهذا تحليله:

1. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 530-531.

تقنية الحجاج	إشارية الملفوظ	الملفوظ الحوارى
حجة منطقية.	مقدمة تأسيسية وتهديدية لما يليها.	"واضح أنك تلتزم بالصمت احتراماً لعهد الصداقة".
إضمار المطالبة بالصمت وعدم الجوح بالمهمة المكلف بها من جهاز المخبرات.	نتيجة منطقية للجملة السببية الآتفة.	"وذاك الإيمان بالصداقة يجعلنا نطمع في صداقتك!"
التأكيد بالتكرار اللفظي (كن صديقاً لنا -فلتكن صديقاً لنا).	استقطاب عاطفي	"كن صديقاً لنا، قلت إنك تنفي للثورة وأنا أصدقك، فلتكن صديقاً لنا، ألا يرضيك ذلك؟"
التأكيد بصيغة الاستفهام (ألا يرضيك ذلك؟)	تقرير حقيقة الانتماء للثورة، وضرورة الالتزام بحمايتها وصيانتها بقوة.	"كلنا أبناء ثورة واحدة وواجب علينا أن نصونها بقوة، أليس كذلك؟"
التأكيد بالتكرار اللفظي (موقف إيجابي-صداقة إيجابية).	تأكيد دلالة الجملة الحوارية الآتفة، من ضرورة العمل الإيجابي لأجل حماية الثورة.	"ولكن لا بد من موقف إيجابي، نريد صداقة إيجابية!"
المغالطة المنطقية باستخدام الألفاظ	إخفاء الحقيقة	"أيرضيك أن تعلم بأن شرّاً يتهدد الثورة وتسكت عنه؟"

المشحونة بالمعنى الانفعالي (شر- يتهدد- تسكت عنه) واستخدام الاستفهام الاستنكاري.		
الأسلوب الخبري التقريري.	بداية الخلاص من الأسلوب الاستدراجي والاستقطاب العاطفي.	"هذا ما نطالبك به، وستذهب إلى زميل ليهديك سواء السبيل"
الاحتكام إلى القوة (قوة المتكلم) قوة تمتلك كل شيء- لا تخفى عنها خافية- تنكل بالخانن).	سقوط القناع، والكشف عن الغاية والهدف من الحوار.	"ولكنني أحب أن أذكرك بأننا قوة تملك كل شيء ولا تخفى عنها خافية، تكافئ الصديق وتنكل بالخانن!"

وتظهر السمات التفاوضية في مقطع حوارى آخر بين (خالد صفوان) و(زينب دياب) عقب الإفراج عنها بعد الاعتقال الأول:

- "لا يُصدّق أن ما يحدث هنا مما ترضى عنه الثورة!
- إنها حماية الثورة، وهي أهم على أي حال من الأخطاء المحدودة، ونحن نبادر إلى إصلاح ما ينبغي إصلاحه منها، وسوف تذهبن وقد اكتسبت قيمة جديدة هي صداقتنا.
- أحمق في بكاء عصبي طويل، عجزت تماماً عن مقاومته، فتصبر هو هادئاً حتى سكتت ثم قال:
- ستذهبن الآن إلى أحد مُعاوني، وسيعرض عليك مشروع صداقة لا يُقدّر بثمن.

وصمت لحظات ثم استطرده:

- نصيحتي لك ألا ترفضه، إنه فرصة العمر!<sup>1</sup>

لقد كانت الاستراتيجية التوجيهية هي المسيطرة على هذا النمط الحوارى، فمن خلالها يمارس أحد طرفى الحوار "فضولاً خطابياً على السامع، بتوجيهه لمصلحته بما يعود إليه بالمنفعة، أو يبعد عنه الضرر"<sup>2</sup>، ولعل القاسم المشترك كما لاحظنا فى حوار (خالد صفوان) مع (إسماعيل الشيخ وزينب دياب) أن المساومة كانت باسم الصداقة، الاسم المستعار للإرشاد، فإذا كنت تعمل مرشداً للجهاز المخبرات، فإن هذا يعنى أنك صديق للدولة وحليف لها، كما يعنى أنك بوصفك صديقاً للدولة فلن تمسك الدولة بسوء، ولن ينالك ما ينال أعداء الدولة من اعتقال وتعذيب وهوان.

لقد ساوم (خالد صفوان) (إسماعيل وزينب) على الكرامة والأمان والآدمية؛ قيم تضحى هباءً منشوراً حال رفضهم عرض (الصداقة) المشروط من (خالد صفوان).

#### خامساً: المقارعة الشخصية

من أنماط الحوار الحجاجى، وإن كانت درجة حجاجيته لا تصل إلى أعلى مستوى حجاجى؛ إذ "يقبل فيه التعقل والاعتزان، لأن الهدف الذى يوجهه هو مجرد الرغبة فى قهر الخصم وإلجائه... ويكون الضابط لمسارها هو الهدف الأخير المتمثل فى كسب هذه المنازلة الكلامية المتحررة من كل القواعد"<sup>3</sup>.

وإذا كان نمط الحوار التفاوضى قد احتل كثافة حضورية فى فضاء الرواية عبر خطاب الاعتقال بين (خالد صفوان وزينب دياب) من جهة، و(خالد صفوان وإسماعيل الشيخ) من جهة أخرى، فكذلك احتفت الرواية بنمط المقارعة الشخصية فى سياق خطاب الاعتقال أيضاً؛ إذ طغى فيه الاتهام الموجه للطرف الضعيف (إسماعيل وزينب)، من قبل الطرف القوى (خالد صفوان)، وقد أفصحت ملفوظات هذا النمط عن ذلك على نحو ما يتبدى من المقطع الحوارى التالى على لسان (زينب دياب):

1. المصدر نفسه، ص536-537.

2. عبد الهادى بن ظافر الشهرى، استراتيجيات الخطاب، ص222.

3. رشيد الراضى، الحجاج والمغالطة، ص113.

- "ولما مثلتُ أمام خالد صفوان، قال لي ساخراً: ها هي الصداقة بيننا تتوطد. فقلت له: لا أدري لم فُض علي؟
- ولكنني أدري.
- فما هو السبب يا سيدي؟
- السبب يرجع إلى مبادئ السيدين الجليلين ماركس ولينين! وصمت وهو يتفّرس في وجهي بحدة، ثم قال:
- أجيبي تحت شرط ألا ترجعي للحُجة البالية؛ حُجة كيف تشكّون فينا ونحن أبناء الثورة...
- فقلتُ له وأنا يأسّة تماماً من إقناعه:
- لسنا شيوعيين وأقسمُ لك على ذلك. فتمم بغموض: يا للخسارة.
- ورُميّت في الزنزانة معرّضة لعذاب مُهين لا تُقدّر أذاه إلا امرأة... واستدعيّت مرة أخرى إلى حُجرة خالد صفوان فقال لي:
- أرجو أن تكوني راضية عن ضيافتنا. فقلتُ بجرأة: كل الرضى يا سيدي، شكراً لكم.
- ها هو صديقك قد اعترف بشيوعيته! فهتفتُ: تحت تأثير تهديدكم.
- ولكنه حقيقتي بصرف النظر عن الوسيلة.
- قطعاً لا يا سيدي، إنها لفظاعة!<sup>1</sup>
- والأسلوب ذاته تكرر مع (إساعيل) في أمر اعتقاله الأول، يحكي معاناته للراوي قائلاً: "وقد انتهى فجأة وعلى غير انتظار، في حجرة خالد صفوان أيضاً ساقوني إليه، فبادرني قائلاً:

1. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 535-536.

- ثبت أن اسمك دُون في السجل لأنك تبرعت بقرش لبناء جامع ودون أن تكون لك صلاة بهم.  
فقلْتُ بانفعال وتهْدج: ألم أقل لك ذلك يا سيدي؟
- الخطأ له عذر أما التهاون فلا عذر له. ثم بقوة: نحن نحمي الدولة التي تحرركم من كافة أنواع العبودية.
- وإني من أبناءها المؤمنين.
- اعتبر الأيام التي أمضيتها هنا ضيافة، وتذكّر دائماً أنك عوملت معاملة طيبة، أرجو أن تتذكّر ذلك دائماً، وأن عشرات الرجال سهروا الليالي في جهد متواصل حتى ثبتت لهم براءتك.
- الشكر لله ولكم يا سيدي<sup>1</sup>.
- لاحظنا أن مفردات المعجم اللغوي الحواري لـ(خالد صفوان) كاد أن يكون واحداً في المقطعين الحواريين:

حوار خالد صفوان مع زينب	حوار خالد صفوان مع إسماعيل
صفوان "أرجو أن تكوني راضية عن ضيافتنا".	صفوان "اعتبر الأيام التي أمضيتها هنا ضيافة".
زينب "كل الرضى يا سيدي، شكرا لكم".	إسماعيل "الشكر لله ولكم يا سيدي".
زينب "حجة كيف تشكّون فينا ونحن أبناء الثورة.."	إسماعيل "وإني من أبناءها المؤمنين".

وتجلت كذلك أساليب الهجوم والالتهام في الخطاب الحواري للاعتقال الثاني كما يروينا (إسماعيل الشيخ)، يقول إنه حين مثل بين يدي (خالد صفوان):

1. المرجع نفسه، ص 529.

- "وقفتُ صامتًا مستفيدًا من تجربتي السابقة، متوقعا الشر- رغم ذلك من جميع الجهات الأصلية، وتقرّس خالد في وجهي وقال:
- يا لك من داهية، حسبنك يومًا من الإخوان!  
فقلْتُ بنبرة ذات مغزى: وظهرت براءتي!
- ولكن ما خُفي كان أعظم.  
فقلْتُ بإخلاص: إني مؤمن بالثورة، هذه هي الحقيقة الوحيدة.
- فقال بسخرية: الجميع مؤمنون بالثورة، في هذه الحجرة يجهر الإقطاعيون والوفديون والشيعيون بإيمانهم بالثورة!  
وحدجني بنظرة قاسية ثم سأل:
- متى انضممتَ إلى الشيوعيين؟  
ووثب الرفض إلى حلقي ولكنني كتمته، وارتفع منكباي بحركة عكسية كأنما ليخفيا قفائي، ولم أنبس...
- عاد يسأل: متى انضممت إلى الشيوعيين؟ فواصلت الصمت.
- ألا تريد أن تعترف؟  
استسلمتُ للصمت كما تعودت أن أستسلم للبلاء في الحجرة المظلمة، فتمتم: طيب...<sup>1</sup>.
- لقد توالى أساليب الهجوم في الحوار الآنف في مقابل انعدامية وسائل الدفاع، إلى أن ظهرت أقوى وسيلة هجوم وضغط على (إساعيل الشيخ)، كانت (زينب دياب) هي الجرح الغائر في قلب إساعيل، فما أن نكأه (صفوان)، فهم (إساعيل) المراد:
- "ها أنت تعرفها ويهمك أمرها فيما يبدو.  
ونقل عينيه الغائرتين بيننا ثم تساءل:
- ألا يهمك أمرها؟  
تمزقت روعي دقيقة كاملة.

1. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 529-530.

- أنت مثقف ولك خيال، فهل تتصور ما يمكن أن يحل بهذه الفتاة البريئة فيما لو أصرت على الصمت؟  
سألته بنبرة رثاء موجّهة للعالم جميعاً:
- ماذا تريد يا سيدي؟
- إني أسأل متى انضمت إلى الشيوعيين؟  
فقلتُ دافئاً آخر شعاع من أمل:
- لا أتذكر تاريخاً معيَّناً ولكنني أعترف بأنني شيوعي.  
وسجلتُ اعترافي على ورقة ثم غادرتُ الحجرة بين حُراسي<sup>1</sup>.
- إن المقارعة الشخصية التي تمت بتلك التقنية الآتية، لتؤكد أنها تقنية حجاجية ناجعة لطرف واحد فحسب في العملية الحوارية، وغالبا ما يكون هذا الطرف هو الأقوى؛ إذ يستطيع بقوة سلطانه أو مكانته الاجتماعية أن يهيمن حصاره على الطرف الأضعف المقابل له حوارياً، ويحكم قبضته حتى يحقق المكسب والمنفعة.
- وقد حاولتُ تصنيف تقنيات الهجوم ومحاولات الدفاع في المقطع الأول والثاني والثالث ودلالاتها، فوجدت ما يلي:
- أولاً: المقطع الحوارى بين صفوان وزينب:

تقنية الهجوم	دلالة التقنية	تقنية الدفاع	دلالة التقنية
"لما مثلتُ أمام خالد صفوان".	المتول بعد إلقاء القبض عليها يؤكد دلالة القهر.	"لا أدري لما قبض علي".	الحيرة والارتباك حيال أمر الاعتقال.

1. المصدر نفسه.

		دلالة السخرية؛ إذ لا صداقة بين حمّاز المخبرات والمتهم.	"قال لي ساخرًا: ها هي الصداقة تتوطد بيننا".
الحيرة والارتباك.	"فأهو السبب يا سيدي؟".	محاصرة.	"ولكنني أدري".
الشعور بالوقوع في شرك المؤامرة.	صمت.	محاصرة.	"السبب يرجع إلى مبادئ السيدين الجليلين ماركس ولينين".
يأس وإحباط.	"فقلْتُ له وأنا يأسُة تمامًا من إقناعه".	إلقاء الرعب والرهبة.	"صمت وهو يتفرس في وجهي بحدة".
محاولة دفاع.	"لسنا شيوعيين وأقسم لك على ذلك".	إلقاء الرعب والرهبة.	"أجيبني تحت شرط ألا ترجعي للحجة البالية".
		عدم الاقتناع.	"فتمت بغموض"
فشل محاولة الدفاع.	"ورُميتُ في الزنزانة".	إيدان بالشرع في فعل قهري لاحق.	"للخسارة"

### ثانيا: المقطع الحواري بين صفوان وإسماعيل

كاد خطاب المقارعة الشخصية مع إسماعيل الشيخ، أن يتشارك في تقنياته ودلالاته مع خطاب المقارعة مع زينب دياب الآنف تحليله، وهذا تفصيله:

دلالة التقنية	تقنية الدفاع	دلالة التقنية	تقنية الهجوم
الخوف من المجهول.	"وقفتُ صامتًا مستفيدا من تجريتي السابقة، متوقعا الشر".	المثول بعد إلقاء القبض عليه يؤكد دلالة القهر. إلقاء الرعب في النفس.	حين مثل بين يدي خالد صفوان "وتفرّس خالد في وجمي".
محاولة دفع هذه التهمة وغيرها من التهم الجاهزة.	"فقلْتُ بنبرة ذات مغزى: وظهرت براءتي!"	محاصرة بالاتهام المباشر.	"يا لك من داهية، حسبناك يومًا من الإخوان!".
محاولة دفاع.	"فقلْتُ بإخلاص: إني مؤمن بالثورة، هذه هي الحقيقة الوحيدة".	إنذار بتهمة لاحقة جديدة.	"ولكن ما خُفي كان أعظم".
يأس من المقاومة	تجمدت محاولة الدفاع	السخرية من حقيقة إيمانه بالثورة، واتهامه بأن كل	"فقال بسخرية: الجميع مؤمنون بالثورة، في هذه الحجرة يجهر

		أعداء الثورة يدعون الإيمان بها.	الإقطاعيون والوفديون والشيوعيون بإيمانهم بالثورة!".
يأس من المقاومة	تجمدت محاولة الدفاع	إلقاء الرعب والرهبة.	"وحدجني بنظرة قاسية ثم سألت: متى انضمت إلى الشيوعيين؟".
استسلام.	- "فواصلت الصمت".	الإصرار على كسب المعركة.	"عاد يسأل: متى انضمت إلى الشيوعيين؟".
استسلام.	"استسلمت للصمت كما تعودت أن أستسلم للبلاء في الحجرة المظلمة".	إيدان بالشروع في فعل قهري لاحق.	"ألا تريد أن تعترف؟".
فشل محاولة الدفاع.	"تمزقت روعي دقيقة كاملة". "سألته بنبرة رثاء موجهة للدينا جميعا: ماذا تريد يا سيدي؟"	محاولة ضغط وحصار عاطفي	"فتمتم: طيب.. "ها" أنت تعرفها ويهملك أمرها فيما يبدو".
استسلام	"فقلت دافئا آخر شعاع من أمل: لا أتذكر تاريخًا معيّنًا ولكنني أعترف بأنني شيوعي".	محاصرة وتوجيه بالاعتراف	"إني أسأل متى انضمت إلى الشيوعيين؟".

لقد تحققت منفعة (خالد صفوان) من مقارنته الحوارية مع (إسماعيل الشيخ) كما تبين، والدليل أن (إسماعيل) قد خضع لتقنيات الترهيب والإذلال، التي تنوعت ما بين أفعال لغوية (يا لك من داهية، حسبنك يوماً من الإخوان!) - "إني أسأل متى انضممت إلى الشيوعيين؟" - "ألا تريد أن تعترف؟" وأفعال غير لغوية ("وحدجني بنظرة قاسية- وتقرس خالد في وحمي)، وكلها حدثت به في النهاية إلى تسجيل اعترافه على ورقة، ثم مغادرته حجرة التحقيق بين الحراس<sup>1</sup>.

### الخاتمة والنتائج

وبعد هذه المقاربة الحجاجية لتقنية الحوار في رواية الكرنك، نخلص إلى جملة من النتائج، من أهمها:

- تكشف العلاقة القائمة بين الحوار والحجاج؛ إذ يتضمن الحوار الحجاج، والحجاج جزء من بنية الحوار، وهو أساس التفاعل الحوارى بين الطرفين واستمرارية التواصل.
- أدى سياق التلفظ في الرواية إلى الكشف عن المقاصد التي كانت وراء المقاطع الحوارية.
- أسهم التنوع في أنماط الحوار في رفع كفاءة الحوار الروائى حجاجياً، وزيادة مقبولية الطرح الإيديولوجى لدى المتلقى.
- تحقيق الهدف وكسب المنفعة هما القاسم المشترك بين نمط الحوار التفاوضى ونمط المقارعة الشخصية، بيد أن الحوار التفاوضى لا يتسم بقهر المحاور ولا تعنيفه أو ترهيبه، بل محاولة التضامن معه، أو التظاهر بالتضامن معه وهي من أهم خصائص نمط الحوار التفاوضى.
- إن التنوع الحوارى أسهم في رفع الطاقة الحجاجية لدى المتلقى في تبنى أيديولوجية محفوظ إزاء الثورة التي مرحلت بأطوار ثلاثة؛ فجعلته يشعر مع محفوظ أن البداية كانت إيماناً بها، وامتناناً لها، ثم حدث ما يززع ذلك الإيمان ويخلخله، ثم تتطور الأحداث التي يستحيل فيها الإيمان كفراً، والتصديق تكذيباً.

<sup>1</sup>. ينظر: الكرنك، ص 529-530.

## المصادر والمراجع

### المصادر:

- نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1990.

### المراجع:

- باختين، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، د.ط، 1978.
- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979.
- رشيد الرازي، الحجاج والمغالطة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010.
- سامية الدريدي، دراسات في الحجاج، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، د.ت.
- صالح بن عبد الله بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، دار المنار للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1994.
- طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، درس افتتاحي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب، 2002.
- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء: ط1، 1998م
- عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2015
- عادل عوض، تعدد الأصوات في الرواية المحفوظية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، د.ط 2009.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة، بيروت، 2004.
- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، باب الرء، ط8، 2005.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، باب الرء، ط1، 1990.



## استعارة خطاطة القوة في السياقات القائمة على الحجاج في لغة جبران خليل جبران

محمد الصالح البوعمراني

جامعة قفصة، تونس

*mdbomrani@yahoo.fr*

### الملخص:

يحاول هذا البحث أن يقدم رؤية عرفانية للحجاج، باعتباره آلية ذهنية وعملية من عمليات التفكير المعقدة التي ينشئها الذهن البشري، ويمكن أن تتجلى في أشكال خطابية مختلفة لغوية وغير لغوية، ويخصّ النظر في زاوية مخصوصة من هذه الإشكالية تتمثل في علاقة الحجاج بالاستعارة. فأشرنا أولاً إلى الاستعارات التصورية التي تحكم نظرنا إلى الحجاج وتبني تصوراتنا عن إجراءاته، ونظرنا ثانياً، وهو جوهر البحث، في الحجاج باعتباره عملية قائمة على استعارة خطاطة القوة، كما أسس لها العرفانيون وخاصة ليونارد طالبي الذي بين أن الحجاج بنية تصورية ذهنية تعكسها اللغة في بناها المختلفة وتقوم على ديناميّة القوة، لذلك اصطفينا بعض البنى اللغوية التي تقوم على بنية خطاطة القوة و أوضحنا كيف تتمثل بنية حجاجية تتأسس على الصراع بين معارض ومعان، وقد بدأ هذا جلياً في البنى القائمة على الروابط الحجاجية. ثمّ بينّا كيف تتضافر هذه الاستعارة الخطاطية وغيرها من الاستعارات دعماً لهذه البنية الحجاجية. وقد مثلت كتابات جبران خليل جبران الأدبية مدونة ثرية مكنتنا من إجراء هذه المفاهيم، وكشفت في الآن نفسه عن خاصية من أهم خصائص الكتابة الجبرانية، فهي تتأسس في جانب كبير منها على استعارة القوة، وتبني في آن خطاباً حجاجياً ينقض تصورات قائمة ويُقنع بتصورات جديدة تعكس رؤيته للإنسان وللكون.

### الكلمات المفتاحية:

الاستعارة التصورية، الخطاطة، الحجاج، المعارض، المعاني، العرفان، القوة

## *Force Schema Metaphor in Argument-based Contexts in Gibran Khalil Gibran's Language.*

Dr. Mohamed Salah Bouomrani  
University of Gafsa, Tunisia  
*mdbomrani@yahoo.fr*

### *Abstract:*

This research attempts to present a cognitive vision for argumentation, as a mental and practical mechanism of the complex thought processes that the human mind creates and which can be manifested in various discursive forms, both linguistic and non-linguistic. First, we refer to our perceptions of the conceptual metaphors that govern build and conduct our view of the argumentation. Secondly, and this we believe is the core of this research, we look at the argumentation as a process based on the force scheme metaphor, as initiated by cognitivists, especially Leonard Talmy, who showed that the structural conceptualization of argumentation is reflected by language in its different structures and is based on the force dynamics. For this reason, we selected some linguistic structures that are based on the force schema structure and explained how they represent an argumentative structure based on the conflict between Aantagonist and Agonist, and how this is evident in the structures based on argumentative connections. Finally, we explained how this metaphor and other metaphors combine in support of this argumentative structure. Gibran Khalil Gibran's literary writings represent a rich repertoire that enables us to carry out these concepts, and at the same time reveal one of the most important characteristics of Gibran's writing. It is mainly based on the metaphor of force, and at the same time builds an argumentative discourse that contradicts existing perceptions and convinces with new perceptions that reflect his vision of man and the universe.

### *Keywords:*

Conceptual metaphor, schema, argumentation, antagonist, agonist, cognition, force.

### تمهيد: الحجاج وعلاقته باستعارة خطاطة القوة

اتفق منظرو الحجاج على أنّ الحجاج قائم على رفض العنف بما هو ممارسة جسديّة تستهدف إجبار الآخر على القبول بوجهة نظرنا والإذعان لرأينا، ليكون مكرها على تبني معتقد لا يؤمن به. فالحجاج يقوم على الاقتناع العقلي والقبول الإرادي، ولا يكون فيه المحجوج مجبرا على تبني فكرة. ولكن رغم هذا الاتفاق فلا يمكننا أن ننفي أنّ الحجاج قائم أيضا في جوهره على القوة. ويمكننا أن نفهم علاقة الحجاج بالقوة استعاريا من جانبيين على الأقل، من حيث الاستعارات التصوريّة التي تؤسس فهما للحجاج، ومن حيث استعارة خطاطة القوة، وإن كان اهتمامنا في هذا البحث ينصبّ على الاستعارة الخطاطيّة في بنية الحجاج فلا بأس أن نشير في هذه السّياق إلى الاستعارة التصوريّة القاعدية لأنّها تعضد الاستعارة الخطاطيّة المعبرة عن القوة.

من أهم الاستعارات التصوريّة القاعدية التي تحكم نظام تفكيرنا، ونفهم من خلالها الحجاج باعتباره ميدانا هدفا هي استعارة "الحجاج حرب"، هذه الاستعارة التي أوالها لايكوف وجونسن أهميّة كبيرة. فنحن نفهم الحجاج باعتباره حربا، وهو بذلك صراع بين طرفين، صراع قووي، فيه استراتيجية يستعملها كلّ طرف، وفيه محاولة لدفع الطرف الآخر إلى الرّضوخ والاستسلام، وبما أنّه كذلك فهو ينتهي لزوما بمنصر ومنهزم، ويمكن أن نمثّل على هذه الاستعارة بالرّسمة التّالية:

الحرب	الحجاج
- في الحرب هناك طرفان على الأقل. - توظيف كل الأسلحة. - اتباع خطة معينة في الحرب. - التركيز على نقاط الضعف في دفاعات الخصم. - قيام الحرب على الكثر والفر. - حماية الجيش بتحصينات قوية. - قيام الحرب على الخدعة والحيلة. - دفع الخصم إلى الاستسلام. - انتهاء الحرب بمنتهز ومنهزم.	- في الحجاج هناك طرفان على الأقل - توظيف كل الحجج - اتباع استراتيجية معينة في الحجاج - التركيز على نقاط ضعف الخصم. - المراوحة بين الدفاع والهجوم. - حماية النظرية بحجج قوية. - محاولة التمويه والخداع بحجج مغلوطة. - دفع الخصم إلى القبول بالرأي. - انتهاء الحجاج بمنتهز ومنهزم.

لذلك وانطلاقاً من هذه الاستعارة نستعمل في خطاباتنا تعابير من قبيل:

- لقد هاجم نقطة مركزية في حجتي.

- لقد دمر حجته.

- لم تصمد نظريته أمام الطعنات التي وجهتها لها.

- استسلم أخيراً للرأي.

- رفع الراية البيضاء وانسحب من النقاش.

ومن الأسلحة التي يستعملها الحجاج في هذه الحرب من أجل دفع الآخر إلى التسليم والرضوخ الاستعارة، فالاستعارة وسيلة هامة من وسائل الإقناع، وسيلة هامة يمارس بها المحاج سلطة على خصمه، لتكون الاستعارة قوة فكرية يؤدي بها الخطاب الحجاجي وظيفته الإقناعية.

لكنّ تعبير الحجاج عن القوة يظهر بصورة أهم في البنية الخطاطية التي يقوم عليها الحجاج، فقد أثبت طالبي<sup>1</sup> أنّ الحجاج قائم على الصّراع، لكنّه صراع تحمله اللّغة في بُناها لا صراع يعتمد القوة الفيزيائية. فإذا كان الصّراع الفيزيائيّ يقوم على قوتين، المعارض والمعاني، فإنّ الصّراع الحجاجيّ هو توسيع استعاريّ لهذا الصّراع الطّرازيّ. ومن العنف إلى الحجاج هناك تحوّل من ممارسة القوة الجسديّة إلى ممارسة القوة الفكرية عبر اللّغة بمستوياتها المختلفة.

لقد اعتبر العرفانيّون الحجاج بنية تصوّريّة ذهنيّة تعكسها اللّغة في بُنى مختلفة، وقد قصر طالبي التّجليات اللّغويّة للحجاج في قوالب ديناميّة القوة المتحوّلة<sup>2</sup>، ودرسها في هذا الإطار، لكنّ عبد الله صولة يخالف طالبي الرّأي ويوسّع من الإمكانيّات التي طرحها لتحقّق الحجاج في الخطاب، يقول عبد الله صولة: "مخالفه الرّأي إذن في المسائل التالية:

1- أنّ بنية الحجاج يمكن أن تستند عرفانيّاً إلى القوالب الثّابتة في ديناميّة القوة وليس المتحوّلة فحسب.

2- أنّ مفهوم الحجاج عنده ضيق جدّاً من ناحية وغير مدقّق من ناحية أخرى.

3- أنّ بنية الحجاج العرفانيّة مجالها اللّغة أيضاً وليس الخطاب فحسب، بحيث يمكن الكلام على "حجاج في اللّغة" مستعيرين عنوان كتاب ديكر وأوسكمبر، على أن يكون هذا الكلام ذا توجّه عرفانيّ.

4- أنّه يمكننا الكلام على قيام اللّغة حجاجيّاً على الرّسم الخطاطيّ (معارض / معان) مرّة على صعيد الوحدات المعجميّة ومرّة على صعيد الرّوابط الحجاجيّة<sup>3</sup>.

وإذا كانت بنية الحجاج تقوم، حسب ديكر، على "إنجاز لعمليّين هما عمل التّصريح بالحجّة من ناحية وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى. سواء كانت التّنتيجة مصرّحاً بها أو مفهومة من ق 1"<sup>4</sup>. فإنّ هذه البنية نفسها تنطبق على الرّسم الخطاطيّ العرفانيّ للقوة القائم على ثنائيّتي المعارض / المعاني؛ إذ يمكن اعتبار الحجّة هي المعارض والتّنتيجة هي المعاني، وبذلك تكون بنية الحجاج قائمة على توسيع استعاريّ لخطاطة القوة. وسنهمّ في هذا الفصل ببيان بنية الحجاج في الخطاب من خلال الاشتغال على الرّوابط

1. Talmy (Leonard), (2000), p452.

2. Ibid, p453.

3. عبد الله صولة، ديناميّة القوة في اللّغة والخطاب، ص35.

4. عن عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ص36.

الحجاجيّة، والرّوابط الحجاجيّة هي وسائل لغويّة تحدّد طريقة الرّبط بين الحجّة والنتيجة، وتساهم في توجيه القول توجيهًا حجاجيًا مخصوصًا. ولهذه الرّوابط دور هام في تجلية خطاطة القوّة في الخطاب. وقد لاحظنا شدّة تواترها في مدوّنة جبران حتّى غدت سمة أسلوبيّة مميّزة لممارسته اللّغويّة، وسمة دلاليّة تعكس مواقف جبران الفكريّة والفلسفيّة.

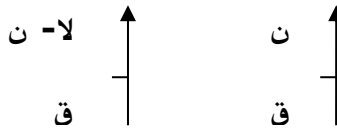
### 1. تعبير الحجاج عن استعارة خطاطة القوّة في لغة جبران: الرّوابط الحجاجيّة:

اهتمّ طالبي الرّوابط الحجاجيّة<sup>1</sup> وبين كيف تعكس هذه الرّوابط بنية خطاطة القوّة. وهي روابط تعكس في أغلبها ما يُسمّى بالتضاد الحجاجيّ (*contradiction argumentative*) وعلى رأسها "لكن" التي تُعتبر نموذجًا طرازياً لهذه الرّوابط.

#### 1.1. الرّابط الحجاجيّ "لكن":

سنستخذ الأمثلة التي ضربها كلّ من موشلير وريبول<sup>2</sup> في بيانها لدور "لكن" (*Mais*) الحجاجيّ في بنية اللّغة، لنبيّن كيف يعكس هذا الرّابط المنوال العرفانيّ لخطاطة القوّة.

يوضّح الرّابط الحجاجيّ "لكن" علاقة القوّة الحجاجيّة ومفهوم التّعارض الحجاجيّ، هذه العلاقة تقترض أنّه إذا كانت الحجّة "ق" تنتمي إلى قسم حجاجيّ محدّد بنتيجة (ن)، فإنّه يوجد حجّة "ق" تنتمي إلى قسم حجاجيّ محدّد بنتيجة مقابلة "لا-ن". فعندما ينتمي ملفوظان "ق" و"ق" إلى نفس القسم الحجاجيّ فإننا نقول إنّهما مترامنا التّوجيه الحجاجيّ *coorientés*، أو إنّهما يمتلكان نفس التّوجيه الحجاجيّ. وبالمقابل فإنّه عندما ينتمي الملفوظان "ق" و"ق" إلى قسمين حجاجيين متقابلين فإننا نقول إنّهما متضادًا التّوجيه الحجاجيّ *anti-orientés* أو إنّهما يمتلكان توجيهًا حجاجيًا متقابلًا، وسنبيّن العلاقة الحجاجيّة المتضادّة بالطريقة التّالية:



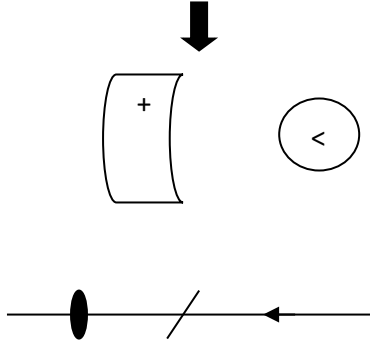
1. Talmy, pp452 - 453.

2. J. MoeSchler et A. Reboul, (1995), pp283-285.

تمتلك "لكن" خصائص حجاجية تقوم على الجمع بين علاقة القوّة الحجاجية وعلاقة التّضاد الحجاجي. حسب هذا المقياس فإنّه عندما توجد علاقة قوّة حجاجية بين حُجّتين فهذا لا يفضي ضرورة إلى أنّ الحُجّتين تنتميان إلى نفس السّلم الحجاجي *échelle argumentative*، وليبان هاتين الخاصّيتين الحجاجيتين نختبر الأمثلة التالية:

1-أ- لو كنت مكانك لما عهدت بهذا العمل إلى ماكس، إنّه ذو أهليّة لكنّه مفسد.

ويمكن تجليتها خطاطيا في الرّسم التالي:



ف"مفسد" تعتبر حجّة تنفي إلى القسم الحجاجي المُحدّد بالنتيجة: "لو كنت مكانك لما عهدت بهذا العمل إلى ماكس"، وتُعتبر "مفسد" معارضا في خطاطة القوّة، ويلعب دور المعاني قوله: "لو كنت مكانك لما عهدت بهذا العمل إلى ماكس". في حين لا نستطيع أن نقول:

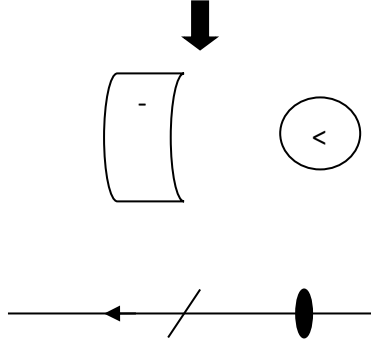
1-ب- ؟؟ لو كنت مكانك لما عهدت بهذا العمل إلى ماكس، إنّه مفسد لكنّه ذو أهليّة.

فليس هناك انسجام بين النتيجة والحجّة المحدّدة لها.

وهذا الرّسم الذي حدّده طالبي لا ينطبق على القول التالي:

2-أ- لو كنت مكانك لعهدت بهذا العمل إلى ماكس، إنّه مفسد، لكنّه ذو أهليّة.

ويمكننا التّمثيل على هذا القول بالرّسم الخطاطي التالي:



يمثل المعارض في هذا المثال الحجّة التي تُمثّل قوله: "ذو أهليّة"، والمعاني التّنتيجة التي يمثّلها قوله: "لو كنت مكانك لعهدت بهذا العمل إلى ماكس". في حين لا نستطيع أن نقول:  
2- ب-؟؟ لو كنت مكانك لعهدت بهذا العمل إلى ماكس، إنّه ذو أهليّة لكنّه مفسد.  
فليس هناك انسجام بين القسم الحاجيّ للحجّة "مفسد"، والتّنتيجة "لو كنت مكانك لعهدت بهذا العمل إلى ماكس".

لذلك يبدو كما يقول عبد الله صولة "أنّ هناك فرقا بين بنية الكلام التّحوّية التي ترد فيها "لكن" وبين بنيته الدّلالية. فلكن تربط نحويا بين (س) و(ص) = (y mais x)، وتربط دلاليّا بين (ق) و (ك) = (p mais q) وإذا كانت (س) و(ص) بنية قارّة فإنّ قيمتي (ق) و (ك) متحوّلتان"<sup>1</sup>. وهذا ما أوضحناه في الأمثلة السّابقة.

"معنى هذا أنّ الرّوابط الحاجيّة التي أمّها "لكن" إنّما وضعت في اللّغة لتجعل الخطاب الذي ترد فيه خاضعا شأن أيّ كلمة في المعجم لبنية محاجيّة، ومن ثمّ يكون خاضعا لرسم ديناميّة القوّة الخطاطي (معارض/ معاني) وبينهما صراع يقوى فيه دائما أحدهما على الآخر"<sup>2</sup>.

1. عبد الله صولة، ديناميّة القوّة في اللّغة والخطاب، ص 39.

2. المرجع نفسه، ص ص40-41.

على أننا يمكن أن نكشف عن وجوه أخرى لاستعارة القوة يجليها الرابطة الحجاجي "لكن"، لم يكشف عنها طالبي، فالصراع معارض / معان لا ينحصر في البنية الحجاجية حجة / نتيجة، بل يمكن أن نلمسه أيضا في العلاقة التي يقيمها هذا الرابطة بين حجتين مختلفتين، أولاها قبل "لكن"، وثانيتها بعد "لكن"، حيث نجد صراعا بين حجتين، إحداهما تمثل معانينا والأخرى تمثل معارضا. لتظهر استعارة خطاطة القوة في الصراع القائم بين حجة وحجة أخرى مغايرة لها.

وإذا تأملنا هذه البنية الحجاجية وجدنا أن الحجة بعد "لكن" تؤدي إلى نتيجة معينة "ن"، في حين أن الحجة قبل "لكن" تؤدي إلى نتيجة عكسية تماما هي "لا-ن"، ويتولد بذلك جانب آخر من الصراع بين نتيجة 1 ونتيجة 2، أو بين "ن" و"لا-ن". ويكشف هذا الصراع عن استعارة أخرى للقوة، تتضمنها البنية الحجاجية التي يقيمها الرابطة الحجاجي "لكن".

لذلك فإن استعارة خطاطة القوة تتجلى، في اعتقادنا، في البنية الحجاجية من خلال أربعة مستويات:

- استعارة خطاطة القوة الأولى: حجة "ق" (معارض) / نتيجة "ن" (معان).
- استعارة خطاطة القوة الثانية: حجة "ق-" (معارض) / نتيجة "لا-ن" (معان).
- استعارة خطاطة القوة الثالثة: حجة 1 "ق" (معان) / حجة 2 "ق" (معارض).
- استعارة خطاطة القوة الرابعة: نتيجة 1 "لا-ن" (معان) / نتيجة 2 "ن" (معارض).

وقد بدا لنا أن الرابطة الحجاجي "لكن"، بمثل رابطا مهمنا في الممارسة اللغوية لجران، ويمكننا أن نتبين طريقة اشتغاله، وكيف يعكس استعاريا بنية خطاطة القوة من خلال الأمثلة التالية:

يقول جبران: "قد تكون المصلحة المادية نولا تُحاك عليه تلك الرابطة ولكن هناك شعوب عديدة لم تحك مصلحتهم المادية سوى المنافسة والمناقشة"<sup>1</sup>.

يضم هذا المثال أربع استعارات خطاطية للقوة، تكشف عن مظاهر الصراع التي تحملها هذه البنية الحجاجية. في الاستعارة الأولى يمثل المعارض الحجة الواردة بعد "لكن"، "هناك شعوب عديدة لم تحك مصلحتهم المادية سوى المنافسة والمناقشة". هذا المعارض مارس ضربا من القوة أدى إلى النتيجة الضمنية التالية التي تمثل المعاني: "المصلحة المادية ليست العامل الوحيد الذي تقوم عليه الرابطة بين

1. جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية، ص 504.

الشعوب". حيث يمثّل المعارض الحجّة "ق"، والمعاني التّبيجة "ن"، في حين تتكوّن الاستعارة الثّانية من المعارض الذي تمثّله الحجّة "ق"، ويمثّلها قوله "المصلحة المادّية تمثّل نولا تحاك عليه تلك الرّابطة بين الشعوب"، وهي حجّة لا تنتمي لنفس السّلم الحجاجيّ للحجّة ق، لذلك أدت إلى نتيجة مختلفة "لان-": "المصلحة المادّية هي العامل الأساسي الذي تقوم عليه الرّابطة بين الشعوب"، وتمثّل هذه التّبيجة المعاني. إنّ المثال الذي أوردناه تنطبق عليه البنية "ق لكن ق"، وتمثّل ق حجّة تنتمي إلى قسم حجاجي تحدّده التّبيجة "ن"، في حين تمثّل الحجّة "ق" قسما حجاجيا آخر تحدّده التّبيجة "لان-". فتوسّطت بذلك "لكن"، على حدّ عبارة الرّمحشري، "بين كلامين متغايرين"<sup>1</sup>. وهذا التّوسط هو ما ولد الاستعارة الخطاطية الثّالثة القائمة على صراع بين الحجّة "ق" وتمثّل المعارض والحجّة "ق" وتمثّل المعاني، وهذا يعني في التّصوّر الجبرائيّ الذي تعكسه البنية "ق لكن ق"، أنّ الحجّة "ق" أقوى وأعلى رتبة من الحجّة "ق". وهذا يعني أنّ ترتيب الحجج في سلم حجاجي واحد بالنّسبة إلى بعض الأبنية من قبيل "ق لكن ق" لا يقتضي انتماء الحجج إلى قسم حجاجي واحد<sup>2</sup>. أمّا الاستعارة الخطاطية الرّابعة فمتولّدة عن الصّراع بين التّبيجة الافتراضية "ن" التي تمثّل المعارض القوي، والتّبيجة الافتراضية "لان" التي تلعب دور المعاني الضّعيف. وبذلك يتأسّس الصّراع استعاريا في البنية الحجاجية من جوانب مختلفة.

يقوم الرّابط الحجاجي "لكن" على نقض فكرة والتّأسيس لفكرة جديدة، وهو بهذه الممارسة ينسجم مع الفكر الجبرائيّ، الذي جاء يهدم تصوّرات سائدة ويؤسّس لتصوّرات جديدة. "لكن" تؤسّس لنصّ حجاجيّ يقوم على مجادلة الآخر لنقض أفكاره وهدمها ومحاولة استتاله وإقناعه بالرّأي الجديد الذي يدعو إليه جبران.

وهذا الجدول يمثّل جانبا من حضور هذا الرّابط، وحضور استعارة خطاطة القوّة من خلاله في مدوّنة جبران، على أنّنا نوضّح استعارة فقط من استعارات خطاطة القوّة التي يكشف عنها الرّابط الحجاجي "لكن"، وهي تلك الاستعارة التي تقوم على الصّراع بين حجّة وحجّة، لأنّها الاستعارة التي تميّز الخطاب الجبرائيّ، وتجعله مختلفا عن غيره:

الشّاهد	الحجّة 1/ المعاني	الحجّة 2/ المعارض
---------	-------------------	-------------------

1. ابن يعيش، شرح المفصّل، ص 589.

2. شكري المبخوت، جماليّة الألفه (النصّ ومتقبّله في التراث التّقدي)، ص 366.

- ما أتعس المرأة التي تستيقظ من غفلة الشببية فتجد ذاتها في منزل رجل يغمرها بأمواله وعطاياه، ويسرلها بالتكريم والمؤانسة، لكنه لا يقدر أن يلامس قلبها بشعلة الحب <sup>1</sup> .	- المرأة التي تستيقظ من غفلة الشببية فتجد ذاتها في منزل رجل يغمرها بأمواله وعطاياه، ويسرلها بالتكريم والمؤانسة.	- لا يقدر أن يلامس قلبها بشعلة الحب.
- وقد اقترن هذا الرجل منذ أعوام بفتاة قبيحة الصورة، ولكنها غنيّة جدًا <sup>2</sup> .	- وقد اقترن هذا الرجل منذ أعوام بفتاة قبيحة الصورة	فتاة غنيّة جدًا.
- التقرب من الكمال شريعة بطيئة لكنها <sup>3</sup> .	التقرب من الكمال شريعة بطيئة.	التقرب من الكمال شريعة فعالة.
- إن الحقائق العظيمة الفاتحة للطبيعة لا تنتقل من بشريّ إلى آخر بواسطة الكلام البشريّ المتعارف، لكنها تختار السكنية سبيلا بين النفوس <sup>4</sup> .	إن الحقائق العظيمة الفاتحة للطبيعة لا تنتقل من بشريّ إلى آخر بواسطة الكلام البشريّ المتعارف.	إن الحقائق العظيمة الفاتحة للطبيعة تختار السكنية سبيلا بين النفوس.
- الإنسانيّة طفلة تقف متأوّهة بجانب الطائر الذبيح ولكنها تخشى الوقوف أمام العاصفة الهائلة <sup>5</sup> .	الإنسانيّة طفلة تقف متأوّهة بجانب الطائر الذبيح	الإنسانيّة تخشى الوقوف أمام العاصفة الهائلة.
- الحياة امرأة عاهر لكنها جميلة، ومن يرى عهها يكره جمالها <sup>6</sup> .	الحياة امرأة عاهر.	الحياة امرأة جميلة.

1. جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربيّة، ص 133.

2. المصدر نفسه، ص 141.

3. المصدر نفسه، ص 252.

4. المصدر نفسه، ص 370.

5. المصدر نفسه، ص 443.

6. المصدر نفسه، ص 456.

لا يداوونه بغير المخدرات الواقية.	وأطباء الشرق كثيرون يلازمون مضجعه ويتآمرون في شأنه.	- وأطباء الشرق كثيرون يلازمون مضجعه ويتآمرون في شأنه، ولكنهم لا يداوونه بغير المخدرات الواقية <sup>1</sup> .
لا تشفى ولن تشفى بغير الاستئصال.	وفي فم الأمة السوربة أضراس بالية سوداء قدرة ذات رائحة كريهة وقد حاول أطباؤنا تطهيرها وحشوها وإلباس خارجها رقوق الذهب.	- وفي فم الأمة السوربة أضراس بالية سوداء قدرة ذات رائحة كريهة وقد حاول أطبائنا تطهيرها وحشوها وإلباس خارجها رقوق الذهب، ولكنها لا تشفى ولن تشفى بغير الاستئصال <sup>2</sup> .

وإضافة إلى الرابطة الحجاجي "لكن"، تتواتر في مدونة جبران روابط حجاجية تؤدّي نفس دلالة  
"لكن"، وتعمكس بحضورها استعارة خطاطة القوة، ومن هذه الروابط نذكر "أما" و"غير أن" و"بل".

## 2.1. الرابطة الحجاجي "أما":

يتميّز الرابطة الحجاجي "أما" بنفس خصائص "لكن"، حيث يتم صراعا بين الحجّة والحجّة،  
وصراعا بين النتيجة 1 والنتيجة 2، وكذلك صراعا بين الحجّة والنتيجة. وهذا الجدول يوضّح إحدى هذه  
الاستعارات:

المعارض /2 الحجّة	الحجّة /1 المعاني	الشاهد
- الحيّ يسير معها راكضا ولا يقف إلا بوقوفها.	- إنّ الميت يرتعش أمام العاصفة.	- إنّ الميت يرتعش أمام العاصفة أما الحيّ فيسير معها راكضا ولا يقف إلا بوقوفها <sup>3</sup> .
- لحمه لا يؤكل.	- هذا كالحنزير قذارة.	- انظر فهذا كالحنزير قذارة أما لحمه فلا يؤكل <sup>4</sup> .

1. المصدر نفسه، ص 475.

2. المصدر نفسه، ص 490.

3. المصدر نفسه، ص 431.

4. المصدر نفسه، ص 441.

- وهذا كالجاموس خشونة أمّا جلده فلا ينفع. <sup>1</sup>	- هذا كالجاموس خشونة. - جلده لا ينفع.	
- وتلك كالطاووس تيبها وإعجابا أمّا ريشها فمستعار. <sup>2</sup>	- تلك كالطاووس تيبها وإعجابا. - ريشها فمستعار.	
في مثل هذا اليوم من كلّ سنة تستيقظ الإنسانيّة بيقظة الرّبع فتقف باكية لأوجاع النّاصري ثمّ تطبق أجفانها وتنام نوّما عميقا، أمّا الرّبع فيظلّ مستيقظا مبتسما سائرا حتّى يصير مذهّب الملابس معطر الأذيال. <sup>3</sup>	- في مثل هذا اليوم من كلّ سنة تستيقظ الإنسانيّة بيقظة الرّبع فتقف باكية لأوجاع النّاصري ثمّ تطبق أجفانها وتنام نوّما عميقا.	- الرّبع يظلّ مستيقظا مبتسما سائرا حتّى يصير مذهّب الملابس معطر الأذيال.
- إنّما الحياة عزم يرافق الشّيبية وجدّ يلاحق الكهولة، وحكمة تتبع الشيخوخة، أمّا أتم يا بني أمّي فقد ولدت شيوخا عاجزين ثمّ صغرت رؤوسكم وتقلّصت جلودكم أطفالا تتقلّبون على الأوحال وتترامون بالحجارة. <sup>4</sup>	- الحياة عزم يرافق الشّيبية وجدّ يلاحق الكهولة، وحكمة تتبع الشيخوخة.	- أتم يا بني أمّي ولدت شيوخا عاجزين ثمّ صغرت رؤوسكم وتقلّصت جلودكم أطفالا تتقلّبون على الأوحال وتترامون بالحجارة.
- إنّما الإنسانيّة نهر بلوريّ يسير متدفّقا مترنًا حاملًا أسرار الجبال إلى أعماق البحر، أمّا أتم يا بني أمّي فمستنقعات الحشرات في أعماقها وتتلوّى الأفاعي على جنباته.	- الإنسانيّة نهر بلوريّ يسير متدفّقا مترنًا حاملًا أسرار الجبال إلى أعماق البحر.	- أتم يا بني أمّي فمستنقعات الحشرات في أعماقها وتتلوّى الأفاعي على جنباته.

1. المصدر نفسه، ص440.

2. المصدر نفسه.

3. المصدر نفسه، ص443.

4. المصدر نفسه، ص459.

		خبیثة تدبّ الحشرات في أعماقها وتتلوّى الأفاعي على جنباته <sup>1</sup> .
- اليوم وقد تغیر الدهر وغیرنا وأصبحنا لا نحدّق إلاّ عبر وجه الشمس ولا نصغي إلاّ لنعمة البحر ولا نهتر إلاّ مع الزوابع.	- كنا بالأمس نخشع بأبصارنا أمام الكهان، وتهیب رؤية العرافين، أما اليوم وقد تغیر الدهر وغیرنا وأصبحنا لا نحدّق إلاّ عبر وجه الشمس ولا نصغي إلاّ لنعمة البحر ولا نهتر إلاّ مع الزوابع <sup>2</sup> .	كنا بالأمس نخشع بأبصارنا أمام الكهان، وتهیب رؤية العرافين، أما اليوم وقد تغیر الدهر وغیرنا وأصبحنا لا نحدّق إلاّ عبر وجه الشمس ولا نصغي إلاّ لنعمة البحر ولا نهتر إلاّ مع الزوابع <sup>2</sup> .
- الطيور تحيا بحسب التاموس الكلي المطلق الذي يسير بالأرض نحو الشمس.	- الإنسان يعيش في ظلال شرائع وتقاليد ابتدعها لنفسه.	- نعم إنّ للطير شرفا ليس للإنسان، فالإنسان يعيش في ظلال شرائع وتقاليد ابتدعها لنفسه، أما الطيور فتحيا بحسب التاموس الكلي المطلق الذي يسير بالأرض نحو الشمس <sup>3</sup> .

### 3.1. الرّابط الحجاجي "غير أنّ":

يلعب الرّابط الحجاجي "غير أنّ" نفس وظيفة "لكن" و"أما"، ويعضد دلالتيهما في مدوّنة جبران، ويجلي في البنية اللّغويّة التي يقيّمها استعارة خطاطة القوّة، وهذا الجدول يوضّح بعض الأمثلة في مدوّنة جبران، ونكشف فيه عن الصّراع بين الحجّة والنتيجة:

النتيجة/ المعاني	الحجّة / المعارض	الشّاهد
------------------	------------------	---------

1. المصدر نفسه، ص 459.

2. المصدر نفسه، ص 465.

3. المصدر نفسه، ص 513.

<p>- إذن تسهل رؤيته على الجميع.</p>	<p>- أسكبه في كؤوس نظيفة شقافة.</p>	<p>- فالحقيقة العارية هي أتي لا أمرح السّم بالدّسم بل أسكبه صرفا... غير أتي أسكبه في كؤوس نظيفة شقافة<sup>1</sup>.</p>
<p>- إذن النفس لا تجيب على تساؤلات الشاعر.</p>	<p>- النفس كالفضاء تبصر ولا تتكلّم</p>	<p>- كلما خلوت بنفسي أطرح عليها هذه السؤالات غير أنّ النفس كالفضاء تبصر ولا تتكلّم<sup>2</sup>.</p>
<p>- يمكن تحديد زمن ميلاد بعض النّوات.</p>	<p>- أشعر أنّ الذات المصريّة -مثلا- قد تبلورت قبل ظهور النّولة الأولى.</p>	<p>- هكذا يصعب عليّ تعيين وتحديد الزّمن الذي تولد فيه الذات العامّة غير أنّي أشعر أنّ الذات المصريّة -مثلا- قد تبلورت قبل ظهور النّولة الأولى<sup>3</sup>.</p>
<p></p>	<p>- كت أتمّي لقاء هذا الرّجل الغريب.</p>	<p>- أمّا أنا فلم أكن أرى هذا ولا ذلك... غير أنّي كت أتمّي لقاء هذا الرّجل الغريب<sup>4</sup>.</p>
<p>- إذن نحن نمتلك قوّة لا تقهرها الرّوابع.</p>	<p>- الرّوابع لا تستطيع التّغلب علينا.</p>	<p>- نحن حقيرات الأجسام غير أنّ الرّوابع لا تستطيع التّغلب علينا<sup>5</sup>.</p>
<p>- إذن الغربة تحقّق توازن الشاعر.</p>	<p>- إنّ الغربة تجعلني أفكّر أبدا بوطن سحريّ.</p>	<p>- أنا غريب وفي الغربة وحدة قاسية ووحشة موجعة غير أنّها تجعلني أفكّر أبدا بوطن سحريّ<sup>6</sup>.</p>

1. المصدر نفسه، ص473.

2. المصدر نفسه، ص497.

3. المصدر نفسه، ص505.

4. المصدر نفسه، ص511.

5. المصدر نفسه، ص561.

6. المصدر نفسه، ص563.

- نعم ولدت مسيحيا غير أنني أعلم أننا إذا جردنا الأديان مما تعلق بها من الزوائد المذهبية والاجتماعية وجدناها دينا واحدا <sup>1</sup> .	- أعلم أننا إذا جردنا الأديان مما تعلق بها من الزوائد المذهبية والاجتماعية وجدناها دينا واحدا.	- إذن لا فرق بين المسيحية وغيرها من الأديان.
---	--	--

#### 4.1. الرّابط الحجاجي "بل":

يلفت انتباهنا في استعمال جبران لهذا الرّابط الحجاجي، أنّه يستعمله دائما بعد نفي، وهذا ما يجعل له دلالات أخرى تميّزه عن الرّابط الحجاجي "لكن"، يقول ابن هشام معرّفا دلالة "بل" بعد النفي: "وإن تمدحنا نفي أو نهي فهني لتقرير ما قبلها على حالته، وجعل ضده لما بعده، نحو ما قام زيد بل عمرو، ولا يقيم زيد بل عمرو، وأجاز المبرد وعبد الوارث أن تكون ناقلة معنى النفي والنهي إلى ما بعدها وعلى قولها فيصح ما زيد قائما بل قاعداً، وبل قاعد، ويختلف المعنى"<sup>2</sup>.

وإذا أردنا تحليل هذه الصيغة حججياً، فإنّ ما قبل "بل" يمثّل الحجّة "ق"، في حين أنّ ما بعدها يمثّل الحجّة "ق"، وكتاهما تنتمي إلى سلّم حججّي واحد، لكنّها مختلفتا القوّة الحججّية ف"ق" أكثر قوّة من "ق". وكتاهما تؤدّي إلى النتيجة "ن". وإذا أردنا تطبيق خطاطة القوّة على هذه البنية الحججّية، اعتبرنا الحجّة "ق" معارضا في حين يمثّل المعاني النتيجة "ن".

1. المصدر نفسه، ص 651.

2. ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق عادل فاخوري، ص 191. يقول المرادي مؤكّدا قول ابن هشام "فإن كانت بعد نفي نحو: ما قام زيد بل عمرو، أو نهي نحو: لا تضرب زيدا بل عمرا، فهني لتقرير حكم الأول، وجعل ضده لما بعدها. ففي المثال الأول قررت نفي القيام لزيد، وأثبتته لعمرو. وفي المثال الثاني قررت النهي عن ضرب زيد، وأثبتت الأمر بضرب عمرو. ووافق المبرد على هذا الحكم، وأجاز مع ذلك أن تكون ناقلة حكم النفي والنهي، لما بعدها. ووافقه على ذلك أبو الحسن عبد الوارث. قال ابن مالك: وما جوزوه مخالف لاستعمال العرب". (المرادي (الحسن بن القاسم، الجيّد الداني في حروف المعاني، 1973)

ويمكننا التمثيل لذلك بالمثال التالي لجبران:

- "ما عاش يسوع مسكينا خائفا ولم يمت شاكيا متوجعا بل عاش ثائرا وُصَلب متمرّدا ومات جبّارا".

تمثّل الحجّة "ق": "عاش يسوع ثائرا وُصَلب متمرّدا ومات جبّارا" المعارض القويّ، الذي مارس ضربا من القوّة على المعاني الذي يمثّل النتيجة الضمنية لهذه الحجّة، ويمكن صياغة هذه النتيجة كالتالي: "إذن صورة يسوع الحقيقة تختلف عن تصوّرات الناس عنه".

وهذا الجدول يقدّم صورة عن حضور هذه البنية في أعمال جبران:

الشاهد	الحجّة / المعارض	النتيجة / المعاني
- لست بحكيم فالحكمة صفة من صفات البشر الضّعفاء، بل أنا مجنون قويّ أسير فتميد الأرض تحت قدمي وأقف فتقف معي مواكب التجوم. <sup>1</sup>	- أنا مجنون قويّ أسير فتميد الأرض تحت قدمي وأقف فتقف معي مواكب التجوم.	- إذن المجنون أهمّ منزلة من الحكيم.
- ما عاش يسوع مسكينا خائفا ولم يمت شاكيا متوجعا بل عاش ثائرا وُصَلب متمرّدا ومات جبّارا. <sup>2</sup>	- عاش ثائرا وُصَلب متمرّدا ومات جبّارا.	- إذن صورة يسوع الحقيقة تختلف عن تصوّرات الناس عنه.
- لم يكن يسوع طائرا مكسور الجناحين بل كان عاصفة هوجاء تكسر بهبوبها جميع الأجنحة المعوجّة. <sup>3</sup>	- كان عاصفة هوجاء تكسر بهبوبها جميع الأجنحة المعوجّة.	- إذن صورة يسوع الحقيقة تختلف عن تصوّرات الناس عنه.
- لم يخف يسوع مضطهديه ولم يخش أعداءه ولم يتوجّع أمام قاتليه، بل كان	- كان حرّا على رؤوس الأشهاد جريئا أمام الظلم والاستبداد.	- إذن صورة يسوع الحقيقة تختلف عن تصوّرات الناس عنه.

1. جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربيّة، ص 433.

2. المصدر نفسه، ص 433.

3. المصدر نفسه، ص 444.

		حرًا على رؤوس الأشهاد جريئًا أمام الظلم والاستبداد <sup>1</sup> .
إذن صورة يسوع الحقيقة تختلف عن تصوّرات الناس عنه.	- جاء ليبيث في فضاء هذا العالم روحا جديدة قويّة تقوّض قوائم العروش المرفوعة على الجمائم وتهدم القصور المتعالية فوق القبور وتسحق الأصنام المنصوبة على أجساد الضّعفاء المساكين.	- لم يهبط يسوع من دائرة التّور الأعلى ليهدم المنازل ويبنّي من حجارتيها الأديرة والصّوامع، ويستهبوي الرّجال الأشداء ليقودهم قسوسا ورهبانا، بل جاء ليبيث في فضاء هذا العالم روحا جديدة قويّة تقوّض قوائم العروش المرفوعة على الجمائم وتهدم القصور المتعالية فوق القبور وتسحق الأصنام المنصوبة على أجساد الضّعفاء المساكين <sup>2</sup> .

### 5.1. الرّوابط الحجاجيّة التعليلية:

هناك ضرب آخر من الرّوابط الحجاجيّة وهي الرّوابط الحجاجيّة التعليلية التي يوظفها الكاتب لتبرير رأيه، وتعكس هي أيضا استعاريا خطاطة القوّة. ويمكننا توضيح ذلك من خلال هذا المثال لجبران:

- نحن نراكم لأنكم وافقون في التور المظلم<sup>3</sup>.

هذا المثال قائم على البنية الحجاجيّة حجّة/ نتيجة. وتمثّل الحجّة الجملة الواقعة بعد الرّابط الحجاجي "لأنّ" وهي تمثّل السبب الذي أوصلنا إلى النتيجة، وتمثّلها الجملة السابقة للرابط الحجاجي التعليلي. وتنطبق على هذه البنية خطاطة القوّة، فالحجّة "إنكم وافقون في التور المظلم" تمثّل المعارض، والنتيجة "نحن نراكم" تمثّل المعاني. ويمكن التمثيل لهذه الخطاطة برسم ديناميّة القوّة الثابتة التالي:

1. المصدر نفسه، ص444.

2. المصدر نفسه، ص444.

3. المصدر نفسه، ص460.



وهذا الجدول يوضح تواتر بعض هذه البنى الخطاطية الاستعارية في مدونة جبران:

الشاهد	الحجّة/ المعارض	النتيجة/ المعاني
- أتم لا تعون صراخنا لأنّ ضجيج الأيّام يملأ أذانكم. <sup>1</sup>	- ضجيج الأيّام يملأ أذانكم.	- أتم لا تعون صراخنا
- نحن نسمع أغانيكم لأنّ همس الليالي قد فتح مسامعنا. <sup>2</sup>	- همس الليالي قد فتح مسامعنا.	- نحن نسمع أغانيكم
- نحن نراكم لأنكم واقفون في التور المظلم. <sup>3</sup>	- إنكم واقفون في التور المظلم	- نحن نراكم
- أمّا أتم فلا تروننا لأننا جالسون في الظلمة المنيرة. <sup>4</sup>	-إننا جالسون في الظلمة المنيرة.	- أتم لا تروننا

1. المصدر نفسه، ص460.

2. المصدر نفسه، ص460.

3. المصدر نفسه، ص460.

4. المصدر نفسه، ص460.

- أتم تضعون قلوبكم بين أيدي الخلوّ	- أصابع الخلوّ لينة الملامس.	- أتم تضعون قلوبكم بين أيدي الخلوّ لأنّ أصابع الخلوّ لينة الملامس <sup>1</sup> .
-ترتاحون بقرب الجهالة	- بيت الجهالة خال مرآة ترون فيها وجوهكم.	- وترتاحون بقرب الجهالة لأنّ بيت الجهالة خال مرآة ترون فيها وجوهكم <sup>2</sup> .
- نحن نبكي.	- نحن نرى تعاسة الأرملة وشقاء اليتيم.	- نحن نبكي لأننا نرى تعاسة الأرملة وشقاء اليتيم <sup>3</sup> .
- أتم تضحكون	- أتم لا ترون غير لمعان الذهب.	- أتم تضحكون لأنكم لا ترون غير لمعان الذهب <sup>4</sup> .
- نحن نبكي	- نحن نسمع أنّ الفقير وصراح المظلوم.	- نحن نبكي لأننا نسمع أنّ الفقير وصراح المظلوم <sup>5</sup> .
- أتم تضحكون	- أتم لا تسمعون سوى رنة الأقداح.	- أتم تضحكون لأنكم لا تسمعون سوى رنة الأقداح <sup>6</sup> .
- أنا أكرهكم يا بني أمي	- أتم تكرهون المجد والعظمة.	- أنا أكرهكم يا بني أمي لأنكم تكرهون المجد والعظمة <sup>7</sup> .
- أنا أحتقركم	- أتم تحتقرون نفوسكم.	- أنا أحتقرم لأنكم تحتقرون نفوسكم <sup>8</sup> .
- لقد جمعت طرائف الأرض ونفائسها في تابوت	- عيونهم لا ترى سوى المظاهر الخارجيّة.	- لقد جمعت طرائف الأرض ونفائسها في تابوت يعوم على وجه الماء وعدت

1. المصدر نفسه، ص460.

2. المصدر نفسه، ص460.

3. المصدر نفسه، ص461.

4. المصدر نفسه، ص461.

5. المصدر نفسه، ص461.

6. المصدر نفسه، ص461.

7. المصدر نفسه، ص459.

8. المصدر نفسه، ص459.

إلى قومي فبنذوني لأنّ عيونهم لا ترى سوى المظاهر الخارجيّة <sup>1</sup> .	يعوم على وجه الماء وعدت إلى قومي فبنذوني.
---	--

## 6.1. "الواو" رابطا حجاجياً:

يمكن للواو أن تلعب دور الزائبط الحجاجي، ونوضّح ذلك من خلال المثال التالي لجبران:

- نفوسكم تتلوى جوعا وخبز المعرفة أوفر من حجارة الأودية.

تُعبّر "الواو" في هذا السياق عن مظهر حجاجي انتهاكي *Aspect transgressif*، ذلك أنّ الحجاج يقوم إمّا على مظهر معياري *Aspect Normatif*، أو مظهر انتهاكي. "وهو ما يدعمه قول كارل... "كلّ كلمة (P) تكون مرتبطة دلاليًا بطائفة من الخطابات الحجاجية القائمة على (إذن) أو (رغم)". والمثال على ذلك:

هو كدّ وجدّ وإذن هو ينجح.

هو كدّ وجدّ ورغم ذلك لم ينجح.

حيث يبدو المثال الأوّل قد احترم الموضوع: "العمل ينجح"، فمظهر الحجاج هنا مظهر معياري *Aspect Normatif*، في حين انتهك هذا الموضوع في المثال الثاني، فالمظهر الحجاجي فيه مظهر انتهاكي *Aspect transgressif*<sup>2</sup>.

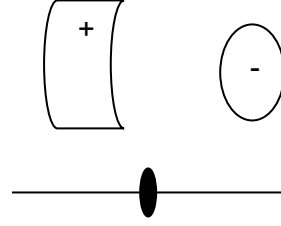
و"الواو" في هذا السياق أقرب إلى معنى "رغم أنّ"؛ إذ يمكن القول: نفوسكم تتلوى جوعا رغم أنّ خبز المعرفة أوفر من حجارة الأودية.

وتُعتبر هذه البنية تحفيقا لخطاطة القوّة القائمة على ثنائيتي المعارض / المعاني، حيث تمثّل "خبز المعرفة أوفر من حجارة الأودية" الحجّة أو المعارض، في حين تمثّل "نفوسكم تتلوى جوعا" النتيجة أو المعاني.

وهذه الصيغة تنتمي إلى قوالب ديناميّة القوّة الثابتة، ويمكن التمثيل له بالرسم التالي:

1. المصدر نفسه، ص 471.

2. عبد الله صولة، ديناميّة القوّة في اللّغة والخطاب، ص 36.



وهذه نماذج عن هذا الزابط الحجاجي في مدونة جبران.

النَّيْجَة / المعاني	الحجّة / المعارض	الشّاهد
- وقلوبكم تختلج عطشا.	- مناهل الحياة تجري كالسواقي حول منازلكم.	- وقلوبكم تختلج عطشا ومناهل الحياة تجري كالسواقي حول منازلكم. <sup>1</sup>
- أتمّ تتبعون الملاهي	- أطافر الملاهي مزّقت ألف من الشّهداء في مسارح روميّة وأنطاكية.	- أتمّ تتبعون الملاهي وأطافر الملاهي مزّقت ألف من الشّهداء في مسارح روميّة وأنطاكية. <sup>2</sup>
- أتمّ تضاجعون الشّهوات.	- عواصف الشّهوات جرفت ألف مركب من أرواح النّساء إلى هاوية العار والفجور	- أتمّ تضاجعون الشّهوات وعواصف الشّهوات جرفت ألف مركب من أرواح النّساء إلى هاوية العار والفجور. <sup>3</sup>
- أتمّ تسامرون المطامع.	- أسياف المطامع أجرت ألف نهر من الدّماء.	- أتمّ تسامرون المطامع وأسياف المطامع أجرت ألف نهر من الدّماء. <sup>4</sup>

### 7.1 "الفاء" رابطا حجاجيا:

1. جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربيّة، ص457.

2. المصدر نفسه، ص461.

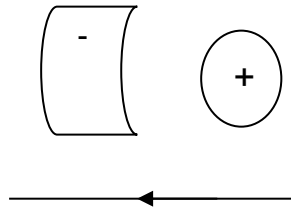
3. المصدر نفسه، ص462.

4. المصدر نفسه، ص462.

تلعب "الفاء" دور الرابطة الحجاجي بين السبب أو العلة والنتيجة، يقول ابن هشام موضحاً هذا المعنى لحرف "الفاء": "والأمر الثالث: السببية، وذلك غالباً في العاطفة جملة أوصفة؛ فالأول نحو (فوكزه موسى ففضى عليه) ونحو (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) والثاني نحو: (لاكلون من شجر من زقوم فمالتون منها البطون فشاربون عليه من الحميم)<sup>1</sup>".<sup>1</sup> وقد ورد في كلام الله تعالى في قوله: "السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما"، فالأمر بقطع اليد في الآية وتصوّر (الحكم) رتبة الشارح على السرقة (الوصف) لوجود القطع، فعلى ترتيب الحكم على الوصف، وحصل الاقتران بواسطة معنى الحرف (الفاء). ولولا ذلك لكان هذا الاقتران غير مقبول. وفي كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوله: "من أحيا أرضاً ميتة فهي له"، فقد رتب الحديث ملك الأرض الموات على إحيائها بحرف (الفاء) وذلك في قوله "فهي له"، وفي ذلك دلالة إيماء على أن إحياء الأرض الميتة هو علة تملكها (...). وبذلك دلّ الكلام في جميع الصور السابقة على الرّبط الحجاجي الواضح في أنّ ما رتب عليه الحكم بالفاء هو علة الحكم"<sup>2</sup>.

لذلك فالفاء تمثّل رابطاً حجاجياً يربط بين علة ونتيجة، أو حجة ونتيجة، وهي بنية خاضعة لخطاطة القوة معارض / معان، ونمثّل عليه بالقول التالي لجبران:

- "ثمّ لمست بأناملك أفكارى فتدققت أفكارى نهراً راکضاً مترنّاً يجرف الأعشاب الذّابّة"<sup>3</sup>.  
يُمثّل قوله: "لمست بأناملك أفكارى" العلة التي أدت إلى النتيجة التالية للفاء: "تدققت أفكارى نهراً راکضاً مترنّاً يجرف الأعشاب الذّابّة". وبذلك أقامت الفاء بنية حجاجية قوامها حجة / نتيجة، وبنية خطاطية قوامها معارض / معان. ويمكننا التمثيل عليها بالشكل التالي:



1. ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق عادل فاخوري، ص 275.
2. أحمد كروم، "مقاربات نظرية في مظاهر الرّبط الحجاجي لبنية الاقتضاء"، ص 257 - 258.
3. جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية، ص 452.

وهذه نماذج عنها في مدوّنة جبران:

النتيجة / المعاني	الحجة / المعارض	الشاهد
- ظلّوا منطرحين فوق الثرى ورائحة التّن تبعث منهم.	- لم يجدوا من يدفنهم.	- ولكّتهم لم يجدوا من يدفنهم فظلّوا منطرحين فوق الثرى ورائحة التّن تبعث منهم <sup>1</sup> .
- يصبحون من الأصوات كرجع الصدى ومن الأجسام كالحيالات.	- والعبوديّة الصّماء، وهي التي تُكره الأفراد على اتباع مشارب محيطهم والتلّون بألوانه، والارتداء بأزيائه.	- والعبوديّة الصّماء، وهي التي تُكره الأفراد على اتباع مشارب محيطهم والتلّون بألوانه، والارتداء بأزيائه، فيصبحون من الأصوات كرجع الصدى ومن الأجسام كالحيالات <sup>2</sup> .
- يمسون مثل آلات تحرّكها الأصابع ثمّ توقفها ثمّ تكسرها	- والعبوديّة العرجاء وهي التي تضع رقاب الأشداء تحت سيطرة المحتالين، وتسلمّ عزم الأقوياء إلى أهواء الطامعين بالمجد والاشتهار.	- والعبوديّة العرجاء وهي التي تضع رقاب الأشداء تحت سيطرة المحتالين، وتسلمّ عزم الأقوياء إلى أهواء الطامعين بالمجد والاشتهار، فيمسون مثل آلات تحرّكها الأصابع ثمّ توقفها ثمّ تكسرها <sup>3</sup> .
- يجعلها تتعالى متجمّدة أمام كواكب الليل وتسبح مترنمة أمام شمس النهار.	- الحبّ كثر تسكبه عرائس الفجر في الأرواح القويّة.	- الحبّ كثر تسكبه عرائس الفجر في الأرواح القويّة فيجعلها تتعالى متجمّدة أمام كواكب الليل وتسبح مترنمة أمام شمس النهار <sup>4</sup> .
- لم ترقصوا.	- قد غنّيت لكم	- قد غنّيت لكم فلم ترقصوا <sup>5</sup> .

1. المصدر نفسه، ص 431.

2. المصدر نفسه، ص 436 - 437.

3. المصدر نفسه، ص 437.

4. المصدر نفسه، ص 448.

5. المصدر نفسه، ص 457.

- ونحت أمامكم فلم تبكوا <sup>1</sup> .	- ونحت أمامكم	- لم تبكوا.
- لقد جمعت طرائف الأرض ونفأسها في تابوت يعوم على وجه الماء وعدت إلى قومي فنبدوني <sup>2</sup> .	- لقد جمعت طرائف الأرض ونفأسها في تابوت يعوم على وجه الماء وعدت إلى قومي.	- نبدوني.

### 8.1. بنية الشرط وبنية الحجاج:

الضرب الآخر من الروابط الحجاجية هو ذلك الذي يقوم على بنية الشرط. ويعرف التركيب الشرطي باعتباره "وحدة نحوية تحمل قضية تنحلّ إلى طرفين، ثانيهما معلق بمقدمة يتضمنها الأول، والعامل الذي تتعدّد به القضية قد يكون لفظاً صريحاً وهو الأداة، وقد يكون مظهراً نحويّاً في صلب التركيب وهو سياق الطلب"<sup>3</sup>. وبنية الشرط بنية حجاجية تقوم على ثنائيي الحجة/التبعية، وهي بذلك تستجيب لبنية خطاطة القوة، القائمة على ثنائيي المعارض/المعاني، وتتجلّى هذه البنية في صيغ شرطية متعدّدة، وسنفسّر قيام بنية الشرط على خطاطة القوة من خلال المثال التالي لجران:

- لو كان بإمكانك أن ترى الجنيّة وتلمسها لما أشرت عليك بزواجها<sup>4</sup>.

تقوم هذه البنية الشرطية على الثنائية الحجاجية حجة/نتيجة؛ إذ يمثّل قوله "كان بإمكانك أن ترى الجنيّة وتلمسها" حجة، و"ما أشرت عليك بزواجها" نتيجة، ولما كانت لو تفيد، على حدّ قول ابن هشام، "الشرطية، أعني عقد السببية والمسببية بين جمليتين بعدها"، وهذه الشرطية مقيدة "بالزمن الماضي، وبهذا الوجه وما يذكر بعده فارقت إن، فإنّ تلك لعقد السببية والمسببية في المستقبل، ولهذا قالوا: الشرط بأنّ سابق على الشرط بلو، وذلك لأنّ الزمن المستقبل سابق على الزمن الماضي، عكس ما يتوهم المبتدئون، ألا ترى أنك تقول إنّ جئتني غداً أكرمك فإذا انقضى الغد ولم يحجّ قلت لو جئتني أمس أكرمك"<sup>5</sup>. فإنّنا يمكن أن نُعيد صياغة هذه الجملة كالتالي، وإن كانت هذه الصيغة تُفقد الجملة شيئاً

1. المصدر نفسه.

2. المصدر نفسه، ص471

3. عبد السلام المسديّ ومحمد الهادي الطرابلسي، الشرط في القرآن، ص23.

4. جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية، ص444.

5. ابن هشام، معني اللّيب عن كتب الأعراب، الجزء الأول، ص422.

من معناها لكننا نوردها للتوضيح: لما لم يكن بإمكانك أن ترى الجيئة وتلمسها أشرت عليك بزواجها. فتكون الحجّة: "لم يكن بإمكانك أن ترى الجيئة وتلمسها"، والنتيجة: "أشرت عليك بزواجها". وهي البنية نفسها التي تقوم عليها خطأ القوة، حيث تُمثّل الحجّة المعارض، والنتيجة المعاني.

وهذه البنية الشرطية تتجلى في مدوّنة جبران في الصيغ التالية خاصّة: [لو...]، [إذا...]، [إن...].

### - الصيغة [ لو ... ]:

وهذا الجدول يوضّح نماذج عنها في مدوّنة جبران:

الشاهد	الحجّة/ المعارض	النتيجة/ المعاني
- لو عقل البشر لوقفوا اليوم فرحين متهلّلين منشدين أهازيج الغلبة والانتصار. <sup>1</sup>	- عقل البشر	- لوقفوا اليوم فرحين متهلّلين منشدين أهازيج الغلبة والانتصار.
- لو اتّبع الرّجال والنساء المتزوجون وغير المتزوجين آراء جبران في الزواج لتقفّضت أركان العائلة وانهدمت مباني الجامعة البشرية وأصبح هذا العالم حجما وسكّانه شياطين. <sup>2</sup>	- اتّبع الرّجال والنساء المتزوجون وغير المتزوجين آراء جبران في الزواج	- لتقفّضت أركان العائلة وانهدمت مباني الجامعة البشرية وأصبح هذا العالم حجما وسكّانه شياطين.
- لو كتبت جائعا بين أهلي الجائعين، مضطهدا بين قومي المضطهدين، لكانت الأيام أخفّ وطأة على صدري والليالي أقلّ سوادا أمام عيني. <sup>3</sup>	- كتبت جائعا بين أهلي الجائعين، مضطهدا بين قومي المضطهدين	- لكانت الأيام أخفّ وطأة على صدري والليالي أقلّ سوادا أمام عيني.

1. جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربيّة، ص 444.

2. المصدر نفسه، ص 473.

3. المصدر نفسه، ص 500.

<p>- كان الطّفّل الجائع يلتقطني ويزيل مجبّاتي يد الموت عن نفسه.</p>	<p>- كنت سنبلة من القمح نابته في تربة بلادي</p>	<p>- لو كنت سنبلة من القمح نابته في تربة بلادي لكان الطّفّل الجائع يلتقطني ويزيل مجبّاتي يد الموت عن نفسه<sup>1</sup>.</p>
<p>- كانت المرأة الجائعة تتناولني وتقضمي طعاما.</p>	<p>- كنت ثمرة يانعة في بساتين بلادي</p>	<p>- لو كنت ثمرة يانعة في بساتين بلادي لكانت المرأة الجائعة تتناولني وتقضمي طعاما<sup>2</sup>.</p>
<p>- لكان الرّجل الجائع يصطادني ويزيل مجسدي ظلّ القبر عن جسده.</p>	<p>- كنت طائرا في فضاء بلادي</p>	<p>- لو كنت طائرا في فضاء بلادي لكان الرّجل الجائع يصطادني ويزيل مجسدي ظلّ القبر عن جسده<sup>3</sup>.</p>
<p>- لقلت إنّ الموت في سبيل الحرّيّة لأشرف من الحياة في ظلال الاستسلام، ومن يعتنق الأبدية والسّيف في يده كان خالدا بخلود الحقّ.</p>	<p>- ثار قومي على حكّاهم الطّغاة وماتوا جميعا متمرّدين</p>	<p>- لو ثار قومي على حكّاهم الطّغاة وماتوا جميعا متمرّدين لقلت إنّ الموت في سبيل الحرّيّة لأشرف من الحياة في ظلال الاستسلام، ومن يعتنق الأبدية والسّيف في يده كان خالدا بخلود الحقّ<sup>4</sup>.</p>
<p>- لقلت هي العاصفة الهوجاء تصهر بعزمها الأغصان الخضراء واليابسة معا، وإنّ الموت تحت أغصان العواصف</p>	<p>- اشتركت أمّتي بجرّب الأمم وانقرضت على بكرة أبيها في ساحة القتال</p>	<p>- لو اشتركت أمّتي بجرّب الأمم وانقرضت على بكرة أبيها في ساحة القتال لقلت هي العاصفة الهوجاء تصهر بعزمها الأغصان الخضراء واليابسة معا، وإنّ الموت تحت أغصان العواصف لأشرف منه بين ذراعي الشّيوخوخة<sup>5</sup>.</p>

1. المصدر نفسه، ص 501.

2. المصدر نفسه، ص 501.

3. المصدر نفسه.

4. المصدر نفسه، ص 502.

5. المصدر نفسه، ص 502.

لأشرف منه بين ذراعي الشيخوخة.		
- لقلت هي التواميس الخفيفة تتحرك بمشيئة قوة فوق البشر، فمن الجهالة أن نحاول إدراك أسرارها وخفاياها.	-زلزلت الأرض زلزالها وقلبت ظهر بلادي صدرا وغمر التراب أهلي وأحباتي	- لو زلزلت الأرض زلزالها وقلبت ظهر بلادي صدرا وغمر التراب أهلي وأحباتي لقلت هي التواميس الخفيفة تتحرك بمشيئة قوة فوق البشر، فمن الجهالة أن نحاول إدراك أسرارها وخفاياها <sup>1</sup> .

### - الصيغة [إذا...]:

وهذا جدول يوضح تواترها في مدونة جبران:

النَّتيجة/ المعاني	الحجّة/ المعارض	الشّاهد
- يستيقظ من رقدة الحياة	- لمس الحَبّ روحه بأطراف أصابعه	- أخبروني هل بينكم من لا يستيقظ من رقدة الحياة إذا ما لمس الحَبّ روحه بأطراف أصابعه؟ <sup>2</sup>
- يتبع قلبه إلى أقاصي الأرض	- كان له في أقاصي الأرض حبيبة يستطيب نكهة أنفاسها ويستلطف ملامس يديها ويستعذب رنة صوتها	- أيّ فتي لا يتبع قلبه إلى أقاصي الأرض إذا كان له في أقاصي الأرض حبيبة يستطيب نكهة أنفاسها ويستلطف ملامس يديها ويستعذب رنة صوتها؟ <sup>3</sup>
- يفتحون أجفانهم المطبقة بالنعاس الأبدي ثم يقولون	- قام رجل وصرخ بالتأئين وملاً منازلهم	- فإذا ما قام رجل وصرخ بالتأئين وملاً منازلهم ومعابدهم ومحاكلهم

1. المصدر نفسه، ص502.

2. المصدر نفسه، ص447.

3. المصدر نفسه، ص447.

بالصَّجِيجِ، يفتحون أجفانهم المطبقة بالتعاس الأبدى ثم يقولون متثائبين: ما أخشنه فتى لا ينام ولا يدع الناس ينامون... <sup>1</sup>	ومعابدهم بالصَّجِيجِ ومحاكمهم	متثائبين: ما أخشنه فتى لا ينام ولا يدع الناس ينامون...
- حتى إذا ما تاهت فكري بيت مظاهرة ومزايه وهاجت ميولي لاستعلان أسراره وخفيايه، صرخت قائلا: إن كان لك رب فبرئك قل لي من أنت؟ <sup>2</sup>	- تاهت فكري بيت مظاهرة ومزايه وهاجت ميولي لاستعلان أسراره وخفيايه،	- صرخت قائلا: إن كان لك رب فبرئك قل لي أنت؟
- حتى إذا تحوّلت أهواك إلى أنغام أعذب من همس الأزهار، وتبدّلت مخاوفي بأنس أطيّب من طمأنينة العصافير، رفعتني إليك، وأجلستني على منكبيك وعلمت عيني النظر وعلمت شفقتي الكلام. <sup>3</sup>	- تحوّلت أهواك إلى أنغام أعذب من همس الأزهار، وتبدّلت مخاوفي بأنس أطيّب من طمأنينة العصافير،	- رفعتني إليك، وأجلستني على منكبيك وعلمت عيني النظر وعلمت شفقتي الكلام.

### - الصيغة [إن...]:

وهذه نماذج عنها في مدوّنة جبران:

المعاني / النتيجة / المعاني	الحجّة / المعارض	الشاهد
- تركنتني السعادة.	- ترك زوجتي وصغاري.	- ليس لي طاقة على الوحدة والانفراد، فقد تعودت لذة العيش

1. المصدر نفسه، ص 477.

2. المصدر نفسه، ص 451.

3. المصدر نفسه، ص 451.

		بين زوجتي وصغاري، فإن تركتهم تركتني الحياة <sup>1</sup> .
- أماتت فينا الصبر. - أيقظت فينا الملل.	- مطل المرأة السّاحرة. - برّ المرأة السّاحرة.	- فالحياة امرأة ساحرة حسناء تستهوي قلوبنا وتستغوي أرواحنا وتغمر وجداننا بالوعود، فإن مطلت أماتت فينا الصبر، وإن برّت أيقظت فينا الملل <sup>2</sup> .
- تطبيق الزّوجة.	- مشيئة التّحرّر.	- فإن شئت أن تتحرّر طلق امرأتك وعش خاليا <sup>3</sup> .

2. تضافر استعارة خطاطة القوّة مع استعارات خطاطية وقاعدية أخرى في البنية  
الحجاجية:

بدا لنا من خلال نظرنا في تجلّيات استعارة القوّة في البنى اللغوية الحجاجية، أنّ هذه الاستعارة  
الخطاطية تتضافر مع غيرها من الاستعارات الخطاطية الأخرى لتعبّر مجتمعة عن معنى القوّة في اللغة.  
ومن هذه الاستعارات الخطاطية يمكن أن نذكر "استعارة العمودية"، و"استعارة الحركة- السكون":

### 1.2. تضافر استعارة خطاطة القوّة واستعارة خطاطة العمودية:

تعبّر خطاطة العمودية بشكل من الأشكال عن صراع القوى، ففوق في نظامنا التّصوريّ أقوى  
من تحت، ففوق يمثّل الانتصار وتحت تمثّل الهزيمة. فلاشكّ أنّه حتّى في الصّراع الجسدي الذي يكون  
فوق هو المنتصر، والذي يكون تحت هو المنهزم. وقد لاحظنا أنّ خطاطة العمودية تدعم استعارة خطاطة  
القوّة في البنية الحجاجية، فقد عبّر المعارض في العديد من الأمثلة المعبرة عن الحجاج عن الاتجاه فوق،  
في حين حمل المعاني دلالات التّسفل (تحت). وهذه الخطاطة لا تبتئها من خلال البنية التّحوّلية كما هو  
الأمر في خطاطة القوّة وإتّما نكشف عنها من خلال المعجم الذي يميل في جانب منه إلى العلوّ وفي  
جانب آخر إلى التّسفل.

1. جبران، المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران خليل جبران العربيّة، ص 431.

2. المصدر نفسه، ص 456.

3. المصدر نفسه، ص 431.

وهذه الاستعارة الخطاطية تنسجم مع استعاراتنا التصورية "القوة فوق" و"الضعف تحت"، "السعادة فوق" و"التعاسة تحت"، و"الخير فوق" و"الشر تحت"، وغيرها.

يقول جبران: "كم سهرنا الليالي متوسدين التراب ملتحفين بالتلوج باكين على إلف أضعناه ورزق فقدناه، ومك صرفنا الأيام رابضين كعجاج لا راعي لها تقضم أفكارنا ونلوك عواطفنا ونظلاً جائعين ظامئين، ومك وقفنا بين نهار زائل ومساء آت نأحين على شباب ذابل مشتاقين إلى من لا نعرفه مستوحشين لأسباب نجھلها محدقين إلى فضاء خال مظلم، مصغين إلى أنه السكون والعدم. تلك أجيال مرّت مرور الذئب الخاطفة بين المدافن.

أما اليوم وقد صحا الفضاء وصحونا، فصرنا نقضي الليالي البيضاء على أسرة علوية، مساهرين الخيال، مساهرين الفكر، معانقين الميول، تتأيل حولنا شعلات النار، فنقبض عليها بأصابع غير مرتعشة وتتصاعد حولنا أرواح الجنّ فنخاطبها بلغة غير ملتبسة، وتمرّ بنا أجواق الملائكة فتستهويها بشوق قولونا ونسكر بنغمة أرواحنا"<sup>1</sup>.

هذا الشاهد الطويل يمثّل بنية حجاجية، تعكس استعارة خطاطة القوة، فما قبل "أما" هو المعاني، في حين أنّ ما بعد "أما" هو المعارض. وإذا تأملنا في الفقرة المعبرة عن المعاني وجدنا معجماً يحيل إلى "التحتية"، وتمثله كلمات من قبيل: متوسدين، التراب، باكين، رابضين، ذابل، مظلم، المدافن... فالمعاني يعبر عن التسقل وبذلك على العنصر الأقلّ قوة في عملية الصراع. بينما نلاحظ في القسم الذي يخصّ المعارض سيطرة معجم يحيل إلى "الفوقية"، وذلك من قبيل: صحا، صحونا، علوية، الخيال، الفكر، الملائكة.

وبذلك تنسجم استعارة خطاطة العمودية في هذا الشاهد مع استعارة خطاطة القوة. وهذه بعض الأمثلة التي تكشف عن تضافر هاتين الاستعارتين الخطاطيتين في أدب جبران:

المعاني (تحت)	المعارض (فوق)	الأمثلة
سحيق - قيود - الهاوية	يتصاعد	- نحن نتهدّ ومع تهّداتنا يتصاعد همس الزهور وحفيف الغصون، وخير السواقي، أما أتم

1. المصدر نفسه، ص 465.

		فتضحكون وفقهته ضحككم تترج بسحيق الجماجم وحرقة القيود، وعويل الهاوية <sup>1</sup> .
- نخشع - تتهيب - الشمس - نهتر - الزواج		- كنا بالأمس نخشع بأبصارنا أمام الكهان، وتهيب رؤية العرافين، أما اليوم وقد تغير الدهر وغيرنا وأصبحنا لا نحدق إلا عبر وجه الشمس ولا نصغي إلا لنعمة البحر ولا نهتر إلا مع الزواج <sup>2</sup> .
- الحى - العاصفة - الميت - يرتعش		- إن الميت يرتعش أمام العاصفة أما الحى فيسير معها راكضا ولا يقف إلا بوقوفها <sup>3</sup> .
- الطيور - الشمس - ظلال		- نعم إن للظير شرفا ليس للإنسان، فالإنسان يعيش في ظلال شرائع وتقاليدها لنفسه، أما الطيور فتحيا بحسب التاموس الكلي المطلق الذي يسير بالأرض نحو الشمس <sup>4</sup> .
- رماد - الأودية التفس - شعلة - متقدة - تنمو - تنير - الآلهة		- إنما التفس شعلة زرقاء متقدة مقدسة تلتهم الهشيم وتنمو بالأنواء وتنير وجه الآلهة، أما أنفوسكم يا بني أمي فرماد تذريه الرياح على الثلوج وتبدده العواصف في الأودية <sup>5</sup> .
- نار - متقدة - فوق - أكتاف الأودية.	- ضئيلة - الرماد	كنا شرارة ضئيلة مكنقة بالرماد فصرنا نارا متقدة فوق أكتاف الأودية
- مستنقعات	- الجبل -	- إنما الإنسانية نهر بلوري يسير متدفقا مترئا حاملًا أسرار الجبال إلى أعماق البحر، أما أتم

1. المصدر نفسه، ص 460-461.

2. المصدر نفسه، ص 465.

3. المصدر نفسه، ص 431.

4. المصدر نفسه، ص 513.

5. المصدر نفسه، ص 459.

		يا بني أمي فمستنقعات خبيثة تدب الحشرات في أعماقها وتتلوى الأفاعي على جنباتها <sup>1</sup> .
صوت- الفضاء	صامت- السيان	كنا فكرا صامتا مختبئا في زوايا السيان، فأصبحنا صوتا ترتجف له أعماق الفضاء <sup>2</sup> .

## 2.2. تضافر استعارة خطاطة القوة واستعارة الخطاطة الحركة - السكون:

تسجم استعارة خطاطة القوة مع خطاطة الحركة- السكون، فالحركة في الغالب تُعبّر عن القوة، في حين يمثّل السكون الضعف، وهي ثنائية تحمل في جوهرها قطبين متعارضين، يمكن أن يمثّل أحدهما المعارض القويّ، في حين يمثّل الآخر المعاني الذي يتعرّض لقوة المعارض. وإذا تأملنا في الأمثلة التي عبّرت عن القوة في البنى الحجاجية، نجد أنّ المعارض القويّ كان غالبا متحرّكا، في حين كان المعاني الضعيف ساكنا، ويمكننا الكشف عن هذه الخطاطة عن طريق المعجم أيضا، فقد تتواتر في الجانب المعبر عن المعارض كلمات تحيل إلى الحركة، بينما تتواتر في الطرف المقابل كلمات تحيل إلى السكون. ويمكن أن نورد بعض الأمثلة التي تزيد من توضيح هذه الاستعارة الخطاطية التي تدعم استعارة خطاطة القوة في أدب جبران:

- يقول جبران: "كنا شرارة ضئيلة مكثفة بالرماد، فصرنا نارا متقدمة فوق أكناف الأودية"<sup>3</sup>. حمل المعاني "كنا شرارة ضئيلة مكثفة بالرماد"، استعارتين قاعديتين تصوّريتين عبّرتا عن السكون وقلة الحركة، فقد فهم الإنسان في الاستعارة الأولى باعتباره نارا ضئيلة، والتار الضئيلة هي التي تميل إلى الجمود والسكون، ومصيرها القريب هو الرماد، والرماد أيضا مثل ميدانا مصدرا فهم من خلاله الإنسان في الزمن الماضي، والرماد هو ما تبقى من التار، ومن طبيعته الجمود والسكون. بينما حمل

1. المصدر نفسه، ص459.

2. المصدر نفسه، ص465.

3. المصدر نفسه، ص465.

المعارض استعارة تصوّريّة عبّر الميدان المصدر فيها عن الحركة، "الإنسان نار متّقدة" فالنار المتّقدة من طبيعتها الحركة الدائمة لا السكون.

- يقول جبران: "كنا فكرا صامتا محتبنا في زوايا النسيان، فأصبحنا صوتا ترتجف له أعماق الفضاء"<sup>1</sup>.

حمل هذا المثال إلى جانب التقابل بين المعاني والمعارض، تقابلا بين كلمتي "الصمت" و"الصوت"، وهما كلمتان تحملان دلالة السكون والحركة. فلا شك أنّ الصمت انجاس للحركة وتوقف عن الفعل، وهذا ينسجم مع طبيعة المعاني الضعيف. ولا شك كذلك أنّ الصوت حركة يقوم بها المتكلم، عندما يحرك شفثيه، ولسانه، ومخرج حروفه، وحباله الصوتية. والحركة تؤدي دلالات القوة عكس الصمت الذي يمثّل ضعفا. وهذه بعض الأمثلة توضّح تضافر هاتين الاستعارتين الخطاطيتين في مدونة جبران:

المعاني/السكون	المعارض/الحركة	الشاهد
مكتنفة/ مكتنفة/ رماد	نار/ متّقدة/ ضئيلة/ رماد	- كنا شرارة ضئيلة مكتنفة بالزّمام، فصرنا نارا متّقدة فوق أكناف الأودية.
صمت/ محتبى/ النسيان	صوت	- كنا فكرا صامتا محتبنا في زوايا النسيان، فأصبحنا صوتا ترتجف له أعماق الفضاء.
رماد/ رماد	شعلة/ متّقدة/ تلتهم/ تير/ تير	- إنّما النفس شعلة زرقاء متّقدة مقدّسة تلتهم الهشيم وتمو بالأنواء وتير وجه الآلهة، أما أنفوسكم يا بني أمي فرماد تديره الرّياح على الثلوج وتبدده العواصف في الأودية <sup>2</sup> .

3.2. تضافر استعارة خطاطة القوة مع الاستعارات التّصوّريّة القاعدية المعبرة عن القوة في البنية الحجاجية:

1. المصدر نفسه، ص 465.

2. المصدر نفسه، ص 459.

لعلّ ما يميّز البنية الحجاجيّة، التي تعكس استعاريا خطاطة القوّة في لغة جبران خليل جبران، هو قدرتها على الجمع بين استعارات خطاطيّة متعدّدة تدعم استعارة خطاطة القوّة، وجمعها إلى جانب هذه الاستعارات الخطاطيّة استعارات تصوّريّة قاعدية تعبّر عن القوّة، بشكل تتحوّل فيه هذه البنية الحجاجيّة إلى صورة مركّبة لاستعارات القوّة المتنوّعة. وهذا ما يُعطي استعارة القوّة أهمّيّتها الدلاليّة والجماليّة في مدوّنة جبران، ومن أمثلة ذلك نذكر:

يقول جبران: "إنّما الإنسانيّة نهر بلوريّ يسير متدفّقًا مترنًا حاملاً أسرار الجبال إلى أعماق البحر، أمّا أتم يا بني أمّي فمستنقعات خبيثة تدبّ الحشرات في أعماقها وتتلوّى الأفاعي على جنباتها"<sup>1</sup>.

يمثّل هذا الشاهد ميدانا لاستعارات خطاطيّة متعدّدة فقد أوردناه شاهدا على استعارة خطاطة القوّة في البنية الحجاجيّة، ويمثّل الرّابط الحجاجيّ "أمّا" فاصلا بين المعارض الوارد قبله والمعاني الوارد بعده. وهو أيضا يعبّر عن استعارة العموديّة التي تحمل في دلالاتها معنى القوّة. كما يعبّر أيضا عن استعارة الحركة- السّكون، فالمعارض الذي ورد قبل "أمّا" يحمل دلالات الحركة من خلال المعجم الذي يحيل استعاريا إلى الحركة من قبيل: نهر، يسير، متدفّقًا، حاملا، أمّا المعاني الذي ورد بعد "أمّا" فمن خصائصه السّكون وهو ما تحمله دلالات المستنقع، فلا يكون المستنقع مستنقعا حتّى يكون ماؤه ساكنا راکدا.

هذه الاستعارات الخطاطيّة الحاملة لدلالات القوّة تتضافر مع استعارات قاعدية تصوّريّة تدعم توجّهمها، فالمعارض الوارد قبل الرّابط الحجاجيّ حمل استعارة قاعدية تعبّر عن القوّة وهي "الإنسان نهر"، والنهر ميدان مصدر يحمل دلالات القوّة. بينما ورد المعاني في شكل استعارة تصوّريّة تدعم دلالات الضّعف وهي "بني أمّي مستنقع". وبذلك تساندت الاستعارات التّصوّريّة القاعدية والاستعارات الخطاطيّة في التعبير عن معنى القوّة في أدب جبران.

يقول جبران: "لم يكن يسوع طائرا مكسور الجناحين بل كان عاصفة هوجاء تكسر بهبوبها جميع الأجنحة المعوّجة"<sup>2</sup>.

يمثّل هذه القول بنية حجاجيّة، تعكس استعارة خطاطة القوّة، حيث يمثّل المعارض القويّ الحجّة الواردة بعد الرّابط الحجاجيّ "بل"، وتمثّل التّنتيجة الافتراضيّة "إذن صورة يسوع الحقيقة تختلف عن تصوّرات التّاس عنه" المعاني. وإذا تأملنا في المعارض وجدنا أنّه يضمّ على الأقلّ استعارتين أخريّين

1. المصدر نفسه، ص 459.

2. جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران خليل جبران العربيّة، ص 444.

معبّرتين عن القوة، أولاهما قاعدية تصوّرية وهي "المسيح عاصفة"، فقد فهم المسيح عن طريق مصدر من مصادر القوة الطبيعيّة، وثانيتها خطاطية وتمثّل في استعارة خطاطة القوة القائمة في بنية الجعليّة: "تكسر هبوبها جميع الأجنحة المعوّجة" فالجاعل هو العاصفة بمفهومها الاستعاري، والمجعول هو "الأجنحة المعوّجة"، والمجعول أيضا استعارة قاعدية يمكن صياغتها كالتالي: "الفاسدون أجنحة معوّجة". وهكذا تراكب وتدغم هذه الاستعارات بأنواعها المختلفة لتعبّر عن فلسفة القوة في أدب جبران خليل جبران.

- يقول جبران: "إنّما التمس شعلة زرقاء متّقدة مقدّسة تلتهم الهشيم وتمو بالأنواء وتبهر وجه الآلهة، أمّا نفوسكم يا بني أمي فرماد تذريره الرّياح على الثّلوج وتبدّده العواصف في الأودية"<sup>1</sup>.

عبر هذا الشّاهد الحجاجي، عن تراكب استعارات متعدّدة. فهو يضم استعارة خطاطة القوة، المتجليّة في شكل بنية حجاجيّة، واستعارة خطاطة القوة في بنية لغويّة قائمة على الجعليّة، كما ضمّ استعارة خطاطة العموديّة، واستعارة خطاطة الحركة- السّكون، واستعارة قاعدية تصوّرية معبّرة عن القوة، تنسجم مع طبيعة المعارض، واستعارات قاعدية تصوّرية معبّرة عن الضّعف تنسجم مع طبيعة المعاني.

**استعارة خطاطة القوة في البنية الحجاجيّة:** يمثّل المعارض القول الوارد قبل الرّباط الحجاجي "أمّا"، أمّا المعاني فيمثّل القول الوارد بعد "أمّا".

**استعارة خطاطة القوة الواردة في شكل جعليّة:** "تذريره الرّياح على الثّلوج" و"تبدّده العواصف في الأودية"، الجاعل في الجملة الأولى هو "الرّياح"، وهو المعارض الذي يمارس قوّة على المعاني وهو المعجول "رماد"، أمّا الجاعل في الجملة الثانية فهو "العواصف"، والمجعول هو "الرّماد".

**استعارة خطاطة العموديّة:** تواترت في الجملة الأولى الواردة قبل "أمّا" كلمات تحيل إلى "الفوقيّة"، مثل الشّعلة التي من طبيعتها تنطلق من أسفل إلى أعلى، ومنتقدة وهي أيضا تحيل إلى العلوّ، وتمو، والتموّ يكون طرازيا من تحت إلى فوق، والآلهة التي مسكنها الأسطوري هو السّماء، ومكانها الاستعاري فوق لا تحت. أمّا الجملة الثانية فقد حملت عباراتها معنى التّحتيّة، وعلى رأسها الرّماد، الذي يشير عكس التّار إلى التّسفل، كما أشارت عبارة "الأودية" إلى هذه التّحتيّة. لتدعم هذه الاستعارة بقطيبيّة تحت-فوق استعارة خطاطة القوة.

1. المصدر نفسه، ص 459.

**استعارة خطاطة الحركة- السكون:** تشير أغلب الكلمات التي تحيل إلى الفوقية والقوة إلى الحركة أيضاً مثل التآر والانتقاد والتّمؤ والإنارة، كما أشارت الكلمات التي تحيل إلى الضّعف والتحتية إلى السكون وخاصة "الرماد" الذي يميل طبيعياً إلى السكون، عكس التآر التي تميل طبيعياً نحو الحركة.

**استعارة قاعدية تصوّرية معبرة عن القوة:** ورد المعارض في شكل استعارة قاعدية تصوّرية معبرة عن القوة وهي "الإنسان نار"، والتآر مصدر من مصادر القوة التي فهم من خلالها جبران صورة الإنسان القوي، بينما ورد المعاني في شكل استعارة قاعدية تصوّرية معبرة عن الضّعف وهي "بني أمي رماد"، لتنسجم مع طبيعة المعاني.

هذا الشاهد القصير جمع ما لا يقلّ عن عشر استعارات قاعدية وخطاطية، تضافرت جميعها لتعبّر عن معنى القوة، وهذه الكثافة الاستعارية نجدها في أغلب أعمال جبران، ممّا جعل من نصّه نصّاً استعارياً بامتياز، وجعل منه أيضاً نصّاً معبراً عن القوّة بامتياز.

- خاتمة:

كشف هذا الفصل أنّ نصّ جبران نصّ مجازي بامتياز. فهو صاحب مشروع فكريّ، ورؤية حضارية جديدة يريد الإقناع بها، ودفع الآخرين إلى الإذعان لأفكاره والتّسليم بأرائه. فالزجل صاحب مشروع تغييريّ تنويريّ، يهدم بُنى فكرية قائمة ويؤسّس لبني جديدة. وقد بيّنا في هذا البحث أهمية الرّوابط الحجاجية في توجيه الحجاج وجمحة حجاجية معيّنة.

وقد كان هدفنا من خلال هذا التحليل بيان كيف تحمل البنية الحجاجية خطاطة القوة في شكلها الاستعاريّ، لنكتشف عن مظهر آخر من مظاهر استعارة القوة في لغة جبران خليل جبران، فاتّضح لنا أنّ البنية الحجاجية العامة القائمة على ثنائية حجة/ نتيجة، تعكس البنية الجشططنية لخطاطة القوة القائمة على ثنائيّتي المعارض/ المعاني، حيث تُمثّل الحجة المعارض والنتيجة المعاني. وقد حاولنا بيان تجلّيات مختلفة لخطاطة القوة من خلال الرّوابط الحجاجية، سواء كان ذلك من خلال قوالب ديناميّة القوة المتحوّلة أو قوالب ديناميّة القوة الثابتة.

إنّ القوة في الحجاج هي ممارسة لغوية فكرية، تسعى إلى ممارسة قوّة على السّامع بهدف تحويل نظام قناعاته، وتغيير تصوّراته الفكرية من حال إلى حال آخر بديل، وهو ما سعى جبران طيلة مشروعه الفكري الإبداعي إلى إنجازه. لذلك كان مشروع جبران، رغم أنّه مشروع يؤسّس للقوّة ويمارسها، مشروعاً قائماً ضدّ العنف بما هو ممارسة جسديّة تجبر الآخر على الإذعان جسديّاً لا فكريّاً

### بيبلوغرافيا:

- أحمد كزوم، "مقاربات نظريّة في مظاهر الرّبط الحجاجيّ لبنية الاقتضاء"، عالم الفكر، المجلّد 32، العدد 3 يناير مارس 2004.
- جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران خليل جبران العربيّة، دار الجيل، بيروت 2002.
- شكري المبخوت، جماليّة الألفة (النّصّ ومتقبّله في التراث التّقدي)، بيت الحكمة، قرطاج، 1993.
- عبد السّلام المسدّي ومحمّد الهادي الطّرابلسي، الشّروط في القرآن، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا- تونس 1980.
- عبد الله صولة، ديناميّة القوة في اللّغة والخطاب، بحث مرقون.
- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق عادل فاخوري، دار الجيل بيروت، 1997.
- ابن يعيش، شرح المفصل، المكتبة التوفيقيّة، (دون تاريخ).
- J. MoeSchler et A. Reboul, Dictionnaire Encyclopedique de Pragmatique, édition du Seuil 1995.
- Talmy (Leonard), Toward a Cognitive Semantics. Vol 1, The MIT Press 2000.

## النقدانية critique والحجاج السياسي

ألان فينليسون

*Alan Finlayson*

ترجمة: أ. د. محيي الدين محسب

جامعة المنيا، مصر

*mubasseba@hotmail.com*

### الملخص:

يقدم فينليسون في بحثه هذا تحليلاً نقدياً لكتاب (تحليل الخطاب السياسي) الذي صدر بتأليف مشترك بين (إيزابيلا فيركلاف) و(نورمان فيركلاف) عام 2012م. ويتضح في مفاصل هذه المقالة اهتمام الكاتب بتقديم إيضاحات منهجية وإستمولوجية حول صلة هذا الفرع التحليلي - في صورته التي تجسد بها في الكتاب - بجملة من التيارات العلمية التي تتخصصُ معه مثل اللسانيات النقدية، والتحليل النقدي للخطاب، والنظرية السياسية، والجدليات التداولية، والبلاغة، والفلسفة، ودراسات الحجاج. غير أن بؤرة التركيز الأساسية في المقالة هي استيضاح إسهام الكتاب - الذي سيحيل إليه الكاتب اختصاراً بـ (PDA) - في بناء صورة الدور الذي تلعبه النقدانية في بلاغة الحجاج التي تتعدد مسالكها في الخطاب السياسي. ومن ثم يمكن القول إن المقالة تأتي في سياق موجة الربط المستجد بين البلاغة والسياسة، وهي الموجة التي أطلق عليها المنظر السياسي برايان جارستن *Bryan Garsten* (الإحياء البلاغي في النظرية السياسية *The Rhetoric Revival in Political Theory*). وبطبيعة الحال ليس ثمة أرضية أشد صلابة تتجلى عليها ممارسات هذا الربط أفضل من أرضية الحجاج.

الكلمات المفتاحية:

اللسانيات النقدية، والتحليل النقدي للخطاب، الخطاب السياسي

## *Critique and Political Argumentation*

*Alan Finlayson*

*Tr, Pr. Muhassebe Muhyidine*

*muhassebe@hotmail.com*

### *Abstract:*

*If political philosophy begins with Plato then it begins with anxiety over linguistic ambiguity- with an attempt to establish fixed definitions of words and to assign the right of rule to those best able to contain and order meaning. In the present day philosophers and social scientists remain deeply interested in language- but where Plato wanted to regulate the form and content of stories, substitute private dialogue for public speech and ban the unruly art of writing, contemporary philosophers are generally concerned with the establishment of public reason, specification of the principles that might govern our societal communications and explication of the uses, effects and histories of particular kinds of language.*

### *Keywords:*

*Political philosophy, linguistic ambiguity, social scientists, contemporary philosophers*

### بين يدي الترجمة:

ثلاثة أسئلة أود وضع توضيحٍ وجيزٍ حولها أمام القارئ الكريم قبل أن يشرع في قراءة هذه الترجمة:

● من ألان فينيلسون كاتب المقالة؟  
لماذا اختيار صيغة (النقدانية) ترجمة لـ *critique*؟

● ما خلاصة موضوع هذه المقالة؟  
من ألان فينيلسون؟

أستاذ أكاديمي في جامعة إيست أنجليا *East Anglia* في المملكة المتحدة. اختصاصه في النظرية السياسية والاجتماعية، مع اهتمام بحثي بالسياسة البريطانية، وتحليل الخطاب السياسي، والأشكال البلاغية المعاصرة، والنظريات والتناصّيات البلاغية، وبالأيدولوجيا، والديموقراطية. وهو عضو هيئة تحرير في مجلة النظرية السياسية المعاصرة *Contemporary Political Theory*، ومحرر مشارك لسلسلة كتاب البلاغة والسياسة والمجتمع.

لماذا اختيار صيغة (النقدانية) ترجمة لـ *critique*؟

الاستعمال المعرفي في البيئات العلمية الغربية يوفر صيغتين هما في الإنجليزية (*critique*) و(*criticism*)، ولهما بالطبع مقابلاهما في اللغات الأخرى. والاستعمال العربي القائم يعطي الصيغة (نقد) مقابلاً للصيغتين معاً؛ بما بات يهدد الفروق المفهومية بين دلالتها. ولعل كاتب مقالنا هاته لديه معرفة بهذه الفروق؛ الأمر الذي يثبتته قوله في نهاية المقالة بأن "بعض التحليلات النقدانية تلتقط بعض المعاني التي يستدعيها تعبير "النقد الأدبي". وبطبيعة الحال لا يتسع المقام هنا لتفصيل القول في هذه الفروق،

وخاصة فيما يتعلق بمصطلح *critique* الذي أحيل فيه الآن على مقالة علمية تعود إلى عام 2017م للمفكر الدنمركي سفير رافنسي *Sverre Raffnsøe*: (ما النقدانية *critique*؟ منعطفات نقدية في عصر النقد)<sup>1</sup>، وفيها يتتبع تطورات المفهوم ودلالاته، وبخاصة في فلسفة كانط، ويشرح كيفية انتقاله ليكون مطلباً شاملاً، وضرورة إيجابية في الحياة والمجتمع والمعرفة بكل اتجاهاتها. ولعله من باب الإدراك لضرورة التفرقة بين المفهومين فإننا نجد عالم النفس الأمريكي الشهير هيندري فايزنجر *Hendrie Weisinger* يصف نفسه بأنه "*critiqueologist*" وبطبيعة الحال فهو غير غافل عن وجود صيغة *critic*!

وعلى أية حال فإن النتيجة المباشرة لتتبع رافنسي هي أننا أمام تراث ممتد لمفهوم (*critique*) في الدراسات والعلوم الإنسانية، وذلك لوثافة ارتباطه بالعقلانية. وهذا التراث الممتد يمكن رؤيته على أنه بات يشكل ركناً خاصاً في الدراسات الإستمولوجية والفلسفية العامة. ولذلك فمقترحي هو أن تُرجم *critique* (النقدانية) مقصوداً بها أعمال التحليل العقلي والمنهجي المنظم والمعمق في مساءلة قضايا العلم والمعرفة ومشاريع دراساتها، في أي مجال من مجالاتها، وذلك بغية الكشف عما أُخذ أو لم يُؤخذ في الحسبان الإستمولوجي أو المنهجي أو الإجرائي في هذا المشروع أو ذاك. وتبقى صيغة (النقد) مقابلاً لـ *criticism* بدلتها في الاستخدام الشائع في الجماليات الأدبية أو الفنية، أو الدلالة اللغوية. وأتصور أنه مخطئ من يظن أن هذه مجرد مسألة لفظية هينة الاعتبار. ولعلي أشير هنا إلى أنها لو كانت كذلك لما وجدنا في نظريات التعلم والتعليم ذلك الاهتمام المنعكس في كم الدراسات المعنية بسبل إدخال مواد الحجاج النقدي -مثل القراءة الحجاجية *argumentative reading* واستراتيجيات الكتابة الحجاجية *argumentative writing strategies* - في المراحل المختلفة من البرامج التعليمية<sup>2</sup>.

1. Sverre Raffnsøe (2017): What is Critique? Critical Turns in the Age of Criticism. In: OUTLINES- Critical Practice Studies, vol. 18, no. 1, 2017.

2. انظر مثلاً التقرير الصادر عن مركز خدمة الاختبارات التعليمية، برينستون، نيوجيرسي، عام 2017م؛ وعنوانه (فحص قدرة الطلاب على نقدانية الحجج واستكشاف تضميناتها بالنسبة إلى التقييم والتوجيه التعليمي):

*Yi Song et al: Examining Students' Ability to Critique Arguments and Exploring the Implications for Assessment and Instruction. ETS Research*

### خلاصة موضوع المقالة:

في هذه المقالة يقدم فينيليسون تحليلاً نقدياً لكتاب (تحليل الخطاب السياسي)<sup>1</sup> الذي صدر بتأليف مشترك بين (إيزابيل فيركلاف) و(نورمان فيركلاف) عام 2012م. ويتضح في مفاصل هذه المقالة اهتمام الكاتب بتقديم إيضاحات منهجية وإستراتيجية حول صلة هذا الفرع التحليلي - في صورته التي تجسد بها في الكتاب - بجملة من التيارات العلمية التي تتخاضع معه مثل اللسانيات النقدية، والتحليل النقدي للخطاب، والنظرية السياسية، والجدليات التداولية، والبلاغة، والفلسفة، ودراسات الحجاج. غير أن بؤرة التركيز الأساسية في المقالة هي استيضاح إسهام الكتاب - الذي سيحيل إليه الكاتب اختصاراً بـ (PDA) - في بناء صورة الدور الذي تلعبه النقدانية في بلاغة الحجاج التي تعدد مسالكها في الخطاب السياسي. ومن ثم يمكن القول إن المقالة تأتي في سياق موجة الربط المستجد بين البلاغة والسياسة، وهي الموجة التي أطلق عليها المنظر السياسي برايان جارستن *Bryan Garsten* (الإحياء البلاغي في النظرية السياسية *The Rhetoric Revival in Political Theory*). وبطبيعة الحال ليس ثمة أرضية أشد صلابة تجلّي عليها ممارسات هذا الربط أفضل من أرضية الحجاج.

### النص المترجم:

إذا كانت الفلسفة السياسية قد بدأت مع أفلاطون، فإنها إذاً بدأت مع القلق من اللبس اللغوي، أي مع محاولة وضع تعريفات محددة للكلمات، وإسناد حق الحكم إلى هؤلاء الأفضل قدرة على ضبط المعنى وترتيبه. وفي وقتنا الحاضر يظل الفلاسفة والعلماء الاجتماعيون محقّقين أشدّ الاهتمام باللغة. ولكن في حين أن أفلاطون أراد أن ينظّم شكل الكلام ومحتواه، وأن يضع الكلام العموميّ محل الحوار الخاص، وأن يكيح فن الكتابة المنفلة، فإن الفلاسفة المعاصرين بشكل عام معنيون بتشييد العقل العام، وتحديد المبادئ التي قد تحكّم تواصلاتنا المجتمعية، وبشرح استخدامات أنواع معينة من اللغة وتأثيراتها وتوارخها. لقد أتى إلينا كتاب تحليل الخطاب السياسي من المجال العام للسانيات النقدية، ومن المجال الخاص للتحليل النقدي للخطاب. ومن ثم فهو يؤلّف بين جوانب من هذين المجالين، ومن نظريات الحجاج التي

Report No. RR-17-16. 2017 Educational Testing Service.  
<https://doi.org/10.1002/ets2.12166>

<sup>1</sup>.Isabela Fairclough, Norman Fairclough (2012).

طورها علماء التواصل والمنطق غير الصوري، ويدمج هذا الكلّ ضمن مفهوم أرسطو للتشاور السياسي. وفي هذا الخصوص فإن كتاب تحليل الخطاب السياسي يخاطب مباشرة انشغالات قائمة في النظرية السياسية. ومن ثم فسؤالي بالنسبة إلى هذا الكتاب هو: كيف يمكن له أن يخاطب السجلات المستمرة بين التقاليد القائمة داخل النظرية الاجتماعية والسياسية، وبصفة خاصة كيف له أن يخاطب الأسئلة التي تدور حول طبيعة "النقدانية critique" وجدواها؟

### اللغة في النظرية السياسية:

في النظرية السياسية المعاصرة يمكن اختصار التقاليد الفكرية التي تشغل اللغة والكلام بؤرة اهتمامها إلى ثلاثة (وإن كان ذلك مع بعض المسامحة): التقليد الكانطي [نسبة إلى الفيلسوف كانط]؛ وهو يهتم في المقام الأول بوضع حدود لما يمكن اعتباره اللغة العقلنة، وكذلك يهتم بمراقبة حدود الشرعية اللغوية. وينتج عن ذلك اهتمام معياري بمؤسسات المشاورة والتزاع وعملياتها، وكذلك ينتج عنه تصميم المبادئ التي تقيم بها هذه المؤسسات والعمليات - وبخاصة في حدود شموليتها وعقلانيتها. وفي المقابل فإن تقليد فتجنشتين يهتم باللغة في الاستعمال. وقد صدر ذلك في دراسات ثرية للغة السياسية التي قُهِمَت لا على أنها أوصاف أو تمثيلات، وإنما على أنها "أدوات" وأسلة للسجال الأيديولوجي" (Skinner, 2002, p. 176). أما التقليد الثالث فهو مستمد من مزيج متنوع من الماركسية والظاهرية والنظريات الأوروبية في اللغة. الاتجاه الأول يصور الخطابات بوصفها بنى في داخلها تتشكل الهويات ويُعاد تشكيلها، ويفحص هذا الاتجاه كيفية احتواء قوة المعنى، أو كيفية نشرها، داخل الفعل السياسي وعبره (e.g. Laclau, 1990). والاتجاه الآخر يؤكد على إنتاجية اللغة وفائضيتها. وعلى سبيل المثال، يدل جاك رانسيير على أننا "حيوانات سياسية" ليس لأننا نتكلم (كما كان أرسطو يرى) ولكن لأننا متى ما تكلمنا فإننا "نطرح للتداول كلمات بالزيادة"؛ كلمات "غير مفيدة" وغير ضرورية، ومتجاوزة لوظيفة التحديد الصارم". هذه القدرة على الحشو اللغوي - فيما يقترح رانسيير - يُعترض عليها باستمرار من قِبَل أولئك الذين يدعون "التحدّث بشكل صحيح" - أي من قِبَل سادة التحديد والتصنيف الذين - بحكم الرغبة في الاحتفاظ بمكانتهم وقوتهم - سرعان ما يرفضون هذه القدرة على الكلام (Rancière and Panagia, 2000, p. 115). ويأخذ رانسيير - عائدًا بنا إلى فكر أفلاطون - جانب العمال اليدويين الذين أراد الفيلسوف الأرستقراطي أن يبقوا صامتين.

كل واحدة من هذه المقاربات تنطوي على تضمينات خاصة بالنسبة إلى نقدانية اللغة السياسية. ففي التقاليد الكانطية، يبدو هدف الفلسفة هو إنتاج معايير يمكن أن تُقاس على أساسها الأنظمة والأفعال التشاورية *deliberative systems and acts*. وفي المقابل، فإن الإصرار على الطبيعة التاريخية والسياقية للغات السياسية يضع -كما يدل كوينتين سكينر *Quentin Skinner* - "علامة استفهام ضد كل تلك المشاريع الكانطية الجديدة في عصرنا الذي نواجه فيه تطلعا لوقف تدفق السياسة من خلال محاولة حاسمة لإصلاح تحليل المصطلحات الأخلاقية/ الرئيسة" ( *Skinner, 2002, p. 177*). وذلك ينطوي على نوع من "النقدانية العملية" *practical critique* التي تحدث ليس في المجالات العلمية الخاصة بالفلسفة أو بالسياسة ولكن في التاريخ نفسه، وكالتاريخ نفسه -حيث تقوض المفردات السياسية الموجودة، أو تُزال، أو تُغَيَّر، أو تُمدَّد. هذا هو أكثر شيء يهيم المدرسة الثالثة في النظرية النقدية. فبالنسبة إلى هذه المدرسة فإن تحليل منطق الخطابات واللغات السياسية وتفسيرها، والاتجاهات التي يمكن ولا يمكن لهذه الخطابات أن تتحرك فيها، والطرق التي تتعلق بها وتتضمنها، والتعبيرات التي هي أعراض لتناقضاتها الداخلية والخارجية - كل ذلك دائما ما كان هو وسيلة لتحديد الفرص الاستراتيجية للتدخل السياسي، وللاستجابة لهذه الفرص.

### اللسانيات النقدية والتحليل النقدي للخطاب، والنقد السياسي:

منذ انطلاقتها في السبعينيات تبحث اللسانيات النقدية في الاستكشاف والكشف عن الكيفية التي تُستخدَمُ بها اللغة أداة للقوة، ووسيلة للتمويه، ومنهجا للتميش. ومع ذلك فالمشكلة في مثل هذا التحليل، كانت في تنظير العلاقة بين استخدام اللغة والقوة: هل الادعاء بأن الأشخاص في السلطة يعرفون جيدا ماذا يفعلون عندما يتواصلون بطريقة تشويبية وقمعية، أم أن تلك اللغة هي نفسها قوية، وأنها تشكل إدراك الفاعلين وتعبيرهم عن تجاربهم؟ فلو كانت الأولى فإن اللسانيات النقدية تكون بذلك معتمدة على نظرية في السلطة غير لسانية؛ ومن ثم يكون الانشغال بها مجرد إضافة تفاصيل. ولو كانت الثانية فإن الأمر يظل يتطلب تكملة مستمدة من نوع من النظرية الاجتماعية السيميائية.

لقد اقترح نورمان فيركلاف *Norman Fairclough* هذه المشاكل في تطوير التحليل النقدي للخطاب. وبدلاً من أن يعقد -ببساطة- مقارنة بين "تشويه" الأيديولوجيا وواقع مغاير غير إشكالي فإنه بحث عن إظهار الصلات بين الممارسة اللغوية وغيرها من الممارسات الاجتماعية الأخرى، وكذلك عن التنظير والتحليل للعلاقات (المجدلية) القائمة بين الفعل الخطابي والمواقف والمؤسسات والبنى. ويربط

فيركلاف هذا المشروع بما يمكن افتراض أنه واقعية نقدية تحريرية حيث تميل اللسانيات النقدية إلى النظر لأفعال لغوية شديدة التحديد وتفترض ارتباطها بالقوة الاجتماعية. ولقد بدأ فيركلاف من موقف مؤداه أن هناك جانباً سيميائياً في كل الممارسات الاجتماعية، وأن هدف التحليل هو إظهار عمل ذلك الجانب في أمثلة معينة للمهينة.

وليس ثمة شك في أن طرق مناهج التحليل النقدي للخطاب تم صقلها، وفي بعض الأحيان تبدو عالية الكشف. ومع ذلك فإن المشكلات ما تزال باقية. وعلى سبيل المثال فإنه على الرغم من أن التحليل النقدي للخطاب يمكنه أن يُظهر الآليات اللغوية للـ (*mystification*) - واستخدماً هذه الكلمة جاء لعدم وجود كلمة أفضل منها - فإن اللسانيات النقدية - من أجل التنظير أو الشرح لقوة هذه التعمية - تتجه إلى الاعتماد على نظرية غير لغوية تكون اللغوة داخلها وبشكل رئيسي أداة لقوة النخبة. وهذا بدوره يغذي اهتمام التحليل النقدي للخطاب بما قد يترتب عليه نوعٌ من التور *circular* إلى حد ما: افتراض قوة النخبة وإعطاء حضورها قوة تفسيرية، ومن ثم يجد التحليل النقدي أنواعاً مختلفة من الأدلة على قوة النخبة هذه التي بدورها تثبت الافتراض الأصلي.

وفي الوقت الذي خضع فيه العلماء في مجالات أخرى من دراسات الاتصال (وبخاصة وسائل الإعلام) لتوجّه مؤداه "التفتش إلى الجمهور"، ومن ثم قام هؤلاء العلماء بدراسة الطرق المعقدة والكثيرة جداً مما يستعمله الناس بالفعل في تفسير النصوص واستخدامها، فإن التحليل النقدي للخطاب لم يفعل ذلك، ولم يتم إجراء تقييم تجريبي لآثار النصوص، ليجد الدليل للنقد داخلها أكثر مما يجده فيما تفعله. وترتبط كلتا هاتين المشكلتين المفاهيمية والمنهجية بأسئلة متعلقة بما هو (سياسي) في (النقدانية)؛ أي بعلاقة التحليل بالأهداف والقيم التحررية التي يهدف إلى تحريكها: هل هو في حد ذاته يجسد هذه الأهداف والقيم؟ هل يوفر أرضيات لتأسيسها؟ هل يولد أدوات واستراتيجيات للأعمال التي قد توجد هذه الأهداف والقيم؟

### التحليل النقدي للخطاب والمنعطف الحجاجي:

لقد قرأت كتاب (تحليل الخطاب السياسي) بوصفه محاولة لمواجهة هذه المشكلات: أي باعتباره محاولة لتقديم تقييد جوهري لأهداف التحليل النقدي للخطاب ولطريقة عمله. وعلى سبيل المثال يناقش المؤلفان فيركلاف *Faircloughs* أنواع القيم المعيارية الأساسية التي يعتقدان أنه يمكن مبدئياً الدفاع عنها في "عملية نقاش ومشاورة نقديين". وهما يقولان إنهما يفعلان ذلك لأن "التحليل النقدي للخطاب

يكون أحياناً ذا نزوع نسبي بخصوص هذه القيم... أو يكون مرتبطاً بشكل وثيق للغاية بوجهة نظر يسارية تجعله عرضة للاتهام بأنه أيديولوجي ومنحاز" (*PDA, p. 60*). وبهذا الخصوص يبدو أن تحليل الخطاب السياسي يبني ذاته على نقدانية التحليل النقدي للخطاب، مستبدلاً القيم الفلسفية الليبرالية بالسوسيولوجيا الماركسية الجديدة النقدية، ومن خلال دمج نظريات الحجاج فإنه يستهدف تأسيس التحليل النقدي للخطاب في منظومة من القيم التي "تقترب بشدة من قائمة حقوق الإنسان العالمية، أو من الواجبات / والالتزامات التي تكون لدينا نحو شركائنا في الإنسانية... قائمة من القدرات التي تحدد مفهوم الازدهار والرفاهية الإنسانيين" (*PDA, p. 60*).

وكما تومئ هذه الإشارة إلى (الازدهار) فإن تحليل الخطاب السياسي يأخذ التحليل النقدي للخطاب إلى المسار المعروف الذي يمتد من ماركس إلى أرسطو. وفي الواقع، فإن هذا التلميح مدعوم أولاً بالإشارة إلى عالمة الأخلاق الأرسطية مارثا نوسبوم *M. Nussbaum*. وفي النهاية بالإشارة إلى العالم الأرسطي الأخلاقي الكبير ويليام روس *W.D. Ross*. وهذا الأخير يتم تذكره لدى المنظرين السياسيين بكتابه عام 1930 (الحق والخير *the Right and the Good*) والذي حاول فيه التأليف بين المعنى الكانطي للواجب الأخلاقي وتقدير أنواع الفضائل العملية التي اشتهرت لدى أرسطو. وهذا النوع من التفكير يشكل إلى حد كبير مفهوم الحجة داخل تحليل الخطاب السياسي. ومع اعتناء الكتاب في المقام الأول بالمشاورة حول اختيارات الفعل وبعمليات الاستدلال العملي الذي يمكن من ذلك فإن جوهر الكتاب هو: إن المجتمعات الإنسانية تعتمد على قيم جوهرية تجعلها مجتمعات؛ أي لديها أهداف تتضمن الوفاء بهذه القيم، وفي ظروف محددة عليها أن تضع وسائل فعل ذلك، وتتضمن سياساتها دعاوى تجمع بين هذه القيم، والأهداف، والوسائل والظروف؛ وبالتطبيق على مسائل السياسة يكون ذلك هو جوهر التشاور؛ ففي نظام حكم جيد هذا التشاور سيكون منسجماً مع تلك القيم الجوهرية الأصيلة؛ ويمكن ويلزم أن تحلُّ الحجج السياسية وتقوم وفقاً لذلك.

إذاً تحليل الخطاب السياسي يركز على الاستدلال العملي؛ أي الاستدلال بخصوص الأفعال في مقابل الحقائق غير القابلة للتغيير، وهذا الاستدلال العملي يتم علناً من خلال الحجة التي تُعرَّف بأنها "مجموعة من التقريرات الصريحة أو الضمنية وأحدها يكون هو النتيجة (الدعوى *claim*) في حين تكون التقريرات الأخرى هي المقدمات (*premises*)" (*PDA, p. 36*). ولأن المؤلفين لا يريدان دراسة الحجج المجردة البحتة، وإنما دراسة الحجج في سياقات معينة (حيث يتم إقناع شخص ما بأمر ما، وحيث

لا تتوقع حجة مثالية وإنما دعوى محتملة أو 'قابلة للإبطال' فإنهما؛ أي المؤلفين Faircloughs يأخذان مقارنة واسعة لممارسات الحجاج، آخذين في الاعتبار الظروف المؤسسية والظروف الأخرى للمنخرطين في الممارسة وأهدافهم. ومن ثم تُهَمُّ الأفعال على أنها تستهدف تغيير الظروف بحيث تتطابق مع الأهداف بشكل أوثق. والأهداف ليست رغبات صرفاً، أو رغبات فحسب، وإنما هي قد تكون لوازم أو معايير، وعلى هذا الأساس يتصور المؤلفان الأهداف -بشكل واسع- على أنها أمور مستقبلية. ووفقاً لذلك فإنها يؤكدان الصلة بين أوضاع الحاضر وأوضاع المستقبل. وعلى هذا تكون الحجة "تخميناً، أو فرضيةً يمكن أن تقودنا خارج الظروف إلى أهدافنا؛ أي تقودنا من حالة إلى حالة (PDA, p. 43).

بهذه الطريقة يشكّل المؤلفان موضوعاً جديداً للتحليل النقدي للخطاب - الحجاج؛ أو "النشاط الاجتماعي اللغوي الذي يحاول فيه الناس انتقاد الادعاءات أو تسويقها" (PDA, p. 23). تحليل مثل هذا الحجاج ليس هو نفسه ما يقترحه التحليل النقدي للخطاب. فالاهتمام ليس فحسب بكيفية تمثيل العالم في لغة شخص ما، وإنما هو التقييم المعياري للسلوك الحجاجي لدى الناس (تقييم كيفية كون هذا الحجاج صحيحاً أو حسناً). هنا يتأثر تحليل الخطاب السياسي -بشكل خاص- بمقاربة (الجدليات التداولية *pragma-dialectic*)<sup>1</sup>.

وهذه المقاربة تحاول أن تكيّف المفاهيم الصارمة الكامنة في المنطق مع الجوانب العملية للتنازع وخصوصياته الفعلية، وبهذا فهي تعطي قوةً معيارية أكبر للتحليلات الوصفية للحجج. ويُنظر إلى الحاجة على أنها نشاط اجتماعي - أي تفاعل بين أطراف، وعلى أنها ممارسة (وظيفية) من جهة أنها تتعلق بمنزعات فعلية ومحددة وتتسبب عنها (وذلك بخصوص أمور فعلية ومحددة). هذه المنازعات يتم تصوُّرها على أنها عملية

1. الجدليات التداولية *Pragma-Dialectics* نظرية حجاجية وضعها منذ سبعينيات القرن العشرين العالمان الهولنديان (فان إيميرين Van Eemeren) و(جروتيندورست Grootendorst)، وفيها يُدرّس الجدل من منظورين: منظور تواصلية مستوحى من الاستبصارات التداولية في فلسفة اللغة العادية، ونظرية أفعال الكلام، وتحليل الخطاب، ومنظور نقدي مستوحى من الاستبصارات الجدلية في العقلانية النقدية ومنطق الحوار. وتتماز هذه النظرية بالتزامها بالدقة الوصفية الإمبريقية المرتبطة منهجياً بموقف نقدي تجاه الممارسات الحجاجية. ومن ثم فهي تقارب الحجاج بقدر كبير من الاختلاف ليس فحسب عن المقاربات المنطقية الشكلية وغير الشكلية التي تهتم أساساً بالمعالجة المعيارية لمشكلات الاستدلال، وإنما تختلف أيضاً عن المقاربات التفسيرية الوصفية في الخطاب الحجاجي الذي تميل إليه دراسات التواصل والبلاغة واللسانيات.

انظر: Frans H. Van Eemeren (2016, pp:1-23)

جدلية تتضمن تبادلاً للحجج، وعلى أن هدفها هو الوصول إلى حل منطقي يُمكن لكل الأطراف، وينبغي لهم، أن يوافقوا عليه بعقلانية. ويتقدم التحليل عن طريق البحث عن (إعادة بناء) الحجاج (الذي قد يكون غير واضح أو يكون مضمراً فحسب) داخل التبادلات الفعلية الواقعية وفيها وراءها، محدداً الدعاوى والدعاوى المضادة، والخطاطات الحجاجية والسبل التي ترتبط بها النتائج مع المقدمات. وما يهم ليس الأسباب الداخلية أو الخاصة التي تكون لدى الشخص ليعتق رأياً معيناً، وإنما المهم هو الأسباب الخارجية التي يقدمها للآخرين والتي يمكن محاسبته على أساسها. ومن ثم فالجدليات التداولية تتصور النزاع السياسي على أنه يحتوي داخله "محاولة منظمة لحل الاختلاف في الرأي عن طريق النقاش النقدي" (*Van Eemeren and Grootendorst, 2004, p. 95*)، وعلى أنه يسعى إلى تقييم هذه الحجج العامة تقدماً من خلال تطبيق سلسلة من المعايير.

#### نقد النقدي:

إذاً يسعى تحليل الخطاب السياسي -عن طريق استدماج مفهوم الأرسطية الجديدة عن الواجبات الأخلاقية الموضوعية- إلى إعطاء التحليل النقدي للخطاب أرضية أخلاقية. وناتج ذلك أن اهتمام التحليل النقدي للخطاب بالطريقة التي تعمل بها الأيديولوجيا في اللغة و عبر اللغة، مكوّنة المساحة التي تقع فيها الأحداث السياسية، قد تم إستبداله. ويربط التحليل النقدي للخطاب بالتشاور العملي يستنتج المؤلفان أن "الأفعال لها الأولوية على التمثيلات، والتمثيلات تُصمّن داخل الأفعال" (*PDA, p. 4*). وهذه الوجهة من النظر تسهم في توجيه انتقاد صريح للتحليل النقدي للخطاب وللدراسات اللسانية للسياسة بصورة أكثر عمومية: "إن قدرًا كبيرًا من البحث المنجز في التحليل النقدي للخطاب يتضمن تحليل تمثيلات الفعل الاجتماعي، والفاعلين الاجتماعيين ومختلف الجوانب الأخرى من العالم... دون ربط هذه التمثيلات بعمل المنفذين عبر منطقتهم العملي" (*PDA, p. 86*). ولقد اثبتت بحوث نورمان فيركلاف السابقة بسبب افتقاده تحديد ما له الأولوية في الخطاب السياسي، وذلك في مواجهة السؤال: ما الذي يجب القيام به استجابةً لأحداث وظروف إشكالية ذات أهداف وقيم معينة؟". والآن فإن هذه المحاولة لجعل التحليل النقدي للخطاب يبدأ من إدراك أن السياسة هي نوع خاص من الفعل هو بالتأكيد أمر محلّ ترحيب، ويحمل معه إمكان جعل الحوار عبر الحقل أكثر سهولة. إن مشكلة اللسانيات النقدية والتحليل النقدي للخطاب كانت هي الميل نحو تحليل اللغة والتنظير لها جنباً إلى جنب تصور للسياسة قيد التنظير. ومع ذلك فإن تحليل الخطاب السياسي جعل التحليل النقدي للخطاب تابعاً لفاعلية التقييم

المعياري، فأسرع -باستعجالٍ شديد- إلى رفض الاستبصارات في طبيعة التمثيل الأيديولوجي وقوته، بدلاً من أن يبني على هذه الاستبصارات. ومن ثم فالتحليل النقدي للخطاب يُقلِّص لبيان بعض الصلات بين "الأسباب التنفيذية والبنوية" (PDA, p. 80)، وبالاقتران مع نظرية الحجاج، يتم بيان "كيف تعلن قوة البنى الاجتماعية والمؤسسية عن نفسها في أسباب الفعل التي يميزها الناس... حيث إن هذه البنى تقيد (أو تمكّن) القدرة التنفيذية وذلك بإمداد الناس بأسباب الفعل" (PDA, p. 81) والتأكيد في الأصل). ما يعنيه هذا هو أن التمثيل (وتحليله) مهمّان فحسب بقدر ما يتم استخدامها كتعريف مفترض للواقع.

من الواضح أن تحليل الخطاب السياسي يربط دراسته النقدية للغة السياسية بالمدرسة الأولى من المدارس الثلاث الخاصة بالنظرية السياسية مما شرحتُه في المستهل: مدرسة الكانطية الجديدة حيث تكون نقدانية اللغة السياسية مشروعاً معيارياً يتضمن قياس الأقوال على مرجعية معايير تكونت بشكل مستقل عن هذه الأقوال. وما يشغلني هنا أن المشروع في حال فعل ذلك ينسى استبصارات التقاليد الأخرى، بل هو في الحقيقة ينسى تقاليد التحليل النقدي للخطاب نفسه حول شكل اللغة وقوتها. وأشد ما يعلن ذلك عن نفسه بوضوح -وهو الأمر نفسه الذي جعلني أرحب بالكتاب بقوة- تأكيد الكتاب على الفعل وتعيينه (الحجة) موضوعاً للدراسة. فعلى الرغم من أن التمثيل في الكتاب مربوط بالفعل فإن هذا يحدث فحسب بسبب تصور التمثيل كأداة يمكن استخدامها في الأفعال السياسية ولكنه هو في ذاته ليس فعلاً. وأعتقد أن هذا يسيء فهم طبيعة التمثيل ومكانته في السياسة. ومن أجل أن نرى سبب ذلك نحن بحاجة للرجوع إلى أرسطو.

بينما كان أرسطو يدافع عن التفكير العملي في الحياة الأخلاقية والعقلية فإنه كان يدرك تماماً أن المرء في الحياة العامة وفي السياسة يحتاج إلى استخدام البلاغة -"المقابلة" للجدل. والسبب في ذلك هو أننا قد نضطر لاتخاذ قرارات تحت قيود الزمن التي تحدّ القدرة على جمع كل المعلومات المطلوبة، أو جمع المعلومات عن المسائل الطارئة وما يتعلق بها مما يستحيل التأكد اليقيني منه. في مثل هذه الحالات يكون التفكير الجدلي ضيقاً جداً. بيد أن الأمر البالغ الأهمية هو أن أرسطو أخذ مأخذ التسليم بأن الحجج السياسية تقع على الملأ أمام جمهرة من الناس هم في النهاية من يقرّرون. ومعنى ذلك -وهذا هو الضمني الذي غالباً ما يغفل عنه منظرو المشاورة- أن الفاعل السياسي لا يحاول -كما في الجدل- أن يقدم الحجة

التي قد تتقنع المعارض، وإنما هو -أو هي- يقدم الحجج لإقناع الطرف الثالث: الجمهور الذي يجب تبعاً لذلك أن تُوجّه إليه الحجة.

بؤرة هذه البلاغة -على الأقل وفقاً لأرسطو- هو القياسات المضمرة. ويعرّف العلماء المعاصرون هذه القياسات أحياناً بأنها حجج شبه منطقية تغيب عنها مقدمة أو تُحجب، أو هي التي تعتمد على مقدمات ظنية وليس مقدمات يقينية. وبالفعل فقد قال أرسطو الأمور التي يمكن أن تُدعم هذه التعريفات. ولكنه في الغالب، وبشكل متكرر، قال إن هذه القياسات المضمرة تُستخدم "أفكاراً يمتلكها الناس جميعاً". ولا مؤدى لذلك إلا أنه عند تقديم سلسلة الاستدلال إلى جمهور معين نكون بحاجة إلى جعل هذا الاستدلال يتصل بأنواع الأمور التي من المحتمل أن يكون الجمهور يفكر فيها. وأفضل طريقة للتفكير في ذلك هي أن تفكر في (مصادر) الدعاوى. وكما شرح لويد بيتزر *Lloyd Bitzer* فإن الدعاوى التحليلية في الاستدلال -إذا جاز التعبير- يضعها المتكلم: فالرياضي يعلن: لتكن  $s = 54$ ، و  $v = 25$ ، ثم يبين ما ينتج عن ذلك. أما في المنطق الجدلي فإن القضايا تُطلب ويجب الموافقة عليها -كثيراً من المحاورات الأفلاطونية تتعلق بمحاولات سقراط أن يقنع محاوريه بالموافقة أو الاعتراض على فرضية أو أخرى. أما في القياسات المضمرة البلاغية -كما كتب بيتزر- فإن "المتكلم لا يضع مقدماته، وإنما يدع للجمهور الإتيان بها من مخزون آرائه ومعرفته" (*Bitzer, 2010 [1959], p. 187*). وفي البلاغة الجيدة "الجمهور نفسه يساعد في إنشاء البراهين التي تقنعه" (*Bitzer, 2010 [1959], p. 188*).

من وجهة النظر البلاغية إذاً فإن المنازعات السياسية لا تقع في مستوى النتائج وإنما في مستوى المقدمات- في التصورات عن المواقف، وعن الظروف، وعن العالم الاجتماعي. وفي النزاع السياسي العام لا يحاول الفاعلون السياسيون حمل الجمهور من أجل أن يوافق على النتائج، وإنما على المشاركة في مقدمة ما، وأن يعتمد على مخزن التصورات العامة الممكنة، وأن يعلي مقدمة على غيرها. وعلى هذا الأساس يستنتج (بشكل طبيعي) أمرًا ما؛ كأن يرى فعلاً معيناً على أنه (إرهاب) وليس (جريمة)، وأن هذا الموقف هو (أزمة للرأسمالية) بدلاً من أن يراه (مشكلة في الدين الحكومي)، وأن هذا الأمر انتهاكاً للثقة وليس تغييراً في الرأي قابلاً للفهم.

بهذا المعنى تعتبر التمثيلات أساسية في السياسة. إنها افتراضات تأسيسية تجعل القرارات ممكنة. فهي مكونة من أمور يأخذها الجمهور بالفعل على أنها صحيحة، وقد تكون (كما ساعدنا التحليل النقدي

لنفهم) معتمدة على قوة اجتماعية مترسبة. ولكن كما بين المنظرون السياسيون والمحللون للـ(الحس المشترك) (من شيدشرون إلى جرامشي) (وكما يعرف أيُّ بلاغيّ بشكل فطريّ) فإن هذا الراسب يمكن أن يُستثار، وأن يتم تقيح استنباته وتميظه. ولقد وضعت ذلك بشكل جيد المنظرَةُ السياسيَّة النسويَّة ليندا زيريلي *Linda Zerilli* عندما قالت "عندما نتجذب إلى الحس المشترك فنحن لا نتجذب إلى فئة محددة من الآراء، وإنما إلى ما هو مُعَد. وبعيدًا عن ضمان الموافقة قدمًا فإن الحس المشترك يسمح باختلافات المنظور أن تتبثق وأن تصبح ظاهرة" (*Zerilli, 2005, p. 173*). هذا الحس المشترك، وكذلك شروطُ انبثاقه وتحدّيه وتحويله، هو موضوعٌ مهمٌ للتحليل السياسي.

القضية التي نحن صددها هنا هي الاختلاف الأساسي بين موقفي وموقف المؤلفين فيركلاف في تصورات طبيعة السياسة وأحوالها. وفي نقطة أولى فإن المؤلفين يقترحان تمييزًا بين نوعين من النزاع السياسي، وكما أعتقد فهذه نقطة أساسية في تصورهما. هناك، كما يقولان، خلافاً يتم تسويتها عن طريق "صراعات المصالح، ولكنها تقع داخل إطارٍ واسعٍ مشتركٍ من القيم السياسية والأخلاقية" (*PDA, p. 59*). هذه الخلافات تؤدي إلى عدم اتفاقٍ معقولٍ "حيث يكون لدى الأطراف السياسية استراتيجياتٍ مختلفة إلى حد ما، وغالبًا ما تكون استراتيجياتٍ غير معقولة بشكل واضح للتعامل مع المشكلات على ضوء قيم وأهداف مختلفة، أو على ضوء تصنيفات مختلفة، أو أولويات مختلفة من القيم والأهداف" (*PDA, p. 60*). ويذهب المؤلفان *Faircloughs* إلى حد وصف هذا الموقف بأنه "الموقف المُميز للسياسة؛ حيث قد تكون المواقف المختلفة، ولكنها المواقف المعقولة في الأساس، على المحك" (*PDA, p. 59*).

ولكن هناك أيضًا "خلافات عميقة" "لا يمكن فيها للحجاج أن يمضي قدمًا؛ لأنه ليس ثمة أرضية مشتركة- أي إن هذا الحجاج لا يقع خلال "إطار مشترك من القيم الأخلاقية والسياسية" (*PDA, p. 59*). المقصد والنتيجة من وراء هذا التمييز هو وضع بعض الظواهر تحت صنف السياسات الجيدة أو السّويّة، ووضع ظواهر أخرى تحت صنف السياسات الرديئة والمَرصِيّة. والنموذج الذي يسوقه المؤلفان للصنف الثاني هو سياسة التمييز العنصري. وهذا اختيار قوي من الناحية البلاغية، ولكن الأمر لا يستغرق طويلًا لكي نفكر في أمثلة تاريخية لسياساتٍ تجاوزت أطر الإجماع ليس لأنها أرادت أن تدمر نظام الحقوق وإنما لأنها أرادت التوسع فيه. فكل أنواع التغيرات السياسية التي يمكننا الآن قبولها على

أنها أساسية بدأت كاتقطاعات جذرية لا تنسجم مع الوضع القائم، وغالبًا ما كانت تُرفُض في كثير من الأحيان باعتبارها غير معقولة.

و ضد ما يذهب إليه كتاب تحليل الخطاب السياسي فإنني أقترح أنّ وجود خلاف عميق هو الشرط الأساسي للسياسة. ومن المؤكد أن النزاع حول الاستنباط الأكثر تأثيرًا من مقدماتنا المشتركة أمر موجود. لكن جوهر الخلاف السياسي هو الخلاف حول الدعاوى، الخلاف على تمثيلات الموقف الذي يتعين مواجهته. وعلى عكس ما يظهر من كتاب تحليل الخطاب السياسي -وهو في بعض الأحيان ينطوي على ذلك ضمًا- فإن الأمر ليس هو منح الشرعية على إطلاقها لأي تمثيل من هذا القبيل؛ بل على العكس من ذلك، فإنه يوضح الأهمية، غير القابلة للاختزال، للاختلاف بين هذه التمثيلات، مع الإقرار بأن مثل هذه الصراعات تحدث فيما وراء نوع من النظام المعياري الذي عرّضه المؤلفان. وعلى وجه الدقة فإن مثل هذه الأنظمة تقوم على التمثيلات والدعاوى التي هي بالضبط محلّ نزاع.

وعلى سبيل المثال يناقش المؤلفان فيركلاف في الكتاب خطابًا لـ(توني بلير *Tony Blair*) كان في الأصل قد حلّه نورمان فيركلاف في كتابه عن لغة حزب العمل الجديد (*Fairclough, 2000*). ففي التحليل الأصلي بين فيركلاف كيف أن خطاب بلير اشتغل بتمثيل (التغيير) على أنه قوة الطبيعة، وأنه نوع من المشاركة في السياسة، وأن ما علينا ببساطة هو التكيف معه من خلال (التحديث)، وأن العلاقة معه ليس لها بديل آخر. وعلى هذا أصبح التغيير دعوى ثابتة. وفي كتاب تحليل الخطاب السياسي يعاد بناء خطاب بلير كمثال للاستدلال التشاوري. لقد أصبح التغيير دعوى حاليّة، وأصبح الخطاب [خطاب بلير] حجةً لكيفية التصرف عمليًا استجابةً لهذا التغيير. والسؤال الذي يثيره هذا بالنسبة إلى المؤلفين هو ما إذا كان ممكناً أو غير ممكن التمثيل بلير للموقف أن (يقبل بشكل عقلائي)، وهل يكون، أو لا يكون، مقترحه للفعل قد انبثق من عملية فحص نقدي على ضوء نتائج المحتملة" (*PDA, p. 90*). ما اكتشفه المؤلفان -بالطبع- هو أن بلير في الحقيقة يصور البدائل بطرق ضارة للغاية وأن "كل الخيارات صيغت بطرق تصبّ في صالح استنتاجاته الخاصة..." بلير لا يتوجه إلى بدائل حقيقية، أو خيارات حقيقية، وإنما يتوجه إلى تمثيلاته الخاصة لتلك البدائل المزعومة... لقد تجنب التشاور الحقيقي من خلال رسم بدائل بطرق معهودة بلاغيًا (*PDA, p. 92*). هذا صحيح بالطبع، باستثناء أن خطاب بلير ليس بالتأكيد، في الشكل أو في القصد، مثالاً للتشاور العملي. واستدلال بلير نفسه لم يكن ممكناً إلا على أساس الافتراضات الأيديولوجية التي يعيد تأكيدها. وفي حين أن الجدل حول

قرارات محددة، وحول إمكان مسارات عمل معينة، هو جزء مهم من السياسة، فإن كثيراً من الخطاب السياسي أو التواصل السياسي، يتعلق بتأكيد الدعاوى؛ والاعتراض على ذلك ينطوي على تقويض الدعاوى، وليس تغيير النتائج المتحصلة منها.

### الخلاصة:

ثمة لحظات كثيرة نافذة في كتاب تحليل الخطاب السياسي. منها أن تحليله الوثيق للحجج السياسية يساعد على إيضاح بعض ديناميات الحياة السياسية، ويلفت الانتباه إلى قدرٍ من الأفعال التي قد لا ندركها بدون هذا التحليل: وذلك مثل تحليلاتها للنزاعات الاقتصادية التي تجعل الخطوط على أجساد التفكير الأيديولوجي ظاهرة. غير أن تجميعها للتحليلات في مشروعٍ معياري أكبر يمكن أن يحجب - أكثر من كونه يجلي - سياسات اللغة.

في انتقاد الخطاب السياسي يمكننا استثارة مجموعة من المعايير أمام الأمور التي يلزم تقييمها. ولكن عندما يكون لهذه النقدانية المعيارية آثار عملية، فذلك لأنها تتصل بالتقييم الموجودة بالفعل لدى الجمهور، وتتصل بمدى قيامها على تمثيل بديل أو دعوى بديلة، أو بمدى تأديتها إلى تمثيل بديل أو دعوى بديلة. (وقد نلاحظ هنا أنه في كتاب تحليل الخطاب السياسي وُظف خطابٌ بليز بوصفه مثلاً للحفاظ على دعوى عن مسلك السياسة بما يمكن من الاستنتاج بأن شيئاً مثل إطار كتاب تحليل الخطاب السياسي هو أمر مرغوب). وهناك طرقٌ بديلة للنقدانية. ومن بين هذه الطرق - كما هو في التحليل النقدي للخطاب - توضيح المسالك التي يعمل بها الكلام، أو - كما يفعل بعض تاريخ الفكر السياسي - إظهار كيف أن تمثيلات النقدانية أصبحت ممكنة على الإطلاق. مثل هذه التحليلات النقدانية (وهنا كلمة "نقدانية" تلتقط بعض المعاني التي يستدعيها تعبير "النقد الأدبي") تمكّننا من التفكير في كيفية إنتاج تمثيلات بديلة، واستثارة عناصر مختلفة من الحس العام؛ أي قد تساعدنا ليس فحسب في الحكم على ما قيل، وإنما تساعدنا في توسيع نطاق (ما يمكن قوله)، أو - كما ذهب رانسبي - قد تساعد في وضع كلماتٍ للتداول تتجاوز قواعد الحاضر الأيديولوجية أو المعيارية.

## References

- Bitzer, L. (2010 [1959]) 'Aristotle's Enthymeme Revisited', in R. L. Enos and L. P. Agnew (eds), *Landmark Essays on Aristotelian Rhetoric*. London: Routledge, pp. 179–91.
- Fairclough, N. (2000) *New Labour, New Language?* London: Routledge.
- Fairclough, I. and Fairclough, N. (2012) *Political Discourse Analysis: A Method for Advanced Students*. London: Routledge.
- Laclau, E. (1990) *New Reflections on the Revolution of Our Time*. London: Verso.
- Rancière, J. and Panagia, D. (2000) 'Dissenting Words: A Conversation with Jacques Rancière', *Diacritics*, 30 (2), 113–26.
- Skinner, Q. (2002) *Visions of Politics, Volume 1: Regarding Method*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Van Eemeren, F. H. and Grootendorst, R. (2004) *A Systematic Theory of Argumentation: The Pragma-dialectical Approach*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Zerilli, L. (2005) "We Feel Our Freedom": Imagination and Judgment in the Thought of Hannah Arendt', *Political Theory*.



## تحليل الحجاج والمقاربة التاريخية للخطاب: إطار منهجي

مارتن رايزجل، جامعة بيرن<sup>1</sup>

ترجمة: د. سعيد بكار

saidbak@hotmai.fr

### الملخص:

تعد المقاربة التاريخية للخطاب إحدى مقاربي التحليل النقدي للخطاب اللتين تركزان على الحجاج توكيزاً قويا ومنظماً. وأما المقاربة الأخرى فقد طورتها إيزابيلاً ليثسو-فيركغف ونورماناً فيركغف.

وسيقصر اهتمام هذا الفصل على المقاربة التاريخية للخطاب في التحليل النقدي للحجاج. ومن ثم، سوف تحدد هذه الورقة الافتراضات التصورية والمنهجية الأساسية المتعلقة بطبيعة الحجاج، والعلاقة التي تربط تحليل الحجاج والمقاربة التاريخية للخطاب. وعلى الرغم من أن أهم الأفكار المقدّمة والمشروحة في هذا المقال ليس عليها أي خلافٍ أو بها أي لبسٍ منذ سنين عديدة، إلا أن الجديد هو تلخيصها باللغة الإنجليزية للقراء. وترجع الحاجة الماسة إلى بسط هذه الأفكار بالإنجليزية إلى انتشار أفهام خاطئة بين المحللين النقاد للخطاب في الأوساط الأكاديمية التي تعتمد هذه اللغة فيما يخص العلاقة بين تحليل الحجاج والمقاربة التاريخية للخطاب. ولعل أحد أبرز أهدافي هو تجاوز هذا الأفهام الخاطئة بمشكلة هذا المقال النظري والمنهجي حول المقاربة التاريخية للخطاب والإجابة عن أهم الانتقادات الموجهة إليها.

### الكلمات المفتاحية:

المقاربة التاريخية للخطاب، التحليل النقدي للخطاب، التحليل النقدي للحجاج.

<sup>1</sup>. Martin Reisigl (2014). *Argumentation Analysis and the Discourse-Historical Approach: A Methodological Framework*. In Christopher Hart and Piotr Cap (Eds.) *Contemporary Critical Discourse Studies*. London-New Delhi-New York-Sydney: Bloomsbury, pp. 67-96.

## *Argumentation Analysis and the Discourse-Historical Approach: A Methodological Framework*

Martin Reisigl  
Tr, Dr. said bakkar  
[saidbakke@hotmail.fr](mailto:saidbakke@hotmail.fr)

### **Abstract:**

The Discourse-Historical Approach is one of two versions of Critical Discourse Analysis (CDA) with a strong and organized focus on argumentation. The second version is that developed by Isabela Iețcu-Fairclough and Norman Fairclough (see, e. g. , Iețcu, 2006a, 2006b; Iețcu-Fairclough, 2007; Fairclough and Fairclough, 2010, 2012, 2013) . The following chapter will only focus on the Discourse-Historical Approach to the critical analysis of argumentation. It will outline basic conceptual and methodological assumptions about the nature of argumentation and the relationship between argumentation analysis and the Discourse-Historical Approach. The main ideas to be presented and explained in the following have been clear for many years, but it is the first time that they are summarized for the English language readership. There is an urgency to explain them in English, because there circulate several misunderstandings in the English-speaking scientific community of critical discourse analysts with respect to the relationship between argumentation.

### **Keywords:**

**Discourse-Historical Approach, Critical Discourse Analysis, critical analysis of argumentation**

## 1. مقدمة

تعد المقاربة التلخيية للخطاب إحدى مقرتي التحليل النقدي للخطاب اللتين تركزان على الحجاج تركيزاً قويا ومنظماً<sup>(1)</sup>. وأما المقاربة الأخرى فقد طورتها إزابيلا ليثسو-فيركلّف ونورمان فيركلّف (للتفصيل رجع على سبيل المثال إلى: *Lectn, 2006a, b; Lectn- Fairclough, 2007; Fairclough and Fairclough, (2010, 2012, 2013*

ويقتصر اهتمام هذا الفصل على المقاربة التلخيية للخطاب في التحليل النقدي للحجاج. ومن ثم، سوف تحدد هذه الورقة الافتراضات التصورية والمنهجية الأساسية المتعلقة بطبيعة الحجاج، والعلاقة التي تربط تحليل الحجاج والمقاربة التلخيية للخطاب. وعلى الرغم من أن أهم الأفكار المقدّمة والمشروحة في هذا المقال ليس عليها أي خلاف أو بها أي لبس منذ سنين عديدة، إلا أن الجديد هو تلخيصها باللغة الإنجليزية للقراء. وترجع الحاجة الماسة إلى بسط هذه الأفكار بالإنجليزية إلى انتشار أفهام خاطئة بين المحللين النقاد للخطاب في الأوساط الأكاديمية التي تعتمد هذه اللغة فيما يخص العلاقة بين تحليل الحجاج والمقاربة التلخيية للخطاب. ولعل أحد أبرز أهدافي هو تجاوز هذا الأفهام الخاطئة بمشاركة هذا المقال النظري والمنهجي حول المقاربة التلخيية للخطاب والإجابة عن أهم الانتقادات الموجهة إليها.

ويتضمّن هذا الفصل ستة أجزاء؛ بدءاً بتقديم تاريخ مختصر للمقاربة التلخيية للخطاب في الحجاج، ومروراً ببسط فهمي العام لتصور الحجاج (الذي أتبع فيه يوزف كوشميدت *Josef Kopperschmidt*، والذي يؤسفي أن لا أحد يعرفه تقريباً ممن يطالعون باللغة الإنجليزية

<sup>1</sup>. استعملت الصفتين قوي ومنظم رغم علمي بوجود العديد من اتجاهات التحليل النقدي للخطاب التي تدرج الحجاج في دراساتها [المؤلف].

فقط)، وأما الجزء الثالث فسوف أعرض فيه بعض الإشارات التفسيرية حول العلاقة بين الحجاج والتفسير والسرد. ويخص الجزء الذي يلي إطاراً منهجياً لتحليل الحجاج البنيوي الشكلي، والذي يركز على المحتوى من منظور المقاربة التاريخية للخطاب. وأما الجزء الخامس فهو تعليق على ثلاثة انتقادات للمقاربة التاريخية للخطاب ومناهجها في تحليل الحجاج، أملاً في دحضها. وأخيراً يُعنى الجزء السادس والأخير بالانتهاى إلى بعض الخلاصات.

## 2 تحليل الحجاج والمقاربة التاريخية للخطاب: تاريخ مختصر

يرجع اهتمام المقاربة التاريخية للخطاب بتحليل الحجاج إلى النصف الثاني من ثمانينيات القرن الماضي. ووقع هذا حينما كانت استراتيجيات التسويغ منصبة على الدراسات ذات التوجه التاريخي لخطابات فترة ما بعد الحرب، ولا سيما المتعلقة بارتباط النمسا بالحزب الاشتراكي الوطني ومعاداة السامية (Wodak et al., 1990). وكان دمج المقولات التحليلية للحجاج في المقاربة آنذاك لا يزال عشوائياً كليةً على الرغم من إحالة فرق البحث إلى هانز ماس وكيثباتنر وكوشميدت وويلمان وتولمين Toulmin وفولفينغ Völzring بين الفينة والأخرى.

ولقد وسعنا بؤرة اهتمامنا التحليلي في دراسة البناء الخطابي للهوية الوطنية (Wodak et al., 1999; Wodak et al., 2009; al., 1998)، بغية التمكن من الإحاطة بالاستراتيجيات الحجاجية المتعددة التي تروج لبناء الانتماء الوطني والهوية الوطنية بصورة حاضرة الأمة وماضيها، أو تلك التي تسعى إلى تسويغه أو جعله أمراً نسبياً، أو إعادة إنتاجه، أو تغييره أو تدميره. ونرى في دراستنا أن مفهومي الطوبوش واللوكيس *locus* مقولتان تحليليتان للحجاج، وليس مجرد نمطين أدبيين أو تعبيرين عاديين كما زعم إيكور زاغار (Igor Žagar, 2010: 21). والحقيقة أن تلك الفترة اتسمت بعدم وجود تمييز واضح ونسقي بين خطابات الحجاج السليم والمغالط، رغم حاجة المقاربة إلى دراسة الحجاج دراسة أكثر دقة. ومن بين الأسباب الأساسية لعدم بسطنا محاولات تجديد الحجاج التي تعتمد الخطاطات في هذا الكتاب أنه نُشرَ بادئ الأمر باللغة الألمانية من قبل دار نشر زوركامب (Subrkamp) (في سنة 1998)، وأن هذه الدار تفضل خلو نصوص الكتب التي تنشرها من التحليل الشكلي وكثرة الرسومات والجدول والمبيانات في كتاب من الحجم الصغير. ومع ذلك، تضمنت النسخة الثانية من الترجمة الإنجليزية فصلاً إضافياً يُلخّص تطوّر الخطاب حول الأمة والهوية النمسلويتين بين سنة 1995 وسنة 2008. والجميل في الأمر أن هذا الفصل الإضافي اعتمد تمييزاً

منهجيا واضحا بين خطاطات الحجاج السليم والمغالطات (Wodak et al., 2009 (1999): 220-231).

ويمثل كتاب 'الخطاب والتمييز' إضافة جديدة لإحالاته على قواعد الجدلية التداولية العشر للنقاش النقدي لأجل التمكن من التمييز بين الحجاج السليم والمغالط (Reisigl and Wodak, 2001: 69-80). كما يعرض الكتاب مفهوم الطوبوس عرضا صريحا وواضحا، ويحدده وفق التفضيل الذي قدمه كل من مأنفريد كينبوانتنتز (Manfred Kienpointner, 1992, 1996) ومارتن فينغلر (Martin Wengeler, 1997)، وهذا أمر حسن لأن مقالات وكتب هذين الباحثين غير معروفة عند قراء اللغة الإنجليزية. أضف إلى ذلك أن تحديد الطوبوس في الكتاب ليس شكليا فقط؛ بل اهتم كذلك بأهمية المحتوى ومجال البحث. ويرجع هذا الاهتمام بمحتوى خطاطات الحجاج بالأساس - وإن كان غير مفصل ودقيق آنذاك - إلى كتابات مارتن فينغلر. ولا ننسى فضل الكاتبين كينث وكينبوانتنتز في التأسيس لهذا الاهتمام عبر كتابيهما (Kindt, 1992) و (Kienpointner and Kindt, 1997).

ولا يجب أن يُفهم من إشرتنا إلى القواعد العشر للتداولية الجدلية اعتمادنا لهذا النموذج النقدي للنقاش بخلافه، إذ توجد العديد من النقاط التي أخالف فيها الجدلية التداولية (انظر القسم 6.1 أسفله). ولعل دراسات يوزيف كوشميدت بمثابة إضافة نوعية لاتجاه الجدلية التداولية. ولكن دمج نظرية كوشميدت مع الإطار النظري للحجاج (انظر Kopperschmidt, 1989, 2000) لا يزال غير معروف لدى قراء اللغة الإنجليزية؛ لأن معظم كتاباته الرئيسية في هذا الباب لم تترجم من اللغة الألمانية (Reisigl, 2003a, 2004, 2005, 2006, 2007a, 2007b, 2007c). وقد طوّر كوشميدت نظرية حجاج عامة بناء على أفكار هابرماس.

وأرى أن المقاربة التاريخية للخطاب تربط مظاهر الحجاج الشكلية والوظيفية والمرتبطة بالمحتوى في إطار متكامل، ولكنها تركز على تحليل محتوى خطاطات الحجاج. وتحاول هذه المقاربة في التحليل النقدي للخطاب التمييز بين الحجاج السليم والمغالط قدر الإمكان. ولعل المعيار الأساس لهذا التمييز بالأساس هو القواعد الجدلية التداولية للنقاش النقدي.

وتعدُّ المقاربة التلخيصية للخطاب المدرسة الوحيدة في التحليل النقدي للخطاب التي تدرج الحجاج وتعدد المنظورات بوصفها عصرين شكليين في رؤيتها 'للخطاب'. وتعدُّ هذه المقاربة علاقةً الموضوع العام وتعدد المنظورات الحجاجية عناصر ضرورية في أي خطاب. وهذا يعني أن الخطاب:

- (أ) مجموعة من المرسات السيميائية التي تنبني على سياقات بعينها، وتوجد ضمن ميدان من ميادين الفعل الاجتماعي (ضرب مثلا لما يوجد في السياقات السياسية كإجراء تسريع القوانين، وخلق الرأي العام والمواقف والإرادة، وإدارة الأمور السياسية، والدعايات السياسية، والتحكم بالسياسيات أو الاحتجاج عليها، إلى غير ذلك)؛
- (ب) يتكوّن مما هو اجتماعي ويكوّن ما هو اجتماعي؛
- (ت) يرتبط بمواضيع عامة وبالحجاج المتعلق بادعاءات الصحة (الحقيقة والصواب) في سياق يتضمن فاعلين اجتماعيين ذوي منظورات مختلفة (انظر *Reisigl and Wodak, 2009: 89*).

ويختلف هذا الفهم 'للخطاب' كثيرا عن مقاربة فيركلّف التي لم تنطرق إلى علاقة المفهوم النظري للخطاب بالحجاج: '[...] يعدُّ الخطاب طريقة للتعبير عن مجال ما من الممارسة الاجتماعية من منظور خاص، ورغم اعتماد النوع -بطبيعة الحال- على مجموعة محدّدة من الخطابات إلا أن خطابا معينا قد يُستعمل في أنواع عدّة' (Fairclough, 1995: 14) وانظر أيضا: (Fairclough, 2010: 96). ومعنى هذا أن كل منظور يرتبط بخطاب ما، فيما يتضمن الحجاج دائما أكثر من منظور، مما يجعله ظاهرة بيخطائية. ويترتب على هذا التصور أن تحليل الحجاج يجب أن يتضمن تحليل خطابات عدّة. ومن الأمور الغامضة في مقاربة فيركلّف تصوّره للطبيعة البيخطائية للحجاج منهجيا، وكيفية تأويله للتفاعل الحوارية ذي الطبيعة الحجاجية بين أطراف الجدل وفق تحليل الخطاب ونظرية النوع.

### 3 مفهوم 'الحجاج': توصيف عام

يتبع تصوري للحجاج نظرية يُوزف كوبر شميذث الذي طور تصور هابز ماس، وبحسبه يعدُّ الحجاج نمطا لغويا ومعرفيا غير عنيف لحل مشكل، وتتمظهر هذا النمط في متوالية منتظمة تقريبا من أفعال الكلام التي تشكل فيما بينها شبكة معقدة أو منسجمة تقريبا من العبارات أو الملفوظات. ويعمل الحجاج على التحدّي المنهجي لادعاءات الصحة أو تسويقها من قبيل: ادّعاءَي الحقيقة والصواب

(Kopperschmidt, 2000: 59f). وغايته الأساس هي الإقناع؛ سواء بمعنى الاقتناع بالحجج السلمية أو بمعنى التأثير في شخص بالإيجاء أو التضليل عبر المغالطات. وبينما يرتبط ادعاء صحة الحقيقة بقضايا المعرفة واليقين المعرفي والتأمل النظري، يرتبط ادعاء صحة الصواب بالقضايا العملية لكيفية فعل الشيء الصحيح من قبيل: قضايا القواعد العملية أو المعايير الأخلاقية، وقضايا ترتبط بما يليق بنا فعله أو يجب فعله، أو ما هي الأشياء المرغوب فيها أو المحظورة. ويرتكز الكثير مما ناقشته فيركلّف وفيركلّف (2011، 2012) تحت مسميات 'التفكير العملي' و'الحجج العملية' و'ادعاء العمل' بادعاء صحة الصواب.

ومع ذلك، حاج كوبرشميذت بقوة أن الحجاج ليس فعلا كلاميا مستقلا في حد ذاته، من قبيل التأكيد أو التصريح، وأنه لا وجود لأفعال كلامية حجاجية أو مقنعة، من قبيل ما يفترضه أحيانا دارسو نظرية الحجاج. وأنه يمكن أحيانا أن تُنجز كل أنواع الأفعال الكلامية وظيفتة حجاجية (Kopperschmidt, 2000: 59). ومع ذلك يتحقّق ادعاء صحة الحقيقة بصورة نموذجية عبر فعل كلامي تأكيدي أو على شاكلته في مستوى البنية التداولية العميقة، بينما يفترض ادعاء صحة الصواب بصورة نموذجية شكل فعل كلامي توجيهي في مستوى البنية التداولية العميقة (حيث تعاد صياغة الفعل الإنجازي الأساس كالآتي: 'افعل كذا!'، 'لا تفعل كذا!'). ومن الواضح أن الفعل الإنجازي الثانوي المتلفظ به حرفيا يشترك غالبا من فعل إنجازي أولي مقصود، وهذا يعقد تحليل الحجاج. واعتمادا على تمييز هابزمناس بين ادعاءات الصحة الأربعة؛ أي ادعاء الحقيقة والصواب والصدق (النزاهة والإخلاص) والمفهومية *understandability*، يمكننا أن نُؤمّثل العلاقات بين أنواع الفعل الكلامي ووظائفها، ولا سيما المتضمنة في ادعاءات الصحة. ونوضح ذلك في الجدول الآتي:

	أنواع الفعل الكلامي	وظيفته ومثال له	ادعاء صحة متضمن فيه بشكل أولي
فقهوية	فعل كلامي تعبيرى	ينجز وظيفة التعبير عن المشاعر: شكرا جزيلاً لك!	الصدق فيما يتعلق بالإخلاص في المشاعر
	فعل كلامي تصرىحي (بما في ذلك التصريحات التأكيدية)	ينجز وظيفة جعل المحتوى القضوي المتلفظ واقعا عبر فعل التلفظ، ومن ثم تغيير الواقع: بهذا، أعلن أن هذا العقد لاغٍ	الصدق (إضافة إلى إجراء اعتيادي، وأشخاص وظروف ملائمين، وإنجاز صحيح ومكتمل للإجراء)
	فعل كلامي تأكيدى	ينجز وظيفة التعبير عن ادعاء الحقيقة الذي يقدمه المتكلم أو الكاتب: سينتقلون إلى برلين. (درجة عالية من اليقين)	الحقيقة (الشخص الذي يؤكد شيئاً يلتزم بمعرفة الحقيقة)، ويمكن التشكيك في أي ادعاء من ادعاءات الصحة الأربعة
	فعل كلامي تهدي	ينجز وظيفة التعبير عن الإرادة والالتزام بالقيام بواجب ما في المستقبل: أعدكم بالوفاء به.	الصدق فيما يتعلق بنية الالتزام
	فعل كلامي استفهامى (خلافاً لسيرل الذي تعامل معهم كتوجيهات)	ينجز وظيفة التعبير عن كون المتكلم أو الكاتب أ-لا يعرف شيئاً ب-يريد الحصول على معلومة ليست عنده من شخص سأله ج-يفترض أن الشخص المسؤول يعرف الجواب: لماذا فعلت ذلك؟	يمكن التشكيك في أي ادعاء من ادعاءات الصحة الأربعة (وفي الآن نفسه يفترض ادعاء الحقيقة؛ بمعنى أن الشخص الآخر ينبغي أن يعرف الجواب/الحقيقة)
	فعل كلامي توجيهى	ينجز وظيفة نقل خطة عمل متكلم أو كاتب إلى المحاطب الذي يتوقع المتكلم أو الكاتب أن يفعل ما يراؤ منه فعله (مثلاً: طلب) توقف عن فعل ذلك!	الصواب

الجدول 3.1 العلاقة بين أنواع الفعل الكلامي والوظائف وادعاءات الصحة

ولاحظ أنني لا أتبع مقترح سيرل في عدّه الأسئلة نوعا فرعيا خاصا للفعل الكلامي التوجيهي؛ بل أفضل الافتراض بأنها نوعان متمايزان من الفعل الكلامي، بما أن الأسئلة تختلف بصورة واضحة عن الأفعال الكلامية التوجيهية؛ إذ تمتلك بنية قضيوية أخرى، أي أنها 'غير تامة' وأكثر اتساعا (انظر *Wunderlich, 1976: 190 f., 235*). وهناك خاصية ثانية مميزة لفهمي للعلاقة بين أفعال الكلام والحجاج؛ بخلاف اللجدلية التداولية (*Van Emmeren and Grootendorst, 1984: 37ff*)، وفيركُفٌ وفيركُفٌ (مثلا: 2012: 13, 18, 23, 95)، لا أتفق مع النظر إلى الحجاج بوصفه نمطا مجردا من الفعل الكلامي، أو فعلا كلاميا ماكرو أو فعلا كلاميا معقدا؛ بل أنظر إليه بوصفه نمطا مجردا من تكوين النص أو تكوين الخطاب (انظر أسفله). وهناك سببان على الأقل لهذا الاختيار الاصطلاحي: أولهما أنه بخلاف 'الفعل الكلامي'، يبقى مفهوم 'الفعل الكلامي الماكرو' أو 'الفعل الكلامي المعقد' غير دقيق وغير مفصل فيه نظريا. ولدينا من الناحية التداولية تصنيف للأفعال الكلامية بصورة واضحة نوعا ما (ولا سيما في مستوى الجملة)، لكن ليست هناك بلورةً لنظرية الأفعال الكلامية الماكرو أو الأفعال الكلامية المعقدة التي تتميز بوضوح بين الأنواع المختلفة من الأفعال الكلامية الماكرو والأفعال الكلامية المعقدة. ومن ناحية أخرى تقدّم لسانيات النص وتحليل الخطاب تمييزا واضحا بين الأنماط الأساسية لتكوين النص وتكوين الخطاب؛ أي الأنماط السردية والحجاجية والتفسيرية والوصفية والتعليمية. ويكمن ثاني الأسباب في الاستعمال غير الواضح لمصطلح 'الفعل الكلامي'؛ إذ يشير إلى وحدات من مختلف الأنظمة والوظائف والتعقيد والمستويات المتعددة للاختلافات التصورية التي يمكن أن تُفسّر انطلاقا من مصطلحات واضحة. من ثم، أفضل استعمال مصطلحات مغايرة من أجل الوصف الميتالغوي للوحدات التداولية المختلفة كالتأكيد والحجاج.

وكما قلت سابقا، يعدّ الحجاج نمطا مجردا من تكوين النص (بالألمانية *'Vertextungsmuster'*) أو تكوين الخطاب (*Kopperschmidt, 2000: 94*). ومع ذلك، لا وجود لأنواع النص الحجاجي أو أجناسه، وإنما نجد أنواع نص أو أجناس له تحتوي العديد من عناصر الحجاج (من قبيل النقاشات أو المناقشات أو المراجعات أو المرافعات الجنائية أو القضائية أو المقالات العلمية).

ولا تظهر عناصر الحجاج أو مكوناته كلها من الناحية اللغوية؛ فكثيرا ما يكون الحجاج قياسا ضمنا؛ أي مختصرا في البنية اللغوية السطحية. ويمكن حذف عناصره الوظيفية الأساسية (الحجة، قاعدة

الاستنتاج، الادعاء) بصورة محتملة، ومن ثم يجب إكمالها 'en thymō' بواسطة ذهن المرء عن طريق الاستنتاج. ويجعل هذا الأمر من تحليل الحجاج معقدا، ولا سيما عند التمييز التحليلي بين الحجاج السليم والمغالط.

#### 4. علاقة الحجاج بالتفسير والسرد

يمكن للحجاج بوصفه نمطا أساسيا لتشكيل النص أو الخطاب أن يميّز من الناحية النظرية عن الأنماط الأخرى الأساسية لتشكيل النص، من قبيل: التفسير والسرد والوصف والتعلّيمية. ولكن هذه الأنماط تتداخل في بعض الأحيان.

وبخصوص العلاقة بين الحجاج والتفسير، يمكن النظر إلى الحجاج بأنه نمط فعل لغوي ومعرفي يهدف إلى تسويغ ادعاء صحة -إذا كان إشكاليا أو مشككا فيه- أو التشكيك فيه. وبعبارة أخرى، يمتلك الحجاج الغاية التداولية للإقناع. وبالأخذ بتمييز هابرماس بين ادعاءات الصحة الأربعة، يمكننا القول إن ادعاء الحقيقة والصواب يرتبطان بالحجاج في سياقات نظرية وعملية مختلفة من الحياة الاجتماعية، بينما يتعلق ادعاء صحة المفهومية أساسا بالتفسير، بعيدا عن حقيقة أنه شرط مسبق وأساس للتواصل الناجح (كما هو مبين في الجدول 3.1). وتعتمد الجدلية التداولية النظرة نفسها: 'بينما يعدُّ الحجاج محاولة لدفع السامع إلى الاقتناع بإمكانية قبول وجهة نظر تتعلق بقضية ما، يهدف التفسير إلى زيادة فهم السامع بالقضية الممثّلة عبر عبارة مفسّرة (explanandum) (Snoeck Henkemans, 2001: 240).

وبعبارة أخرى، يمكن النظر إلى التفسير بوصفه نمط فعل لغوي ومعرفي مرتبطا بقضية ويهدف إلى جعل شيء مفهوما، ويتضمن جعل شيء ما واضحا أو توضيحه أو جعله أكثر دقة أو تمييزه عن باقي الأشياء. ولا ينتج ادعاء خلافي التفسير كما هو الأمر في الحجاج: ف'خلافا للتسويغ، تعدُّ نقطة الادعاء الأولى للتفسير غير خلافية؛ فحقيقة أن الماء يغلي عند درجة الحرارة المائة ليس مشككا فيها. وتعدُّ هذه الواقعة مقبولة وتعتبر نقطة انطلاق لقضية الفهم. [...] ولا تحاول التفسيرات تسويغ ادعاء أول، بل تجعله مفهوما' (Ecker, 2006: 29) وانظر أيضا: (Fairclough and Fairclough, 2012: 110).

ويمكن تمييز ثلاثة أنواع فرعية من التفسير على الأقل: أولها التفسير الميتالغوي، ويجعل معاني التصورات أو الكلمات أو النصوص واضحة. وثانيها التفسير التعليمي، ويهدف إلى تدريس شخص أو جعله قادرا على استعمال شيء معين أو التصرف وفق طريقة إجرائية- على سبيل المثال من خلال تفسير

كيفية عمل جهاز آلة معينة أو التحكم فيها. وثالثها التفسير السببي، ويمثل العلاقات السببية بين الأسباب والآثار أو الوسائل والغايات أو المقاصد/ الحوافز والعواقب/ النتائج ويوضحها. ولا يمكن فصل هذا الشكل الأخير من التفسير عن الحجاج فصلا دقيقة على الدوام، ولا سيما حينما يتعلّق الأمر بالسياقات العلمية؛ إذ يتداخل الحجاج والتفسير حينما يُشكّك في ادعاءات (فرضية) حول العلاقات السببية (التفسيرات السببية)، ومن ثم يجب أن تسوّغ وفق ادعاء صحة نظري للحقيقة. وفي العلم، لا يحتاج خصم حقيقي أن 'يتلفظ' بالتشكيك دائما، كما يمكن أن يتحقّق عبر استفهام داخلي ونقدي للذات أو عبر جواب عن اعتراضات ممكنة ومتوقعة من الآخرين.

وبالإضافة إلى هذه العلاقة المعقدة -أحيانا- بين الحجاج والتفسير، قد يتداخل الحجاج مع السرد. ويمكن أن يحدث هذا في سياقات تعرض مقاطع سردية بوصفها أمثلة توضيحية لدعم ادعاء معين (خطاظة حجاجية توضيحية).

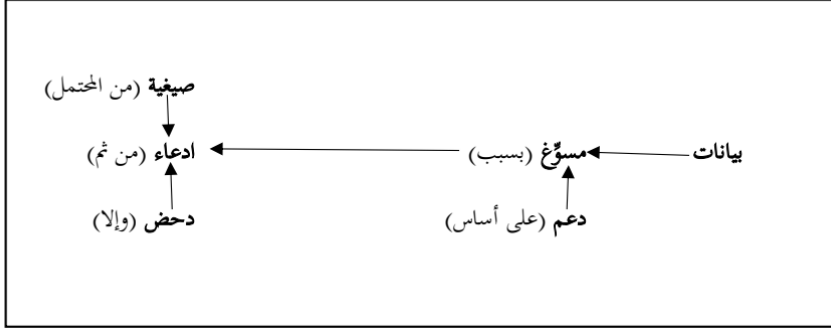
## 5. منهجية تحليل الحجاج

يمكن تحليل الحجاج انطلاقا من منظورات تحليلية مختلفة. ويمكن التمييز بين: (أ) تحليل حجاج وظيفي وشكلي يركز على المحتوى، و(ب) تحليل البنية الميكرو أو المتوسطة أو الماكرو للحجاج، و(ج) تحليل تمثيل الحجاج (متابعة، أو نقل، أو اقتباس، إلى غير ذلك) مقابل إنجاز الحجاج، و(د) تحليل الحجاج السليم مقابل الحجاج المغالط (انظر: *Kopperschmidt, 1989; Toulmin, 1969; Kienpointer, 1992; 1996; Wengeler, 1997, 2003*). وبطبيعة الحال، يعدّ مزج هذه المنظورات في الغالب طريقة منتجة في تحليل الحجاج. ولن أركز في المحاور الآتية على تحليل البنية الميكرو أو المتوسطة أو الماكرو للحجاج، على الرغم من أنه جزء مهم جدا في التحليل البنوي للحجاج. وترتبط المظاهر الخاصة للتحليل بالتمييز بين أجزاء مختلفة من الحجاج، وقضايا الحجاج الواحد والمركب، والمتعدد والملحق بالإضافة إلى الحجاج المتناسق والتابع، وقضايا تحليل الحجاج القائم على المتن.

### 5.1. التحليل الوظيفي للحجاج

اقترح ستيفن تُولمين *Stephen Toulmin (1969)* مقارنة وظيفية في تحليل بنية الحجاج تتضمّن سِتّة عناصر وخطوات أساسية (ويرجع هذا النموذج الوظيفي إلى مفهوم سكيكيريُو *Cicero*

للجزء الخامس للقياس المنطقي المدعو *epicheireme*؛ انظر (-56: 57-76: I, 1998: Cicero). (123).



### الشكل 3.1 مقارنة تُولمين الوظيفية للحجاج

العناصر الأساس الستة هي:

- (1) ادعاء: وهو العبارة/ الأطروحة قيد الدراسة التي يدور الجدل حولها وتحتاج إلى تسويق؛
- (2) بيانات/أرضية: وهي الأدلة والحقائق المستعملة في إثبات الادعاء؛
- (3) مسوّغ/ قاعدة: خطاطة الحجاج الافتراضية التي تربط الادعاء بالبيانات، والتي تنطلق من البيانات نحو الادعاء (=الطوبوس؛ انظر أسفله)؛
- (4) دحض: العبارة التي تشير إلى الظرف أو الأوضاع التي لا تسمح باستعمال الربط/ قاعدة الاستنتاج؛
- (5) دعم: عبارة تدعم المسوّغ وتساعد على إثبات صحة المسوّغ/ قاعدة استنتاج؛
- (6) صبيغة: صفة تبيّن قوة الادعاء أو تقيده، وهو ادعاء يصاغ على أساس البيانات والمسوّغ.

ويمكن إيجاز النموذج الوظيفي للحجاج لدى تُولمين في ثلاثة عناصر أساس يجب أن يشتمل عليها كل حجاج بصورة صريحة أو ضمنية (Kienpointner, 1996: 75).

## مسوّغ/قاعدة استنتاج

### الشكل 3.2 مقارنة وظيفية مبسّطة في الحجاج

وفق هذا النموذج المبسط، تُفسّر الحجة دعم أو معارضة ادعاء/ فرضية خلافية، وتضمن قاعدة استنتاج ارتباط الحجة بالادعاء، ويمثل الادعاء التصريح الخلافي والمنتزاع عليه والذي يحتاج إلى تسويغ أو دحض (Kienpointner, 1996: 75).

### 5.2. التحليل الشكلي للحجاج

يعتمد التحليل الشكلي للحجاج على النموذج الوظيفي المختصر للحجاج الذي يدمج العناصر الثلاثة الأساس المذكورة سالفًا؛ أي الحجة وقاعدة الاستنتاج والادعاء. وبعبارة أخرى، تحلّل المقاربة الشكلية في الحجاج بنية الحجاج بوصفها قياسا منطقيًا، وينظر-من بين العناصر الثلاثة- إلى قاعدة الاستنتاج بوصفها عنصرا أساسا لأنه يربط الحجة بالنتيجة والادعاء.

وتعدّ قاعدة الاستنتاج خطاطة حجاج معروفة أيضا باسم الطوبوس (تعني باليونانية 'المكان') أو اللوكوش (تعني باللاتينية 'المكان'). ويمكن وصف الطوبوسات بأنها أجزاء مركزية من الحجاج تنتمي إلى مقدمات الحجاج. وهي تبرز الانتقال من الحجة/ الحجج إلى النتيجة (Kienpointner, 1992: 194). ولا يعبر عن الطوبوسات بشكل صريح في العادة؛ بل يمكن التعبير عنها بصراحة بإعادة صياغة شرطية أو سببية من قبيل: "إذا كان 'أ'، فكذلك 'ب'" أو "إن 'أ' كذا لأن 'ب' كذا" (ولمزيد من التفاصيل انظر (Reisigl and Wodak, 2001: 69-80). وقد ميّز كينبوانتير (Kienpointner, 1996: 83-184) بتركيزه على قواعد الاستنتاج بين تسعة أصناف من المحتوى المجرد؛ أي خطاطات الحجاج الشكلية (ويمكن إيجاد تصنيف ومناقشة مختلفين لخطاطات الحجاج ذي المحتوى المجرد في (Kienpointner, 1992: 231-416)، وهذه الأصناف هي:

(1) خطاطة أو طوبوس التعريف.

- (2) خطاطة أو طوبوس الأنواع والأجناس.
- (3) خطاطة أو طوبوس المقارنة (خطاطة/ طوبوس التشابه/ طوبوس الاختلاف).
- (4) خطاطة أو طوبوس الجزء والكل.
- (5) خطاطة سببية أو طوبوس سببي (خطاطة أو طوبوس السبب/ النتيجة والمقصد).
- (6) خطاطة أو طوبوس التناقض.
- (7) خطاطة أو طوبوس السلطة.
- (8) خطاطة أو طوبوس المثال.
- (9) خطاطة أو طوبوس التشابه.

ودعوني أوضح البنية الشكلية لهذه الخطاطات أو الطوبوسات بتقديم مثالين فحسب: خطاطة أو طوبوس السلطة الذي يمكن أن يعتمد على سلطات معرفية تُقدّم لتسويغ ادعاء حقيقة، أو سلطة أخلاقية يشار إليها من أجل تسويغ ادعاء صواب. ويمكن صياغة هذه الخطاطة أو الطوبوس وفق الشكل الآتي:

**قاعدة استنتاج:** إذا قالت السلطة 'كذا' أن 'أ' صحيح/ وأنه يجب القيام بـ'أ'، فإن 'أ' صحيح/ يجب القيام بـ'أ'.

**حجة:** 'س' يقول إن 'أ' صحيح/ وأنه يجب القيام بـ'أ'.

**ادعاء:** من ثم 'أ' صحيح/ ويجب القيام به.

وخطاطة أو طوبوس التشابه، وهو نوع فرعي من خطاطة أو طوبوس المقارنة (Kienpointner, 1996: 103-116). ويستمد قوته الإقناعية من المقارنة التي تؤكد التشابه،

ويأخذ الشكل الآتي:

**قاعدة استنتاج:** إذا كانت 'أ' و'ب' متشابهتين في علاقتهما بـ'ج'، فإنه يجب معاملتها معاملة

متشابهة فيما يخص 'ج'.

**حجة:** 'أ' و'ب' يتشابهان في 'س' وكذا في علاقتهما بـ'ج'.

**ادعاء:** من ثم يجب معاملة 'أ' و'ب' معاملة متساوية في ما يخص 'ج'.

ويمكن توضيح البنية الشكلية للأقسام الأخرى من خطاطات أو طوبوسات الحجاج الشكلية التي ذكرها كينبواثنز بصورة مشابهة (1992، 1996)، وقد اعتمد كينبواثنز كثيرا على البلاغة الجديدة ليرلمان وأولبريث تينيكاً (2000 (1958)).

### 5.3. تحليل الحجاج المرتبط بالمحتوى

لا تنتظر بعض المقاربات النظرية في الحجاج (على سبيل المثال: *Wengeler, 1997*، *Kienpointner, 1992: 117*، وانظر أيضا *2003; Reisigl and Wodak, 2001*) إلى الطوبوسات بأنها مجرد تسويغ أو قواعد استنتاج مجردة وعامة وشكلية فحسب. ونتيجةً لملاحظة مفادها أن الحجاج مرتبط دائما بموضوع أو معتمد على حقل ما (أي الاعتماد على تشكيلة من المجالات الاجتماعية والتخصصات والنظريات إلى غير ذلك)، يصاغ الطوبوس أيضا بوصفه قواعد استنتاج متكررة ومرتبطة بمحتوى ونمطية في حقل معين من الفعل الاجتماعي والتخصصات والنظريات إلى غير ذلك. ويمكن إرجاع تقليد تحديد خطاطات أو طوبوسات الحجاج المرتبط بمحتوى إلى البلاغة الأرسطية (انظر على سبيل المثال *Rubinelli, 2009*) كما أنه حاضر بقوة في البلاغة الرومانية القديمة كذلك (شيكيريو وكوبيلتياثوس). وكما قالت سارة روينبالي *Sara Rubenelli (2009)* يرتبط هذا التقليد بأرسطو، على الرغم من أن أرسطو -الذي لا يرى مفهوم الطوبوس واضحا (انظر *Bornscheuer, 1976: 40*، *Kienpointner, 1992: 115, 178 ff.*؛ *Knape, 2000: 39 ff., 49 ff.*)- يزع إلى تصور شكلي ومجرد المحتوى للطوبوس، ونحو فهم الطوبوس بوصفه خطاطة حجاج مجردة وتعلية أو مبدأ توليديا لكيفية إيجاد المقدمات أو الحجج (انظر أيضا *Zagar, 2009: 62 ff.*). وهذا المعنى فإن الطوبوس ليس مفهوما ثابتا؛ بل هو دينامي، ومن بين سماته المميزة أنه يضيف سمة الاعتيادية ويميز بالبيئية فردية والقدرة والقصدية والألفة (*Bornscheuer, 1976: 93 ff.*).

ولا تركز نظرية الحجاج القديمة والحديثة كذلك على 'الطوبوسات الشكلية'؛ بل أيضا على 'الطوبوسات المادية'. ويمكن تأويل العديد من خطاطات الحجاج التي جمعها والثون وريد ومسينكو (*Walton, Reed and Macango, 2008*) -مثلا- بأنها خطاطات حجاج مرتبطة بمحتوى. وفي تحليل الخطاب تجربنا مثل هذه الطوبوسات المرتبطة بمحتوى عن السمة الخاصة للخطابات (مواقع

الذات، والادعاءات الخلافية، واستراتيجيات التسويغ، والإيديولوجيات إلى غير ذلك)، أكثر من التحليل الوظيفي أو الشكلي المحض.

وقد أسس زائركل وفوداك (2001) تحليل الحجاج المرتبط بمحتوى حول 'التمييز في الخطابات' على دراسات فينغلز لخطابات الهجرة في ألمانيا والنمسا (انظر *Wengeler, 1997; 2003*) وعلى تحليل كينبوانتزر وكينث للنقاشات حول اللجوء في ألمانيا والنمسا (انظر *Kienpointer and Kindt, 1997*). ولم يعتمد زائركل وفوداك (2001) خطابات الحجاج عشوائياً؛ بل انتقياها بناء على التشابه الموجود بين موضوعات البحث التي حلّأها؛ أي خطابات الهجرة واللجوء. ولقد طبقاً في هذا الصدد مبدأ 'القياس'؛ أي فهم ما هو غير معروف عن طريق ربطه نسقياً بما هو معروف (مع أدوات تحليلية مبلورة سابقاً فيما هو موجود من المقاربات التحليلية للخطاب).

ويجب تطوير قائمة أخرى من الموضوعات المادية على أساس البيانات التجريبية الخاصة وفحص القوائم الموجودة سلفاً والمرتبطة بخطاب الهوية الوطنية وخطاب الأمة (النمساوية) (انظر *Reisigl, 2007a: 42 ff.*). ونجد هنا كذلك أن بعض خطابات أو طوبوسات الحجاج المرتبطة بمحتوى التي سبق أن طورها فينغلز أثبتت أنها مفيدة في التحليل (بسبب التقارب في الموضوع، وتداخل خطائى الهجرة والهوية الوطنية). وعلى الرغم من ذلك، حُدِّث بعض الطوبوسات الخاصة بالخطاب أيضاً أثناء التحليل التجريبي. وينطبق الشيء نفسه على المثال الثالث من تحليل الحجاج الذي أُجري ضمن إطار المقاربة التاريخية للخطاب؛ أي تحليل البلاغة الشعبوية اليمينية في النمسا. ونجد في الجدول 3.2 جرداً بالطوبوسات والمغالطات الشعبوية المرتبطة بمحتوى 'المختارة والمتكررة في الخطابات السياسية النمساوية (وليزيد من التفصيل انظر *Reisigl, 2002; 2007c; 2008*).

النسخة 1 (نسخة سلبية): إذا رفض الشعب فعلاً سياسياً أو قراراً سياسياً، فإن القرار ينبغي ألا ينجز / ألا يتخذ. النسخة 2 (نسخة إيجابية):	الاحتكام إلى الشعب (الاحتكام إلى السلطة، التعميم المتسرع)	طوبوس الشعب
---	--	-------------

إذا فَضَّلَ الشعب فعلا سياسيا أو قرارا سياسيا، فإن الفعل أو القرار ينبغي أن يُنجز/ أن يُتخذًا.		
النسخة 1: إذا كان قرارٌ سياسي أو فعلٌ سياسي أو عدم اتخاذ أي فعل سياسي يهيمُ كل المواطنين/ الشعب، فإنَّ المواطنين/ الشعب ينبغي أن يُسألًا عن رأيها فيه. النسخة 2: إذا كان لديّ أو لدينا السلطة، فإن الشعب سيشارك في القرارات السياسية بصورة ديمقراطية.	مغالطة المشاركة الديمقراطية	طوبوس المشاركة الديمقراطية
إذا أصبح 'الرجل العادي' / 'الناس العاديون' غاضبين ومستائين، فإنه يجب اعتماد الفعل السياسي/ أو التخلي عنه من أجل إزالة هذا الغضب والاستياء.	مغالطة الغضب	طوبوس الغضب (الرجل العادي/ الناس العاديون)
إذا أثقلَ كاهل 'شخص' أو 'رجل عادي' أو 'الناس العاديين' بمشاكل معيّنة، فإن على المرء أن يعمل على تقليص تلك الأعباء.	مغالطة إتهال الكاهل أو الإرهاق	طوبوس إتهال الكاهل ('الرجل العادي' و'الناس العاديون')
إذا أثقل (بولغ في إتهال) كاهل 'شخص' أو 'رجل عادي' أو 'الناس العاديين' أو أرهقوا بسبب التدابير السياسية، فينبغي للمرء أن يقوم بفعل معين لتحرير 'شخص' أو 'رجل عادي' أو 'الناس العاديين' من هذه المسؤولية.	مغالطة التحرر من المسؤولية	طوبوس التحرر من المسؤولية ('الرجل العادي' / 'الناس العاديون')
النسخة 1: إذا دعمتنا (ودعمت مُلتَمَسْنَا) سنضمن لك الحرية. النسخة 2:	مغالطة الحرية أو التحرير	طوبوس الحرية/ تحرير ('الرجل')

إذا حصلنا على السلطة، سنضمن لك الحرية وسنحرر 'الرجل العادي' / 'الناس العاديين' أو ننقذها.		العادي' / 'الناس العاديين'
إذا دعمت حزبي / حركتي أو صوتت عليها، وإذا حصلتُ/ حصلنا على السلطة، فسأكافئ/ فسنتكافئ العمال المجتهدين والصالحين مكافأة قيمة.	مغالطة مكافأة العمال / الوطنيين المجتهدين والصالحين	طوبوس الدفع للعمال / الوطنيين المجتهدين والصالحين
النسخة 1: إذا كان الشخص غير لائق ولا محترم، فإنه لا ينبغي أن يكون (يصبح) سياسيا. النسخة 2: إذا حصلتُ/ حصلنا على السلطة، سنقدم سياسات لائقة ومحترمة، وسنعمل على تحقيق الأمانة والاحترام.	مغالطة اللياقة والاحترام	طوبوس اللياقة والاحترام
بما أن السياسة عمل قذر، يجب أن نطهرها، ويجب أن ننظفها ونزيل عنها القذارة.	مغالطة السياسة القدرة وضرورة التطهير والتنظيف	طوبوس السياسة القدرة وضرورة التطهير والتنظيف
إذا حصلتُ/ حصلنا على السلطة سنعمل على ضمان تطبيق القانون والنظام.	مغالطة القانون والنظام	طوبوس القانون والنظام

### الجدول 3.2 الطوبوسات والمغالطات الشعبية المرتبطة بمحتوى ما في النمسا

#### 5.4. الحجاج السليم والحجاج المغالط

ويوصى في تحليل الخطاب الذي يقول إنه نقدي بالاعتداد على النموذج المعياري في تحليل الحجاج. ويمكن التمييز من وجهة النظر المعيارية بين الحجاج السليم والحجاج المغالط، وإن كان ذلك التمييز في الغالب صعباً؛ لأنه يعتمد اعتماداً كبيراً على معرفة المحلل السابقة المرتبطة بالموضوع والحقل الخاص الذي يقع فيه الحجاج. وتعدُّ الجدلية التداولية بقواعدها العشر للجدال العقلاني والمجادلة البناء الأساس المعياري

المركزي للمقاربة التاريخية للخطاب (Van Eemeren and Grootendorst, 1992; Van Eemeren et al., 2009)، وهذه القواعد هي:

- (1) قاعدة الحرية (حرية الجدل): يجب على أطراف الجدل ألا يمنع بعضهم بعضاً من تقديم وجهة نظر أو التشكيك فيها.
- (2) قاعدة عبء الدليل (وجوب تقديم الدلائل): أيّاً كان مقدم وجهة نظر ما، من الواجب أن يُدافع عنها إذا طُلب منه ذلك.
- (3) قاعدة وجهة النظر (الإشارة الصحيحة إلى خطاب سابق للخصم): يجب على مهاجمة وجهة نظر ما أن ترتبط ارتباطاً حقيقياً بالحجة التي قدّمها الخصم.
- (4) قاعدة الملاءمة (الالتزام بالوقائع): لا يمكن الدفاع عن وجهة النظر إلا عبر تقديم حجج مرتبطة بها.
- (5) قاعدة مقدمة الحجاج غير المعبر عنها (تصويب الإحالات على هذه المقدمات): يمكن أن يجاسب المرء على المقدمات التي تركها ضمنية. وبالمقابل يجب ألاّ تهاجم مقدمات الخصوم التي لا يمكن الاستدلال عليها من كلامهم.
- (6) قاعدة نقطة الانطلاق (احترام نقط الانطلاق المشتركة): يجب النظر إلى وجهة نظر ما بأنها مدافع عنها بصورة حاسمة إذا كان الدفاع عنها حدث عبر حجج تنتمي إلى نقطة انطلاق مشتركة. ولا يجب اتخاذ مقدمة بوصفها نقطة انطلاق مشتركة، ولا أن تُرفض مقدمة إذا كانت مشتركة.
- (7) قاعدة الصحة (الصحة المنطقية): يجب أن تكون الحجج المستعملة في النص الخطابي صحيحة، أو من الممكن أن تكون صحيحة انطلاقاً من توضيح مقدمة أو أكثر من المقدمات غير المعبر عنها.
- (8) قاعدة خطاطة الحجاج (استعمال حجج وخطاطات معقولة للحجاج): يجب النظر إلى وجهة النظر بأنها مدافع إذا كان هذا الدفاع قد حدث عبر حجج مستعملة وفق خطاطة حجاج مقبولة ومطبقة تطبيقاً سليماً. ولا يجب النظر إلى وجهة نظر بأنه مدافع

عنها إلا إذا كان الدفاع عنها يحدث من خلال خطاطات حجاج معقولة ومطبقة تطبيقاً سليماً.

(9) قاعدة الإغلاق (قبول نتائج المناقشة): يجب أن يؤدي الدفاع الفاشل إلى تراجع المحاجج عن وجهة نظره، ويدفع الدفاع الناجح المحاجج إلى التراجع عن وجهة النظر أو التشكيك فيها.

(10) قاعدة الاستعمال (وضوح التعبير والتأويل الصحيح): يجب ألا تكون الصياغات كثيرة الغموض ولا ملتبسة إلى درجة الإرباك، ويجب أن تُؤوّل تأويلاً دقيقاً قدر الإمكان.

إذا لم تحترم هذه القواعد ويُلْتزَم بها فلن نكون أمام طويوسات سليمة؛ بل أمام مغالطات. ويمكن بمساعدة معايير الحجاج تحديد المغالطات القومية والكارهة للأجانب والشعبوية وغيرها من المغالطات التضليلية ضمن إطار المقاربة التاريخية للخطاب.

## 6. ردّ على بعض الانتقادات

لقد نالت المقاربة التاريخية للخطاب على طول السنوات القليلة الماضية نصيبها من الانتقادات من ثلاثة نواح على الأقل بشأن طريقة تحليلها للحجاج. وينبغي هذا النقد في جزء منه على ما هو 'داخلي' وما هو 'خارجي'، كما يمكن أن نقول إن طرفاً منه معقول، وآخر قائم على سوء فهم أو قراءة خاطئة أو قلة إطلاع. وسأعمل في المحاور الثلاثة الآتية على التعليق على بعض النقاط الأساسية لهذا النقد، ونظراً إلى حيز المقال الضيق، فإنه يحسن أن نخصّص مكاناً آخر للدراسة والمناقشة المفصلتين لمختلف الانتقادات.

6.1 هل يصلح المزج بين النظرية النقدية والجدلية التداولية من الناحية النظرية؟ وهل تكفي القواعد العشر للمناقشة النقدية للتأسيس المعياري للنقد؟ (فُورْشْتَنَرُ وَطُومِيْكُ)

يُعَدُّ بَرْنَارْدُ فُورْشْتَنَرُ وَأَنَا طُومِيْكُ من المدافعين المساندين للمقاربة التاريخية للخطاب، رغم توجيههما لبعض الانتقادات إليها، وهي انتقادات تستحق وقفة للتمعن فيها (انظر، Forchtner, 2010, 2014; Forchtner and Tomic, 2012; Forchtner, 2011)، ولعلّ النقطتين الأساسيتين اللتين أثاراهما هما: (1) أن المزج النظري بين النظرية النقدية لها برّ مأس والجدلية التداولية

(التي تعتمد على أعمال بُوَير) تُسبَّبُ إشكالات أو تناقضا و(2) أن القواعد العشر للمناقشة النقدية غير كافية كأساس معياري لتأسيس النقد. ومن ثم، هل ينبغي إعطاء نموذج هابرماس أهمية أكبر؟

وتعقبا على النقطة الأولى يمكنني إيراد ثلاثة أجوبة (ويمكن العثور على تعليقات إضافية بخصوص العلاقة بين الجدلية التداولية والمقارنة التاريخية للخطاب في (Ibhen and Richardson, 2011):

(1) لا أرى أن الملاءمة بين التداولية الجدلية والعقلانية النقدية وثيق، كما يدعي البعض فيما يخص القواعد العشر للمناقشة النقدية؛ إذ يرى بعض نقاد الجدلية التداولية أنها لا تتبع (فقط) مقاربتى بُوَير وألبرث؛ بل ذهب كريستوف لومر وساندرو نانيني إلى القول إن:

[...] 'الذي يقع في الجدلية التداولية في مستوى القواعد الحوارية مناقض تماما لما تدعو إليه العقلانية النقدية؛ فهذه الأخيرة تنتقد التسوية الإيجابي والتأسيسي، وتعزز النقد السلبي للفرضيات التي يجب تقديمها دون تسوية، فيما تدعو الجدلية التداولية إلى تسوية إيجابي إذا طلب الخصم ذلك [...] ومن ثم، فإن المناقشات النقدية الجدلية التداولية لا تمثلُ حتما الإجراء العقلاني النقدي المرتبط بالتخمين والدحض' (Lumer and Nannini, 2012: 61-68).

وعلى الرغم من أني أرى أن في نقد لومر شيء من المبالغة، وأنني لا أقتاسم معه منظوره الإيجابي الجديد (التأسيسي) ولا مفهومه القوي للموضوعية، إلا أني أرى أن 'التسوية الإيجابي' قد يؤدي دورا أهم في الجدلية التداولية بالمقارنة مع العقلانية النقدية (انظر على سبيل المثال القاعدة 8 لقاعدة خطاطة الحجاج).

(2) يُصمَّنُ هابرماس معيار 'قابلية الخطأ' في نموذجة للحقيقة: 'لا يمكن [...] استبعاد إمكانية تقديم معلومات جديدة وحجج أقوى' (Habermas, 1992: 278)، ومن ثم قد لا تكون المقارنة بين العقلانية النقدية وهابرماس ذات أهمية كبرى كما يرى فورشتر وتومبيك، وإن كانت هناك بعض الاختلافات الأخرى بين نظرتي هابرماس وبُوَير.

(3) يمكن دمج القواعد العشر في النظرية المعيارية للحجاج دون الحاجة إلى تبني الافتراضات النظرية للجدلية التداولية، لذلك فإني لا أستخدم الجدلية التداولية فيما يتعلق بالنقطة الآتية على الأقل:

(أ) لقد سبق وذكرتُ أن الحجاج لا يتضمنُ فقط فعلا كلاميا أو فعلا كلاميا ماكرو؛ بل يشمل نطا لتكوين نص أو خطاب يمكن تحقيقه بوساطة متوالية مترابطة من الأفعال الكلامية.

(ب) على الرغم من أن التداولية الجدلية ترى المغالطة فعلا كلاميا كذلك ('المغالطة تعرّف بأنها فعل كلامي يعقّد مجهودات تجاوز خلاف في الرأي أو يشوش عليه'، *Van Eemeren et al.*, 1996: 299)، إلا أنني لا أرى أن المغالطة تمثل صورة نموذجية لفعل كلامي واحد؛ بل هي متوالية من الأفعال الكلامية المترابطة (على الأقل في مستوى البنية التداولية العميقة).

(ج) لا تنحصر الغاية الأساسية أو الوحيدة للحجاج في تجاوز خلاف بين المناصرين والمعارضين، كما هو الحال في حقل فعل الدعاية السياسية، إذ يمكن أن تكون الغاية أيضا الحصول على أكبر عدد ممكن من الأتباع، أو الحصول على الأغلبية في صراعات الحسم/الخصوم إلى غير ذلك.

(د) أرى أن ادعاء صحة المعقولة لا يتطابق مع الفعل الكلامي التأكيد في مستوى البنية التداولية العميقة (كما تقول الجدلية التداولية)؛ بل مع الفعل الكلامي التوجيهي (الذي يحتوي صيغة وجوبية).

(هـ) بينما يفترض الجدليون التداوليون أن الأفعال الكلامية التوجيهية الخاصة لا يمكن أن تكون جزءا من الحجاج ('التوجيهات من قبيل الأوامر والنواهي محظورة في المناقشة النقدية'؛ *Van Eemeren et al.*, 2007: 13)، أعتقد أنه يمكن لكل أنواع الأفعال الكلامية أن تكون متضمنة في الحجاج في بعض الحالات، بما في ذلك الأوامر والنواهي التي يمكن أن تتخذ وظيفة ادعاءات (افعل 'س' = 'يجب أن تفعل 'س').

(و) أفترض أن المغالطة لا تخرق دائما قاعدة فحسب؛ بل قد تخرق أكثر من قاعدة في الآن نفسه.

(ز) قد تتجاوز العديد من القواعد العشر أو يجب أن تتجاوز السياق الخاص لمناقشة نقدية خاصة (مثل حرية الدفاع عن الرأي، والوقائع، والسلامة المنطقية، واستعمال حجج معقولة) ويمكن أن ترتبط بنظرية هابز ماس. ويعني هذا الأمر أنه يمكن للقواعد العشر أن تكون محدّدة بطريقة تسمح لي ولو جزئيا بالتقديم لهابز ماس. ويمكن للقبول الذي تهدف إليه القواعد الجدلية التداولية أن يأخذ في الاعتبار 'النقد الخارجي' المحتمل، وهو قبول لا ينبغي أن يتأسس على مفهوم 'البيداتية الخاصة' فحسب؛ بل على فكرة البيداتية التي تتجاوز هذا السياق الخاص، والتي ليست في حاجة إلى أن تقودنا إلى قراءة عامة لفكرة البيداتية. ومن أجل تقريب نموذج هابز ماس (مثلا، فكرته عن موقف الكلام المثالي الدال على

حق الولوج المجاني، والمساواة في الحقوق، وعدم الإكراه، والصدق)، على نحو أفضل من أهداف الجدلية التداولية من القواعد العشر، فإني أقترح الإضافات التالية لهذه القواعد (الإضافات مكتوبة بخط مائل ومضغوط):

- القاعدة 1: يجب على أطراف الجدل ألا يمنع بعضهم بعضا من تقديم وجهة نظر أو التشكيك فيها. كما يجب أن تكون الأطراف واعية بأنه يمكن لمتجادلين آخرين متأثرين بالقضية قيد المناقشة أن يقدموا آراء مطروحة، وإن كانوا غير حاضرين.
- القاعدة 2: أيا كان مقدم وجهة نظر ما، من الواجب أن يدافع عنها إذا طُلب منه ذلك. ويجب أن تكون الأطراف واعية بأنه يمكن لطرف آخر معني بالقضية قيد المناقشة أن يطالب بالدفاع عن وجهة النظر أيضا، وإن كان غير حاضر.
- ترتبط القواعد 1 و2 و4 بادعاء هابز ماثس لحق الولوج المجاني، والمساواة في الحقوق، وعدم الإكراه.
- ترتبط القواعد 3 و4 و5 و6 و7 و8 و9 كلها بمظاهر مختلفة من الصدق / الإخلاص، على الرغم من تَضَمُّن مفهوم الصدق لمظاهر أخرى لم تستطع القواعد الأخذ بها. ومع ذلك، فإن كل من يسعى إلى أن يكون صادقا سيحاول بأي شكل أن يتجنب خرق هذه القواعد السبع.
- القاعدة 7: يجب أن تكون الحجج المستعملة في الخطاب صحيحة أو قابلة لأن تكون كذلك عن طريق تفسير إحدى المقدمات غير المعبر عنها أو يزيد. ومن الواضح أن قضية الصحة المنطقية لا ترتبط فقط بـ'المنطق الخاص' للمتداولين المتضمنين في المناقشة الخاصة؛ بل بالقواعد المؤسسة عادة للمنطق، مع أنه من الواضح أن 'الحجاج اليومي' وحتى الحجاج العلمي يكون في الغالب قياسا ضمنيا، ومن النادر أن تُتَّبَع قواعد المنطق الشكلي اتباعا دقيقا. وعلى أي حال تستلزم القاعدة 7 أن يكون تفسير حجاج القياس الضمني غير مناقض للمنطق.
- القاعدة 8: لا ينبغي القول إن الدفاع عن وجهة نظر ما قد تمَّ بصفة حتمية إلا إذا حدث ذلك نتيجة استعمال حجاج موافقة لخطاطة حجاج مقبولة ومطبقة تطبيقا سليما. كما أنه لا يجب القول إن الدفاع عن وجهة نظر ما قد تم بصفة حتمية إلا إذا حدث ذلك نتيجة استعمال خطاطات

**حجاج معقولة ومطبقة تطبيقاً سليماً.** وفي هذه الحالة يمكن أن نقول إن المقطعين يدلان على أن القاعدة 8 متجذرة في الاتفاق القائم على الأعراف الاجتماعية والعادات وقواعد الجدل العامة التي تتجاوز السياق الخاص. وعلاوة على ذلك، ترتبط ذاكرة خطاطات الحجاج المعقولة والمقبولة اجتماعياً على سبيل المثال بقضايا العدالة: كما يتضح من النظر إلى خطاطة الحجاج الشكلية المسماة 'طوبوس المقارنة' التي ترتبط بمفاهيم مختلفة من العدالة. ويعتمد مفهوم المساواة في العدل على طوبوس التشابه (انظر المثال في المحور 5.2)، ويرتبط المفهوم الاختلافي للعدالة ('*suum cuique*' بمعنى 'لكل حق اختيار أولوياته'؛ و'كل واحد ينال ما يستحق') بطوبوس الاختلاف، ويرتبط مفهوم 'موازنة العدالة' بطوبوس الاختلاف وطوبوس التشابه، مع تركيز أكبر على الطوبوس الأخير (بمعنى أنه ينبغي التقليل من الاختلافات إن تعدت إزالتها).

(ح) يلمح التداوليون الجدلون إلى تجاوز سياق القواعد وتطبيقها؛ فقد قام فأن إميرين وكازرسن *Garsen* وموثفلز *Meuffels* (2009) بدراسة تجريبية للتأكد من مدى صحة القواعد العشر، وخلصوا إلى أن 'طرفاً من البيانات المجموعة تدل على أن المعايير التي يستعملها المتحاورون العاديون أثناء حكمهم على معقولة المشاركات في المناقشة تتفق توافقاً عظيماً مع معايير التداولية الجدلية في المناقشة النقدية' (Van Eemeren et al., 2009: 224). ومن ثم، فإن القواعد العشر لا ترتبط بالقبول البيداتي الخاص فقط. وفي السياق نفسه، قال هاوثلوسر وفان إميرين:

'على الرغم من أننا نتفق مع والتون *Walton* وكراب *Krabbe* أن الأحكام المغالطة تبقى في النهاية أحكاماً ترتبط بسياقها الخاص، وأنها تعتمد على وجود ظروف خاصة لفعل حجاجي، إلا أننا لا نتفق مع القول إن صحة المعايير التي تتأسس عليها هذه الأحكام تبني على السياق. فمن وجهة نظرنا، تعدد المعايير المعبر عنها في قواعد المناقشة النقدية معايير عامة إن لم تكن شاملة، ولا تقتصر على نوع خاص من نشاط الحجاج أو على 'نوع حوار'. وعلى الرغم من صحة القول إن الخطاب الحجاجي يجري دائماً في سياق معين من نشاط الحجاج، إلا أن هذا لا يعني دائماً أن معايير السلامة نسبية. ويمكن اعتماد أحكام الخطاب الحجاجي على السياق في طريقة إجراء الخطاب الحجاجي وتنظيمه في بعض أنواع نشاط معينة ومعايير خاصة لتحديد موافقة أنواع من أنواع المناورة لمعايير المعرفة من عدمها، لأن المعايير قد تختلف شيئاً ما وفق نوع النشاط الحجاجي؛ ففي قضية قانونية على سبيل المثال، تطبق معايير مختلفة

طلب استئناف قانوني للسلطات، إذ تنبغي الإحالة على قانون، خلافا لما عليه الحال في النقاش السياسي مثلا [...] وباستعمال قواعد المناقشة النقدية بوصفها معيارا مستقلا عن السياق، فإننا نكون قد أخذنا في الاعتبار خصوصيات أنواع النشاط الحجاجي المختلفة قبل بدأ دراسة ما إذا انضبط الحجاج لهذه القوانين أو خرقها (Houtlosser and van Eemeren, 2007: 64 f.).

وتعقبا على النقطة الثانية، فإنني أتفق على أن القواعد العشر للمناقشة النقدية غير كافية كأساس معياري للنقد المراد بلوغه في إطار المقاربة التاريخية للخطاب، وأنه ينبغي إيلاء أخلاقيات الخطاب عند هابز ماس ونظرية الديمقراطية التشاورية أهمية أكبر، ومع أنني لا أستطيع التفصيل في هذه النقطة في السياق الحاضر (انظر Forchtner, 2010, 2011; Forchtner and Tomic, 2012; Forchtner, 2014). حيث تجد بعض الروابط القوية الممكنة بين المقاربة التاريخية للخطاب وهابز ماس مشارا إليها، إلا أنه في كتاب 'الخطاب والتمييز' (2001: 236 وما بعدها) يوجد على الأقل مصدران إضافيان ذكرا لتأسيس النقد، وهما: (أ) المبادئ الديمقراطية الأساسية والأخلاقية من قبيل العدل والمساواة و(ب) المبدأ السيكولوجي والأخلاقي للتعصم العاطفي، وبعبارة مبداً 'أخذ تصور الوجود مكان الآخر'، لا سيما ضحايا التمييز الاجتماعي. وبعبارة اقترحها كانط وأرنت Arendt وبنحبيب Benhabib. 'طريقة ذات بعد أكبر للتفكير'. وكما حاولت أن أبرز في النقطة السابعة أعلاه، سيكون من المثير دمج عمل هابز ماس دجا أكبر في القواعد الجدلية التداولية من أجل جعل ادعاءاتها المعيارية العامة (الممكنة) أكثر وضوحا. وعلى كل حال، فإنني أتفق مع دعم فور شنتر وطوميك لمحاولة دمج أخلاقيات خطاب هابز ماس دجا أكثر عمقا في الإطار النظري للمقاربة التاريخية للخطاب. وهذا الدمج مطلوب أيضا في أعمال الدارسين المتأثرين بهابز ماس والمؤثرين فيه، من قبيل أليكسي (Alexy, 1996 (1983)) وميلز (Miller, 2006) إلى غيرهم.

## 6.2 هل تعتبر المقاربة التاريخية للخطاب الطوبوس موضوعا جاهزا أو دافعا أدبيا literary motive وليس خطاظة حجاج؟ (إيگور زآگار Igor Žagar)

عبر إيگور زآگار (2009، 2010) عن نقد جدي بشأن استعمال المقاربة التاريخية للخطاب لمفهوم الطوبوس. وفي هذه الحالة لن أستطيع التطرق لكل الاعتراضات المختلفة التي قدمها زآگار؛ بل سأركز منها على ثلاث نقاط اعتبرها مركزية، وهي: (1) ينبغي لأنصار المقاربة التاريخية للخطاب أن

يكونوا صريحين عندما يعيدون بناء بنية حجاج البيانات التجريبية، و(2) يجب أن يفهم الطوبوس على أنه مفهوم شكلي ووظيفي، و(3) أن يتوافق مفهوم الطوبوس كما هو مستعمل في المقاربة التاريخية للخطاب مع فهم الطوبوس بوصفه دافعا متكررا أو ثيمة (التأويل الدلالي المحض للمصطلح).

وتعقبا على النقطة الأولى، أتفق مع إيكور زاكاز بأنه ينبغي أن تكون هناك إعادة بناءات صريحة ومفصلة في المستقبل لتحليلات الحجاج ضمن الإطار النظري للمقاربة التاريخية للخطاب. وتزيد أهمية هذا المطلب فيما يتعلق بطرق تدريس الحجاج (Reisigl, 2004, 2007a). ويمكن أن تعمل المنهجية الموصوفة في القسم الخامس بوصفها أساسا لمثل إعادة البناء، علاوة على المقولات التحليلية المشيرة إلى مرحلتى البنات الماكرو والمتوسطة أيضا للحجاج التي لا يمكن التطرف إليها هنا. وأرى أنه ينبغي لهذه المنهجية أن تُطوّر بصورة أكبر، وتفترض شكلا نظرية قطاعية للحجاج مخصصة لاحتياجات العلوم الاجتماعية والإنسانية والنظرية التاريخية. وينبغي لمثل هذه النظرية القطاعية للحجاج أن تهتم اهتماما خاصا بتحليل خطابات الحجاج الخاصة بمحل أو المرتبطة بمحتوى (الطوبوسات والمعالطات). وستساعد الصلابة المنهجية والترسيخ التجريبي والتأمل النقدي الناتج على تجنب الصياغة العشوائية للمقولات المرتبطة بمحتوى (انظر أيضا المحور 7).

ويرتبط قدر كبير من نقد زاكاز بالنقطة الأولى التي يجب أن تُدخّل نتيجة لسوء فهم وقراءة خاطئة وعدم اطلاع. ويرجع سوء الفهم (أ) إلى الترجمة الإنجليزية المختصرة لبعض النصوص ومتطلبات 'الاختصار' التي يبدو أنها شائعة في عالم النشر الإنجليزي أكثر من عالم النشر الألماني، و(ب) يرجع أيضا إلى عدم الاطلاع على نصوص أساسية مرتبطة بالمقاربة التاريخية للخطاب ومنشورة باللغة الألمانية فحسب (على سبيل المثال: Wengeler, 1997, 2003; Kopperschmidt, 1989, 2000; Kienpointner, 1992, 1996) و(ج) يعود في بعض الأحيان إلى القراءة الخاطئة. وسأورد مثلا واحدا لسوء الفهم أو القراءة الخاطئة وعدم الاطلاع في إجابتي عن الاعتراض الثالث.

وتعقبا على النقطة الثانية، يرى زاكاز أن الطوبوس بصفته تصورا مرتبطا بالحجاج، يجب أن يفهم بوصفه مفهوما شكليا ووظيفيا مجردا في تقليد أرسطو، ومن ثم، لا ينبغي النظر إليه بوصفه مقولة تحليلية مرتبطة بمحتوى. فالادعاء نفسه قد قالت به فيركلف وفيركلف (2012)، ص 23 وما بعدها، و(246)، مع أنها لا يجندان العمل بمفهوم الطوبوس في إطارها النظري. وكما حاولت أن أوضح في

القسم الخامس، ليس المفهوم الأرسطي الغامض لطوبوس السبب الوحيد الذي توجد فيه الإحالة السلطوية على تحليل الطوبوس؛ فهناك أيضا تقليد قديم للقيام بتحليل الطوبوس المرتبط بمحتوى في مجال النظرية الحجاجية (تقليد لا يمكن ربطه بأرسطو)، وهناك مقترحات معاصرة مختلفة لفهم الطوبوس بوصفه مفهوما ديناميا ومرتبنا بمحتوى (انظر على سبيل المثال: *Wengeler, 1997, 2003*؛ وانظر أيضا: *Kienpoitner, 1998: 564-567 and 2013: 302*). وحتى لو حُدّد مفهوم الطوبوس تحديدا قابلا للتجريب بوصفه مفهوما مرتبنا بمحتوى في نظرية الحجاج، فإنه من الواضح أنه يظل في الوقت نفسه مفهوما وظيفيا؛ حيث يعمل الطوبوس كقاعدة استنتاج (مسوغ) يربط حجة بادعاء. ولا ينكر هذه السمة المضاعفة للطوبوسات أبدا أولئك الذين يختارون تحليل خطاطات الحجاج المرتبطة بمحتوى. ومع ذلك ينبغي أن يكون واضحا أن الطوبوس لا يحتاج أن يحدد انطلاقا من عبارات شكلية ومجردة فقط (بالإضافة إلى تعريفه انطلاقا من سمته الوظيفية).

وتعقبا على النقطة الثالثة، قول زاكاز أنه من الأفضل فهم مفهوم الطوبوس، كما هو مستعمل في المقاربة التاريخية للخطاب انطلاقا من النمط أو الثيمة المتكررة؛ أي من حيث التأويل الدلالي للمصطلح الذي يتبع التقليد الاصطلاحي للدراسات الأدبية، ويحيل زاكاز من أجل أن يدعم ادعاءه من بين أشياء أخرى- على المقولات التحليلية للمكان المحبوب والمكان غير المحبوب:

[...] "يمكن أن نجد أيضا في البناء الخطابى للهوية الوطنية؛ حيث جرد 49 طوبوسا (دون أي نمط للتوظيف)، (1999: 38-39) المكان المحبوب (أو طوبوس المكان الجميل) والمكان غير المحبوب (طوبوس المكان الفظيع). ولا علاقة لهذين الطوبوسين إطلاقا بربط الحجج بالنتائج، لكنهما طوبوسان أدبيان بامتياز، وقد صاغها وعرفها إرنست كورتسنيوس *E.R. Curtius*. ولتوضيح هذا الأمر، يمكن القول إنه لا يوجد خطأ في الطوبوس الأدبي، لأن غايته ليست ربط حجج ممكنة بنتائج ممكنة" (*Zagar, 2010: 21*).

والحقيقة أن زاكاز لم يفهم المقصود هنا وفي مواضع أخرى؛ فلو قرأ الكتاب تتمغن لوجد التفسيرات التالية لمفهوم المكان المحبوب والمكان غير المحبوب في الصفحة 97 وما بعدها:

'إننا نرى المكان المحبوب مع ذلك طوبوسا أدبيا بالمعنى الضيق، كما هي الحال في إمكانية رسم منظر محبوب وشاعري يشمل أشجارا خضراء ومورقة ونسما عليلًا، وجداول صافية، وتغريدات عذبة للطيور إلى غير ذلك؛ بل نراه 'منظرا جميلا' يذكر في الغالب بمعنى عام للإشارة إلى أرض الوطن المشتركة

التي نعيش فيها بسعادة، أو يعمل على تصويرها فضاء سياسيا مثاليا حيث يعيش الناس معا في سعادة وغنى وانسجام من دون أي صراعات. وتشير 'جزيرة المحظوظ' التي صاغها البابا بول السادس سنة 1971 وأعيدت تسميتها بـ'الجزيرة المباركة' (Bruckmüller, 1996: 125)، بصورة بلاغية إلى هذا المكان الجميل؛ أي المكان المحبوب. وعندما تستعمل في الخطاب السياسية، فهي لا تعمل في كثير من الأحيان- لغاية تقديم النفس فقط؛ بل كجزء من خطاطة مقارنة تتحقق عبرها استراتيجية تأكيد الاختلاف داخل الوطن. وبصفة عامة يمكن أن نرى بأن هذه الاستراتيجية التي تهدف إلى بناء الهوية وتؤكد الاختلافات بين النمسا والدول الأخرى نادرة في الخطاب التذكارية، وإن حدثت فإنها عادة ما تكون مرتبطة بالإنجازات الإيجابية من قبيل الازدهار والحرية والديمقراطية والاستقرار الاجتماعي. وعلى أيّ كلما كان المتكلمون أقل اهتماما بتأييد الوضع الراهن وأكثر اهتماما بالتغيير السياسي الراديكالي (بطبيعة الحال لصالحهم) كان تقييمهم للوضع السياسي الحالي أقل إيجابية وكانوا أكثر ميولا إلى رؤية الإنجازات السياسية الإيجابية في خطر. ومن ثم، فقد يخدرون من أمان غير محبوبة أو يصورون استمرارية سياسية بصورة سلبية؛ أي يقدمونها بوصفها بنايات قديمة ومتحجرة. ويصُح هذا الأمر فيما يخص أحزاب المعارضة (حزب الحرية النمساوي، والأحزاب الخضراء، والمنتدى الليبرالي) بالإضافة إلى حزب صغير في التحالف الحكومي، ويدعى حزب الشعب النمساوي (Wodak et al., 2009 [1999]: 97).

ولقد كتبتُ هذه السطور، من أجل توضيح الأمر توضيحا تاما بأننا أعدنا تأويل مفهومي المكان المحبوب والمكان غير المحبوب بصورة مقصودة بالمعنى النظري للحجاج وليس بالمعنى الأدبي للطوبوس. ومن بين أشياء أخرى، قدّمت النسخة الألمانية الأكبر للكتاب (Wodak et al., 1998: 227f) المثال الآتي للمكان المحبوب المرتبط بالحجاج، وهو مأخوذ من خطبة ألقاها المستشار النمساوي السابق فُرانتز فُرانتزكي Franz Vranitzky بتاريخ 7 ماي 1995:

"لا وجود لما يدعوننا إلى أن نستمر في التشكيك في أنفسنا؛ فمعايير العيش في النمسا على الصعيد الدولي لم تتجاوزها سوى دول قليلة فقط؛ فيما يتعلق بالاستقرار السياسي، والسلم الاجتماعي، ومتوسط الحياة، وحق الولوج إلى التعليم، والقوة الشرائية للسكان. كما أنه لا يوجد اليوم من يشكك في قدرة جمهوريتنا على الاستمرار في العطاء، والحاصل أن علينا أن ننظر إلى المستقبل بتفاؤل".

يمزج فُرانتزكي في هذه الحالة المكان المحبوب المرتبط بالحجاج بطوبوس المقارنة، وبالضبط بطوبوس الاختلاف (الإيجابي). ويعدُّ هذا الحجاج نمطيا في التقديم الإيجابي للذات الوطنية، ولا سيما

لدى السياسيين الذين يريدون أن يعززوا الهوية الوطنية ويحافظوا -في حالة خاصة- على سلطتهم السياسية في الآن نفسه. ويمكن توضيح مزج كلا الطوبوسين كقاعدة الاستنتاج وفق ما يأتي:

'بما أن النمسا اليوم مكان محبوب مقارنة بالدول الأخرى / مقارنة بماضيا، فينبغي أن تكونوا فخورين بأنكم نمساويون / ينبغي أن تكونوا متفائلين / ينبغي أن لا تستمروا في الشك في أنفسكم'.  
ودعوني أؤكد أن كل المفاهيم الأخرى المرتبطة بالطوبوس التي تطرّق إليها الباحثون في كتب من قبيل ([1999] *Wodak et al., 2009*; *Reisigl and Wodak, 2001*) لم تقصد بها طوبوسات أدبية؛ بل قصدت بها مقولات مرتبطة بالحجاج.

وباختصار، يعدّ النقد الأول لزاكاز ممحا وجديرا بأن يؤخذ في الاعتبار، لكن هجومه الحادّ لا يصل إلى أن يكون 'نقدا مقنعا فيما يخص استعمال الطوبوس في المقاربة التاريخية للخطاب' كما زعمت فيركلّف وفيركلّف (2012: الهامش 3).

### 6.3. هل المقاربة التاريخية للخطاب مقارنة صناعية غير تحليلية للحجاج؟ وهل تعتبره استراتيجية في حد ذاته؟ (فيركلّف وفيركلّف)

قدمت إيزابيلّا فيركلّف ونورمان فيركلّف التقييم النقدي الثالث للمقاربة التاريخية للخطاب في تحليل الحجاج. وسيركز على خمس نقاط فقط من ملاحظاتها النقدية، وهي: (1) أن المقاربة التاريخية للخطاب مقارنة تصنيفية وصناعية (أساسا)، وهذا ما أدى إلى نظرة ثابتة وضيقة أو 'غياب تفسير منسجم لسمة النكل' (*Fairclough and Fairclough, 2012: 22*) وانظر أيضا الصفحة 246 وما بعدها، والهامش 5)، وأنها تركز على التمثيل بدلا من الفعل، و(2) أن المقاربة التاريخية للخطاب تنظر إلى الحجاج بوصفه استراتيجية (خطابية) في حد ذاته، بينما ترى المقاربة التي تقدمها إيزابيلّا ونورمان فيركلّف الحجاج بوصفه فعلا كلاميا مركبا، وأن نظرية الحجاج المؤسسة على نظرية الفعل الكلامي لا تسمح بالنظر إلى الحجاج بوصفه استراتيجية، و(3) أنه من غير الممكن في الإطار الذي قدمته إيزابيلّا ونورمان فيركلّف النظر إلى الحجاج بوصفه شيئا ذا ترتيب (استراتيجي) كالإحالة أو الإسناد أو المنظورية أو المبالغة، و(4) أن المقاربة التاريخية للخطاب غير تحليلية؛ إذ لا تقدم دراساتها إعادة بناء للحجة بوصفها أساسا للتحليل والنقد المعياري أو التفسيري. ومن ثم، قد تكون هناك خطورة للتقويم الاعتباطي. و(5) أن المقاربة المرتبطة بمحتوى الطوبوس التي تحدد مجموعة كبيرة من الطوبوسات بطريقة ملموسة

و غاية في التفصيل' (Fairclough and Fairclough, 2012: 24) تزيد غموض خطاطات الحجاج المجردة التي تستند إلى حجج خاصة، و'قد يؤدي هذا إلى تزايد كبير لمقولات التحليل' وهو ما قد 'يحول دون فهم مركّب لطبيعة موضوع الدراسة (Fairclough and Fairclough, 2012: 25). ونظرا لحيز المقال الضيق، فسنقتصر على تقديم أجوبة مختصرة، لهذه النقاط الخمس. وتعقبيا على النقطة الأولى نقول إن المقاربة التاريخية للخطاب ليست صناعية؛ بل ذات توجه تصنيفي. ويرجع أصل كلمة صناعة (من اليونانية 'taxis' وتعني النظام، وتعني 'nómos' القانون) في الإنجليزية إلى معنى يراد به تصنيف صارم وكامل وتراتيبي يقوم على أساس نظام تصنيفي دقيق مبني على مقولات ملموسة وتقسيمات عامة وفرعية، وأقسام عامة وفرعية، ومستويات عامة وفرعية إلى غير ذلك. وغالبا ما يحول هذا الأمر دون تداخل المقولات، والعضوية المتعددة، وتعدد الأصوات الوظيفية للأدوات والعناصر الخطابية. ومن جهة أخرى، يعدّ التصنيف نظرة أقلّ تدقيقا وصرامة فيما يتعلق بترتيب المقولات البارزة أو النموذجية أو التمثيلية المرتبطة بمجموعة معينة من الأصناف المتداخلة، وهذا ينطبق في حالتنا هذه على الاستراتيجيات أو الأدوات أو الظواهر الخطابية. ولم يقصد أحد صياغة صناعات ونظرات عامة وجداول خطاطية في دراسات المقاربة التاريخية للخطاب من قبيل (Reisigl and Wodak, 2001: 38, 46; Reisigl, 2002: 182ff, 185ff. Wodak et al., 2009: 36-42; Reisigl and Wodak, 2007a: 34f, 43, 84 إلى غير ذلك، و (Wodak, 2009: 91, 112 بل أرادها أصحابها تصنيفات؛ أي إنها أنظمة أقلّ تدقيقا وأكثر افتتاحا على المقولات، لدرجة تسمح بالتداخلات، وليست أقساما مغلقة ومنظمة وفقا لقوانين صارمة 'nómoi'. ولم أستعمل أبدا عند تحليل الخطابات (بما في ذلك الخطابات الانضباطية والشارحة) ومناقشة العلاقات بين المقولات مصطلح 'صناعة' taxonomy؛ بل دائما مصطلح 'تصنيف' typology وقد أيدتُ مرارا مفهوم فيثاغورس 'التشابه الأسري' بكونه مفهوما توليديا (انظر على سبيل المثال: Reisigl, 2011: 72; 2013: 24). وإذا أطلع القراء على نصوص من قبيل (Reisigl, 2003b; 2007: 151-279; 2008: 106-113) فيبغني -كما آمل- ألا يأخذوا انطبعا بأنها مقارنة دقيقة وثابتة وأنها محتمة أساسا بقضايا التمثيل؛ بل عليهم أن يكوّنوا صورة لمقاربة ذات توجه شمولي للخطاب مع الانكباب على تحليل الفعل والممارسة.

وتعقبا على النقطة الثانية، أرى أن القائل بنظر المقاربة التاريخية للخطاب إلى الحجاج بوصفه استراتيجية في حد ذاته قد أساء فهمها؛ لأن ذلك سيقودهم إلى مغالطة تأليفية تخرق القاعدة 7 في الجدلية التداولية، ومفاد هذه المغالطة: أنه 'بما أن أنصار المقاربة التاريخية للخطاب يتحدثون عن استراتيجيات الحجاج، فإنهم يعتقدون أن مشكل الحجاج لا يحتاج إلا لاستراتيجية ليحل، ولكن الحديث عن استراتيجيات الحجاج لا يمكن أن يقودنا إلى القول إن الحجاج استراتيجية فحسب؛ بل يعني فقط أن من سمات قضية الحجاج أنها استراتيجية. وكما وضحت في القسم الثالث، يمكن النظر إلى الحجاج بأنه نمط لغوي ومعرفي غير عنيف ومتعارف عليه لحل مشكل ما، ويتحقق عبر متوالية من الأفعال الكلامية المترابطة من النواحي الوظيفية والشكلية والموضوعاتية، ويمكن لطريقة ربط هذه الأفعال الكلامية أن تنتظم بصورة استراتيجية؛ إذ يمكن أن يتحقق ذلك مثلا، بمساعدة الطوبوسات؛ أي عبر خطاطات الحجاج أو قواعد استنتاج كيفية توظيف هذه الخطاطات. وقد افترضت سارة رُوينيلي Sara Rubinelli هذا التأويل الاستراتيجي للطوبوسات أو المواضيع أيضا، وكتبت مرارا حول الطوبوسات الأرسطية والسكيبيرية انطلاقا من استراتيجيات الحجاج (انظر على سبيل المثال: Rubinelli, 2009: 13, 132, 144ff). ولكننا لا نجد في فيركلّف وفيركلّف (2012، ص 23 وما بعدها) توصيفا للحجاج بأنه فعل كلامي (مركب) فقط (وقد قلت مسبقا أنني لا أتبع هذه النظرة في المحور الثالث)؛ بل يقولان بفضّل الحجاج عن الخطاب، وفصل الخطاب عن الفعل أيضا:

"ومع ذلك، على الرغم من كون الاستراتيجيات ذات سمة خطابية بصورة جزئية، إلا أننا لا ندرس 'الاستراتيجية' بوصفها مقولة خطابية، لأننا نراها مقولة ضمن نظريات الفعل، وليس ضمن نظريات الخطاب؛ أي إنها فعل. وفي حالة السياسة، قد يكون الفعل السياسي استراتيجيا، ولكنه ليس بخطاب في حد ذاته. ولما كانت اللغة كما هو معلوم شكلا من أشكال الفعل، (كما أقرت به نظرية الفعل الكلامي منذ زمن طويل)، فإننا (نرى) أن الاستراتيجيات تتضمن أهدافا تقع خارج نسق الخطاب وتتجاوزها، وأنها تتطوي على هدف التغيير في العالم وليس في الخطاب فحسب' (Fairclough and Fairclough, 2012: 24).

ومن وجهة نظري، يبقى هذا الحجاج غامضا جدا، ويحتاج إلى نقاش مفصل، لكنني أستطيع أن أثير بعض الأسئلة بهذا الخصوص. إذا كانت الاستراتيجيات ذات سمة خطابية بصورة جزئية، فلم ينبغي ألا ندرسها بوصفها مقولة لنظرية الخطاب؟ (لاحظ معي أن مصطلح 'استراتيجية خطابية' ليس

موظفا فقط في المقاربة التاريخية للخطاب؛ بل أيضا في اللسانيات الاجتماعية التفاعلية وفي نظرية الخطاب السياسي المهمة بتحليل السلطة المهمة) وإذا كانت 'الاستراتيجية' مقولة للفعل، وكان الخطاب لونا من ألوان الفعل، أليس هناك مجال مشترك يدعو إلى توظيف مفهوم 'الاستراتيجيات الخطابية'؟ وإذا سلمنا أن الخطاب والحجاج يتضمنان بعدا معرفيا أو ذهنيا (وليس فقط بعدا لغويا) وأن 'الهدف' نتيجة مرغوب فيها ويخَطَّط لها شخص وتتحقق بمساعدة وسيلة ما، فلم ينبغي أن يكون 'الهدف' مقولة خارج الخطاب وتتجاوزها؟ (إذا قلنا إن الخلط بين التغيير المرغوب فيه أمر خاطئ، لأن الهدف ليس سوى حالة ذهنية وعاطفية، فإني أرى أن هذه الأسئلة تحتاج إلى إجابات).

وتعقبا على النقطة الثالثة المرتبطة بالعلاقة بين المجموعات الخمس من الاستراتيجيات الخطابية المميزة ضمن الإطار النظري للمقاربة التاريخية للخطاب، فإن فيرْكُف وفيرْكُف (2012/23) أخطأ في قولها إن أنصار هذه المقاربة يعتبرون التسمية والإسناد الحجاج والمنظورية [ص، 90] والمبالغة والتلطيف مقولات من الطبقة نفسها. وفي الواقع، فإن أنصار المقاربة في نصوص عديدة أقرّوا أن المجموعات الخمس للاستراتيجيات الخطابية توجد في مستويات مختلفة من التنظيم والتركيب اللغويين (على سبيل المثال: 94: 2009, 44: 2001, *Reisigl and Wodak*) فالإسنادات على سبيل المثال تدرج في بعض الأحيان ضمن التسميات (54: 2001, *Reisigl and Wodak*)، كما تدخل التسميات والإسنادات أيضا بوصفها عناصر ذات صلة في المحاججات أو الأفعال الكلامية التي تشكل شبكة الحجاج، كما أن المبالغة والتلطيف يقومان على الأفعال الكلامية (، *Reisigl and Wodak*, 94: 2009, 83f., 2001). ومن ثم، نخلص إلى أنه قد تم تقديم المقاربة التاريخية للخطاب بصورة مشوهة في هذا الجانب كذلك.

وتعقبا على النقطة الرابعة: ادعت فيرْكُف وفيرْكُف (2013) أن الاختلاف الأساسي بين مقاربتها والمقاربة التاريخية للخطاب هو أن أنصار هذه الأخيرة لا يعيدون بناء الحجج بوصفها أساسا للتحليل والنقد. وهذا نقد معيب جدا، ويسهل ردّه من وجهة نظري؛ فيمكن -من بين أشياء أخرى- الإحالة على مؤلفات من قبيل (-160: 2007b, *Reisigl*, 196-202: 2006, *Reisigl*, 82-84: 2013, 16-118: 2008, *Reisigl*, 2689)، كما أرى أن جلّ نقدي للحجاج المغالط قائم على معايير بيذازية منضبطة لقواعد مفهومه. ويعتمد الدحض الناجح لادعاء قلة

التحليل وإعادة بناء الحججة على مسألة قوامها: ما المقصود بإعادة بناء حجة' والتحليل'. وكما يتجلى في المناقشة السابقة لحد الآن، ليست هناك طريقة واحدة للقيام بإعادة بناء الحججة وتحليل الحجاج.

وتعقبا على النقطة الخامسة، قد وضحت سابقا بخصوصها أن مفهوم الطوبوس لا يحتاج أن يقتصر فهمه بخطاطة حجاج مجردة؛ إذ يمكن وصفه كذلك في مستوى ملموس من المحتوى، لأن المقاربة المرتبطة بالمحتوى للحجاج تفيدنا كثيرا فيما يخص 'الذهنيات' المعتمدة على حقل، ومواقع الخطاب والتوجهات الإيديولوجية. وأظن -خلافا لإيزابيلاً ونورماناً فيركلغف- أن تحليل الطوبوس والمغالطات المرتبطة بمحتوى يمكن أن يسهم إسهاما عظيما في فهم شامل ومركب لطبيعة موضوع الدراسة (Fairclough and Fairclough, 2013: 25)؛ بل في أكثر من مجرد تحليل وظيفي وشكلي لمحتوى الخطاب. ومع ذلك، يجب تقليص خطر إدخال مقولات تحليلية اعتبارية عديدة بتطوير نظرية حجاج قطاعية ومنهجية مخصصة لدراسة الحجاج في العلوم الإنسانية والاجتماعية والنظرية التاريخية. وسألخص بعض النقاط المهمة التي يجب أخذها في الاعتبار عند بناء نظرية ومنهجية لهذا الغرض في خاتمة هذا الفصل.

## 7. خاتمة

ينبغي ألا يكتفي المحللون النقادون للخطاب بتحليل وصفي محض للحجاج، لكونهم ذوي طموحات نقدية وموقف نقدي؛ لذلك ينبغي لهم دمج البعد المعياري في نموذجهم. وبناء على ذلك على التحليل النقدي للخطاب أن يميز بين الحجاج المعقول والمغالط. وكلما كانت الأدوات الوصفية مناسبة وأكثر تحديدا لتحليل الحجاج وكان الأساس المعياري الذي يتأسس عليه النقد صريحا وقويا، كانت صيغته النقد مقنعة. وأقل ما يقتضيه الوصف المناسب الذي يقدمه النموذج التحليلي هو تمييز مفهومين بين الأبعاد الآتية المرتبطة بالحجاج:

- أ- مقولات وظيفية
- ب- مقولات شكلية (طوبوسات/ مغالطات شكلية)
- ج- مقولات معتمدة على الحقل والموضوع ومرتبطة بمحتوى (طوبوسات ومغالطات مرتبطة بمحتوى)
- د- مقولات لوصف البنيات الماكرو والمتوسطة والميكرو، مثلا:
- مراحل الحجاج

- الحجاج البسيط / المتعدد (كم عدد الحجج في ادعاء؟)

- مختلطة / غير مختلطة (كم عدد الادعاءات؟)

ه- مقولات لفصل تمثيل الحجاج بالاعتباس من أداء الحجاج.

وتعدُّ القواعد الجدلية التداولية للحجاج العقلاني أساسا معياريا جيدا لتقييم الحجاج ضمن إطار المقاربة التاريخية للخطاب، ولكنها ليست كافية. وعلاوة على ذلك، تعدُّ الإشارة إلى المعايير الديمقراطية والمبادئ الأخلاقية للعدالة والمساواة بالإضافة إلى مبدأ التقمص العاطفي أو طريقة التفكير التقدمية (Kant, Arendt) مصادرَ معياريةً مهمةً. كما أنَّ تأسيس حلقة وصل نظرية قوية مع نظريات يُورغن هابرماس وروبرت أليكسي وماكس ميلر أمرٌ محبذٌ جدا؛ إذ سيعمل على تقوية الأساس المعياري للمقاربة التاريخية للخطاب.

ويعدُّ تحليل الحجاج المرتبط بمحتوى ذا أهمية خاصة للتحليل النقدي للخطاب، ولا سيما ذلك الذي يختار تحديدا مرتبطا بموضوع 'الخطاب'، والذي يهتم بتحليل الإيديولوجيا ومواقع الذات والادعاءات المتنازع حولها واستراتيجيات التسويغ، كما هو حال المقاربة التاريخية للخطاب وبعض المقاربات الأخرى كذلك (انظر مقدمة هذا الكتاب).

وهناك شرط منهجي لتطوير نظرية حجاج قطاعية مخصصة لما تحتاجه العلوم الاجتماعية والإنسانية والنظرية التاريخية. وينبغي أن تركز هذه النظرية على العديد من الأمور مثل إيجاد معايير شاملة تسمح بصياغة تصنيفات معقولة بناء على الحقل والموضوع (وليس صنفات!) لطوبوسات مرتبطة بمحتوى. ويمكن للتفعيل المنهجي للطوبوسات المرتبطة بمحتوى أن يأخذ في الاعتبار المعايير التالية:

أ- اتباع مبدأ الانتقال ما بين النظرية والتحليل التجريبي: بدءا من تصنيفات موجودة لطوبوسات مرتبطة بمحتوى، وينبغي أن تتأكد من احتواء البيانات على طوبوسات ذات صيغة نظرية سبق استعمالها في بحث. وإن لم يكن الأمر كذلك، فينبغي أن تحاول بناء طوبوسات جديدة بناء تحليلا، وأن تتجنب أن تكون خاصة جدا أو اعتباطية كلية.

ب- مؤشرات دلالية: يمكن أن يكون تكرار وحدة معجمية ما أو موضوعات خطاب معينة مؤشرا على طوبوس أو مغالطة مرتبطين بمحتوى ما في خطاب (التركيز على العلاقة الدلالية لأشباه المرادفات) مثلا: كلمة 'حرية' في مقتطفات من خطاب ليبرالي جديد أو قومي. وعلى أيّ،

توظف الوحدات المعجمية في تسمية الطوبوسات (مثلا: 'تهديد' في 'طوبوس التهديد' أو 'مقارنة' في 'طوبوس المقارنة')، ولا تحتاج أن تظهر بصورة صريحة في كلمات النص. وهناك أيضا مؤشرات تركيبية: إذ يمكن التعبير عن 'طوبوس العدل' ببناء تركيب من قبيل: 'العين بالعين' أو 'هذه بتلك'.

ج- ينبغي أن يكون ادعاء صحة الحقيقة أو المعقولة قابلين للتحديد إلى جانب النمط الحجاجي المقترض والمرتبط بمحتوى أو معه. وعادة ما يبدأ تحليل الحجاج بالبحث عن ادعاء خلّافي، ولا سيما إذا لم تكن تحدّد متوالية الأفعال الكلامية التي ستحللها والتي لها ارتباط بالحجاج.

د- تبدو الكلمات المفاتيح المعجمية في أول جزء أو في ثاني جزء من معادلة 'إذا كانت 'س'، فإن 'ش'، و'ش' بسبب 'س'. مع ذلك، يبدو أن هناك بعض الميولات للتوزيع، ومعظم الطوبوسات التي حددها فينغلز (1997) تقع في أول جزء (إذا كان 'س'، فإن 'ش'). ويمكن صياغة بعض الطوبوسات بنسب متفاوتة (مثلا: طوبوس النفع: 'إذا كنا/كنت تفعل 'س'، فإنك ستنتفع من 'ش'. وتقيض ذلك: 'إذا كان 'س' منفعه، فينبغي السعي إلى 'س'.

هـ- تعدّ المجازات (الاستعارات والمجازات المرسلة والكنائيات) مؤشرات معرفية ولغوية محتملة للطوبوسات والمغالطات المرتبطة بمحتوى. وينبغي للبحث المستقبلي (تجريبيا ونظريا) أن يستكشف الروابط بين الاستعارات والكنائيات والمجازات المرسلة والحجاج، ولا سيما فيما يرتبط بقدرتها على المغالطة. ولا ينطبق هذا على الاستعارات فقط، بل يمكن للمجازات المرسلة والكنائيات التعبير عن قواعد استنتاج مغالطة وضمنية-المجازات المرسلة على سبيل المثال تعكس تعميمات متسرة.

## ببليوغرافيا

- Alexy, R. (1996[1983]), *Theorie der juristischen Argumentation. Die Theorie des rationale Diskurses als Theorie der juristischen Begründung*. Frankfurt am Main: Suhrkamp.
- Bornscheuer, L. (1976), *Topik. Zur Struktur der gesellschaftlichen Einbildungskraft*. Frankfurt am Main: Suhrkamp.
- Cicero, M. T. (1998), *De inventione. Über die Auffindung des Stoffes/De optime genere oratorum*. Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft.
- Ecker, M. W. (2006), *Kritisch Argumentieren*. Aschaffenburg: Alibri Verlag.
- Fairclough, I. and Fairclough, N. (2012), *Political Discourse Analysis. A Method for Advanced Students*. London: Routledge.  
—(2013), *Political Discourse Analysis: A Method for Advanced Students*. London: Routledge.
- Fairclough, N. (1995), *Critical Discourse Analysis. The Critical Study of Language*. London: Longman.  
—(2010), *Critical Discourse Analysis. The Critical Study of*  
*Language* (2nd edn). London: Longman.
- Fairclough, N. and Fairclough, I., (2010), 'Argumentation analysis in CDA: analyzing practical reasoning in political discourse' in R. De Cillia, H. Gruber, M. Krzyżanowski and F. Menz, (eds), *Diskurs, Politik, Identität. / Discourse, Politics, Identity*. Tübingen: Stauffenburg. pp. 59 – 70.
- Forchtner, B. (2010), 'Jürgen Habermas and the critical study of language'. *CADAAD—Critical Approaches to Discourse Analysis across Disciplines*, 4 (1), 18–37.  
—(2011), 'Critique, the discourse- historical approach and the Frankfurt School'. *Critical Discourse Studies*, 8 (1), 1–14.  
—(2014), 'Rhetorics of judge-penitence: claiming moral superiority through admissions of past wrongdoing'. *Memory Studies*, 7, in press.
- Forchtner, B. and Tominc, A. (2012), 'Critique and argumentation. On the relation between the discourse- historical approach and pragma- dialectics'. *Journal of Language and Politics*, 11(1), 31-50.
- Habermas, J. (1992), *Faktizität und Geltung. Beiträge zur Diskurstheorie des Rechts und des demokratischen Rechtsstaats*. Frankfurt am Main: Suhrkamp.

- 
- Houtlosser, P. and van Eemeren, F. H. (2007), 'The contextuality of fallacies'. *Informal Logic*, 27 (1), 59-67.
  - Ietcu, I. (2006 a), *Discourse Analysis and Argumentation Theory: Analytical Framework and Applications*. Bucharest: Bucharest University Press.
  - —(2006 b), *Dialogue, Argumentation and Ethical Perspective in the Essays of H.-R. Patapievi*. Bucharest: Bucharest University Press.
  - Ietcu-Fairclough, I. (2007), 'Populism and the Romanian "Orange Revolution". A discourseanalytical perspective on the Presidential Election of 2004'. *Studies in Language and Capitalism*, 2, 31-74 (<http://www.languageandcapitalism.info/>).
  - Ihnen, C. and Richardson, J. E. (2011), 'On combining pragma- dialectics with critical discourse analysis', in E. T. Feteris, B. Garssen and F. A. Snoeck Henkemans, (eds), *Keeping in Touch with Pragma-Dialectics: In Honor of Frans H. van Eemeren*. Amsterdam: John Benjamins, pp. 231-44.
  - Kienpointner, M. (1992), *Alltagslogik. Struktur und Funktion von Argumentationsmustern*. Stuttgart-Bad Cannstatt: frommann- holzboog.  
—(1996), *Vernünftig Argumentieren. Regeln und Techniken der Argumentation*. Reinbek bei Hamburg: Rowohlt.  
—(1998), *Inventio*. In G. Ueding (ed.), *Historisches Wörterbuch der Rhetorik*. Volume 4: Hu-K. Tübingen: Niemeyer, pp. 561-87.  
—(2013), *Review of: Isabela Fairclough, Norman Fairclough (2012), Political Discourse Analysis: A Method for Advanced Students*. London: Routledge 2012. In *Journal of Language and Politics*, 12(2), 295-304.
  - Kienpointner, M. and Kindt, W. (1997), 'On the problem of bias in political argumentation. An investigation into discussions about political asylum in Germany and Austria'. *Journal of Pragmatics*, 27, 555-85.
  - Kindt, W. (1992), 'Argumentation und Konfliktaustragung in Äußerungen über den Golfkrieg'. *Zeitschrift für Sprachwissenschaft*, 11, 189-215.
  - Knape, J. (2000), *Allgemeine Rhetorik*. Stuttgart: Reclam.  
Kopperschmidt, J. (1989), *Methodik der Argumentationsanalyse*. Stuttgart: frommannholzboog.
  - (2000), *Argumentationstheorie zur Einführung*. Hamburg: Junius.  
Lumer, C. and Nannini, S. (2012), *Intentionality, Deliberation and Autonomy*. London: Ashgate.

- 
- Miller, M. (2006), Dissens. Zur Theorie diskursiven und systemischen Lernens. Bielefeld: Transcript.
  - Perelman, C. and Olbrechts-Tyteca, L. (2000 [1958]), Traite de l'Argumentation. La Nouvelle Rhetorique (5th edn). Brussels: Editions de l'Universite de Bruxelles.
  - Reisigl, M. (2002), 'Dem Volk aufs Maul schauen, nach dem Mund reden und angst und bange machen— Von populistischen Anrufungen, Anbiederungen und Agitationsweisen in der Sprache österreichischer PolitikerInnen ', in, W. Eismann, (ed.), Rechtspopulismus. Österreichische Krankheit oder europäische Normalität? Vienna: Cernin-Verlag. pp. 149-98.
  - (2003 a), Wie man eine Nation herbeiredet. Eine diskursanalytische Untersuchung zur sprachlichen Konstruktion der österreichischen Nation und österreichischen Identität in politischen Fest- und Gedenkreden. Vienna: unpublished PhD.
  - (2003b), 'Rede als Vollzugsmeldung an die (deutsche) Geschichte. Hitler auf dem Wiener Heldenplatz ', in, J. Kopperschmidt, (ed.), Hitler der Redner. Munich: Fink. pp. 383-412.
  - (2004), 'Argumentation und kausalitätsbezogene Explikation in studentischen Arbeiten— Eine Fallstudie', in, S. Göpferich and J. Engberg, (eds), Qualität fachsprachlicher Kommunikation. Tübingen: Narr. pp. 151-75.
  - (2005), 'Rechtfertigung ', in, G. Ueding (ed.), Historisches Wörterbuch der Rhetorik (HWRh). Band 7. Tübingen: Niemeyer. pp. 649-76.
  - (2006), 'Argumentation und kausalitätsbezogene Explikation', in H. Gruber, M. Rheindorf, K. Wetschanow, M. Reisigl, P. Muntigl and C. Czinglar, Genre, Habitus und wissenschaftliches Schreiben. Eine empirische Untersuchung studentischer Texte. Münster, Hamburg, Berlin, Vienna, London: LIT Verlag, pp. 175-204.
  - (2007 a), Nationale Rhetorik in Fest- und Gedenkreden. Eine diskursanalytische Studie zum "österreichischen Millennium" in den Jahren 1946 und 1996. Tübingen: Stauffenburg.
  - (2007b), 'Probleme des Argumentierens in Seminararbeiten—Eine schreibdidaktische Herausforderung', in H. Gruber and U. Doleschal (eds), Academic Writing in Languages other than English/ Wissenschaftliches Schreiben abseits des englischen 'Mainstreams'. Frankfurt am Main u.a.: Lang Verlag, pp. 253-84.
  - (2007 c), 'The dynamics of right- wing populist argumentation in Austria ', in F. H. Van Eemeren, J. A. Blair, C. A. Willard and B. Garssen (eds), Proceedings of the Sixth Conference of the International Society for the Study of Argumentation, Amsterdam: Sic Sat 2007/ International Center for the Study of Argumentation, pp. 1127-34.

- (2008), 'Analyzing political rhetoric', in R. Wodak and M. Krzyżanowski (eds), *Qualitative Discourse Analysis in the Social Sciences*. London: Palgrave, pp. 96- 20.
- (2011), 'Pragmatics and (critical) discourse analysis- commonalities and differences', in, C. Hart, (ed.), *Critical Discourse Studies in Context and Cognition*. Amsterdam: Benjamins, pp. 7-26.
- (2013), 'Critical discourse analysis', in R. Bayley, R. Cameron and C. Lucas (eds), *The Oxford Handbook of Sociolinguistics*. Oxford: Oxford University Press, pp. 67- 90.
- Reisigl, M. and Wodak, R. (2001), *Discourse and Discrimination. Rhetorics of Racism and Antisemitism*. London: Routledge.  
— (2009), 'The discourse- historical approach', in R. Wodak and M. Meyer (eds), *Methods of Critical Discourse Analysis (2nd rev. edn)*. London: Thousand Oaks; New Delhi: Sage, pp. 87-121.
- Rubinelli, S. (2009), *Ars topica. The Classical Technique of Constructing Arguments from Aristotle to Cicero*. Amsterdam: Springer.
- Snoeck Henkemans, F. A. (2001), 'Argumentation, explanation and causality. An exploration of current linguistic approaches to textual relations', in T. Sanders, J. Schilperoord and W. Spooen (eds.) *Text Representation. Linguistic and Psycholinguistic Aspects*. Amsterdam/Philadelphia: Benjamins, pp. 231-46.
- Toulmin, S. (1969), *The Uses of Argument*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Van Eemeren, F. H. and Grotendorst, R. (1984), *Speech Act in Argumentative Discussions. A Theoretical Model for the Analysis of Discussions Directed towards Solving Conflicts of Opinion*. Dordrecht: Floris Publications.  
—(1992), *Argumentation, Communication, and Fallacies. A Pragma-Dialectical Perspective*. Hillsdale/New Jersey: Laurence Erlbaum Associates.
- Van Eemeren, F. H., Garssen, B. and Meuffels, B. (2009), *Fallacies and Judgments of Reasonableness. Empirical Research Concerning the Pragma-Dialectical Discussion Rules*. Dordrecht: Springer.
- Van Eemeren, F. H., Grotendorst, R. and Snoeck Henkemans, F.A. (1996), *Fundamentals of Argumentation Theory. A Handbook of Historical Backgrounds and Contemporary Developments*. Mahwah, New Jersey: Laurence Erlbaum Associates.
- Van Eemeren, F. H., Houtlessen, P. and Snoeck Henkemans, F.A. (2007), *Argumentative Indicators in Discourse. A Pragma-Dialectical Study*. Dordrecht: Springer.

- 
- Walton, D., Reed, C. and Macagno, F. (2008), *Argumentation Schemes*. Cambridge: Cambridge University Press.
  - Wengeler, M. (1997), 'Argumentation im Einwanderungsdiskurs. Ein Vergleich der Zeiträume 1970–1973 und 1980–1983', in, M. Jung, M. Wengeler and K. Böke, (eds), *Die Sprache des Migrationsdiskurses. Das Reden über "Ausländer" in Medien, Politik und Alltag*. Stuttgart: Westdeutscher Verlag, pp. 121-49.  
—(2003), *Topos und Diskurs*. Tübingen: Niemeyer.
  - Wodak, R., De Cillia, R., Reisigl, M. and Liebhart, K. (2009[1999]), *The Discursive Construction of National Identity*. Edinburgh: Edinburgh University Press.
  - Wodak, R., De Cillia, R., Reisigl, M., Liebhart, K., Hofstätter, K. and Kargl, M. (1998), *Zur diskursiven Konstruktion nationaler Identität*. Frankfurt am Main: Suhrkamp.
  - Wodak, R., Pelikan, J., Nowak, P., Gruber, H., De Cillia, R. and Mitten, R. (1990), 'Wir sind alle unschuldige Täter!' *Diskurshistorische Studien zum Nachkriegsantisemitismus*. Frankfurt am Main: Suhrkamp.
  - Wunderlich, D. (1976), *Studien zur Sprechakttheorie*. Frankfurt am Main: Suhrkamp.
  - Žagar, I. (2009), 'Topoi in critical discourse analysis'. *Šolsko polje*, 5(6) 47-73.
  - (2010), 'Topoi in critical discourse analysis', *Lodz Papers in Pragmatics*, 6(1) 3-27.

## عندما يكون الحجاج مجرد هدف إقناعي

### نموذج الخطاب السياسي(\*)

باتريك شارودو

ترجمة: عبد القادر ملوك

جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب

*Abdelkadermellouk2201@gmail.com*

#### الملخص:

يقارب هذا المقال، الذي نعرض ترجمته هنا، زاوية من زوايا التفكير في موضوع الحجاج، يدافع من خلالها اللساني الفرنسي باتريك شارودو عن فكرة مؤداها أن الحجاج لا ينبغي أن يظل مبحثاً تنظيرياً صرفاً، بل علينا أن نقاربه من منطلق السياق الخاص للوضعية التواصلية، اقتناعاً منه بأن القيمة الحجاجية لفعل خطابي معين لا يمكن الحكم عليها ولا تقويمها التقويم الدقيق خارج شروط إنتاجها ومقتضيات تبلورها. وتبعاً لذلك، فقد عمد الكاتب، خلال مسار عرضه لأطروحاته، إلى توظيف أمثلة متنوعة استقاها تحديداً من الحقل السياسي، بالنظر إلى أن هذا الصنف من التواصل يجعل غايته في تحقيق الإجماع، ولذلك فإن الحجاج الذي يستند إليه في تحقيق هذه الغاية، يرتكز في جزء كبير منه على القيم المشتركة وعلى الرأي العام. وبتأرجحه بين "نظام العقل" و"نظام العاطفة"، فإن الخطاب السياسي يشابه في مساره الإقناعي الخطاب الإشهاري، ووجه المشابهة يكمن في استنادهما معاً إلى ضرب من الإخراج الإقناعي يستحوذ الإيتوس والباتوس على مجامعه، بينما لا يحضر اللوغوس إلا بصورة محتشمة لا تكاد ترى.

#### الكلمات المفتاحية:

شارودو، الحجاج، الإقناع، الخطاب السياسي، الرهانات التواصلية.

(\*) هذا المقال هو ترجمة لفصل من تأليف باتريك شارودو *Patrick Charaudeau* بعنوان:

«*Quand L'argumentation n'est que visée Persuasif. L'exemple du discours politique*»

ورد ضمن مؤلف جماعي بعنوان:

«*Argumentation et communication dans les médias, Edition Nota bene, 2005*».

أشرف عليه كل من مارسيل بيرجي *Marcel Burger* وغيلين مارتيل *Guyllaine Martel*.

## *Quand L'argumentation n'est que Visée Persuasif. L'exemple du Discours Politique*

Patrick Charaudeau

Tr. Dr, Abdelkader Mellouk

Ibn Zouhr University, Agadir, Morocco

*Abdelkadermellouk2201@gmail.com*

### *Abstract:*

The article, which we have translated here, consists of a reflection on the subject of the argumentation of the French linguist Patrick Charaudeau who supports the idea that the argumentation must be addressed according to the particular context of the communication situation, believing that the argumentative value of an act of discourse cannot be judged or evaluated outside its conditions of production. Illustrating his demonstration from various examples borrowed mainly from the political scene, the author recalls that political communication seeks above all consensus and that, in doing so, the argument on which it is based is largely built on common values, on public opinion. Oscillating between the order of reason and the order of passion, the political discourse, just like advertising discourse, is a persuasive staging in which ethos and pathos carve out the lion's share, leaving to the logos the congrue part.

### *Keywords:*

Charaudeau, argumentation, conviction, political discourse, communication issues.

هل من جديد يمكن أن يقال عن الحجاج بعد الذي حظي به من توسع وتطور داخل حقل المنطق والبلاغة؟ لقد ولد مبحث الحجاج داخل هذين الحقلين، فحُجِب لروح من الزمن من قبل الأول، ثم أعيد بعثه من جديد عن طريق ما سمي بالبلاغة الجديدة، لكي يعاد تعريفه، في مرحلة أخيرة، ضمن إطار الفلسفة التحليلية وعلوم اللغة. واليوم يبدو أن الحجاج قد وصل إلى نهاية السباق: فقد صرنا نتوفر على أصناف حجاجية عديدة، يلزمنا فقط العمل على تطبيقها.

بيد أن هناك ثلاثة أسئلة مترابطة بعضها ببعض لا تزال موضوع سجال: الأول يتعلق بالعلاقة بين العقل والانفعال والتي تطرح سؤالاً ذا صلة بالزوج صواب/خطأ؛ والثاني وضع الحجاج إزاء أصناف أخرى من قبيل الإقناع، التفسير، والبرهنة، والذي يطرح سؤال التراتبية المفترض قيامها بين هذه الأصناف؛ أما السؤال الثالث فينصب على الصلة القائمة بين الحجاج والتواصل والتي تفرض سؤالاً يتعلق بمدى وجود خطاب حجاجي قائم في ذاته. وتبعاً لذلك، فإن غاية ما أرمي إليه من هذا المقال، أن أوضح أن القيمة الحجاجية لفعل خطابي ما، لا يمكن الحكم عليها خارج شروط إنتاجه، أي خارج الوضعية التواصلية التي تحتضن مختلف الشركاء في التبادل اللغوي.

ان السؤال المتعلق بمعرفة ما إذا كان الحجاج قضية عقل أم انفعال هو سؤال ضارب في القدم. فمُنذ أرسطو<sup>1</sup>، كانت هناك فكرة فرضت نفسها على القدماء مفادها أننا لا ينبغي فقط أن نكتفي بالتفكير بطريقة سلمية،

<sup>1</sup>. Aristote, Rhétorique

بل ينبغي أن نسعى إلى التأثير في القضاة والحكام وفي السامعة إجمالاً. ومعنى التأثير هنا وضعهم في "حالة ذهنية" تسمح بتوجيه أحكامهم بسهولة نحو هذا الاتجاه أو ذاك. ومنذ ذلك الحين، ومرورا بشيشرون<sup>1</sup>، وباسكال<sup>2</sup>، وروسو<sup>3</sup>، وصولاً إلى البلاغة الجديدة<sup>4</sup>، صرنا نقبل بعدم إمكان استبعاد الأحاسيس عن كل عملية لغوية تصبو إلى التأثير في المخاطب، ولكن مع ضرورة التمييز، في الوقت نفسه، بين "الاقتناع" وبين "الإقناع". فالأول ينتج عن التفكير الخالص، ويستند إلى جملة مهارات ذهنية ويستهدف تأسيس الحقيقة. أما الثاني فيقوم على الأحاسيس (واليوم صرنا نتحدث عن العاطفة)، ويستند إلى أنشطة انفعالية تستهدف استمالة المتلقي. إنها المقابلة ذاتها بين "اللوغوس" من جهة و"الباتوس" من الجهة الأخرى، وإليهما ينبغي أن نضيف "الإيتوس" الذي يتعلق بصورة المتحدث (أو بالأحرى بالصورة المعيارية المنسوجة حول ذات المتحدث) والتي تمارس تأثيراً على المتلقي انطلاقاً من الصورة التي يسقطها هذا الأخير على المتحدث أو الخطيب.

بيد أن هذا لم يحل، في وقتنا الراهن، دون استمرار حضور وجهتي نظر متناقضتين حول مسألة معرفة ما إذا كان هذان الصنفان المتمثلان في الاقتناع والإقناع موجودين فعلاً ويشغلان في استقلال عن بعضها البعض أم أنهما مرتبطان فيما بينهما برباط ضيق جداً يجعل من المتعذر الفصل بينهما. يدافع البعض في الواقع، بناء على دراستهم للحجاج كسار تفاعلي محكوم بمنظور "تداولي - جدلي"<sup>5</sup>، عن الفكرة التي مقتضاها أن هناك منطق حجاجي، وأن الحجاج، بشكل أو بآخر هو نشاط عقلي في المقام الأول، وبالتالي فكل حديث عن توظيف الحجاج في التعبير عن الانفعالات، في ظل هذا المعطى، لا يعدو أن يكون مصدر انزياح عن هذا النشاط. وقد أصبح بالإمكان عرض بعض أشكال هذا

1. Ciceron, De l'Orateur.

2. Pascal, De l'art de persuader

3. Rousseau, L'Emil.

4. C.Perelman et O.Olbrechts Tyteca (1970).

5. Van Eemeren (1996) et Copi (1986).

الانزياح في صورة لائحة بالمغالطات «paralogisme» (بالإنجليزية<sup>1</sup> «fallacie») التي يمكن عدها مخاطر تعكر صفو وبقاء النشاط الحجاجي.

وإذا كان هذا رأي هؤلاء، فإن بعض الباحثين الآخرين<sup>2</sup> يرون في المقابل أنه لا ينبغي تغييب العواطف من دائرة الحجاج، بل يجب العمل على تصنيفها وإدماجها داخل المسار الحجاجي، بالنظر إلى كونها جزءا من عملية تشكّل الأحكام. ففي سيرورة انبناء خطاب ما تتدخل، بدرجة أهمية متساوية، مقولات العقل ومقولات العاطفة<sup>3</sup>.

إن ملاحظة عدد من الخطابات - وبخاصة تلك التي تنتمي إلى مجال التواصل السياسي، أو الإشهاري، أو الإعلامي أو الديدانكي - في سياق تداولها الاجتماعي، تطلعننا بصورة جلية على أنها خطابات لا تستند فقط على الحجاج المنطقي، وإنما أيضا وبنسبة كبيرة على نوع من الإخراج الإقناعي الذي يحوز فيه الإيتوس والباتوس حصة الأسد، تاركين للوغوس حيزا ضئيلا جدا. فالواقع، أن النزوات المتكلمة الرامية إلى حث الآخر على سلوك معين، سواء كان فعلا، أو قولاً، أو تشكيرا، أو تنيه عن هذا السلوك، تنهّجس بحجم التأثير الذي يحدثه خطابها أكثر منه بدقة استدلالها. ويمكننا أن نضيف أن هذا الأمر يحدث في كل مرة لا تكون فيها الذات في وضعية سلطة مطلقة أمام مخاطبها، بحيث لا يكون بإمكانها إلزامه بتنفيذ أمر أو إجباره على التفكير في اتجاه معين<sup>4</sup>؛ فتعتمد بكل بساطة إلى محاولة إقناعه بأن يتصرف أو يفكر على نحو معين.

1. F. Van Eemeren et R.Grootendorst (1996).

2. M. Meyer, C. Plantin, H. Parret, R. Boudon et P. Charaudeau.

3. يرى جيل غوتيهيه (Gauthier)، في مقال له ضمن هذا الكتاب، أن هذه المقولات ليس لها نفس القيمة الحجاجية.

4. "خلق، أو تغيير أو تأكيد آراء معينة" على حد قول ج.م. دوميناك (J.M.Domenach) (1950).

ومنه تتساءل: أي موقف ينبغي أن تتبناه إزاء صلة الحجاج بالاقناع، وأي مكانة ينبغي أن نخصصها لبقية الأصناف الأخرى المتمثلة في البرهنة والتفسير، والتي تارة ينظر إليها كأنماط للاستدلال<sup>1</sup>، وتارة أخرى كأجناس مستقلة<sup>2</sup>.

## الحجاج والإقناع:

### موضوعان لتنظيم الخطاب

لقد عرّف الحجاج، منذ زمن بعيد، بأنه "طريقة لتنظيم الخطاب"<sup>3</sup>، بمعنى أنه موقف ذهني قوامه وصف "لماذا" و"كيف" تحدث ظواهر العالم، مع ما يرافقها من إكراهات خطائية ترتبط بالكيفية التي تنتظم بها العمليات اللغوية. ونحسب أن هنا ممكن تعارض الحجاج مع النمطين الآخرين لتنظيم الخطاب المتمثلين في الوصف والسردي، واللذين يتناسبان، كل من حجته، مع موقف ذهني مخصوص، ويعتمد على جهازه الخاص في تنسيق العمليات اللغوية. فالوصف يقوم على توصيف خصائص موجودات العالم ( طبيعتها، وخصائصها) بالاعتداد على مختلف طرق "الوصف النوعي"<sup>4</sup>؛ بمعنى أن هذه الفاعلية اللغوية تسمح بتحديد وتمييز موجودات العالم، والتي من دونها كان سيتعذر فهم العلة التي تقف وراء أفعالها والكيفية التي تؤديها بها ( نحن فعل أو نسلك لأننا نوجد، والعكس صحيح). أما السرد فهو من جانبه يقوم على وصف "الأعمال" التي تنجزها هذه الموضوعات (الأفعال التي تقوم بها أو تخضع لها

1. راجع التأريخ الذي أنجزه حولها ك. بلونتان C.Plantin ضمن:

Essais sur l'argumentation, 1990.

2. راجع المدخل "جنس"، ضمن معجم تحليل الخطاب، 2002.

3. انظر الفصل الموسوم بـ "نمط التنظيم الحجاجي"، ضمن كتابنا: نحو المعنى والتعبير"، 1992.

4. انظر شارودو (1992، الجزء 3، الفصل 3).

والأحداث التي تَوَطَّرها)، وذلك بمساعدة مختلف الطرق الخاصة بـ "العملية السردية"<sup>1</sup>؛ بمعنى أن هذه الفاعلية اللغوية تسمح بتسليط الضوء على كيفية تشكل الظواهر، وعلى أسبابها كما على نتائجها.

الميكانيكا الحجاجية:

من أجل التمكن من تحديد أسباب وكميات حدوث ظواهر العالم، تجد الذات المحاجة نفسها ملزمة باتباع ترتيب معين للعمليات، يقتضي منها ضرورة الانخراط في ممارسة معرفية رباعية الأبعاد تتحدد في: الأشكلة، والتوضع، والتفسير والإثبات.

تفيد الأشكلة إطلاع المخاطب (أو المتلقي) على موضوع الخطاب، بمعنى، جعله على دراية بالمجال الموضوعاتي الذي تقترح عليه أخذه بالاعتبار، وبالسؤال الذي يتصدى له<sup>2</sup>. وهذا السؤال لا يفرض نفسه إلا عند تضارب موقفين مختلفين (أو متناقضين) على الأقل، حول نفس الموضوع. فعلى سبيل المثال، ثمة طرق عديدة لمناقشة موضوع "التدخل الإنساني"، غير أن التساؤل حول ما إذا كان من الواجب التدخل أم لا في بلد أجنبي في حالة ثبوت ارتكابه لانتهاكات في حق ساكنته، يضعنا أمام موقفين اثنين ("ينبغي التدخل" / "لا ينبغي التدخل") وبالتالي فهو يقترح على المخاطب أشكلة لهذا الموضوع. ويمكننا أن نقول، بتعبير آخر، أن عملية الأشكلة تفيد، في آن واحد، أن يقترح المخاطب على المخاطب مجالاً موضوعاتياً ("موضوع") ونطاق المساءلة الذي يود المحاجة من داخله ("قضية")<sup>3</sup>. وهذا ما يسميه ك. بلونتان (*C. Plantin*) بـ "شرط الخصومة"<sup>4</sup>.

1. انظر شارودو (1992، الجزء 3، الفصل 4).

2. ينظر:

«L'argumentation n'est peut-être pas ce que l'on croit», 1998.

3. بخصوص مفهوم "موضوع" و"قضية"، ينظر:

Charaudeau (1992, 3<sup>e</sup> partie, chap.5, La mise en argumentation).

4. نوافق ك. بلونتان في رأيه الذي يقضي بأن "المساءلة شرط أساسي في صياغة عملية حجاجية ما"، ينظر مقال

"سؤال" Question، ضمن:

إلا أن هذا يظل مع ذلك غير كاف، لأنه يتوجب على الطرف الذي يرغب في المحاججة أن يصرح بالجانب الذي يريد الدفاع عنه من القضية. بمعنى أن عليه أن يحدد موضعه إزاء الأشكلة المقترحة بأن يصرح بالموقف الذي يعتزم مناصرته، مع أي موقف هو وضد أي موقف، وهذا من شأنه أن يدفعه دفعا نحو توضيح سلسلة الأسباب التي قادته إلى الانتساب إلى موقف بعينه. وهنا يطفو على السطح إكراه آخر، يمثّل في صحة فعله التوضيحي، فيجبره على استدعاء الحجج التي تمكنه من إثبات الأسس التي بنى عليها وجهة نظره، بحيث لا يدع أمام المتلقي أدنى شبهة اعتراض. إن الحجاج، بهذا المعنى، هو ممارسة معرفية عامة تستهدف المتلقي، تستند على تنظيم خطابي معين يسعى إلى أن يفرض عليه إطارا تساؤليا واضحا، وموقفا محمدا، وحججا داعمة، بحيث لا يجد المتلقي أية حجة مضادة يرفعها في وجه الذات المحاججة، فينتهي به الأمر إلى مشاركتها رأيا. وهذا إنما يزيد في توسيع دائرة الاختلاف أكثر بين الحجاج وبين الوصف والسرد: فالحجاج يسعى إلى أن يفرض على الآخر رؤية المحاجج في ما يتعلق بأسباب وكيفيات حدوث الأشياء في العالم، في حين لا يفعل الآخرون المتبقين أكثر من اقتراح رؤية حول خصائص الموجودات وأفعالها<sup>1</sup>. إن الأمر يتعلق هنا بميكانيكا مفهومية تمثل، على غرار لغة دو سوسور، نظاما ممكنا موضوعا رهن إشارة الذات المتكلمة.

### الرهانات التواصلية:

وكما يكون لهذا الإنفاذ معنى، ينبغي أن يدخل ضمن رهان تواصلية معين. ولذلك سنعرض ههنا ثلاثة أنواع من الرهانات: رهان التفسير، رهان البرهنة ثم رهان الاقتناع<sup>2</sup>.

P. Charaudeau et D. Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours, 2002.

<sup>1</sup>. يراجع مقالنا:

«L'argumentation n'est peut-être pas ce que l'on croit», op.cit.

<sup>2</sup>. يمكن للقاء أن يطلع على مقال بروتون (Breton) الموجود ضمن هذا الكتاب، ليتعرف أكثر على الأجناس الإخبارية (ص. 117-118)، والمحاججية (ص. 119-120) والتعبيرية (ص. 120-122).

أما رهان التفسير فهو يضع الذات في موقف المطالب بتوضيح دوافع وأمناط حدوث ظاهرة مخصوصة، نعرف مسبقا علتها وكيفية اشتغالها. بصيغة أخرى، في التفسير، تكون الحقيقة قد تحددت سلفا خارج الذات. والذات التي تفسر تفترض أن الآخر لا يعلم شيئا عن هذه الحقيقة، فتعمل على تمكينه من معرفة هذه الحقيقة. هذا الرهان نعثر عليه داخل الوضعيات الخاصة بالتكوين والتعليم. أما رهان البرهنة، فهو على العكس تماما، يضع الذات في موقف المطالب بإنشاء حقيقة وتعريضها بأقوى حجة ممكنة. فمن يبرهن يلزمه أن يفترض بأن الحقيقة لم تتشكل بعد وبالتالي وجب إنشاؤها؛ وتبعاً لذلك فهو سيلقي نفسه أمام احتمالين؛ فإما أن الحقيقة الموجودة تبين خطأها ومن تم وجب تعويضها بأخرى صحيحة؛ وإما أنها موجودة لكن حُجيتها ظلت ضعيفة، فصارت تستوجب تقويتها وتعريضها بحجج وأدلة جديدة. ومثل هذا الرهان، نعثر عليه في الحالات المتعلقة بالندوات والمؤتمرات، أو بالكتابات العلمية.

أما رهان الإقناع فينفلت من سؤال الحقيقة، إذ الأمر لا يتعلق بالنسبة للذات بتأسيس حقيقة بقدر ما يرتبط بـ "حيازة الصواب"، والعمل على جعل الآخر يتبنى هذا الصواب. فالرهان هنا منصب، من جهة، على المصدقية -وإذن على حقيقة ذاتية- ومن جهة أخرى، على التأثير، الذي تحاول الذات من خلاله تغيير رأي و/ أو اعتقادات الآخر. من هنا يتبين أن الحجج التي يتم توظيفها لأجل إقناع الآخر تقوم على العقل تماما مثلما تقوم على العاطفة، وتوازن بين الإيتوس والباتوس من جهة وبين اللوغوس من جهة أخرى، بل غالبا ما ترجح كفة الأول والثاني على الثالث، طالما أن الهدف من الخطاب أن نحمل الآخر على التصديق بشيء بالصورة التي يبدو معها في وضعية "المخبر على التصديق". هذا الرهان نعثر عليه في كل الوضعيات التواصلية الدعائية كما في أغلب المناقشات العادية. ففيها يتم اللعب باستمرار بالاستراتيجيات الخطابية بغرض إضفاء المصدقية على الذات المتحدثة، وشدّ انتباه المتلقي.

أما مصطلح "الاقتناع"، فمن المؤسف أن الاستعمال الشائع يوظفه مسندا إلى الطرف الآخر في الوضعية التواصلية، أي المخاطب أو المتلقي المزمع إقناعه، كما في عبارات من نوع: "سأحاول أن أجعلكم تفتنعون"، "ينبغي في النهاية أن يقتنع". والحال أن "الاقتناع" يجب أن يختص بالدلالة على حالة اليقين التي يوجد عليها المتحدث كأن يقول مثلا: "لقد اقتنعت بأن..." أو "قناعتي تتمثل في...". وتبعاً

لذلك، يمكننا القول إن الإقناع موجه نحو الـ"أنت"، في حين أن الاقتناع موجه صوب الـ"الأنا". بيد أن الاستعمال الشائع لا يفيدنا هنا البتة، لأن بإمكاننا أن نتحدث عن "اقتناع الآخر" تماما كما يمكننا أن نقول: "أقنعت نفسي بأن...". وهو ما يفيد بأن بإمكاننا أن ننسب الاقتناع والإقناع كليهما إلى ذاتنا. على أنني أرى من منطلق ذاتي أن الإقناع يتناسب، كما ذكرنا سابقا، مع رهان التأثير الرامي إلى حمل الآخر على مشارطتنا "فعلا اعتقاديا" معينا، وأن هذا الأمر يقتضي توظيف سيرورة حجاجية مناسبة، في حين أن الاقتناع يلائم نمطا معرفيا يصف حكما (*jugement*) معينا، لذلك يتم توظيفه كاستراتيجية لحمل الآخر على تبني هذا الحكم، عبر ما يصطلح عليه بـ "قوة الاقتناع".

من هذا المنظور، ولما كان الحجاج مجرد نمط من أنماط النشاط اللغوي، يضيف على الخطاب نظاما معينا، فإنه لا يمكن أن يخضع لأي حكم حول قيمة الاستدلالات والحجج التي يوظفها. فليس بإمكاننا الحديث، كما هو جار في الاستعمال الشائع، عن حجة جيدة أو حجة رديئة في ذاتها، ولا أن نقول عن استدلال إنه صائب أو خاطئ في ذاته، ولا عن تحليل إنه مثالي أو خاطئ في ذاته؛ لأن الاستدلالات والتحليلات تخضع لسيرورة معرفية تضم بعض العمليات المنطقية التي تحتاج، لكي يصادق عليها أو يحكم على كونها جيدة أو قبيحة، إلى أن تندرج ضمن إطار يحكمه رهان تواصلية. فإذا كان الرهان هو التفسير، فإن الحكم على "وضوح" العرض التفسيري يرتبط بالكيفية التي تنتظم بها العمليات السببية التي تقاس بدورها بدرجة فهم المتلقي (كما في التعليم). أما إذا كان الرهان هو البرهنة، فإن دقة الاستدلالات هي الكفيلة بالحكم على "صحة" العرض البرهاني، تلكم "الصحة" التي تقاس قيمتها ودرجتها بناء على قدرتها على الصمود أمام برهنة مضادة<sup>1</sup>. وإذا ارتبط الرهان بالإقناع، فإنه يتم الاستناد إلى قوة الحجج (عقلية كانت أم عاطفية) في الحكم على "فعالية" الفعل الإقناعي والتي تقاس بدورها بناء على التأثير الذي تحدثه الحجج في المتلقي<sup>2</sup>. إن الحجاج بالنسبة لي هو مفهوم عام، والرهانات التواصلية هي

<sup>1</sup>. عملية الحجاج المضاد لا توجد ضمن العرض التفسيري إلا إذا أردنا اصطناعه.

<sup>2</sup>. وهنا لا يمكن لأي حجاج مضاد إلا أن يكون سجاليا طالما أن الأمر يتعلق بمعارضة "صواب معين" بصواب آخر. "لقد تطور براديجم التواصل الإقناعي بشكل خاص داخل الولايات المتحدة الأمريكية، والأبحاث هناك تسعى

التي تحدد ما إذا كان حجاجا تفسيريا، أو برهانيا، أو إقناعيا<sup>1</sup>. ورهان الإقناع هذا هو الذي سوف أقوم بمعاينته في مجال الخطاب السياسي، بما أنني اعتبرت أن صحة حجة ما تتعلق بالرهان الذي يؤطرها، وهو الرهان الذي يرتبط بدوره بالوضعية التواصلية التي تُنفذه.

### عن الإقناع في الخطاب السياسي:

لنذكر بأن المجال السياسي هو الحقل الذي تمارس داخله مختلف علاقات القوة الرمزية الساعية إلى الظفر بالسلطة وتدير شؤونها. على أن هذه السلطة لا يمكن ممارستها إلا إذا تأسست على شرعية مكتسبة وممنوحة، وإن كان هذا بدوره لا يكفي لأن الذات السياسية الباحثة عن الشرعية تحتاج كذلك إلى أن تظهر بمظهر المصادقية وأن تتمكن من إقناع أكبر عدد من الأفراد بضرورة تقاسم بعض القيم المشتركة. وهو ما يجعل الهيئة السياسية محكومة بمنظور مزدوج قوامه تكوين فكر سياسي مطالب بأن يمثل نظاما قيميا مثاليا، من جهة، وتدير الآراء والتحكم فيها بغرض تحقيق الإجماع، من جهة ثانية. وإلى جانب ذلك، نجد أن عملية ضبط الآراء هذه تمارس في اتجاهين اثنين: مع النخبة ومع الجمهور؛ فمع النخبة يتعلق الأمر بتوحيدها خلف مشروع حكامه مشترك يقتضي إقامة تحالفات مع مختلف الأحزاب والقطاعات التي تنتمي إليها هذه النخب، بالاستناد إلى خطاب الوعد (أو التهديد). ومع الجماهير من أجل الحصول على "السيادة الشرعية" بالصورة التي تحدث عنها ماكس فيبر (*Max weber*)، بالاستناد

لإيجاد حل لصعوبة كبيرة واجهت البحوث التي انصبحت حول الحجاج المستلهم من التقليد البلاغي في مجال السيمياء وتحليل الخطاب. هذه الصعوبة تكمن، خصوصا بالنسبة للخطابات التي تنتج عن وضعية التلفظ الأحادي، في التمفصل المعقد بين الآثار المستهدفة والآثار الناجمة أو بين المتلقي المثالي الذي يشيده الخطاب والمتلقي الفعلي. ومع ذلك يبقى أن هذا التمفصل هو الذي يتحكم في التحقق المنتظر لأهداف التأثير". كلود شابرول (*Claude CHABROL*)، ضمن مقال "إقناع" *Persuasion* الوارد ضمن كتاب:

Dictionnaire d'analyse du discours, op.cit.

<sup>1</sup>. هذا التمييز يجعلني اختلف عن بيرلمان (Perelman) (1970)، الذي بتحديد موضوع الحجاج في "دراسة التقنيات الخطابية التي تتيح زيادة إذعان العقول للأطروحات التي نعرضها عليهم"، لا يفصل بين ما ينتمي إلى التقنيات الخطابية العامة وما يدخل ضمن سرورة التأثير.

إلى الخطابات التي توجب عاطفة مشتركة تجاه إنسان أو مشروع. إن الهيئة السياسية، كما أسلفنا، تجد نفسها موزعة بين السياسة (*la politique*) والسياسي (*le politique*)، بين رؤية مثالية تنتج أنساقا من القيم، ورؤية تداولية تستند إلى خبرة العلاقة مع الآخر لتمتد من التأثير فيه. إننا أمام أقصى درجات تذويت (*Subjectification*) السياسي، وهو تذويت تتشابك فيه، كما بين ذلك العديد من مفكري السياسة من طوكفيل (*Tocqueville*) إلى فوكو (*Foucault*) ودولوز (*Deleuze*)، العاطفة بالعقلانية، والتواريخ الفردية بالتواريخ الجماعية، والمجال العمومي بالمجال الخاص، والعقيدة بالسياسة، والجنس بالسلطة. هذا إلى جانب أن ما يشكل أساس رأي سياسي، من وجهة نظر الفرد - المواطن، هو بالدرجة الأولى نوع من الغريزة النابعة من أعماق التاريخ الشخصي لكل واحد. وبعد ذلك فقط ينبثق نوع من العقلنة يرمي إلى تبرير تلك الغريزة وإضفاء الشرعية الاجتماعية عليها بحسب ما تقتضيه أخلاق العيش داخل المجتمع والتي تتأرجح بين التداولية والمثالية.

هكذا يجد رجل السياسة نفسه في وضعية هدفها الأساس هو الحث على الفعل والذي يولد لديه الرغبة في الحصول على تأييد أكبر قدر ممكن من الجمهور. وبموجب ذلك، يجد نفسه مطالبا بأن يوظف الاستراتيجيات التخاطبية المتعلقة، في نفس الآن، بالكيفية التي يتمثل بها الرأي العام، وكذا بالكيفية التي يعتقد أن الرأي العام وبقية الفاعلين السياسيين - حلفاء كانوا أو خصوما - يتمثلونه بها، ثم بخطط إدراكه للأفكار (أو الأشخاص) التي يرى من الضروري أن يدافع عنها أو يتصدى لها.

لأجل هذه الغاية، سيتوسل بطرق إخراج الخطاب، والتي يتم توجيهها إما صوب أفكار بعينها من شأنها إثارة اهتمام أو عاطفة المتلقي نحوها، وإما في اتجاه بناء سمته الخاص بغرض جعل المتلقي يقبل على أفكاره ويتبناها بمجرد التعرف على صورته، وإما صوب المتلقي ذاته من خلال العمل على تأجيج مشاعره واستفارتها. والأكد أن كل هذا يمتزج داخل تيار الخطاب السياسي، فيتعدر علينا، أحيانا، أن نفصل بين المكونات المختلفة لآلية الإقناع هاته. فإذا ما استعدنا عبارة "الانكسار الاجتماعي" التي تلفظ بها ج. شيراك (*J. Chirac*) عام 1995، فسيتضح لنا أنها تستدعي بعض القيم الأخلاقية مثل المساواة

والتضامن، على أمل أن تؤثر في الفئة الأكثر تهميشا من فئات الشعب (مفعول الباتوس)، وفي نفس الوقت بناء صورة زعيم واعٍ بمآسي الناس ويريد وضع حد لها، في خطوة تدل على الكرم والسخاء (مفعول الإيتوس). -وهو ما يضيء، في نفس الوقت، نوعا من المصادقية على كاتب هذا الشعر - والكل ينتج داخل وهم عالم أكثر مساواة.

#### بعض خصائص الخطاب السياسي:

لننظر، إذن، في بعض الخصائص الحجاجية للخطاب السياسي، والتي منها ما هو عام جدا مثل "التبسيط" الذي يشرط بقية الخصائص؛ ومنها التي ترتبط بأنماط الاستدلال، والتي لها صلة بانتقاء القيم، ثم أخيرا تلك التي لها صلة باختيار الحجج.

#### شرط البساطة:

إن مواجهة الجمهور، أو بمعنى آخر مواجهة مجموعة أفراد متباينين ومتفاوتين من حيث مستوى تثقيفهم، ومن حيث قدرتهم على التزود بالمعلومة، ومن حيث قدرتهم على التفكير، ثم من حيث خبرتهم بالحياة الاجتماعية، يقتضي التركيز على القيم التي يمكن تقاسمها وبالأخص فهمها من لدن الغالبية العظمى، وإلا انقطعت صلتنا بهذا الجمهور. لهذا فرجل السياسة مطالب، إذن، بالبحث عن القاسم المشترك الأكبر بين أفكار الجماعة التي يخاطبها، مع بحثه عن الطريقة المثلى لتقديم هذه الأفكار.

فالتبسيط ليس أمرا يسيرا، كما أنه ينطوي على مخاطرة كبيرة. فهو ليس سهلا أو يسيرا لأن الأفكار تنتظم في شكل أنساق من المعارف والاعتقادات<sup>1</sup> التي تشابك فيما بينها بصورة تجعل عرضها - أي الأفكار - معقدا. فالعالم معقد، ومجال التفكير معقد، وسيرورة تشكل الآراء معقدة؛ والتبسيط، يعني محاولة اختزال هذا التعقيد إلى أبسط تعبير له، وهنا مكن الخطر، لأن التبسيط قد يؤدي إلى حقيقة

<sup>1</sup>. للوقوف على الفرق بين أنساق المعرفة وأنساق الاعتقاد، ينظر:

Charaudeau, (1997) et Le discours politique, op.cit.

مغلوطه، إلى حقيقة غير مثبتة، بل وإلى حقيقة مناقضة؛ صرّح جون ماري لويان (Jean-Marie *le Pen*) قائلاً: "إن معاهدة ماستريخت تمنح حق التصويت للأجانب ومن ثم لكل الذين يتمكنون بطريقة شرعية أو غير شرعية من عبور حدودنا".<sup>1</sup> هكذا يتضح أن شرط التبسيط يؤدي دائماً إلى بتر قليل من الحقيقة.

### أنماط الاستدلال:

هذه خاصية ثانية من الخصائص الحجاجية الموظفة في الخطاب السياسي، وهي تتعلق بأنماط الاستدلال الأكثر استخداماً.

إذا أخذنا بعين الاعتبار رهان الإقناع، فإن الأمر لا يتعلق بالنسبة لرجل السياسة بلورة استدلال منطقي يهدف إلى التفسير أو البرهنة بقدر ما يتعلق بتبيان قوة الدليل؛ بمعنى أنه لا يستهدف الحقيقة بقدر ما يستهدف المصادقية؛ ولا يهتم بقول "ما هو حقيقي"، ولكن بما "يعتقد أنه حقيقي"، وعلى المتلقي أن يعتقد أنه فعلاً حقيقي. إن رجل السياسة يجد نفسه ملزماً بالخضوع لشرط التبسيط الحجاجي الذي يقوده إلى اقتراح استدلال سببي بسيط بالاستناد على معتقدات قوية يُفترض أن يشاركه فيها أكبر عدد ممكن من الأفراد، والعمل على تعزيزها وتقويتها من خلال عرضها بكيفية يتعذر تفاديها.<sup>2</sup>

إلى جانب ذلك، نعثر داخل الخطاب السياسي بشكل خاص على نوعين من الاستدلال السببي؛ يسمى الأول استدلالاً إثيقياً، لأنه يتخذ من الغاية مبدأ للفعل: "لأنكم ترغبون في فرنسا قوية، ستصوتون لصالح مشروع ليبرالي"<sup>3</sup>؛ لم يُصرح هنا بضرورة القيام بفعل (التصويت) بغاية الحصول على شيء ما (فرنسا قوية)، بل الذي وُضع أولاً هو المبدأ ("فرنسا قوية") والذي يقتضي ضرورة (ضرورة إثيقية)

<sup>1</sup>. «Discours du serment de Reims», Présent, 11, 12 et 14 septembre 1992.

<sup>2</sup>. في خطاطة تولمين Toulmin (1994)، هذه المعتقدات المفترضة تقاسمها تناسب مع "قانون العبور" الذي يتخذ كـ "ضامن" أو كـ "احتياط".

<sup>3</sup>. الصياغة هي دائماً من نوع "لأن كذا... سوف...".

إتيان فعل محدد (التصويت). هذا النمط من الاستدلال، الذي لازال يُنعت بالمبدئي، يستهدف حمل الأفراد على الإذعان لفكرة بسيطة ستشكل مبدأ انخراطهم في المشروع السياسي المقترح عليهم. النوع الآخر من الاستدلال، المسمى تداوليا، يضع مقدمة تستلزم إما نتيجة حتمية نسبيا وإما تتوخى تحقيق هدف: "إذا قمنا بتخفيض الضرائب، فإننا سنرفع من القدرة الشرائية"، "صوتوا يوم الأحد من أجل إقناد الجمهورية"<sup>1</sup>. فهذا الضرب من الاستدلال يهدف إلى حمل الأفراد على الاعتقاد بأنه لا توجد نتائج أخرى ممكنة غير تلك المصرح بها، أو ليس هناك هدف آخر يمكن رصده غير ذلك الذي تم التلفظ به. يحدث إذن نوع من الانزياح المنطقي من "سببية ممكنة" نحو "سببية حتمية"<sup>2</sup>. إن الخطاب السياسي القائم على الاستدلال الإيثيقي يرمي إلى وضع الفرد أمام اختيار أخلاقي ("على ضوءه يتحدد الفعل المطلوب")، في حين يرمي الاستدلال التداولي إلى وضعه أمام مسؤولية معينة ("آية وسائل ينبغي التوصل بها لتحقيق أهدافه").

#### اختيار القيم:

هذه خاصية ثالثة، ترتبط باختيار القيم التي يجد رجل السياسة نفسه مطالبا بالعمل بها من أجل تقاسمها مع الجمهور الذي يتوجه إليه. قد نعتقد للوهلة الأولى أن هذا الاختيار لا يطرح أمامه مشاكل كبيرة، إذ يكفي أن يعمد إلى اختيار القيم التي تناسب قناعاته الشخصية وقناعات أشياعه. بيد أن الأشياء ليست بهذه البساطة، لأن هذه الاختيارات سرعان ما تصطدم بعدد من العقبات.

أولها، عقبة تعددية القيم؛ فنحن نعلم أن رجل السياسة الذي يرغب في الوصول إلى السلطة أو المحافظة عليها، في حاجة إلى إجماع بالأغلبية من قبل الرأي العام. بيد أنه من النادر أن يكون هذا

<sup>1</sup>. الصياغة هنا هي من نوع "إذا... إذن... أو" هذا من أجل...، بالنظر إلى هذا".

<sup>2</sup>. عن هذا الانزياح، ينظر: Charaudeau (1992: 536)

الإجماع متجانسا، ما عدا في حالات خاصة جدا<sup>1</sup>. إن رأي الأغلبية المشكل للإجماع هو في الغالب الأعم نتيجة توافق بين آراء متباينة حول القيم السائدة في تلك الظرفية بالذات. ولقد شهدنا في أكثر من مرة رجالات سياسة انخبوا بفضل أصوات الأحزاب المعارضة، وهو ما يدل على أنه ليست كل القيم المعبر عنها في هذا الإجماع تتقاطع بالضرورة مع تلك التي يتبناها رجل السياسة، وبالتالي فهذا الأخير، مطالب، خارج قناعاته، باستدعاء قيم أخرى، تبدو له أكثر ملاءمة للغالبية العظمى من الرأي العام، لكن دون أن يتخلى عن قناعاته الخاصة، وإلا ترتب عن ذلك فقدانه لأنصاره. وقد حدث هذا الأمر بالفعل في فرنسا خلال الانتخابات الرئاسية لسنة 2002، حيث أن حملة ل.جوسبان (*L.Jospin*) ركزت حينها على قيم الوسط أكثر من تركيزها على قيم اليسار، ففقدت جزءا كبيرا من أصوات ناخبها. هذا الأمر يحتم على رجل السياسة تحقيق شرط الملاءمة مع قيم الأغلبية -أو على الأقل ما يعتقد أنها كذلك-، دون أن يتناقض مع نفسه.

ثمة عقبة أخرى تتجلى في كون القيم يمكنها أن تتغير تبعا لمجريات تاريخ دولة ما فتتغير معها الآراء المرتبطة بها. وهذه يمكن أن يعاد تعريفها لتتنوع بالتالي بشكل مختلف بين أحزاب الآراء. والحال ذاته ينطبق على القيم التي تنتمي إلى تراث الحضارة<sup>2</sup>؛ فقد بثن شعب ما العودة إلى التاريخ وإلى الماضي عندما يتعلق الأمر بالدفاع عن قيم السيادة الوطنية في مواجهة تهديدات فقدان الهوية التي يجسدها الإغلاء من شأن قيم فيدرالية أو عولماتية تعرض نفسها باسم الحضارة، وهذا ينطبق على مواقف اليسار كما على مواقف اليمين. إلا أن هذا الاستنجاد بالتقليد والماضي يمكن أن يحكم عليه بالرجعية حينما

<sup>1</sup>. من قبيل أزمة اجتماعية خطيرة تستوجب التفاف جميع أفراد الشعب حول زعيم كبير أو مبدأ حرية محمي بشكل مؤقت كل رأي آخر.

<sup>2</sup>. هذا السؤال تمت معالجته في مؤلفنا:

Le discours politique. Les masques du pouvoir, op.cit, dans chap. VII.2,  
«Les imaginaires de vérité du politique».

يُستخدم لتبرير بعض الممارسات من قبيل الإقصاء أو التصفية العرقية، أو ينظر إليه، في أفضل الحالات، كموقف محافظ حينما يستخدم لحماية الممارسات الإقطاعية.

لقد مضى زمن كانت فيه السيادة الوطنية تجسد قيمة مشتركة بين الغالبية العظمى من شعوب أوروبا، أما اليوم فلم تعد ذات جدوى، إذ تم استبدالها بقيم ذات طابع جموي وإقليمي (حركات الاستقلال والتحرر داخل الدول- الأمم). وإلى عهد قريب، كان هناك تعارض جذري بين قيم التقدم الاجتماعي وقيم التقدم الاقتصادي. الأولى، وهي التي كانت تتبناها، بالخصوص، أحزاب اليسار، تجسد المساواة الاجتماعية؛ أما الثانية، وهي التي ترتبط بالخصوص بأحزاب اليمين، فتمجد الرجح، مصدر ثراء المجتمعات. بيد أن الوضع قد اختلف اليوم، حيث وافق المناخون عن القيم الأولى على ضرورة إدماج قيم تنتمي إلى اقتصاد السوق، شرط إنتاج الموارد، التي بدونها لن يكون هناك ما يمكن تقاسمه. كما أن المناخين عن القيم الثانية صاروا على وعي بضرورة إدماج قيم تنبع من مبدأ الإنصاف، الذي هو شرط ضروري لإقرار السلم الاجتماعي. أما فيما يتعلق بمبدأ الحرية، فسيتم تدريجياً الدفاع عنه أو محاربه من طرف هؤلاء وأولئك، بحسب ما إذا كان يطبق في مجال امتلاك الحق في الجسد وحرية التصرف في الحياة (أقراص، إجهاض، موت رحيم)<sup>1</sup>، أو في مجال الاقتصاد (التبادل الحر)، أو في مجال الشغل (حرية التسريح) أو في مجال الزراعة (حرية الإبداع ضد الهيمنة التجارية)، الخ.

إن صعوبة وصف القيم تزداد تدريجياً بربطها بكيفية ثابتة بآراء معينة، أو بجماعات أو بأحزاب يمينية أو يسارية، حتى مع بقاء بعض الاعتراضات قائمة؛ فلا يتأتى لنا ملاحظة وتحليل ووصف هذه القيم إلا بطريقة تدريجية<sup>2</sup>. ويمكننا القول من باب التذكير فقط أن هذه الأخيرة يمكن وصفها تبعاً لتباين المجالات: مجال المبادئ الكونية المؤسسة للسعادة الاجتماعية مع قيم الحرية، والمساواة، والتضامن؛ ومجال

<sup>1</sup>. لنذكر بما قاله ج.م.لوبان (Le Pen) بهذا الخصوص: "إن التأكيد الذي مقتضاه أن جسدك هو ملك لك

مثير للسخرية. إنه، بالأحرى، ينتمي إلى الحياة، مثلما ينتمي، في جزء منه، إلى الأمة".

<sup>2</sup>. "تدرجياً" تعني هنا بحسب متغيرات فترة تاريخية ما، والسياق الثقافي والوضعية السياسية.

المبادئ الهوياتية مع قيم السيادة (وطنية أو جهوية)، والانتماء الديني، أو العرقي، أو الإيديولوجي؛ ومجال المبادئ المتحكمة في الحياة الاقتصادية مع قيم الربح، والحق في الشغل والإنصاف؛ ومجال التقدم التكنولوجي مأخوذاً في بعده الذي يخدم مصلحة الأفراد وضد تأثيراته الضارة؛ ومجال مبادئ الحياة الاجتماعية مع قيم العدالة المنصفة، وتأمين الممتلكات والأشخاص؛ وأخيراً مجال مبادئ الحياة السياسية مع قيم الشرف خاصتها - تلك التي يحق لنا أن ننتظرها من رجال السياسة - وقيم الصدق التي تتطلب نوعاً من المطابقة بين الأقوال والأفعال، وقيم المسؤولية في وظيفة الحاكم والوفاء بالتعهدات.

### الحجج:

وهي خاصية رابعة تتعلق بما من شأنه أن يمنح بعض القوة لفعل الإقناع: أي حجج الإثبات، التي يمكننا أن نتحدث بخصوصها عن أشكال متنوعة، لكننا سنكتفي بذكر الأكثر تردداً من بينها، مادام بعضها الآخر لا يستعمل بأية حال في مجال الخطاب السياسي<sup>1</sup>.

وأولى هذه الحجج، حجة تضمين البداهة، وهي تقوم على تذكير المتلقي بقوة القيم المشتركة، وبما يمكن أو يجب قبوله أو رفضه، كما في الحالة التي يقول فيها رجل سياسة: "لا يمكن ألا نرغب في إيقاد الجمهورية" (الجمهورية لها قيمة كونية)، "إن التدخل الإنساني تبرره حالات الابتزاز التي تجسدها التصفية العرقية التي تقوم بها الحكومة الصربية" (لا يمكننا أن ندع ضحايا فعل إجرامي يتزايد)؛ وذلك وفقاً للإكراهات التي أتينا على ذكرها، والتي تتسبب اختيارنا للقيم.

<sup>1</sup>. سنعمد على المؤلف الذي يصنف فيه ك. بلونتان (C.PLANTIN) (1996) أنواع الحجج: فالـ"حالة بحالة" لا يمكن استعمالها ضمن الخطاب السياسي لأنها تتعارض مع قاعدة البساطة التي أسلفنا الحديث عنها؛ كما لا يمكننا استعمال "وجهة النظر النسبية"، لأن هذه تفترض الإقرار باحتمال صدق وجهة نظر أخرى غير تلك التي ندافع عليها، وهي مسألة شبه ممنوعة داخل الخطاب السياسي؛ ولا يمكن توظيف "الموقف المضاد" الذي يفترض أنه يلزمنا تقديم تنازل في مقابل الحصول على تنازل آخر (هذا متداول باستمرار في المفاوضات، لكن لا يتم التصريح به مطلقاً) (ص50)، إلخ.

وثاني الحجج، هي تلك التي تحيل على إيتوس الخطيب<sup>1</sup> والذي قلنا عنه أنه يُستخدم كحامل لتعريف المتلقي به. ونحن نتحدث عن إيتوس التوضيح والتحكم بالنسبة للخطيب، كحين، يلجأ، مثلا إلى تبرير يقوم على ثقل الظروف ومعاكستها<sup>2</sup>: "لا نستطيع أن نخفي بأن العالم الحديث قد انخرط في سيرورة عوالة اقتصادية. السؤال يبقى حول إمكانية التحكم فيها"؛ وإيتوس التعهد والذي يتبدى في التعبير عن الرغبة في الفعل "لقد استمعت إليكم، وأتعهد بتغيير معطيات السياسة"، "سوف أسخر كل طاقتي وإرادتي في سبيل تحقيق هذه السياسة الجديدة"، "أتعهد، أمام الشعب الفرنسي، أنه عندما يصل (FN) إلى السلطة، كل هؤلاء البلطجية واللصوص، لن يُجبروا على أداء الثمن فقط، بل على إعادة ما نهبوه"<sup>3</sup>. وإيتوس متعلق بالسلطة يركز على التذكير بمشروعيتها ومصداقيتها: "إنني وباعتباري منتخبا، ممثلا للشعب، أطلب بوضع رئيس الجمهورية موضع اتهام"، "أتم تعرفونني، وكل من يعرفني يعلم أنني ما سعيت يوما نحو الاعتناء الشخصي"، أو إيتوس يرتبط بسلطة شخص آخر، "والواقع أنني، في هذه القضية بالذات، أمتلك الدعم الكامل لرئيس الجمهورية".

وهناك، أخيرا، حجج موجهة لإضفاء مسحة درامية على مشهد الحياة السياسية، من خلال لجوئها إلى عالم العواطف. ذلكم العالم الذي ليس غريبا بالمرّة عن مجال العقل، ما دام بدوره يخضع للتعديل من خلال نوع من العقلنة البعدية التي تحوله إلى عالم مبني اجتماعيا: "في كل تجربة عاطفية، [يوجد]

1. ينظر، ضمن هذا الكتاب، مقال مارتل وتوربيد (Martel et Turbide) حول الأساليب البلاغية مثل

الدحض الاستباقي (ص201-202)، والاستدراك (ص201) والتناقض (ص200).

2. بالفعل، فالخطاب السياسي لما لم يكن في مقدوره أن يكون حتميا، فقد استدعت الضرورة، عند مجابهته لإكراهات سلبية ما، أن يعرب عن وسيلة لصدها أو عن نيته في مقاومتها.

3. هذا المثال يعود ل ج.م. لوبان (Le Pen) وباقي الأمثلة الموالية استلهمناها من كتاب م. سوشارد ومساعديه

(M. Souchart et al) الموسوم بـ:

«Le Pen. Les mots. Analyse d'un discours d'extrême-droite, Le Monde éditions, Paris, 1997.

عقل<sup>1</sup>. وبذلك فثمة "مشاعر عاطفية" تتحرك داخل هذا العالم، وبحكم اتصالها بالبعد العاطفي للأفراد، فإنها تأخذ صورة درامية، تبعاً لسيناريو معد للتأثير في الجمهور إن سلبا أو إيجابا. فالخطاب السياسي -وهو ليس الوحيد- يلجأ إلى هذا الإخراج الذي يتبع فيه السيناريو الكلاسيكي للحكايات الشعبية وقصص المغامرات: وضعية أولية تصف شرا معيناً، ثم تأتي مرحلة تحديد علة هذا الشر، وبعدها مرحلة إصلاح هذا الشر عبر تدخل بطل طبيعي أو خيالي. إن الخطاب السياسي الذي يبحث عن انخراط الجمهور إما في مشروع أو في فعل، أو الذي يسعى إلى ثنيه عن الانضمام إلى مشروع منافس، يشدد بشكل خاص على الفوضى الاجتماعية التي يكون ضحيتها هو المواطن، كما على مصدر الشر الذي يجسده في خصم معين، وعلى الحل المُخَلَّص الذي ليس سوى رجل السياسة صاحب الخطاب. فالفوضى الاجتماعية يتم تقديمها هنا بوصفها حالة واقعية أو حالة محتملة: في الحالة الأولى، يتعلق الأمر بإقناع الجمهور بأن وجود شرٍّ ما والحالة التي عليها الضحية هما أمران قائمان ولا يحتاجان إلى إعمال نظر؛ في الحالة الثانية، بالمقابل، يتعلق الأمر بخلق حالة من الترقب تستوجب التفكير في الوجود المحتمل لشر ما، ينتج عنها نوع من الخوف المولد للقلق. كما أن مصدر الشر قد يتم تقديمه بصورة محددة واضحة أو بصورة ضبابية: تمثل الحالة الأولى في تجسيد الشر مثلاً في شخص معروف بالاسم ("صدام حسين"، هذا الشيطان!) أو في مجموعة معروفة بانتمائها إلى حركة حزبية (الـ RPR، ذلك الحزب المافياوي، الذي يمارس الإقصاء<sup>2</sup>)؛ أما الحالة الثانية، حالة الصورة الضبابية، فترتبط بتقديم مصدر الشر في الجمل بصورة تختزله في زاوية مبتسرة ضيقة ("الهجرة، ذلك الشر الذي ينشر الرعب"). أما الحل المُخَلَّص فيقوم على اقتراح تدابير من شأنها إصلاح الشر الموجود. وهو ما يستوجب من المدافع عن هذه التدابير أن يظهر بمظهر الإنسان الصادق، المتع، وأن يحاول تشييد صورة قوية عن نفسه كمتقذ، والهدف من وراء ذلك أن يجد فيه الجمهور ذلك الإنسان الذي سيخلصه من الشرور المحذقة به فيتعلق به بشكل كلي. وهذا إنما يدل على أن الصورة المكونة عن الذات (الإيتوس) محممة في الخطاب السياسي.

1. Eggs (2000).

2. J. M. Le Pen, *ibid*.

كذلك نسمع عن استعمال حجج التهديد الضمني، تلك التي تعرض الخطر الذي قد ينجم عن عدم القيام بالاختيار الجيد: "إذا لم ننتهز فرصة تشكيل أوروبا الموحدة، فإن ما سينجم عن ذلك ليس فقط إضعافها أمام قوة الولايات المتحدة، وإنما إضعاف دولتنا أيضا"<sup>1</sup>، أو تعبر عن مأزق: "اليسار أو اللامن"، "اليمين أو الإقصاء"، "دوغول (De Gaulle) أو الفوضى". ولا شك أن الحجج التي تلجأ إلى الحط من قيمة الخصم، بالتهجم عليه مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، تكون أكثر عدوانية: "أنت لا تمتلك ذرة من أخلاق"، "ثمة من يحرضكم على الامتناع. ألن يكون هناك أي رأي عن أوروبا؟"، أو وضعها موضع تناقض: "منذ فترة قريبة، كنتم ضد أوروبا ماستريخت (Maastricht)، واليوم أتمتمجدون حسناتها"؛ "لم ينقض وقت طويل حين كنتم ضد تقليص الفترة الانتخابية إلى خمس سنوات واليوم أتمتمجدون هذا المشروع".

#### الأساليب:

نستطيع أن نلاحظ أن بعض الأساليب التي وُضعت خصيصا لخدمة الخصائص التي أتينا على ذكرها، والتي وإن لم تكن حكرًا على الخطاب السياسي وحده، فهي تتردد فيه أكثر من غيره. سنذكر بصفة خاصة أساليب الأفراد أو الإغراب، والتحديد الماهوي والممانعة.

يكن أسلوب الأفراد في تجنب تعدد الأفكار، الذي قد يفضي إلى نوع من الالتباس بالنسبة لعقول لم تألف التأمل الفكري. إن التعبير عن فكرة يمكنه أن يكون<sup>2</sup>، في نفس الوقت، دليلا على الوضوح، ويجعل تركيز المتلقي وانتباهه منصبين على هذه الفكرة الواحدة والوحيدة. وإلا شرد المتلقي وتشتت انتباهه في كل اتجاه، ذلك لأن "كثرة الأفكار تقتل الفكرة". وقد تمكن أحد المعلقين على الحملة

<sup>1</sup>. وتسمى أيضا حجة "وضع الأصبع الصغير في الترس" (بلونتان Plantin، 1996:45). وحجة "وضع الرجل في الباب" (بوفوا Beauvois، 1987: الفصل 4).

<sup>2</sup>. استعملنا هنا صيغة شرطية، لأن مطلب الوضوح نابع في حد ذاته من تصور، هو تصور البساطة.

الانتخابية لـ. جوسبان (*L. Jospin*) من توظيف هذه المقولة المذكورة للرد على البرنامج الانتخابي لليسار بالقول: "إن هذا المشروع الذي تعرضونه يتضمن مقترحات عديدة لكنه لا ينطوي على أفكار"<sup>1</sup>. أما التحديد الماهوي فغالبا ما يرافق الأسلوب الأول. وهو يمثل في الملمة وتجميع أطراف فكرة ما وتكثيفها داخل مفهوم يمكنه أن يقوم بذاته، بصورة طبيعية، مثل ماهية، في استقلال عن أي شيء آخر عدا نفسه. ولأجل ذلك، فهذه الفكرة تقدم نفسها في صيغة إسمية، كما هو الحال مثلا مع مفردة "هجرة" التي يوظفها ج. م. لوبان (*J. M. Le Pen*)، بحكم أنها تختزن بداخلها فكرة تقيد أن المهاجرين يجتاحون المجال الفرنسي ويمثلون تهديدا [لدولة فرنسا]: "الهجرة، هي خراب دولتنا"، "الهجرة هي سبب البطالة". ولفرط استعمال هذه الصيغة الإسمية في سياقات معينة، أصبحت حاملة لشيء يوجد بذاته، بطريقة مطلقة، فافرض نفسه بصورة لا مناص منها. فيغدو الفكر حينئذ في غير ما حاجة لأن يتساءل حول تعقيد هذه الظاهرة.

إن هذا الأسلوب المزدوج، المشكّل من الأفراد والتحديد الماهوي، يفسح المجال لظهور عبارات متباينة من حيث التأثير والسداد. وكلما كانت العبارة موجزة وفي نفس الوقت مشحونة دلاليا، بشحنة دلالية تضم فكرة أو عدة أفكار يتم تحديدها ماهويا وإضفاء مسحة ضبابية عليها في نفس الوقت، إلا كانت لها قوة جذب أكبر. هذا على الأقل ما تقرّه إحدى الفرضيات السيكلوسوسولوجية التي ترى أننا ننجذب إلى فكرة بصورة أكبر متى كانت هذه الفكرة غير محددة بدقة<sup>2</sup>. والصياغة التي من هذا النوع، والتي أفردت لها بحوث عديدة، تستهدف في الأصل خلق مفعول البدهة.

<sup>1</sup>. Le Monde du 05/06/02.

<sup>2</sup>. كلما كانت فكرة ما دقيقة، إلا وأبقت من يتلقاها خارجها، بينما كلما تم تعريفها بشكل ضبابي، تركت للذي يتلقاها مجالا واسعا لكي يتأملها. هذه فرضية وضعت من لدن ج. بودريار (Baudrillard) ضمن: De la séduction (1979).

وهناك، أخيراً، أسلوب المائة، ونعثر عليه بكثرة داخل الخطاب السياسي، حيث من شأن مفعول المقارنة أن يحدث أثراً قويا: ومن أمثلة هذا الأسلوب نذكر المائة بوقائع حدثت بالفعل (كما لو تعلق الأمر بفقهاء القانون): "تذكروا إضرابات سنة 95، التي كانت نتيجة سياسة منسلطة"، "في كل مرة تُتخذ فيها مبادرة سياسية حول قطاع محني أو اجتماعي معين، من دون استشارة المعنيين بالأمر، تحدث حركات احتجاجية قوية وإضرابات حادة"؛ كذلك هناك المائة بأحداث من الماضي، وهي تلعب هنا دور مرجع مطلق: "لا يمكننا أن نقبل فكرة أنه كانت هناك معسكرات اعتقال في البوسنة" (بماتلة بالمعسكرات النازية)، "أمريكا لن تعرف فيتنام جديدة". ويمكن للمائة أن تكون أيضا بشخصيات تاريخية كبرى: "دوغول (*De Gaulle*) ينبغي أن يتقلب في قبره" (مانديس فرانس *France Mendès*). كل هذه الأساليب تساهم مجتمعة في منح الخطاب السياسي مظهرا عقلانيا، مع أن تأثيره يظل عاطفيا.

إن الخطاب السياسي يزخر بالأساليب التي من هذا النوع، والتي يطمح من خلالها إلى التأثير في الجمهور؛ ومن جملتها، توظيف المفردات، التي وإن كانت قد تولدت في سياق معين، فقد تم انتزاعها منه وتوظيفها بصورة مطلقة، دون أن نتبين من وظيفها، ولا المعنيين بها، ولا لأي غرض وُظفت، مثل: "الهجرة"، و"التضامن"، و"الهشاشة"، و"العرق"، و"الأمن" (وتقيضه "اللأمن")، و"العولة" (وتقيضها "العولة المضادة")، وكل الكلمات المنتهية باللاحقة *isme*. وإلى جانب هذا الأسلوب، يتم اللجوء أيضا إلى توظيف الصيغ المركبة المسكوكة، المكونة من اسم وصفة مثل: "القوة الهادئة"، "الجزائر الفرنسية"، "التصفية العرقية"، "المساعدة الإنسانية"، أو يتم توظيف اسمين بينهما تعلق، مثل: "جيل ميران (*Mitterand*)"، "اختلاف الأعراق"، "سيادة الشعوب". أو استعمال عبارات تنطوي على إضمار، فيتولد عن عدم اكتمال معناها مفعول المطلق، مثل: "لن يحدث هذا أبدا"، "النجدة، اليمين يعود"، "فرنسا للفرنسيين". كما يتم استعمال جمل تعريفية تقدم نفسها، على غرار الحُكم والأمثال والأقوال المأثورة، في ثوب حقيقة عامة، بل إن بعضها تبدو كما لو كانت أحكاما أو قرارات: "القائد لا يتخلى عن جنده وسط المعركة"، "الفوضى انتهت"، وبعضها الآخر يركز على السبب: "اللأمن هو أول جرح في جسد مجتمعا"، "الهجرة، تعني البطالة"؛ وبعضها يلعب على وتر المفارقة: "كلنا يهود ألمان"؛ وبعضها

يراهن على التخيير الزائف: "دوغول أو الفوضى"؛ وبعضها أخيرا، هو تحصيل حاصل، يراهن على الإطناب الواضح في خلق مفعول التعريف الحاسم: "فرنسا هي فرنسا وستظل دائما فرنسا"، "فرنسا لا تكون بحق فرنسا إلا إذا كانت ذاتها"، "في الحرب كما في الحرب"، "العدو، هو العدو"، "اليهودي يهودي". وأخيرا، توظيف عبارات التعجب، التي هي ضمنا إما وصفية أو سردية، والتي تحمل في طياتها نوعا من الإدانة: "منظمة الدول الأمريكية، نازية"، أو عملا سينجز: "منظمة الدول الأمريكية ستنتصر"، "جيسكار (*Giscard*) إلى المحكمة!"، "الفاشية لن تمر!"، "السلطة ينقصها الخيال!"، "مارسوا الحب، لا الحرب!"، إلا إذا تعلق الأمر بفعل إنجازي حيث الفعل ينجز من داخل القول ذاته: "أنا، رئيس الجمهورية، أعلن حلّ التجمع الوطني".

هذه الأساليب المذكورة تسهم مجتمعة في إحداث مفعول شعار دعائي كالذي نلقيه في الخطاب الإشهاري مع فارقٍ يمثّل في كون شعار من قبيل "لوريال (*L'Oréal*)، الشباب الأبدى"، لا يحدّد أحدا في ما يتعلق قوة الحقيقة التي يدافع عنها: فنحن لا نعترف له إلا بقوة الحلم والإثارة<sup>1</sup>. بالمقابل، "الهجرة، مكمّن داء عصرنا هذا" هو شعار يمكن أن يتمتع بقوة حقيقة بالنسبة لمن يريد تصديق تحديده الماهوي. ومع ذلك، يصحّ أيضا أن نقول إن الشعار يهدف، في حالة كما في أخرى، إلى أن يُؤلّد في أولئك الذين يتلقونه تأثيرا عاطفيا مغلفا بوهم عقلائي، بالنظر إلى أن المعنى الذي يمرره ينطوي في ثناياه على دافع عاطفي يتجاوز كثيرا ما يصدح به علانية.

خاتمة:

ينبغي أن نكون على بينة من أن الخطاب السياسي يشتغل بالدرجة الأولى وفق منظور يرمي إلى الحث على التفكير أو الفعل، أكثر مما يهدف إلى البرهنة. فالأمر يتعلق بالبحث عن تغيير (أو تعزيز) الآراء المنفّعة بالمشاعر، أكثر منه بتأسيس حقيقة قائمة على العقل ومستقلة عن الآراء. وعلى ذلك يمكن

<sup>1</sup>. هذا الجانب من الحلم والإثارة تم طرّقه في مقال لأدم (Adam)، ضمن هذا الكتاب تحديدا (ص107)، خصصه للخطاب الإشهاري.

القول أن الخطاب السياسي إنما يتأرجح في اشتغاله بين نظام العقل ونظام العاطفة، مازجا في بوتقة واحدة بين اللوغوس، والإيتوس والباتوس، حتى يتسنى له الإجابة عن السؤال الذي يُفترض أن يطرحه المواطن، وصيغته: "ما الذي يحملني على أن أتبنى هذه القيمة أو تلك؟" بالنسبة لرجل السياسة، المسألة تتعلق باستراتيجية في اختيار القيم وبطريقة عرضها. الكل يمتزج إذن في هذه الذاتية؛ لكن يمكننا مع ذلك أن نميز داخل سيرورة انبناء الخطاب السياسي ملامحه المخصصة لتقديم صورة معينة عن الذات (الإيتوس)، وتلك المنذورة للتأثير في الجمهور انطلاقا من إخراج درامي معين (الباتوس). ولذلك، ينبغي أن ننكب على تحليل الخطابات لنتمكن من رصد هذه الملامح وتحديدتها بدقة، إذا كنا نريد أن نتعرف على ما يمثل قوتها في التأثير.

وفي نفس الاتجاه، وحتى نستعيد الفرضية التي وضعناها في البداية، نرى أنه لا يمكننا الحكم على استدلال معين بأنه رديء أو خاطئ في المطلق، لأن الحكم على صحة حجة ما، ينبغي أن يتم داخل إطار وضعية تواصلية وانطلاقا من الرهان الذي يحكمها. إلى جانب أن هذا الحكم يختلف بدوره بحسب ما إذا كان ينصب على التناسق الداخلي للاستدلال، المرتهن بدوره بالاختيار القيمي الذي قامت به الذات التي تحاجج، أو ينصب على التأثير الذي يمكن أن يُحدثه فعل الإقناع في المتلقي. وهو أمر يصعب توقعه، وفي جميع الأحوال لا يمكن قياسه على ضوء الدقة الحجاجية. من الأكثر تناسقا، هل هو الأكثر صوابا أم الأقل مغالطة: (1) "التصويت لصالح شيراك يعني إنقاذ الجمهورية" أم (2) "التصويت لصالح شيراك، يعني هدم أسس الجمهورية"؟ في جميع الأحوال، لقد كان الاختيار الأول (1) هو الأكثر تأثيرا بعد إجراء الدور الأول من الانتخابات الرئاسية الفرنسية لشهر أبريل 2002.

## Références:

- AMOSSY.R, (2000), L'argumentation dans le discours. Discours politique, Littérature d'idées, Fiction, Paris, Nathan – université.
- ARISTOTE (1991), Rhétorique, trad.fr, Paris, Tel-Gallimard.
- BAUDRILLARD.J, (1979), De la séduction, Paris, Galilée.
- BEAUVOIS. J. L, et R.V. JOULE (1987), Petit traité de manipulation à l'usage des honnêtes gens, Grenoble, Presses universitaires de Grenoble.
- CHABROL.C, (2002), « Persuasion », dans P. CHARAUDEAU et D. MAINGUENEAU, Dictionnaire d'analyse du discours, Paris, Le Seuil.
- CHARAUDEAU.P, (1992), Grammaire du sens et de l'expression, Paris, Hachette.
- CHARAUDEAU.P, (1997), Le discours d'information médiatique, Paris, Nathan-Ina.
- CHARAUDEAU.P, (1998), « l'argumentation n'est peut-être pas ce que l'on croit », Revue Le Français aujourd'hui, n° 123 (septembre), Association des Enseignants de Français.
- CHARAUDEAU.P, (2004), Tiers, ou es-tu ? A propos du tiers du discours », dans Les non dits du discours. La voix cachée du Tiers, Paris, Vuibert.
- CHARAUDEAU.P, et D. MAIGUENEAU (2002), Dictionnaire d'analyse du discours, Paris, Le Seuil.
- CICERON (1966), De l'orateur, trad.fr, Paris, Les Belles Lettres.
- COPI.I, et K.BURGESS-JACKSON (1986), Informal Logic, New Jersey, Prentice Hall.
- DOMENACH.J-M, (1950), La propagande politique, Paris, Presses universitaires de France.

- 
- EGGS.E, (2000), « Logos, ethos, pathos, l'actualité de la rhétorique des passions chez Aristote », dans C. PLANTIN et al, (dir.), Les émotions dans les interactions, Lyon, Presses universitaires de Lyon, p.15-31.
  - PASCAL.B, (2001), De l'art de persuader, dans Œuvres complètes IX, Paris, Gallimard.
  - PARLEMAN.C, et O. OLBRECHTS TYTECA (1970), Traité de l'argumentation. La Nouvelle Rhétorique, Bruxelles, Editions de l'université de Bruxelles.
  - PLANTIN.C, (1990), Essais sur l'argumentation, Paris, Kimé.
  - PLANTIN.C, (1966), l'argumentation, Paris, Seuil.
  - ROUSSEAU. J.J, (1966), L'Emile ou de l'éducation, Paris, Flammarion.
  - SOUCHARD.M, et al, (1997), Le Pen, Les mots. Analyse d'un discours d'extrême-droite, Paris, Le Monde éditions.
  - TOULMIN. S. E, (1994), les usages de l'argumentation, Paris, Presses universitaires de France.
  - VAN EEMEREN.F et R.GROOTENDORST (1996), la nouvelle dialectique, trad. Fr, Paris, Kimé (1<sup>re</sup> éd : 1992, Argumentation, communication and Fallacies).



# حوار العدد

## عز البلاغة أو الخطابة في عصر العولمة

حوار مع الباحث المغربي محمد الولي

حاوره مبارك حنون

### أولاً. ميلاد البلاغة الجمالية

س: هل يمكنكم أن تحدثونا عن شروط نشأة البلاغة و/ أو الخطابة، وصلات هذه النشأة بحسم الخلافات بين الناس والبحث عن سبل التعاون والتشارك أو سد الباب أمام الحوار والعمل على الإخضاع والامتثال؟ وما صلة البلاغة بما يسمى بالفصاحة والحجاج؟

ج: تزامن ميلاد البلاغة أو الخطابة مع حاجة الإنسان إلى الحوار مع أخيه الإنسان وترجيح كفة حل المشاكل باستعمال اللغة لا العنف. هذا يعني أن البلاغة هي مظهر من مظاهر اجتماعية الإنسان. فلا تجمع ولا تعاون بين الناس إذا كان العنف هو الوسيلة الوحيدة التي تتوسل بها لتدبير الخلافات الإنسانية العملية أو العاطفية بين بني البشر. فحينما تسيح البلاغة تنكشف على نفسها وحينما ينعدم الشخص الذي تقنعه بالحقيقة فإنها تبتكر خصوماً وتبتكر خصومات وتبتكر ظروف تلك الخصومات. وبهذه الطريقة تتحول الفصاحة إلى تمرين إنشادي خالص. إن الخطباء والمخاطبين يستمتعون ويعجبون بالصياغة المصنوعة واللامعة للخطاب أو لإنشاده الجيد. إلا أن الخطاب يقتصر على الألفاظ ولا يجيل على أية

فكرة واقعية. إن المعيار الأرسطي يطبق بشكل مزيف، ألم يقل أرسطو "إن خطاباً لا يكون موضوعه هو الإقناع يمثل حالة متناقضة". "حيث يوجد الطغيان تنعدم البلاغة الحوارية التي تقتضي الاعتراض

وتقبله، إن الاستبداد يقبل البلاغة الامتثالية والريائية". ففي الوقت الذي تقرر فيه خلال تدبير خلافاتنا الكف عن اللجوء إلى القوة ونختار بدل ذلك اللجوء إلى الحوار نكون قد انتقلنا من حال التوحش إلى حال الخطابة أو البلاغة. ولهذا فالبلاغة خاصة إنسانية، بكل ما تعنيه كلمة إنسانية من معان. بالخطابة نعالج مشكلاً ما خلافاً أو محيراً، مشكل لا يلتقي الحل على الصعيد العملي أو العلمي. الخطابة أو البلاغة هي فن قبول التعامل الحوارية مع الآخر. إنها فن الكف عن اعتبار تصوراتنا ورغباتنا هي وحدها التي ينبغي وضعها موضع تنفيذ وفرضها على الآخرين. إن الوضعية الحوارية أو الخطابية أو البلاغية هي فن البحث عن الوسط الذي يحظى بالقبول.

## ثانياً. بلاغة المحسنات

س: نعم، لكن ما صلة هذه البلاغة التي تحدث عنها بما يسمى ببلاغة الإمتاع اللغوي؟

ج: ومع أن البلاغة هي في أصلها حجاجية إقناعية كما بين ذلك الكلام السابق، فإن الحجاج كان وما يزال يتوسل بكل الوسائل التي توفرها اللغة، فلأجل أن نجعل المخاطب يهتم بكلامنا ويعتني به تمهيداً للإقناع فإننا نتدرج بمجموعة من العبارات الجميلة التي تثير شهوته الاستطبيقية أو الشعرية. إلا أن هذه الاستراتيجية الثانوية يمكن أن تهيم على الخطاب وحينئذ يكف الكلام أن يكون خطابة أو حجاجاً لكي يغدو شعراً. ولكي يصل الخطاب إلى هذا المقام ينبغي أن يتصل من مهمة التوصيل. هنا يصبح الخطاب غاية في ذاته. لكي تنحصر مهمته في الوظيفة التي تدعى عند المعاصرين الوظيفة الشعرية أو الأدبية أو اللعبية وتدعى أيضاً بلاغية. وحينما ينظر إلى هذه الوظيفة من زاوية تاريخ الخطابة أو الحجاج فإننا نقول إن هذه ازدهرت مع تراجع ندية المتخاطبين أو المتحاورين وسيطرة أو سمو أحدهما على الآخر. لا سبيل هنا للجدل أو الاعتراض أو الرد.

باختصار لا سبيل هنا إلى مقارعة الحجة بالحجة. تمثل هذه حالة الحاكم المطلق الذي لا يطبق من الخطابة إلا ما كان مدحاً وإطراءً وتقخيماً. لاحظ ذلك في كل الخطب المناسباتية. وعكس ذلك الخطابة التي تخرج عن القيم التي تتمتع بالقبول العام أو السائد.

## ثالثاً. الجور الديموقراطية للبلاغة الجمالية

س: هل يعني هذا أن البلاغة لم تمت ولن تموت؟ وماذا يعني بعض الدارسين بالبلاغة الجديدة، وهي جديدة بالنسبة إلى ماذا؟

ج: يقال إن البلاغة قد ماتت في المجتمعات القديمة مع موت الديمقراطية الأثينية. لقد أفرزت الديمقراطية الأجناس الخطابية الثلاثة المشهورة: **القضائية** التي تتخذ موضوعها من محاكمة المتورطين في قضايا تدبير أمور الشعب. مثال ذلك المرافعة لمحاكمة المستبدين أو المتهمين بالسطو على أملاك الشعب أو التخاذل والتخلي عن الجنود وسط المعارك الوطنية الكبرى؛ و**الاستشارية** تتعلق بالمرافعة في الدفاع أو الاعتراض على هذا المشروع أو ذاك مما يخطط تنفيذه في المدينة الأثينية. و**الاحتفالية** وهي تتفرغ لمدح عطاء الدولة والتنويه بأعمالهم الكبرى ومناقبهم والطنن في خصومهم. وهذه الأجناس الخطابية الثلاثة كلها نشأت وترعرعت في كنف الديمقراطية، وماتت بموتها. وهي التي وضع لها أرسطو نظريته المشهورة في كتابه **الخطابة**، وهو الكتاب الذي يعتمده البلاغيون اليوم في دراسة كل أشكال الخطاب، أديباً كان أم حجاجياً أم إيديولوجياً أم إشهارياً أم دعائياً. بل إن هذا الكتاب يُعتمد حتى في مجال دراسات العلوم الإنسانية. باختصار إن البلاغة تتدخل حيناً نواجه أموراً لا تحل عن طريق العلم. أو أنها تنتسب بالأصل إلى الدائرة الإنسانية الذاتية.

## رابعاً. التلازم بين انهيار الديمقراطية وبين انهيار البلاغة الجمالية

س: هل يعني هذا أن البلاغة لم تمت ولن تموت؟

ج: لقد تزامن موت البلاغة مع نهاية الدولة الديمقراطية وقيام دولة الاستبداد وظهور المسيحية التي لا تعترف بالتعددية وتعتبر الحقائق واحدة وخالدة وما على الإنسان إلا أن يسلم بها ويطبّقها. وهذه عبارة

عن مثل وقيم مسبقة خالدة. إنها أشبه بالمثل الأفلاطونية. وفي وضعية مثل هذه لا يمكن للبلاغة أن ترى النور ناهيك عن الازدهار.

## خامساً. انبعاث البلاغة في العصور الحديثة

س: وماذا يعني بعض الدارسين بالبلاغة الجديدة، وجديدة بالنسبة إلى ماذا؟ وهل جديدة حقاً، أم أنها قديمة بثياب جديدة؟

ج: ما كانت البلاغة أو الخطابة لتستعيد أفساسها إلا بعدة أمور هي:

1. ثورة وسائل الاتصال فقد وفرت فرصاً للتواصل لا عهد للإنسانية بها. علينا أن نفكر في الصحافة والتلفزيون والقنوات التي تبث في نفس الآن برامج في عدة لغات. وأخيراً الإنترنت التي تعتبر ثورة داخل الإعلام المعاصر.

2. الثورة الديموقراطية التي أعادت الاعتبار للإنسان وحقه في التعبير عن رأيه كيفما كان هذا الرأي. وكون الفكر المعاصر يشدد بشكل لم يسبق له مثيل على حق التعددية على الصعيد الشخصي والاجتماعي والثقافي، فلأنه يوفر فرصة، أو الحق على الأقل، لأي متكلم بأن يكون صوته مسموعاً ومحسوباً.

3. انهيار كل الأفكار المتكلسة والمسبقة والحاسمة مسبقاً لكل النقاشات الكبرى. المقصود بهذا انهيار الإيديولوجيات. وصاحب هذا الوضع عدم بروز إيديولوجيات جديدة حاسمة. لقد أسقط الفكر الحاسم النازية على سبيل المثال والإيديولوجيات العنصرية جنوب إفريقيا. كما انهارت المنظومة الفكرية التوتاليتارية الأمريكية.

4. إغراق السوق العالمية بالبضائع التي تفيض عن الحاجات الإنسانية وحتم ذلك ازدهار إيديولوجية ديكتاتورية الاستهلاك. وصاحب ذلك ازدهار الإشهار لأجل إقناع المستهلك بحاجات وهمية والسعي تبعاً لذلك إلى إقناعه بضرورة الاستهلاك. لمثل هذه العوامل ازدهرت البلاغة بشكل لم يسبق له مثيل بالنسبة إلى الإنسانية.

إن الخطابات التي توجه إلينا تحتل كل الأحياز والأزمان. يكفي فتح المذيع لكي تتأكد من ذلك. إن النشرة الإخبارية الأشد موضوعية تتحايل بالآف الطرق لتمرير رسائل لا تعد ولا تحصى وهذه رسائل إيديولوجية أو استهلاكية. لم يعد ذلك مجالاً للبراءة؛ بل إن الشوارع التي كانت محمياً لنا في يوم من الأيام لأجل اللقاء والتواصل والتجوال أصبحت اليوم تضيق بالملصقات الإعلانية والدعائية والبضائع المعروضة.

وهذا الفيض الإعلاني هو واحد فقط من وريثة البلاغة التقليدية. وإذا أضفنا إلى هذا المدرسة والجمعيات والتنظيمات السياسية والمهنية أدركنا المجال الرحب الذي يعيش فيه الإنسان محاصراً بهذه الخطابة العتيقة التي استبدلت الشكل واحتفظت بالمحتوى.

5. ولأمر ما فإن البلاغة لن تموت. فما دامت هناك حاجة البعض من الناس إلى التحكم في البعض الآخر لإقناعهم بفكرة أو بجدوى هذه البضاعة أو تلك؛ بل إن مجرد رغبة الإنسان في التواصل البريء مع أخيه الإنسان لهو موقف خطابي ممتاز. ففي طبقات هذه الرغبة التواصلية البريئة مثل الشعر والرواية والسينما والتشكيل والنكتة والطرفة هناك أفكار يمكن أن تكون هدامة لبني البشر. وليست هذه المحتويات شيئاً آخر إلا الخطابة.

6. إلا أن هذه البلاغة التي تهمين على كل المحافل والتي طالما استقبلت كضيف ثقيل وشر لا بد منه، بدءاً من أفلاطون إلى العقلانية الديكارتية والتجريبية الإنجليزية والمادية الماركسية. هذه البلاغة العملية لن تتمكن من الكشف عن مقدار صوابها وزيفها إلا بالأداة المدعوة بالبلاغة النظرية.

## سالم. الحلقة العربية في تاريخ البلاغة

س: ما مدى مساهمة العرب القدامى في صياغة نظرية البلاغة بشتى هومها وأبعادها؟ ألا ترون أن هنا وضعا غير متوازن بين البلاغة الحجاجية والبلاغة المحسناتية عند العرب، وما سبب ذلك في رأيكم؟

ج: المؤسف أن العرب الذين اشتهروا بالفصاحة ويكونهم خطباء لا يشق لهم غبار لم يخصوا البلاغة الحجاجية بنظرية علمية كما حدث في الحاضرة الأثينية. والواقع أن وضعية البلاغة الحجاجية عند العرب لا يمكن أن تقارن بنظيرتها عند اليونانيين. ففي التجمعات الشعبية التي كانت مفتوحة في وجه كل المواطنين بدون استثناء لم يكن أخذ الكلمة فقط مباحاً؛ بل إن الناس كلهم كانوا ملزمين بالاستماع

والتزيكة أو المعارضة؛ لأن موضوع الخطابة كان يتعلق بأمر تهم الشعب كله. والحقيقة أن الخطابة أو هذا الفيض من الخطابة كانت تضع الناس كلهم في حالة من الندية التامة والمسؤولية الجماعية، لا فرق بين سقراط وبين أي شخص من العامة. وطبيعة الحال فإن طريق تحكيم اللوغوس بدل العصا لم يكن مفروضاً بالورود، فقد كان الثمن الذي يدفع في بعض الأحيان غالياً جداً فلنتذكر تصفية سقراط. ألم يكن ذلك تعليماً للعصا على العقل؟ ولكننا نتذكر في نفس الآن محنة أرسطو وألسبياد وغيرهم. هذه الحالة الفريدة لم تتكرر عند العرب على صعيد المؤسسات السياسية. فالتاريخ العربي حافل بالحالات التي وضع فيها نفوذ العصا فوق كل نفوذ؛ أي منطق "إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها". لقد

كان عنف الدولة يعوض في الكثير من الحالات الخطابة. كانت الثورات الشعبية هنا أو هناك هي الجواب العنيف عن نفس العنف. الواقع أنه في جو مثل هذا لا يمكن أن تزدهر البلاغة.

ومقابل هذا ازدهرت البلاغة المحسناتية أو بلاغة الشعر والخطاب الاستمئاعي التفتحي. وفي هذا المجال أنتج العرب أضخم بلاغة محسناتية في التراث العالمي. فلا يبدو أن هناك في التراث الغربي إنتاجاً يمكن أن ينافس كتاب عبد لقاهر الجرجاني أسرار البلاغة. نكتفي هنا بمثال عبد القاهر حتى لا نتحدث عن البديعيات في عصور الانحطاط العربي. فقد كانت بلاغة المحسنات شغلهم الشاغل ونحس مع هؤلاء أن المبدع لا يتكلم إلا لكي لا يقول شيئاً.

## سابعاً. البلاغة المعاصرة والعرب في العالم

س: وماذا عن البلاغة عند العرب المحدثين؟

ج: بالنسبة إلى العرب المحدثين فلا يبدو لي أنهم يتميزون ببلاغة ما عن المجتمعات الحديثة. والسبب يعود فيما أرى إلى كون هذا العالم المعاصر قد توحد منذ الثورة البرجوازية الاستعمارية. وهذا بالذات ما كان العلم الأمريكي ماكاً لوهاناً يقصد إليه حينما قال "إن العالم قرية صغيرة". بمعنى أن أدوات الاتصال قد قلصت المسافات. إلا أن تقليص المسافات قلص في الآن ذاته الاختلافات الثقافية. وتبعاً لذلك هناك قيم بلاغية أو خطابية موحدة. وهذا يعني أن الحوار بين ثقافات متباينة ممكن، كما أن حظوظ نجاح هذا الحوار ممكن.

فهذا النظام لم يوحد العالم وحدة جغرافية وحسب؛ بل جعل هذا المجال حيزاً لزرع نفس القيم المادية والجمالية. فما عجز عنه السلاح في هذا الميدان استكماله الفكر أو الإعلام ووسائل الاتصال؛ أي الخطابة. ولهذا فإن الحواجز الثقافية لم تعد تتمتع بتلك القوة الانغلاقية التي كانت تتمتع بها في السابق. إن هناك قيماً إيديولوجية وجمالية موحدة في هذا العالم المعاصر، وهي في عمومها قيم الرأسمالية المعاصرة التي انبثقت في أوروبا الغربية. وتتجسد هذه الوحدة العالمية في تلك المؤسسات الدولية. فلنلاحظ على سبيل المثال لا الحصر كيف نستعمل على الصعيد العالمي نفس القانون الدولي ونفس المؤسسات السياسية المدعوة بالديموقراطية. ونفس الإنتاجات الجمالية من قبيل السينما والمسرح والرواية ونفس الموسيقى ونفس النصوص الإشهارية ونفس اللوحات التشكيلية ونفس الأشعار؛ بل ونفس العملة ونفس الأسلحة ونفس الأدوية ونفس الأغذية.... إن البلاغة المعاصرة تتمح من هذا الرصيد المشترك بين كل الإنسانية. وحتى

في الوقت الذي يمكن أن ندعي بأننا في المجالات الثقافية الضيقة نستملك بلاغة مختلفة عن بلاغة غيرنا من الأمم فإننا نستطيع الزعم بأن مجرد اعتماد تقنية موحدة: الصحافة والراديو والتلفزيون والإنترنت، يجعلنا نؤكد أن المحتويات متناظرة حتى لا نقول متماثلة. إن أدوات الاتصال هذه تحمل معنى ما ومحتوى خاصاً بغض النظر عن الرسائل التي نحاول نحن تحميلها. إن مجرد الوقوف فوق المنصة في أحد المدرجات أمام حشد من المستمعين أوصل مضموناً ما قبل المبادرة إلى الكلام وبث الرسالة اللفظية. إن كل قناة توصيل توصل معنى مخصوصاً حتى قبل استعمالها. وهذه كلها قيم عالمية.

ومع هذا فإن بلاغتنا أي خطابتنا في العلم العربي لا تكون متميزة إلا بالقدر الذي ينفرد أو يعجز عن استعمال هذه الأدوات. فإذا كان العالم العربي عاجزاً عن استخدام الصحافة والكتاب والإنترنت على صعيد الاتصال الجماهيري المحلي وإذا كانت نسبة الأمية تتخطى حدود السبعين في المائة في بعض الأقطار العربية وإذا كانت المشاركة الديمقراطية مشروطة بسياسات لا حصر لها من القيود المثبطة فمن الطبيعي أن تغلب البلاغة والخطابة عندنا أشكال الإقناع التحسيني وحجج السلطة والحجج العاطفية المشددة على هوية الخطيب والمستمع أكثر من التشديد على الحجج التي تستند إلى المقومات العقلية أو التجريبية أو البرهانية وشبه البرهانية.

## حلوره مبارك حنون

## الترباطُ المعرفيُّ بين العلومِ وفهُودُ اللسانيات

أ.د. محمد غاليم

جامعة محمد الخامس، الرباط

*mobaghalim@gmail.com*

### الملخص:

قطعت اللسانيات الحديثة شوطاً كبيراً من التطور على طريق الاندماج في الأنموذج المعرفي للعلم الذي أصبح يتيح تقدماً نوعياً في فهم شبكة العلاقات السببية الرابطة بين قدرات الذهن البشري المعرفية الطبيعية، بما في ذلك قدراته الفيزيائية والتصورية والإدراكية، كالقدرة الاجتماعية واللغوية ونظرية الذهن وغيرها. وذلك بفضل النتائج التي حققتها، وتحققها، مختلف العلوم المعرفية التي تدرس هذه القدرات، سواء أكانت علوماً طبيعية وفيزيائية أم نفسية واجتماعية وسلوكية، كالعلوم العصبية، وعلوم الحاسوب، والفيزياء، والعلوم النفسية والاجتماعية، وعلوم الأحياء الخلوية، والجزيئية، والوراثيات، والأناسة الأحيائية، وعلم الرئيسات...

وهي نتائج ما فتئت تكشف عن تكاملٍ بين موضوعات هذه العلوم بالنظر إلى الترباط السببي الجوهرى القائم بين مختلف الظواهر المدروسة. وهو ما أصبح يملك من الدفاع عن موقف طبيعي جديد من مختلف العلوم ومن "توحيدها" على أساس ترباطي غير اختزالي. وتتبع خطوتين في رصد ذلك:

- تحديد المقصود "بتوحيد" العلوم في إطار موقف طبيعي جديد؛ وإبراز بعض سمات الأنموذج المعرفي القائم على الترباط السببي المشار إليه بين ظواهر الكون الذي يتشكل فيه الإنسان، وبعض مخرجات هذا الأنموذج المعرفية ومصادره وأهدافه الكبرى.

- تعيين بعض مظاهر اندماج اللسانيات المعرفية الحديثة في هذا الأنموذج بتقديم أمثلة من التفاعل عبر الوجاهات بين مكونات النسق اللغوي وباقي الأنساق الإدراكية والتصورية التي تُشكّل بنية الذهن/الدماغ الشاملة وتختص العلوم المختلفة المذكورة آنفاً بدراستها. وهي مظاهر اندماجية تعكس، أولاً، فهماً أعمق لمكونات اللغات الطبيعية وخصائصها التصورية ومواردها التحليلية وأصولها العصبية؛ ثانياً، اهتماماً متزايداً ببلورة تصورات مقيدة وجاهياً لتصميم اللغة واكتسابها واستعمالها؛ ثالثاً، بحثاً عن الخصائص التي تألف، أو تختلف، فيها هذه الملكة وباقي الملكات الأخرى.

الكلمات المفاتيح:

أنموذج معرفي، موقف طبيعي جديد، ترباط سببي، لسانيات معرفية، وجاهات، نسق لغوي، أنساق إدراكية وتصورية.

## *Cognitive Correlation Between Sciences, Linguistics Example*

Pr. Mohamed Ghalim

Mohamed V University. Rabat

*mohaghalim@gmail.com*

### *Abstract:*

Modern linguistics has made a great development towards integrating into the cognitive paradigm of science, which has allowed qualitative progress in understanding the network of causal relationships between the natural cognitive faculties of the human mind, including its physical, conceptual and cognitive faculties, such as social, linguistic, mindreading and other faculties. This is thanks to the findings of various cognitive sciences studying these faculties; whether they are natural and physical or psychological, social and behavioral sciences, such as neurosciences, computer sciences, physics, psychological and social sciences, cellular and molecular biology, genetics, bio-anthropology, primatology, etc.

These findings revealed a complementarity between the topics of these sciences due to the intrinsic causal interdependence that exists between the various studied phenomena. This makes it possible to defend a "new naturalistic" stance on various sciences, "unifying" them on an relational, non-reductive, basis. We follow two steps in accounting for this:

- Determining what is meant by "unifying" sciences in the context of a new naturalistic stance; and highlighting some features of the cognitive paradigm based on the aforementioned causal interdependence between universal phenomena that shaped human being; and some cognitive outcomes of this paradigm, its sources and major goals.

- Identifying some aspects of the integration of modern cognitive linguistics in this paradigm, by providing examples of the interaction across interfaces between components of the linguistic system and the rest of perceptual and conceptual systems that constitute the overall structure of the mind/brain and are studied by various sciences mentioned above. These aspects are integrative manifestations that reflect, firstly, a deeper understanding of components of natural languages, their conceptual properties, analytical resources and neural origins; secondly, growing interest in elaboration of interface-constrained conceptions of language design, acquisition and use; thirdly, searching for characteristics in which language differs from, or has in common with, other faculties.

### *Keywords:*

**cognitive paradigm, new naturalism, causal correlation, cognitive linguistics, interfaces, linguistic system, perceptual and conceptual systems.**

"علم نظرية أي ملكة أن توضح كيفية اتصال [تلا الملكة] بالملكات الأخرى"

جاكندوف (2015)، ص4.

"إن البحث في التأخر التصوري بين [القدرات المتخصصة] المعرفية هو الكفيل علم الأرجح بتسليخ الضوء على مظاهر التصور المعرفي البشري التي لا يمكن فهمها من خلال دراسة القدرات الفرعية وحدها".

باريت وكوسميدس وتوبي (2010)، ص524.

### توطئة

قطعت اللسانيات الحديثة شوطا كبيرا من التطور على طريق الاندماج في الأنموذج المعرفي (*paradigm cognitive*) للعلم الذي أصبح يتيح تقدما نوعيا في فهم شبكة العلاقات السببية الرابطة بين قدرات الذهن البشري المعرفية الطبيعية، بما في ذلك قدراته الفيزيائية والتصورية والإدراكية، كالقدرة الاجتماعية واللغوية ونظرية الذهن وغيرها<sup>1</sup>. وذلك بفضل التراكمات التي حققتها، وتحققها، مختلف العلوم المعرفية التي تدرس هذه القدرات، سواء أكانت علوما طبيعية وفيزيائية أم نفسية واجتماعية وسلوكية، كالعلوم العصبية، وعلوم الحاسوب، والفيزياء، والعلوم النفسية والاجتماعية، وعلوم الأحياء الخلوية، والجزيئية، والوراثةيات (*genetics*)، والأناسة الأحيائية، وعلم الرئيسات (*primatology*)، الخ.

وهي تراكمات ما فتئت تكشف عن تكامل بين موضوعات هذه العلوم بالنظر إلى الترابط السببي الجوهرى القائم بين مختلف الظواهر المدروسة. وهو ما أصبح يمكّن من الدفاع عن موقف طبيعي جديد (*new naturalism*) من مختلف العلوم ومن "توحيدها" على أسس ترابطي غير اختزالي. وتتناول في ما يلي:

■ أولا، ما نقصده "بتوحيد" العلوم في إطار موقف طبيعي جديد؛ وبعض سمات الأنموذج المعرفي القائم على الترابط السببي المشار إليه بين ظواهر الكون الذي يتشكل فيه الإنسان، وبعض مكسبات هذا الأنموذج المعرفية ومصادره وأهدافه الكبرى.

<sup>1</sup>. انظر تفاصيل ما نسميه أنموذجا معرفيا للعلم في غاليم، الأنموذج المعرفي إطارا لآصال العلوم، بحث في وحدة المنهج وترابط الموضوعات.

■ ثانياً، بعض مظاهر اندماج اللسانيات المعرفية الحديثة في هذا النموذج بتقديم أمثلة من التفاعل عبر الواجهات (*interfaces*) بين مكونات النسق اللغوي، ونخص "الدلالة اللغوية"، وباقي الأنساق الإدراكية والتصورية التي تُشكّل بنيةَ الذهن / الدماغ الشاملة وتختص العلوم المختلفة المذكورة آنفاً بدراستها. وهي مظاهر اندماجية تعكس فيها أعمق لمكونات اللغات الطبيعية وخصائصها التصورية ومواردها التحليلية (*processing resources*) وأصولها العصبية، واهتماماً متزايداً، في حقل النظرية اللسانية المعرفية، ببلورة تصورات مقيّدة وجاهياً لتصميم اللغة واكتسابها واستعمالها والبحث في الخصائص التي تأتلف، أو تختلف، فيها هذه الملكة وباقي الملكات الأخرى.

### 1. الموقف الطبيعي ومعنى التوحيد

إن الحديث عن الموقف الطبيعي، سواء عبر التاريخ أو في الوقت الراهن، يعني الحديث عن مجموعة من الأطروحات ومشاريع البحث، ذات الطابع الفلسفي أو العلمي، التي لا تشكل بالضرورة كلا موحدًا ولا منسجماً. وإذا وضعنا جانباً اختلاف هذه الأطروحات والمشاريع وما ينتج عنها من صعوبات التحديد، يمكننا أن نقول إجمالاً إن ما تقصده بالموقف الطبيعي الأطروحة الفلسفية القائلة إن كل العلوم يجب أن تعالج موضوعاتها، بما في ذلك الظواهر الذهنية والاجتماعية، باعتبارها موضوعات طبيعية. وينتج عن ذلك أن هذه العلوم مدعوة إلى التوحيد التدريجي وتجاوز التقسيم التقليدي بين علوم طبيعية وعلوم ذهنية (اجتماعية وإنسانية).

وتعود الدعوة إلى وحدة العلم (*unity of science*) في القرن العشرين، إلى أوطو نويرات *Otto Neurath* (1882-1945) مؤسس حلقة فيينا باعتبارها مؤسسة معبرة عن "الفلسفة الجديدة": "الوضعية المنطقية"، ورمزاً لهذه الفلسفة. وقد كان نويرات، خلافاً لكثير مما يشاع عنه، مدافعاً عن وحدة العلوم وعن تنوعها في نفس الوقت؛ أي كان صاحب موقف طبيعي، ولكنه رافض في الآن نفسه لاختزال مختلف العلوم في علم واحد كالفيزياء<sup>1</sup>.

وللتوحيد صيغ مختلفة تهمنا منها هنا صيغتان؛ صيغة اختزالية (*reductionnist*) وصيغة ترابطية.

1. Andler, D., (2011b).

### 1.1. الصيغة الاختزالية

تقوم هذه الصيغة على غزو فرع معرفي معين وإدماجه كلياً في الفرع الغازي. وتندرج في ما يسميه مكي وآخرون (2018) "أمبريالية علمية" تتعلق "بنوع من العلاقة المتعددة التخصصات يحتل فيها تخصص علمي مجال تخصص علمي آخر أو يفتحمه"<sup>1</sup>.

وتاريخ المحاولات الاختزالية في "توحيد العلوم" تاريخ غني كما هو معروف، قديماً وحديثاً؛ وليس هدفنا هنا الخوض فيه. لكننا نكتفي للتمثيل بإشارة مختصرة لمحاولة من المحاولات المعاصرة. ولتكن من النوع الجديد الذي لم يعرف بعد كماً كبيراً من المحاولات، وهو النوع المندرج في النظرية الكمية.

وتقصد محاولة ألكسندر فينت (2015) *Wendt* الساعية إلى "توحيد الأنطولوجيا الفيزيائية والاجتماعية" على أساس اعتبار الذهن البشري ظاهرة كمية. وذلك اعتماداً على الفكرة الرئيسة في كتاب زوهار ومارشال (1994) التي مفادها أن الذهن والحياة الاجتماعية من الظواهر الميكانيكية الكمية العيائية (*mechanical macroscopic quantum phenomena*) ولا تحكمها قوانين الفيزياء الكلاسيكية كما يُعتقَد.

ينطلق فينت (2015) من أن النظرية الكمية "أحدثت ثورة في وصف الواقع لدى علماء الفيزياء". ورغم أنهم ما زالوا حتى اليوم يناقشون ما هي النتائج بالضبط التي ينبغي استخلاصها من هذا الوصف، فإن النظرية، في اعتقاده، "طورت مجموعة من الثوابت الرئيسة المتفق عليها". من ذلك أنه بينما تُوافق الرموز الرياضية في الفيزياء الكلاسيكية خصائص الموضوعات والقوى المادية، فإنها في الفيزياء الكمية لا تمثل سوى احتمالات لوجود بعض الخصائص حين يتم قياسها. وعلاوة على ذلك، فإن هذه الاحتمالات الكمية، التي تعبر عنها "دالات موجية" ("*wave functions*"), تختلف تماماً عن الاحتمالات الكلاسيكية. فبينما تدل هذه الأخيرة على جملنا بما يجري فعلاً فتُعتبر بذلك أوصافاً ناقصة للواقع، فإن الأولى تشير إلى كل ما يمكن معرفته عن الأنساق الكمية. وبعبارة أخرى، فإن الدالة الموجية، رغم خاصيتها الاحتمالية، تُعتبر وصفاً تاماً للنسق الكمي، إلى أن تُقاس، وعندئذٍ "تهوي" فلا نلاحظ إلا نتيجة واحدة. هكذا، وخلافاً للفيزياء الكلاسيكية، حيث يمكننا أن نفترض بشكل موثوق

1. Mäki, U. and al. (eds), (2018), pp. 1-3.

به أن للموضوعات، مثلاً، قوة دفع أو موقفاً حتى عندما لا نلاحظها، فإننا في الفيزياء الكمية لا نملك أي أساس لمثل هذا الافتراض. "فالدالات الموجية واقع محتمل وليس فعلياً".

ورغم أن فهم الكيفية التي يؤول بها العالم الكمي غير المحدد إلى العالم الكلاسيكي المحدد - وهي العملية المعروفة باسم "إزالة الترابط الكمي" - تُعتبر من أعمق ألغاز نظرية الكم، فإن أهميتها المباشرة، في نظر فينت، أنه على الرغم من أن ميكانيكا الكم تستوعب الفيزياء الكلاسيكية، إلا أن ما يُعتدّ عموماً هو أن قابليتها للتطبيق العملي تقتصر على الجُسُيات دون الذرية. وفوق هذا المستوى، كان يُفترض منذ زمن طويل "أن الآثار الكمية تختفي، تاركَةً العالم للفيزياء الكلاسيكية باعتبارها وصفاً تقريبياً مناسباً للواقع العياني. ويشمل هذا الأخير الحياة الاجتماعية التي تقوم كل دراساتها المعاصرة، ضمناً على الأقل، على رؤية العالم المنبثقة عن الفيزياء الكلاسيكية".

بناءً على هذا يحاول فينت (2015) أن يستدل "اعتماداً على إعادة قراءة العلوم الاجتماعية" من خلال الكم، على أن هذا الافتراض المؤسس للعلوم الاجتماعية افتراض خاطئ". ويرى، بعبارة أكثر تحديداً، "أن البشر، ومن ثمة الحياة الاجتماعية، ظواهر تكشف عن تماسك كمي؛ أي أننا في الواقع، دلالات موجية متحركة. [...] [أو] أنساق كمية حقاً"<sup>1</sup>.

إن تحقيق تقدم واضح في إستمولوجيا العلم الاجتماعي الكمي رهين، تبعاً لفينت، بإيجاد أساس صلب لأنطولوجيا هذا العلم التي لم ينجز من الأعمال بصددها سوى القليل. ويعتقد أن محاولته تساهم في إيجاد هذا الأساس، وفي "حل مشكل الروح-الجسد، ومن ثمة توحيد الأنطولوجيا الفيزيائية والاجتماعية ضمن رؤية طبيعية للعالم، وإن لم تعد رؤية مادية"<sup>2</sup>.

## 2.1. الصيغة الترابطية

وهي صيغة أساسها الأولي الكشف عن مبدأ مشترك بين مجالين أو أكثر من المجالات العلمية التي كانت تعتبر من قبل مجالات مختلفة ومتباعدة. ومن الأمثلة التي توضح ذلك، توحيد الفيزياء والكيمياء

1. Wendt, Alexander, (2015), pp. 2-3.

2. Ibid. p. 283.

والأحياء في القرن التاسع عشر؛ وهي مجالات أصبحت تبدو بعد التوحيد بمثابة مناطق مختلفة لنفس الإقليم.

وخلافا للصيغة الأولى الاختزالية، تعبر الصيغة الثانية عن توحيد ترابطي تفاعلي يعكس المبادئ والخصائص الطبيعية والمطرودة المشتركة. فتتخذ وحدة العلم بذلك شكل شبكة تعددية منظمة، أو مُتَّصِلٍ (*continuum*) بين شتى أنواع التخصصات العلمية الرئيسة والفرعية. إنه توحيد أساسه تفاعل مكونات المعرفة العلمية في إطار نظرية شاملة للمعرفة مبنية على اندماج نتائج مختلف العلوم وتربطها السببي واتساقها؛ بعيدا عن اختزال الظواهر في هذا البعد أو ذاك، سواء أكان بعدا اجتماعيا-ثقافيا أم أحيائيا أم فيزيائيا<sup>1</sup>.

بهذا يسعى الموقف الطبيعي الجديد الذي تقصده هنا إلى وضع العلوم الاجتماعية والإنسانية، من حيث موضوعاتها، على مسافة من علوم الطبيعة مشابهة لتلك التي يمكن أن تفصل بين أي علمين طبيعيين. وهذا يعني أن علاقة علم النفس واللسانيات وعلم الاجتماع والأناسة، الخ. بالأحياء والفيزياء، الخ. لا تختلف من حيث المبدأ عن علاقة علم الفلك، مثلا، بالرياضيات، أو علوم الأرض بالفيزياء، أو الأحياء بالكيمياء. إنه مشروع يسعى إلى ربط العلوم الاجتماعية والإنسانية بعلوم الطبيعة عبر شبكة من الروابط التصورية أو التجريبية، تزداد كثافتها باستمرار مع تقدم المعرفة العلمية، وتسمح "بتجاوز المذهب الطبيعي ذي البعد الأحادي والخصائص الميكانيكية الطاغية، الموروث عن القرن السابع عشر الأوروبي"، كما يقول غار وهودسن (2017)<sup>2</sup>.

ولم يكن أوطو نويرات الذي ارتبطت به الدعوة إلى توحيد العلوم، كما أشرنا آنفا، بعيد عن هذا الموقف الطبيعي الجديد بصيغته التوحيدية الترابطية. فقد كان يرى أن وحدة العلوم تتجلى فقط في رفض تشعبها الجذري المفرط، وليس في فرض علم موحد جامع. فالوحدة التي كان يقترحها عبارة عن معيار منظم عقلائي لا علاقة له بالموقف الاختزالي الذي تبناه بعض رفاقه، وخاصة من تبعهم مباشرة.

لقد كان نويرات يُسأل، ويسأل نفسه: أين موقعه بين التوحيد والاستقلال المبدئي؟ فكان يجيب تارة بذكر "الموقف الموسوعي" ("*encyclopedism*") وتارة بذكر استعارة "التوزيع الموسيقي" أو "قيادة

1. Andler, D., (2011a).

2. Gare, A. and Hudson, W. (2017), pp. 129-130; Grantham, T. A., (2004), p. 134.

الجوقة الموسيقية" ("*orchestration*"). وهي استعارة استمدتها من محاضرة للفيلسوف الأمريكي هوراس كالن *Horace Kallen* ألقاها في المؤتمر الخامس للحركة من أجل وحدة العلم في هارفارد في 1939<sup>1</sup>. وتوحي هذه الصورة الاستعارية بجوقة سمفونية يعزف فيها كل عازف معزوفته وهو يسمع معزوفات الآخرين ويخفّض من قوة عزفه عند الاقتضاء؛ أو قد توحي أيضا بقائد جوقة موسيقية يتسّق الأصوات المختلفة في فرقة المنشدين. فما هو مطلوب ليس لحنا أحادي الصوت، ولكن المطلوب تناغم متعدد الأصوات، دائم التطور، سماته الواضح والتنبؤ وتحدد التصورات.

## 2. المعرفي رباطاً بين الماديّ والذهنيّ

أصبح الربط الذي أشرنا إليه، بين العلوم الإنسانية والاجتماعية وعلوم الطبيعة، أمراً يمكننا بفضل المكتسبات الحديثة الهائلة في العلوم المعرفية التي أصبحت تؤهلها للانطباق في المجال الإنساني-الاجتماعي؛ إلى جانب تطورات الموقف الطبيعي التي ارتبطت بذلك في الفلسفة (وفلسفة الذهن) والتي تنبأ بها فلاسفة على رأسهم كواين، الذي كتب في ستينيات القرن الماضي أن "المعرفة والذهن والمعنى" كيانات تشكل "جزءاً من نفس العالم الذي تتعامل معه، وأنه يجب أن تم دراستها بنفس الروح التجريبية التي تبث الحياة في العلم الطبيعي"<sup>2</sup>. وهي تطورات أدت إلى تكوّن أنموذج معرفي (*cognitive paradigm*) يشكل إطاراً للفكر والاستكشاف أو مشروعاً علمياً تعاونياً موسّعاً يجمع بين مباحث منفصلة أو مجزأة، في إطار واحد مندمج منطقياً للبحث في العلوم الطبيعية والنفسية والاجتماعية والسلوكية. وذلك على أساس أن المعرفي رباطاً بين المادي والذهني. فصفة المعرفي تشمل الذهنيّ وعمادته الماديّ وما بينهما؛ أي ليس فقط مجمل وظائف المعرفة البشرية ومحتوياتها وعمليات معالجتها وتحليلها وتخزينها واسترجاعها، ...، ولكن أيضاً، الأساس العضوي، ومن ثمة الطبيعي الفيزيائي، للآليات والبرامج الأحيائية التي تُمكن من تنفيذ تلك الوظائف والعمليات وتحققها<sup>3</sup>.

1. Neurath, O., (1983), ch. 22.

2. Quine, W. V. O. (1969), p. 26.

3. وقد ظهرت أصلاً آثار هذا الأنموذج الكبيرة في العلوم المذكورة، وما فتئت تزداد اتساعاً وعمقاً. ومن مظاهر ذلك أن أغلب علوم الإنسان والمجتمع، إن لم نقل كلها، أضحت تتضمن فرعاً معرفياً (*cognitive*)، وتشهد بناء نماذج (أو نمذجات) معرفية للظواهر التي تدرسها. وانظر أمثلة لبعض هذه النمذجات في:

Sperber, D. (2006), Tooby, J. and Cosmides, L. (2016).

لقد بين نيوتن أن القوة التي تدفع بالتفاحة إلى السقوط على الأرض هي القوة نفسها التي تُبقي القمر مشدوداً إلى مداره الفلكي. وكانت نظريته القائلة إن هناك مجموعة واحدة من القوانين تحكم حركة جميع الموضوعات في الكون، الحدث الأول في سلسلة من التطورات العظمى في الفهم الإنساني، هو حدث توحيد المعرفة، الذي سباه عالم الأحياء إدوارد أوزبورن ويلسن توافقا (*consilience*)<sup>1</sup>.

ومثلما حطم نيوتن الجدار الفاصل بين العالم الأرضي والعالم الفلكي، لم تعد الكائنات الحية وغير الحية تسكن عوالم مختلفة أيضاً. ففي عام 1628، بين ويليام هارفي أن جسد الإنسان آلة تعمل بالسوائل المتحركة (*hydraulic*) ومبادئ ميكانيكية أخرى. وفي عام 1828 بين فريدريش فوهلر أن مادة الحياة ليست مادة هلامية سحرية نابضة؛ بل مركبات عادية تتبع قوانين الكيمياء. وبين تشارلز داروين كيف أن التنوع المذهل للحياة وعلامات تصميمها المنتشرة في كل مكان يمكن أن ينشأ عن عمليات الانتقاء الطبيعي الفيزيائية بين المستنسخات. كما بين غريغور ميندل، ثم جيمس واتسون وفرنسيس كريك كيف يمكن فهم الاستنساخ نفسه من الناحية الفيزيائية.

فكان توحيد فهمنا للحياة وفهمنا للمادة والطاقة أكبر إنجاز علمي في النصف الثاني من القرن العشرين. وكان من بين نتائجه الكثيرة تقنين تصورات علماء الاجتماع والإنسانيات الذين وضعوا الكائنات الحية وغير الحية في كونين متوازيين. ونحن نعلم اليوم أن الخلايا لا تولد دائماً من خلايا أخرى، وأن انبثاق الحياة لم يخلق عالماً آخر بعد أن لم يكن هناك سوى عالم واحد. إن الخلايا تطورت من جزئيات مستنسخة أبسط، وهي جزء غير حي من العالم الفيزيائي، ويمكن فهمها على أنها مجموعات من الآليات الجزيئية، الهائلة التعقيد طبعاً، لكنها تبقى آليات مع ذلك.

إن العلم الذي دافع عنه بقوة بالغة الكثير من علماء الاجتماع والإنسانيات في القرن العشرين علم يفصل الفيزيائي/المادي عن الذهني، والأحيائي عن الثقافي، والطبيعي عن الإنساني/الاجتماعي<sup>2</sup>. ويرسم

وانظر، بخصوص بعض المعالجات اللسانية المعرفية في اللغة العربية. غاليم: المعنى والتوافق، مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي؛ النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، مبادئ ومخاليل جديدة؛ "النظرية الذريعية والكفاية المعرفية، أو نحو تفكيك معرفي للسياق"؛ "عن الكفاية التفسيرية في النظرية الدلالية"؛ "بعض مقتضيات الكفاية المعرفية في لسانيات الخطاب وتأويله"؛ "نحو تصور جديد للبحث اللساني المعرفي المقارن".

1. Wilson, E.O. (1998).

2. Pinker, S. (2002), pp. 30-31.

خارطة للعلوم الاجتماعية والإنسانية تشكل "خليطاً من المذاهب المتناقضة، بدون وحدة نظرية أو اتجاه واضح نحو التقدم؛ ومكوّناتها الرئيسة غير متأسكة بما يكفي"، بسبب إطار عملها التقليدي الذي سمي منذ 1992 بنموذج العلم الاجتماعي المعياري (*Standard Social Science Model*)<sup>1</sup>. وهو نموذج مبني على افتراضات عن طبيعة الهندسة النفسية والتطورية البشرية، من أبرزها أن الهندسة النفسية البشرية تتكون بالدرجة الأولى من آليات للتعلّم والتفكير عامة الغرض (*general purpose*)، ومستقلة عن المحتوى (*content-independent*)، ومتساوية الإمكانيات؛ أي أن الذهن صفحة بيضاء، بدون هندسات متخصصة صمّمها الانتقاء الطبيعي لتستجيب بكيّيات مختلفة للمُدخلات وفقاً لأهميتها التطورية. ويقدم هذا التصور النفسي المفترض تبريراً لدعوى تأسيسية جوهريّة، مفادها أنه مثلما لا تلعب قطعة الورق البيضاء أي دور سببي في تحديد المحتوى المسجّل عليها، فإن تصور الذهن باعتباره صفحة بيضاء يُسوِّغ الاعتقاد القاصي بأن التنظيم المتطور للذهن لا يلعب سوى دور سببي ضعيف في توليد محتوى الحياة الذهنية والاجتماعية البشرية. إن الذهن بقدرته التعلّمية يستوعب محتواه وتنظيمه بالكامل تقريباً من مصادر خارجية. وهي عملية اعتبرت مماثلة لعملية التسجيل بالكاميرا؛ إذ ينشأ محتوى التسجيل في العالم الخارجي، بينما لا تضيف آلية التسجيل أي محتوى خاص بها إلى المزيج الناتج. وقد سبق لأرسطو، كما هو معروف، أن عبّر عن هذا التصور بقوله: "ليس في الذهن شيء لم يكن أولاً في الحواس".

بهذا، ووفقاً للنموذج المعياري، تعتبر الظواهر الاجتماعية والثقافية التي تدرسها العلوم الاجتماعية والإنسانية مستقلة ومنفصلة عن أي تنظيم سببي دال يجد أصله في الآليات القالبية النفسية المتطورة لدى الإنسان. يقول إيميل دوركهايم: "لكن [الخصائص العامة للطبيعة البشرية] ليست سبب [الحياة الاجتماعية] وليست من يعطيها صورتها الخاصة؛ إنها تجعلها ممكنة وحسب. إن التمثيلات الجماعية والانفعالات والميول ليس سببها بعض حالات الوعي لدى الأفراد وإنما الشروط التي توجد فيها الجماعة الاجتماعية في كليتها. ويمكن طبعا لهذه الأعمال أن تتجسد فقط إذا لم تجد مقاومة من الطبائع الفردية؛ لكن هذه الطبائع الفردية ليست سوى مادة غير محددة تُقوّلها العوامل الاجتماعية وتُغيّرُها. إن مساهمتها

1. Tooby, J. and Cosmides, L. (1992), pp. 21-22; (2016), pp. 3-4.  
وانظر غاليم، "أي منهج لدراسة الظواهر الإنسانية والثقافية؟"، ص 14-16.

تنحصر في مواقف عامة جدا، وفي استعدادات غير واضحة المعالم ومن ثمة مرنة لا يمكنها، من تلقاء ذاتها وفي غياب تدخل عوامل أخرى، أن تتخذ الصور المحددة والمعقدة التي تتصف بها الظواهر الاجتماعية<sup>1</sup>.

فالتنظيم، تبعاً "للسهم السببي الدوركامي"، كما يسميه توبي وكوسميدس (2016)، يتدفق إلى داخل الذهن انطلاقاً من العمليات الجارية في المحيط الاجتماعي. والأهم من ذلك أن علماء الاجتماع اعتقدوا اعتقاداً راسخاً أن المحتوى لا يتدفق إلى الخارج انطلاقاً من التنظيم المتطور في ذهن الإنسان لتنظيم الثقافة والمحيط الاجتماعي. أما اليوم، فقد تم اختبار هذه الفرضية تجريبياً، وأبطلتها البحوث بكيفية مطردة<sup>2</sup> قننين أنه لا يمكن للذهن أن يكون صفحة بيضاء لأن الصفحات البيضاء لا يصدر عنها شيء؛ ولا بد أن يكون شيء ما فطرياً في الذهن حتى يتم التعلم. يجب أن يكون هناك شيء ما يرى عالماً مكوّناً من موضوعات (*objects*) وليس مشهداً من الجزئيات المشتتة. ويجب أن يكون هناك شيء ما يستنتج محتوى الأقوال اللغوية عوض ترديد بباغوي لأصواتها. ويجب أن يكون هناك شيء ما يؤول سلوك الناس على أنه أعمال قصدية هادفة عوض حركات عشوائية لاهتزاز الأرجل والأيدي. الخ<sup>3</sup>.

لقد نظر السلوكيون وعلماء الاجتماع البنائيون إلى الأذهان على أنها أغاز ومصادر تصويرية كان من الأفضل تجنبها لصالح "السلوك الصريح" أو "سمات الثقافة". لكن كل شيء تغير مع بداية تبلور الأنموذج المعرفي تدريجياً منذ خمسينيات القرن الماضي، على الأقل، من خلال أعمال أجيال العلماء من مختلف التخصصات الذين ساهموا في الثورة المعرفية المستمرة التي تزداد عمقا وتأثيراً في تصور مختلف ظواهر الكائن الحي في محيطه الكوني. وأصبح من الممكن الآن فهم العمليات الذهنية بل دراستها في المختبر. وولدت هذه الثورة المعرفية أفكاراً نجحت في تجديد طريقة تفكيرنا في الأذهان وحديثنا عنها.

ويبدو أن أبرز المصادر العلمية لهذه الأفكار وأهمها ثلاثة، هي فلسفة الذهن الحديثة القائمة على نتائج العلوم المعرفية، وخاصة منها العلوم العصبية والوراثية، وعلم النفس التطوري. وإلى جانب تقييد فرضية الصفحة البيضاء كما أشرنا آنفاً، نذكر من بين أبرز مكتسبات المصدر العلمي الأول (فلسفة الذهن الحديثة القائمة على نتائج العلوم المعرفية) ما يلي:

1. Durkheim, E. (1895/1982), pp. 130-131.

2. Tooby, J. and Cosmides, L. (1992), pp. 4-5.

3. وانظر مفهوم المعرفة النواة في غاليم، "المعرفة النواة دليلاً على استقلال الدلالة وبنيتها"؛ "بعض آفاق البحث الدلالي الجديدة، أو نحو كفاية تفسيرية في النظرية الدلالية"؛ "نحو تصور جديد للبحث اللساني المعرفي المقارن".

يمكن أن يُبنى العالمَ الذهني، المكوّن من المعاني والأفكار والمقاصد والبواعث، الخ.، في العالمَ الفيزيائي، من خلال تصورات تعبر عن عمليات فيزيائية على قدر كافٍ من الوضوح. ومن هذه التصورات على سبيل التمثيل لا الحصر: تحليل المعلومات (*information processing*) والحوسبة (*computation*)، والتجسّد (*embodiment*)، الخ.

● يمكن لكمية لا محدودة من السلوكيات أن تُولّد بواسطة برامج تأليفية محدودة في الذهن. فكل القدرات، ومنها اللغة، والمعرفة الاجتماعية-الثقافية، والموسيقى، والمعرفة العددية، ونظرية الذهن، الخ.، تقوم على أوّليات ومبادئ تأليف، أي على نسق تألّفي محدود القواعد يولّد ما لا نهاية له من البنّيات السليمة في القدرة المعنية.

الذهن نسق مركب مكوّن من أجزاء كثيرة متفاعلة. إنه ذو بنية قالبية (*modular*) قائمة على عدد من الأجزاء تتضافر لتوليد سلاسل الأفكار أو الأعمال المنظمة. ويملك أنساقاً متميزة لتحليل المعلومات، تتعلق بضمان حسن سير العمليات، ومهارات التعلم، والتحكّم في الجسد، وتذكر الوقائع، والحفاظ المؤقت على المعلومات، وتخزين القواعد وتشغيلها. وتعبّر هذه الأنساق التحليلية ملكات ذهنية تختص بأنماط مختلفة من المضامين، كاللغة والعدد والفضاء والموضوعات الحية.

ويتعلق المصدر العلمي الثاني بعلم الأعصاب، وخاصة علم الأعصاب المعرفي، ثم الوراثة السلوكية (*behavioral genetics*). أما علم الأعصاب المعرفي فهو دراسة الكيفية التي تتحقق بها المعرفة والعاطفة في الدماغ؛ من كيفية عمل الخلايا العصبية على المستوى المجهرى إلى الكيفية التي يفكر بها الناس ويتحدثون ويتصورون ويتذكرون، الخ. فنشاط تحليل المعلومات في الدماغ هو الذي "يسبّب" الذهن، أو هو الذهن؛ وتدل الحجج في كلتا الحالتين على أن كل مظهر من مظاهر حياتنا الذهنية يقوم كلياً على النشاط الفيزيولوجي في أنسجة الدماغ. وأما الوراثة السلوكية فهي دراسة الكيفية التي تؤثر بها المورثات في السلوك البشري النفسي والاجتماعي.

ويهتم العنصر الثالث، وهو علم النفس التطوري (*evolutionary psychology*)، بدراسة التاريخ الأحيائي-التكويني للذهن ووظائفه التكيفية. وذلك لفهم تصميم الذهن وغايته، ليس بالمعنى الأسطوري أو الغائي (*teleological*) التقليدي، ولكن بمعنى صورة الهندسة التي تعم العالم الطبيعي.

وهي هندسة نرى علاماتها في كل مكان، في العين التي تبدو مصممة لتشكيل الصور، والقلب الذي يبدو مصمماً لضخ الدم، والأجنحة التي تبدو مصممة للطيران، الخ<sup>1</sup>.

بالنظر إلى مثل هذه المعطيات، يكون من الأهداف العلمية البارزة للمشروع أو النموذج المعرفي، على المدى البعيد، الربط بين مختلف عناصر الطبيعة البشرية الكلية (*universal*).

والمقصود بهذا الربط، البناء التدريجي المتأني لمجموع الملكات المذكورة أو الأنساق التكوينية الدقيقة أو القوالب المختصة المعرفية والإدراكية التي ولدها التطور في الجنس البشري، كالأنساق الوراثية، والتشريحية، والعصبية، والمعرفية (الاجتماعية واللغوية، الخ.) وأنساق معالجة المعلومات، وغيرها، والتي تشكل مجتمعة الطبيعة البشرية الكلية، أو الرابط الجوهري بين الذهن والثقافة والعالم.

وبما أن العناية في العلوم السلوكية والاجتماعية تكون بدراسة الذهن والسلوك والتفاعلات الاجتماعية، فإن الاهتمام تركز أولاً على القوالب التكوينية المنظمة للسلوك، التي أطلق عليها الباحثون، منذ كتاب فودور (1983) الرائد: قلبية الذهن، تسميات متنوعة، مثل: الملكات أو القدرات أو القوالب أو الأنساق التكوينية (الذهنية، المعرفية)، والبرامج النفسية المتطورة، والبرامج الحاسوبية-العصبية، والبرامج المنظمة للسلوك، وآليات تحليل المعلومات، الخ. ولكن ما دامت هندسة الجنس البشري قد تطورت بوصفها مجموعة من التفاعلات الوظيفية التي تتم على كل المستويات المادية وغير المادية، فإن ذلك يستتبع أيضاً اعتبار العمليات الوراثية والخلوية والتطورية والتشريحية والفيزيولوجية والتاريخية الخ. جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة البشرية؛ ومن ثمة، جزءاً من أنساق القوالب أو التفاعلات المتطورة التي يحتاج العلم، في إطار النموذج المعرفي، إلى العناية بها ودراستها. وما دامت الوظيفة المتطورة لأي قالب أو آلية منظمة وظيفية حاسوبية - تنظم السلوك والنمو والجسد على نحو قابل للتكيف (على المدى القريب والبعيد)، استجابة لمعلومات المحيط (أو المُدخلات) - فإن مثل هذا النموذج يقوم على وصف هندسة تحليل المعلومات الخاصة بهذه الآلية، بكيفية ينبغي أن تشمل، في نهاية المطاف ومع تقدم المعرفة العلمية، تحقُّقها الفيزيائي العصبي والوراثي.

1. Pinker, S. *The Blank Slate*, (2002), Tooby, J. and Cosmides, L. (2016).

ومن الطبيعي أن يرتبط بهذا الهدف هدف علمي آخر يسعى إليه الأنموذج المعرفي، على المدى المتوسط والبعيد، هو عملية إعادة بناء شاملة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، على أساس نموذج علمي دقيق للطبيعة البشرية قائم على العلوم الطبيعية، أو ما ساه توبي وكوسميدس (1992 و2016) بالنموذج السببي المندمج (*Integrated Causal Model*).<sup>1</sup> أي إعادة تشكيل نوعية جديدة لخارطة تصنيف العلوم الموروثة عن القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين. والهدف المنتظر أن تصبح التخصصات السليمة المنفصلة لهندسة القوالب المعرفية التي تشكل الطبيعة البشرية، المكونات المركزية النظرية لمجموعة جديدة من العلوم الاجتماعية والإنسانية المعاد بناؤها.

ذلك أن كل نسق من أنساق هذه القوالب المتطورة التي تكوّن الطبيعة البشرية، يتنبأ بمجموع الظواهر التطورية والنفسية والسلوكية والاجتماعية التي تولدها هندسته وتنظمها؛ كما هو الحال، مثلاً، في التجذر الجزئي لظواهر التفاعلات الاجتماعية بين الجنسين (الذكور والإناث) في سمات التصميم الخاصة بالبرامج الأحيائية المتطورة التي يبني عليها السلوك الجنسي، واختيار الزوج أو الشريك، والحاذية، والتنافس الجنسي على الشريك، والصراع بين الجنسين، والحفاظ على العلاقة (أو الشراكة بين الجنسين).<sup>2</sup> ومن المتوقع أن تكون التغيرات الناتجة في العلوم الاجتماعية والإنسانية، من هذا المنظور، هائلة وبعيدة المدى.

لقد أدت التطورات العلمية التي حصلت في مختلف مجالات العلوم المعرفية وأصبحت تغذي الأنموذج المعرفي، إلى تبين طبيعة الظواهر التي تدرسها العلوم الإنسانية والاجتماعية وتبين الروابط التي تجمعها بمبادئ باقي العلوم، ومنها العلوم الطبيعية. فسمح ذلك بظهور نموذج علمي جديد قائم، كما ذكرنا آنفاً، على تفاعل مكونات المعرفة العلمية واندماج نتائج مختلف العلوم وترابطها السببي واتساقها؛ بعيداً عن اختزال الظواهر في هذا البعد أو ذاك.<sup>3</sup>

ومن مقتضيات هذا قيامُ الذهن البشري على مجموعة من الآليات النفسية المتطورة لتحليل المعلومات، والمتحققة في النسق العصبي. وهي آليات تشكل جوهر الهندسة الذهنية لدى الإنسان وتتصف بمحتويات بنوية غنية ومتخصصة وظيفياً لإنتاج سلوكيات تتعامل مع مشاكل تكيفية خاصة مثل

1. Tooby, J. and Cosmides, L. (2016), p. 24.

2. Ibid. pp. 3-5; Breyer, T. (ed.), (2015), p. vii.

3. Tooby, J. and Cosmides, L. (1992), pp. 114-115.

اكتساب اللغة، وتمثيل الفضاء، والالتقاء إلى المجموعة، والتعاون، ومختلف معطيات الظواهر التصورية-الثقافية البشرية. وهذا خلافا لما انبنت عليه تصورات النموذج المعياري من تحليل مختل لعلاقة الطبيعة بالثقافة (*nature-nurture*)، يقوم على خطأ في تقدير الدور الذي تلعبه العملية التطورية في تنظيم الصلة بين العدة الأحيائية الكلية الموروثة المرتبطة بالنوع البشري، أو العمليات النفسية المتطورة لدى الإنسان، من جهة، وسمات المحيط الاجتماعي-الثقافي، من جهة أخرى.

إن إعادة النظر في النموذج المعياري التي انبثقت من مكتسبات العلوم المعرفية والتطورية لا تتعلق بكونه يقلل من أهمية العوامل الأحيائية في مقابل العوامل البيئية في حياة الإنسان، بقدر ما تتعلق بالإطار التصوري العام الذي يقوم عليه هذا النموذج والذي يفترض أن "العوامل الأحيائية" و"العوامل البيئية" تحيلان على مجموعتين سببيتين تنفي الواحدة منها الأخرى. فينتج عن ذلك أنه كلما ازدادت الظواهر المفسرة "أحيائيا"، كلما قلت الظواهر المفسرة "اجتماعيا-ثقافيا" أو "بيئيا". والحال، على العكس من ذلك، أن الاعتبارات المحيطية تتطلب وجود هندسة معرفية متطورة غنية لتحليلها، تنزع، بفضل آلياتها ذات المحتوى الحساس البالغ الغنى، إلى فرض أنماط معينة من المضامين والتنظيمات التصورية على الحياة الذهنية للإنسان، ومن ثمة تعمل على تشكيل طبيعة الحياة الاجتماعية والبنيات الثقافية التي يتوارثها الناس<sup>1</sup>.

ونجد اليوم نظريات مختلفة تندرج في هذا المشروع العلمي المعرفي، منها نظرية الدلالة التصورية (أو الهندسة المتوازية) التي تبنى مبادئها الجوهرية والتي طورها راي جاكندوف تدريجيا منذ سبعينيات القرن الماضي (1978 خاصة)؛ ونظرية العمل التفاعلي عند فاريل و تومبسون وروش منذ تسعينيات القرن الماضي (1991 خاصة)؛ وعلم النفس التطوري عند توبي وكوسميدس منذ أواخر ثمانينيات القرن الماضي وبداية تسعينياته، كما أشرنا آنفا. ولا تهمننا هنا الاختلافات الفعلية، العميقة أحيانا، الموجودة بين نظريات المشروع المعرفي التي ذكرناها دون نظريات أخرى للاختصار، والتي تمكن تسميتها نظريات "واصلة" بين القدرات المعرفية ومجالات دراستها (في مقابل نظريات "فاصلة" تنتمي إلى التصور المعياري وتركز أساسا على خصوصيات تلك القدرات والمجالات والفصل بينها)، بقدر ما يهمننا التشديد على

1. Ibid. pp. 33-34.

وانظر التفاصيل في غاليم، "أي منهج لدراسة الظواهر الإنسانية والثقافية؟"؛ اللغة بين ملكات الدهن، بحث في الهندسة المعرفية، الفصل العاشر.

الإتلاف القائم بين هذه النظريات، والمتمثل في افتراض الترابط السببي العميق بين مختلف الظواهر الطبيعية والمعرفية، من المادية الفيزيائية إلى الذهنية التصورية.

### 3 بعض مظاهر اندماج اللسانيات في النموذج المعرفي

قطعت اللسانيات، فيما يخص نظرياتها البديلة على الأقل، وعلى رأسها نظرية الدلالة التصورية (أو الهندسة المتوازية) التي تتبنى مبادئها الجوهرية، شوطاً لا بأس به في الاندماج المعرفي. فقد أدى تطور البحث في بنية الملكة اللغوية إلى دراسة علاقتها الضرورية بأنساق أخرى. واستندت نظريات لسانية معرفية (ونظريات في مجالات أخرى غير لسانية كعلم النفس المعرفي مثلاً) استدلالاً واضحاً، منذ السبعينيات وبدايات الثمانينات من القرن الماضي، على الأقل، على التفاعل عبر الواجهات بين النسق اللغوي وباقي الأنساق المعرفية التي تُشكّل بنية الذهن/الدماغ الشاملة، وتختص علوم عديدة مختلفة، طبيعية واجتماعية وإنسانية، كالتي ذكرناها آنفاً، بدراستها. وهي مظاهر اندماجية تعكس فيها أعمق مكونات اللغات الطبيعية وخصائصها التصورية ومواردها التحليلية وأصولها العصبية، واهتماماً متزايداً، في حقل النظرية اللسانية المعرفية ببلورة تصورات مقيّدة وجاهيا لتصميم اللغة واكتسابها واستعمالها والبحث في الخصائص التي تأتلف، أو تختلف، فيها هذه الملكة وباقي الملكات الأخرى.

وتجدر الإشارة إلى أنه ليس هناك، بطبيعة الحال، بناء نظري واحد متجانس يسمى: "لسانيات معرفية". بل رغم اشتراك النظريات التي تُدرج تحت هذا العنوان في بعض المبادئ العامة المشتركة، على رأسها ربط اللغة بمجمل العمليات والقدرات المعرفية كما أشرنا، فإن هناك اختلافات عديدة وعميقة أحياناً، بين هذه النظريات. ونذكر من باب التمثيل فحسب، أن من الاختلافات الرئيسة بين إطارين نظريين معرفيين هما: نظرية الدلالة التصورية عند جاكندوف، من جهة، ونظريات لسانية معرفية كظرفية ليكوف (1987)، والنحو المعرفي عند لنكيبكر (1987)، ونظرية تالمي (2000)، من جهة ثانية، أن هذه النظريات الأخيرة، خلافاً لنظرية جاكندوف، ليست صارمة بما يكفي في ما يخص الصورة (وكثير من ممارسيها، بالفعل، مضادون للصورة)؛ ولا تعمل بالقدر المطلوب على دمج نتائجها في بقية المجال العام لعلم النفس المعرفي. كما أنها تشكك في الحاجة إلى مفهوم مستقل للتركيب في القدرة اللغوية<sup>1</sup>.

1. وانظر التفاصيل في جاكندوف، اللغة والوعي والثقافة، أبحاث في البنية الذهنية.

لقد أصبح من الطبيعي في السياق المعرفي المذكور، أن يتزايد الاهتمام في حقل النظرية اللسانية، كما أسلفنا، ببلورة تصورات مقيّدة وجاهيا للهندسة اللغوية، ليصبح مفهوم الوجاهات مفهوما رئيسا في قضايا تصميم ملكة اللغة واكتسابها واستعمالها وعلاقتها بصور المعارف في الملكات الأخرى، والبحث في تمييز الخصائص التي تتفرد بها، من الخصائص التي تشترك فيها مع هذه الملكات.<sup>1</sup> وتقصد هنا بالتمييز الوجاهي التقيّد الفعلي وليس التأملي. ولا يقوم الاستدلال على التقيّد الفعلي، كما هو معلوم، إلا ببناء نظريات واضحة لمختلف القدرات المعرفية وأوليّاتها ومبادئ تأليفها، التي تربطها علاقات وجاهية مقيّدة باللغة، وليس بافتراضات تأملية غامضة حول تلك القدرات.

ويُستخلص مما أجملنا ذكره عن تصور الذهن في الأنموذج المعرفي أن تلمس الإجابة عن مثل هذه الأسئلة يتطلب تحقق شرطين على الأقل<sup>2</sup>:

- تعيين القدرات المعرفية المعنية وتبيّن مكوناتها ومبادئ تأليفها، سواء آكنت قدرات إدراكية أم تصورية؛
- بناء أطر نحوية كافية تمكن من الرصد الفعلي للربط والتفاعل الجاهيين بين اللغة وباقي القدرات الأخرى بكيفية طبيعية وسلسلة. ذلك أن الرصد الفعلي لهذا الربط والتفاعل - وليس مجرد افتراض وجودهما بشكل عام وغامض - هو الذي يسمح فعلا بتبيّن الكيفية التي تقيّد بها القدرات الأخرى القدرة اللغوية عبر الوجاهات الرابطة بينها، تقييدا فعليا كما أسلفنا.

وبدون تحقق مثل هذين الشرطين لا يمكن الحديث عن دمج النظرية اللغوية في العلوم المعرفية. ويمكننا أن نمثل، في ما يلي، للنتائج الملموسة التي أفرزها الربط والتفاعل الجاهيان بين بنية الملكة اللغوية وبنيات باقي الملكات المعرفية الأخرى، بذكر بعض المكتسبات والآفاق الرحبة التي تفتحها نظرية الدلالة التصورية (أو هندسة التوازي) أمام النظرية الدلالية الساعية إلى وصف المعنى وتفسيره. وذلك في ما يخص التقدم غير المسبوق في فهم طبيعة ما نسميه "دلالة لغوية"، بفضل تبين علاقة هذه

1. انظر التفاصيل في غاليم، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، مبادئ وتحليل جديدة؛ "بعض خصائص الوجاه التصوري-الفضائي"؛ "النظرية الذريعية والكفاية المعرفية، أو نحو تفكيك معرّي للسياق"؛ اللغة بين ملكات الذهن، بحث في الهندسة المعرفية.

2. انظر التفاصيل في نفس المرجع.

الأخيرة ببناء أنساق التصورات التي يحيا بها الإنسان. وهي أنساق تمثل العُدّة التصورية الرئيسة المشكّلة لمختلف القدرات المعرفية التي تُستمدّ منها المعاني التي تدل عليها الكلمات والتراكيب اللغوية. وبفضل ذلك أصبح بالإمكان الشروع في طرح أسئلة تفسيرية حقا من قبيل: من أين تأتي معاني الألفاظ التي لا تقوم اللغة بدونها؟ لماذا هذه المعاني حصرا وليس معاني أخرى؟ الخ<sup>1</sup>.

### 1.3. عن وجاه الأنساق الإدراكية

من الملاحظات التي تكاد تكون بديهية في استعمالنا اللغوية اليومية، قدرتنا على الحديث عما نراه ونسمعه ونشمه ونلمسه ونذوقه ونستقبله بحسنا العميق (وقدرتنا أيضا على رؤية وسماع الخ. ما نتحدث عنه الخ.). ويُعتبر الرصيد اللغوي، من عبارات فعلية واسمية ووصفية الخ.، المرتبط بهذه القدرة رصيذا هائلا وجوهريا في كل اللغات الطبيعية. ونقتصر هنا على دلالة الإدراك البصري، وتتساءل عن طبيعة "الدلالة اللغوية" التي تفيدها العبارات "الإدراكية البصرية"، وعن موقعها من التحليل المعرفي (*cognitive processing*) خصوصا، وعن الكيفية التي يتم بها الربط بين اللغة والنسق البصري عموما.

لقد أوضح جون مكنامارا *John Macnamara* في بحث لم ينشر أبدا كتبه سنة 1978، بعنوان: "كيف نتحدث عما نراه؟"، أنه على النسق البصري أن يولد تمثيلات ذهنية تخلق تجربة رؤيتنا للعالم؛ وأنه حتى نتحدث عما نراه، لابد أن يكون هناك نوع من "الترجمة" أو التحويل من التمثيلات الذهنية الناتجة عن النسق البصري إلى صورة التمثيل الذهني الذي يستعمله النسق اللغوي. وقد عبر ميلر وجونسون-ليرد (*Miller and Johnson-Laird* 1976) عن فكرة مماثلة بمحاولتها وضع لائحة من المحمولات القابلة للاستعمال في النسقين البصري واللغوي معا. لكن مكنامارا عبر عن المسألة بكيفية مباشرة: ما هي الصورة التي يمكن أن يكون عليها هذان التمثيلان والتي تسمح بتحويل أحدهما إلى الآخر؟

كانت النظريات البصرية الراجحة آنذاك معدّة لأن تأخذ هذا السؤال مأخذ الجد. وكان أكثرها تأثيرا النظرية التي طورها ديفيد مار (*David Marr* 1982) عن تعرف الموضوعات، والتي ترسم

1. انظر التفاصيل في غاليم، "نحو تصور جديد لتخصيص المعاني المعجمية"؛ "المعرفة النواة دليلا على استقلال الدلالة وبنيتها"؛ "عن الكفاية التفسيرية في النظرية الدلالية"؛ "بعض آفاق البحث الدلالي الجديدة، أو نحو كفاية تفسيرية في النظرية الدلالية"؛ "نحو تصور جديد للبحث اللساني المعرفي المقارن".

المسارات الحاسوبية الرابطة بين الصورة في شبكية العين والتمثيل التام لشكل الموضوع. وانسجاما مع النظرية اللغوية، رأى مارآن من المفيد صياغة الحوسبة من خلال سلسلة من مستويات التمثيل، هي مستوى الرسم الأوّلي، المتعلق بتمثيل النقط والخطوط وحواف المجال البصري (وهو "المستوى الأسفل" عند كافانا (2011))، ومستوى رسم البعد  $2^{1/2}$  (*2<sup>1/2</sup>D sketch*)، المتعلق بتمثيل الأسطح المرئية والمسافات الفاصلة بينها وبين الملاحظ (وهو "المستوى الأوسط" عند كافانا)، ومستوى النموذج الثلاثي الأبعاد (*3D model*) الذي يُعتبر تمثيلا اندماجيا للشكل التام للموضوع المرئي، مستقلا عن وجهة نظر الملاحظ، ومعبرا عنه في شكل هندسي (وهو "المستوى الأعلى" عند كافانا). ويتم الربط بين هذه المستويات عن طريق مجموعة من الحوسبات المختلفة.

وقد ربط مار بوضوح بين نظريته والنظرية اللغوية. فالهدف الأول في النظريتين هو ما أسماه "نظرية حاسوبية" وما يسميه اللغويون "نظرية القدرة": أي رصد البنية الصورية للتمثيلات الذهنية التي تستلزمها المهمة المعرفية، ورصد الحوسبات التي تربط مستويات التمثيل ببعضها.<sup>1</sup> وبهذا توجي نظرية مار باتجاه نحو إجابة سؤال مكنا مارا. فمثلا هناك ترابطات حاسوبية بين مستويات التمثيل في الإدراك البصري، ينبغي البحث عن ترابطات حاسوبية بين التمثيلات البصرية والتمثيلات اللغوية. فما هي المستويات الواردة في عملية الترابط هذه؟

يبدو من البديهي أن الترابط قائم بين البنية التصويرية - المعنى اللغوي - والنموذج الثلاثي الأبعاد أو الفهم البصري. فحين نتحدث، مثلا، عن قط نراه، فإننا نتحدث عنه من حيث هو موضوع واحد موحد، في استقلال عن وجهة نظرنا، وبغض النظر، مثلا، عن الشكل الخاص الذي يمكن أن يتخذه ذيله في تلك اللحظة. ولا نتحدث عنه من حيث هو مجموعة متصلة من الأسطح المرئية من زاوية معينة (أي مستوى رسم البعد  $2^{1/2}$ )، وبدرجة أقل، من حيث هو حواف ونقط وخطوط (أي مستوى الرسم الأوّلي). ومن ثمة، فمستوى النموذج الثلاثي الأبعاد هو المرشح المناسب للارتباط باللغة. وفي ما يخص الجانب اللغوي، فإن الإحالة تكون على قط، وبنية التصويرية هي التي تُرمز الإحالة، وليس التركيبية أو الصوتية.

1. Jackendoff, R (2015)

ولا يمكن أن تقوم العلاقة بين البنيات التصويرية والنماذج الثلاثية الأبعاد عن طريق اشتقاق الواحدة من الأخرى، مهما كان الاتجاه. ذلك أنه يستحيل اشتقاق البنية التصويرية من النموذج الثلاثي الأبعاد أو الفهم البصري، لأن البنية التصويرية تتضمن كل أنواع التصورات المجردة، كالمليكية، مثلاً، التي لا مكان لها في الفهم البصري. فليس هناك شيء في المظهر المرئي للقط الذي أملكه، مثلاً، له صلة بكوفي أملكه. وفي الاتجاه المقابل، لا يمكن اشتقاق الفهم البصري من البنية التصويرية، لأنه يتضمن تفاصيل الأشكال المظهرية (المُدركة بالبر) التي يستعصي ترميزها في الصورة الجبرية (*algebraic*) للبنية التصويرية. فالفرق في الشكل المظهري، مثلاً، بين بطة وإوزة، يُرمز بكيفية طبيعية في أوليات النموذج الثلاثي الأبعاد الهندسية/الموضعية (*geometric/topological*). لكن سمة جبرية مثل  $[±\text{عق طول}]$ ، مثلاً، ظاهرة التعسف. ويصدق هذا إجمالاً على الكثير من المعلومات المتعلقة بالخصائص المظهرية للموضوعات أو الأحداث (انظر مثلاً خصائص الهيئة المظهرية في أحداث مثل: مشي، عدا، هزل، الخ.) التي اعتادت الأدبيات الدلالية محاولة إدراجها في التمثيل الدلالي عن طريق سياات تعريفية.

بهذا يُعتبر المستويان التمثيليان، البنية التصويرية والنموذج الثلاثي الأبعاد، مستويين متوازيين متفاعلين، عبر مستوى وجاهي، وشريكين في بناء فهمنا للعالم. وتُعتبر بعض العناصر، كمفهوم الموضوع الفيزيائي، ومفهوم الحركة الفيزيائية، ومفهوم أجزاء الموضوع الفيزيائية، عناصر وجاهية مشتركة بين التمثيلين. في حين تُعتبر أنواع أخرى من العناصر أو المعلومات خاصة بهذا التمثيل أو ذاك؛ كتفاصيل الشكل المظهري لعنق البطة والإوزة، وتفاصيل اللون، في النموذج الثلاثي الأبعاد، وكالمليكية، والقيمة، والعدل، والغرض، والعم، الخ. في البنية التصويرية. وتمثل العناصر المشتركة أساس البنية التصويرية في المجال الفضائي.

هناك، إذن، تمثيل ذهني يرمز فهمنا لشكل الموضوع، والاتجاه، والحل، والحركة، ويمكن تعميمه على مقولات الموضوعات. ويسمى جاكندوف هذه البنية التمثيلية الذهنية بنية فضائية (*spatial structure*)، عوض "النموذج الثلاثي الأبعاد" أو "الفهم البصري". وهي البنية التي تمكّن من "ترجمة" المعلومات المرّمزة فيها والمستقاة من الملكة البصرية، إلى شكل ملائم لترميزه في البنية التصويرية، يُعتبر بدوره شكلاً ملائماً لترميزه في اللغة. وفي الاتجاه المقابل، يقوم فهم الأقوال المسموعة على تكوين بنية

تصورية عبر الصوتات والتركيب؛ ليعاد تشكيها بعد ذلك في بنية فضائية، ومن ثمة توجيه الانتباه إلى الموضوعات المعنية في الحقل البصري.

ومن دواعي تسمية هذا المستوى التمثيلي بنية فضائية أنه تمثيل متعدد الحواس (أو مستقل عن الحاسة التي يتم بها إدراك الفضاء)، وليس مقصورا على البصر رغم أهمية البصر الكبرى فيه. فاللمس حاسة أخرى نملكها لتحصيل معلومات عن أشكال الموضوعات. ولها أساس مختلف تماما عن البصر، إذ لا تصدُر المعلومات عن الشبكية بل عن اللمس وضغط وسائل الاستشعار الحسي في الجلد، إضافة إلى وسائل الاستشعار الداخلية التي تُرمز مثلا هيئة اليد. ومع ذلك لا يكون إحساسنا بشكل الموضوع وبالهئية متنافرا، فلمس شيء معين يمكننا من توقع الهيئة التي سيبدو عليها، والعكس صحيح. وهذا يشير إلى أن حاسة اللمس تلتقي وحاسة البصر في مستوى البنية الفضائية.

كما أن لاستقبال الحس العميق (*proprioception*) (أو الإحساس بالوضع الذي يوجد عليه الجسد في الفضاء) دورا في تحصيل معلومات فضائية. ولحاسة السمع كذلك دور في نفس المجال.

إن ما نستخلصه عن "معنى" التعابير الإدراكية البصرية، إذن، أنه يتجاوز السمات والدالات التي تشكل ما نعتبره عادة "دلالة لغوية"، ليشمل المعلومات اللازمة عن تفاصيل التمثيل الفضائي المستمدة من الواجه الرابط بين البنية التصورية والبنية الفضائية.

ومن الأمثلة التي يمكننا أن نسوقها عن ذلك، توضيح حالة بعض المحمولات التي أشرنا إليها آنفا، والمعبرة عن فروق مظهرية يصعب وصفها بالكلمات (أي بالسمات)، في حين يسهل استعراضها وتمثيلها بهيات وأوضاع، مثلما يسهل تعيين الموضوعات بمجرد الإشارة. من ذلك الصعوبات التفكيكية التي تعترض تتبع السمات التعريفية المميزة مثلا بين أفعال حركة أو تنقل في نحو:

(1) أ. مشى زيد إلى المكتب

ب. عدا زيد إلى المكتب

ج. هرول زيد إلى المكتب

فكل فعل من هذه الأفعال يعبر عن كيفية وهيئة حركتين مخصوصتين. وإذا تضمنت مداخلها المعجمية تمثيلات هندسية للنموذج البصري الثلاثي الأبعاد، لن نحتاج إلى تمييزها في البنية التصورية ذات التمثيلات الجبرية حيث نكتفي بمعالجة الأفعال المذكورة باعتبارها أفعال حركة تشترك في البنية الدلالية القاعدية التالية:

(2) [وضِعَ ذهبٌ (موضوع زيد)، [سار إلى (مكان المكتب)]]

[أثر (زيد)]

أي أن البنية التصورية، في هذا السياق، تتعلق أساسا بتمييز بنيات حملية ملائمة تقوم على دلالات الصف المحوري ودلالات صف الأدوار الكبرى، مثل (2)، يمكن ربطها بعد ذلك ببنيات فضائية-بصرية أكثر تفصيلا<sup>1</sup>.

ومما يثيره سؤال مكنامارا أيضا، التساؤل عن أنماط الكيانات التي يحفل بها العالم كما تتصوره، والتي يمكننا أن نتحدث عنها من خلال اللغة. فمن الملاحظ وجود ضائر إشارية تحيل على أعمال عوض إحالتها "العادية" على موضوعات. وهناك إشارات أخرى تحيل على غير الموضوعات. وتبين أن اللائحة تضم الإحالة على النمط أو المثولة، والمحل، والمسار، والعمل، والكيفية، والمسافة، والتعدد، والأصوات. وكلها أنماط من الكيانات يجب أن يكون النسق البصري قادرا على إدراكها وتميزها في البنية الفضائية. وبعبارة أخرى، لا بد أن تتضمن البنية الفضائية أكثر من مجرد الموضوعات. وهذا يؤدي إلى معكوس سؤال مكنامارا: إذا كنا نتحدث عن كل هذه الأنماط من الكيانات كما لو كنا نراها، فكيف نرى كل الأشياء التي نتحدث عنها؟ ويعتبر هذا السؤال بمثابة تحد مطروح على علماء البصر الذين يميلون إلى التركيز، بشكل حصري تقريبا، على إدراك الموضوعات.

<sup>1</sup> Jackendoff, R., (1996); Ghalim, M. (2015).

وانظر غاليم، "نحو تصور جديد لتخصيص المعاني المعجمية"؛ "بعض خصائص الوجه التصوري-الفضائي"؛ "النظرية الذريعية والكفاية المعرفية، أو نحو تفكيك معرفي للسياق"؛ وبريسول، أفعال الحركة في إطار المعجم المولد، بخصوص أفعال الحركة في اللغة العربية.

لكن لهذه الأمثلة أيضا أثرا في نسق اللغة. فقد دأبت كثير من المعالجات الصورية للدلالة على تقليص أنطولوجيا النسق إلى أقصى حد، وحصر الكيانات الأولية، إن أمكن، في الأفراد وقيم الصدق. وقد اعتُبر ديفيدسن (1967) جريئاً حين اقترح أن تتضمن الأنطولوجيا أيضا الأحداث أو الأفعال؛ وها قد أضحي "متغير الحدث" أمراً مألوفاً في الدلالة الصورية. إن ما تبينه اللائحة المذكورة، هو أن اللغة تنصرف كما لو كانت هناك أيضا أنماط (مقولات)، ومحلات، ومسارات، وكميات، ومسافات، ومقادير، وأصوات - باعتبارها كيانات تمكن الإحالة عليها -، وأن النسق البصري والسمعي يمكنهما أن ينتقيا هذه الكيانات حين تطلبها اللغة.

فهل هناك بالفعل محلات في العالم، ومسافات، وكميات، ...؟

إن إجابة هذا السؤال تكمن، بناء على ما سبق، في البنية الفضائية. وتجدر الإشارة إلى أن المبدأ العام الذي يبنني عليه افتراض هذه البنية من حيث هي تمثيل ذهني غني، يجد مصداقاً له في تراث علماء النفس الجشططيين؛ ومن خلاصاته أن أذهاننا هي التي تبني عالم تجربتنا. ولا يهيم، في الدلالة اللغوية أيضاً، أن تكون كل هذه الكيانات موجودة فعلاً في العالم. وما يهيم هو أننا نضعها في تجربتنا وفهمنا لهذا العالم؛ ومتى ما استقرت هناك، أمكننا أن نحيل عليها<sup>1</sup>.

إن البنية الفضائية، تبعاً لهذا، تُرمز بعض مظاهر الموضوعات التي تتجاوز إدراك الأشكال في النموذج الثلاثي الأبعاد، فلا نستطيع رؤيتها. ومثال ذلك تجويف الكرة الذي يدخل في الموضوعات الجوفاء التي نتصور أنها عبارة عن سطح ذي سمك معين ويحيط بفضاء فارغ. وتشمل مثل هذه الموضوعات الفقايع والكرات والطبول والصمامات والأنابيب والمنازل والكمائنات والمزامير الخ. وتعتبر الأوعية من أهم الطبقات الفرعية لهذه الموضوعات الجوفاء، ومنها الحقائب والصناديق والقدر والأكياس والقوارير والجرار والحاويات.

ومن هذه الكيانات التي يمكننا الحديث عنها كما لو كنا نراها، أيضاً، الموضوعات التي تستمد هويتها من كونها جزءاً خاصاً من موضوعات أخرى؛ كالأغصان، والأصابع، والسيقان، والمقابض. والموضوعات التي تخصص على أنها "أجزاء سالبة"، لا تتكون كالسابقة من مادة مثبتة على سطح

<sup>1</sup>. Jackendoff, R. *Consciousness and the Computational Mind*; In Jackendoff, R (2015)

موضوع معين، بل يمكن اعتبارها فضاء ناتجا عن "اقتلاع" (أو "نزع") جزء من المادة من على سطح الموضوع. ومنها الثقب، والشقوق، والثغرات.

ومن الكيانات "غير الاعتيادية" كذلك المجاميع (جمع مجموع) المكوّنة من موضوعات متعددة. ولبعض المجاميع أشكال ذاتية، ككومة أو ركام (الملابس)، وصَف (الناس أو السيارات)، وقافلة (الجمال)، وحزمة (القمح). وليس لبعضها الآخر أشكال ذاتية، كالمجموعات والجماهير والحشود وقطعان (المواشي) وأسراب (الطيور)، الخ.

ومما تتحدث عنه اللغة وتحيل عليه أيضا كفيثات الحركة، كما أشرنا آتفا، وتدرج في عدد من الطبقات الفرعية تصفها أفعال كثيرة، ويجب أن تتضمن البنية الفضاوية موارد تميزها وتعينها<sup>1</sup>. وقد فتحت بهذا آفاق بحث واسعة في اتجاه بلورة فرضيات مماثلة بخصوص السمع وخصائص الأصوات؛ والشم وخصائص الروائح؛ والذوق وخصائص الطعوم؛ واللمس وخصائص الملموسات. ومعلوم أن تخصيص معاني مثل هذه الألفاظ الإدراكية كان قد أشكل لعقود طويلة، كما أسلفنا، على نظريات الدلالة المعجمية الحديثة، إذ كان الاعتقاد دائما أن هذا التخصيص يجب أن يكون لغويا. وقبل العصور الحديثة لاحظ القدماء أيضا تعذر رصد مثل هذه المعاني (أو "خاص الخاص") بألفاظ لغوية. ومن ذلك قول الجاحظ: "فما لا اسم له خاص الخاص. والخاصيات كلها ليست لها أسماء قائمة. وكذلك تراكيب الألوان، والأرايح، والطعوم، ونتائجها"<sup>2</sup>.

### 2.3. عن وجاه الأنساق التصورية

يمكننا أن نطرح بخصوص الأنساق التصورية نفس السؤال الذي طرحناه بخصوص الأنساق الإدراكية؛ فنتساءل عن الكيفية التي نستخدم بها اللغة بشكل تلقائي للتعبير عن تصوراتنا وتصورات شركائنا في التفاعل الاجتماعي، أي للتعبير باللغة عما نسميه "فكرا" على العموم. ومن المعلوم قديما وحديثا أن من الخصائص الجوهرية لهذا التعبير اللغوي لدى البشر، مجاوزة الدلالة معاني الأقوال "الحرفية"، أو

1. Jackendoff, R. (1996).

2. الجاحظ، الحيوان، ج. 5، ص 201.

ما يعرف بالقصور عن التحديد الدلالي (*semantic underdeterminacy*) للأقوال. ذلك أن المعاني، بتعبير الجاحظ: "تُضَلُّ عن الأسماء والحاجات تُجَوُّزُ مقادير السّمات وتُثَوِّتُ ذَنَعُ العلامات"<sup>1</sup>.

إن ألفاظ اللغة بما تعبر عنه من المعاني، لا تُدَلُّ أو تستكمل دلالتها في واقع الاستعمال اللغوي إلا باعتبارها "مداخل" إلى مجموعة من العمليات الاستنتاجية التي تتم في الأنساق التصورية داخل أذهان الشركاء اللغويين؛ أو باعتبارها "مُحَفِّزَات" تُنَشِّطُ تلك العمليات. فالمعاني التي تنقلها اللغة لا تنكسب دلالتها إلا بدمجها، عبر أنساق وجاهية، في مختلف الأنساق التصورية المشكلة لبنية الإنسان التصورية. تماما مثلما لا تعبر البنيات اللغوية عن "دلالتها الإدراكية" إلا بفضل دمجها، عبر الواجهات، في الأنساق المختصة بذلك. وهذه الأنساق الذهنية، التصورية والإدراكية، هي التي تشكل سياق استعمال الكلمات<sup>2</sup>.

والأمثلة كثيرة ومتنوعة عن الإمكانيات الواعدة التي أصبح يتيحها النظر الدلالي، بفضل مكتسبات الأنموذج المعرفي عموما ونظرية الدلالة التصورية على وجه الخصوص، من أجل فهم أعمق لطبيعة المعاني التي تدل عليها الكلمات والتراكيب اللغوية، قائم على ربط هذه المعاني بمختلف القدرات التصورية التي تُستمد منها.

ويمكن أن تستقى هذه الأمثلة من معاني عبارات دالة على تصورات تتعلق بأنساق تصورية، منها نظرية الذهن (كمعاني التصد وما يقتضيه من معاني المنفذ والعمل الإرادي الخ)؛ ومعاني أفعال الحالات النفسية؛ ومعاني الموجهات، والإثباتيات (*evidentials*)؛ ومعاني الروابط؛ الخ). ومنها نسق المعرفة الاجتماعية (كمعاني ألفاظ القرابة، وعضوية المجموعة؛ وألفاظ السُّلمية أو السيطرة؛ وألفاظ التبادل؛ الخ). ومنها نسق تمثيل الفضاء (كمعاني الألفاظ الدالة على الأمكنة والمسارات والحركة وكيفياتها الخ)؛ وسبب توسع هذه المعاني للدلالة على المعاني غير الفضائية (في ما عرف بفرضية العلاقات المحورية)؛ الخ).

1. المرجع نفسه، ن. ص.  
2. انظر في توضيح ذلك غاليم، "عن العبارة اللغوية والسياق"؛ "بعض خصائص الوجه التصوري-الفضائي"؛ "النظرية الذرية والكفاية المعرفية، أو نحو تفكيك معرفي للسياق".

ونكتفي هنا بمثلين يهتمان علاقة المعاني التي تحملها عناصر لغوية بالنسق التصوري الخاص بنظرية الذهن (*Theory of Mind*)<sup>1</sup>. وهو نسق مسؤول عن إسناد مختلف الحالات الذهنية- النفسية إلى الذات وإلى الآخرين، كالاتقاد والوعي والقصد والرغبة، الخ.

### 1.2.3. دلالة فعل الرؤية

يقتينا المثال الأول في سياق "أفعال الإدراك" (أو "أفعال الحواس"). ويرتبط بدلالة فعل الرؤية ويندرج في توضيح دور الوجه المتصل بنظرية الذهن في تخصيص سمة دلالية لازمة لفهم نمط من الأوضاع، هي سمة دالة المعاناة (*experience*). والمقصود نمط الأوضاع التي تستلزم أخذ الحالة الذهنية لموضوع من موضوعاتها بعين الاعتبار هو موضوع المعاني (*experienter*)، في بناء دلالة الوضع. ويعرف هذا النمط من الأوضاع في الأدبيات الدلالية "بالمحمولات النفسية"، نحو: ظن واعتقد وقصد، وأفعال الحواس التي تفيد حالة حصول الإدراك والوعي به، مثل رأى.

لننظر في المعطيات التالية:

(3) ما فعلته هو أني {نظرت إلى / رأيت\*} الرجل المخطئ

(4) بينما كنت {أنظر إلى / أرى\*} الرجل المخطئ دخل زيد

يدو، باستثناء سياقات ذرية خاصة، أن فاعل نظر إلى، في (3)، عامل (*actor*) وليس كذلك فاعل رأى. وأن نظر إلى، في (4)، تقبل جهة التدرج، وهي خاصية تغلب في الأعمال، بينما لا تقبل ذلك رأى. وهذا يشير إلى أننا أمام تقابل بين فعل حالة هو رأى، وفعل عمل هو نظر إلى. وهذا التقابل شائع في اللغات، وتعرزه روائز عديدة،<sup>2</sup> يُستنتج منها أن الوضعين: رأى ونظر، يقومان على اتصال بصري بين مدرك ومدرك، فتبقى الأدوار في الصف المحوري هي نفسها في بنيتي

1. انظر بخصوص نظرية الذهن ومكوناتها وعلاقتها باللغة غاليم، "الخطاب السردي ونظرية الذهن"، "السمات والوجاهات وهندسة النحو"، "عن الكفاية التفسيرية في النظرية الدلالية"، "بعض مقتضيات الكفاية المعرفية في لسانيات الخطاب وتأويله"، "اللغة بين ملكات الذهن، بحث في الهندسة المعرفية؛ وانظر الفاحصي، اللغة ونظرية الذهن، بحث في علاقات التفاعل؛ "لزوم نظرية الذهن لتطور اللغة واستعمالها".  
2. انظر التفاصيل في غاليم، المعنى والتوافق، مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، الفصل 6؛ "بعض خصائص الأوضاع، مثال موضوع المعاني".

الفاعلين. ونفترض أن هذا الصف يتضمن دالة ترصد ما هو مشترك بينهما، هي: **س أدرك بصري ص**، (أي: "س أدرك ص بحاسة البصر").

لكن الاختلافات الواردة تتعلق بصف الأدوار الكبرى الذي نفترض فيه دالة جديدة، هي: **س عانى ص**، حيث الموضوع الأول **مُعَان** والموضوع الثاني **منبه**. وبذلك، نفترض، في مستوى هذا الصف، أن نظر إلى تقوم على الدالة: **أثر**، في حين تقوم رأى على الدالة: **عانى**.

ويظهر التمثيل لدالات الصف المحوري وصف الأدوار الكبرى كما في (5):

(5) أ. س نظر إلى ص

[ س أدرك بصري ص  
س أثر ]

ب. س رأى ص

[ س أدرك بصري ص  
س عانى ص ]

ومن الفروق التي تنتج عن تمييز دالة الرؤية: **عانى**، من دالة النظر: **أثر**، أن الأولى تجعل من الجملة جملة ساكنة، تصف، كما في (4)، معاناة وليس نشاطا. في حين تجعل الثانية من الجملة جملة نشاط. وفي هذا السياق يبدو أن نظر تشبه فعلا مثل أشار إلى، والاختلاف بين فعل النظر وفعل الإشارة إنما يكمن في أن الأول توجيه للعين في حين أن الثاني توجيه للأصبع. أما رأى فنفترض وعيا بالمرئي (أو وصولا إليه). ومثل هذه الفروق هي التي تجعل من رأى فعلا للتمثيل الذهني مثل اعتقد، وقصد، وفهم، الخ.

إن خصائص النشاط والحالة التي تميز نظر إلى من رأى، تصدق كذلك في أنصت وسمع، مع تغيير حاسة الإدراك إلى السمع. أما ذاق وشم ولمس، فلكل فعل منها الاستعمالان معا: استعمال النشاط وتدل عليه، فيصف الأدوار الكبرى، أثر؛ والاستعمال السكوني وتدل عليه عانى<sup>1</sup>.

ولتمييز أثر من عانى أهمية أخرى، هي التي تعنينا هنا أكثر من غيرها، وتكمن في علاقة اللغة بنسق ذهني آخر. وذلك أن "الإحساس" بالمدرجات يخصصه نوعان من السبات.

تتعلق الأولى بكونه داخليا، كالصور الذهنية، أو خارجيا كالمدرجات؛ وتتعلق الثانية بكونه ناتجا عن مبادرة ذاتية، كالحالات الإرادية، أو ليس كذلك، كالحالات الذهنية غير الإرادية. وبناء على هذا يبدو أن التأليف الدالي: أدرك + عانى، يُرمز البناء التصوري "الإحساس" المعاني بعلاقته بالمدرك؛ فيكون هذا الإحساس، الوارد في تمييز الرؤية من النظر، مخصصا بالسمتين: [+ خارجي، - مبادرة ذاتية]. أما الحاسة المسؤولة عن المدرك فيشار إليها بسمة تنعت الدالة: أدرك، كما بينا آنفا.

لكن أدرك + عانى لا تستعمل فقط للإحالة على الإدراك الذاتي، بل لإسناد الإدراك إلى الآخرين أيضا. وبعبارة أخرى، فإن هذا التأليف الدالي جزء من نظرية الذهن التي تتعلق بالقدرة على إسناد المعتقدات والوعي والرغبات والمقاصد إلى الآخرين، أي منحهم "حياة ذهنية".

وبخلاف هذا، يعبر التأليف الدالي: أدرك + أثر، عن الفعل نظر، الذي يحيل على عمل يمكن أن يلاحظ خارجيا؛ إذ من الممكن أن نحدد ما ينظر إليه الشخص دون أن نعرف هل يراه (أي: يعاينه) أم لا. وبذلك تكون الدالة الرئيسة لوصف المعاناة هي عانى. والذات التي لا تملك هذا المحمول، يمكنها أن تعيش تجربة الإدراك (أو تجربة الواقع)، أي تمتلك معاناة المدرجات، لكنها، أولا، لا تستطيع إسناد هذه المدرجات إلى الآخرين أو نقيها عنهم؛ وثانيا، لا تستطيع التفكير فيها سواء أكانت ذاتية أم تعلق بالآخرين، لأنها لا تملك التصور الضروري لذلك. والحال أن هاتين المهمتين هما بالضبط موضوع نظرية الذهن<sup>2</sup>.

1. انظر غاليم، المعنى والتوافق، مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي.  
2. انظر غاليم، "بعض خصائص الأوضاع، مثال موضوع المعاني"، والمراجع هناك.

### 2.2.3. دلالة الإثباتيات

الإثباتيات (*evidentials*) مَقُولَةٌ نحوية مستقلة بذاتها رغم تفاعلها الطبيعي مع مقولات نحوية أخرى.<sup>1</sup> وهي عبارة عن عناصر لغوية تُرمِّز مُصدِرَ المعلومة باعتباره إثباتا (أو حجة) يعتمد المتكلم في إصدار القضية التي تحمل تلك المعلومة. فالأقوال التي تصدر عن المتكلمين بها ليست منزهة عن الخطأ. ويمكن للمتكلم أن يعتقد صدق القول الذي يصدر عنه، لكن صدقه لا يلزم بالضرورة عن اعتقاده. والسبيل الوحيد لمعرفة مدى صدقه هو فحص الوقائع. لذلك يستعمل المتكلم باللغة الطبيعية عناصر إثباتية من لغته ليشير إلى الإثبات (*evidence*) الذي يدلي به، داعيا السامع إلى التحقق منه. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- رأيت زيدا مقبلا (مصدر المعلومة - "زيد مقبل" - مصدر "مباشر": إدراك بصري)؛

- سمعت أن زيدا يقيم في المدينة (مصدر المعلومة - "زيد يقيم في المدينة" - مصدر "غير مباشر": إشاعة أو "قيل وقال")؛

- أظن أن الطفل يلعب في الساحة (مصدر المعلومة - "الطفل يلعب في الساحة" - مصدر "غير مباشر": استنتاج).

إن مصادر المعلومات هذه يمكن أن تشكل منطلقا لاستنتاجات تتعلق بتقييم مصداقية هذه المعلومات و/أو درجة التزام المتكلم بها. وتظهر أهمية ذلك حين نضعه في إطاره المعرفي المناسب والمتعلق بكون مختلف المصادر الممكنة للمعلومات تخلق اعتقادات ذات قوة تصديقية غير متساوية. والأساس المعرفي لذلك لدى الإنسان يكمن في الحاجة الأحيائية الحيوية لدى الكائن الحي إلى تقييم هذه المصادر؛ وهي وظيفة جوهرية من وظائف قدرة معرفية أساسية هي نظرية الذهن. ذلك أن الفشل في تقييم هذه المصادر يمكن أن يؤدي إلى اعتقادات خاطئة؛ وهو أمر قد تكون له عواقب وخيمة. ومن ثمة تُعتبر القدرة على رصد الاستنتاجات المبنية على تقييم مصادر المعلومات والتفكير فيها، جزءا جوهريا من قدرات نظرية الذهن لدى البشر.

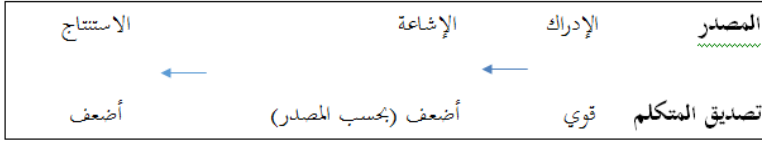
<sup>1</sup> انظر بخصوص "الإثباتيات" غاليم، "عن الإثباتيات"؛ "الإثباتياتُ مَقُولَةٌ نحويةٌ مستقلة".

ونظرية الذهن، كما أشرنا باختصار، قدرة تمكن من إسناد تمثيلات ذهنية إلى الذات وإلى الآخرين. فهي المسؤولة عن تفسير سلوك الناس الملاحظ، بما في ذلك سلوكهم اللغوي، بناء على حالات ذهنية ضمنية كالمعتقدات والرغبات والمقاصد والشكوك والأفكار الخ. وقد تراكت العديد من الأدلة على الحاجة الضرورية لهذه القدرة لتحقيق متطلبات الاكتساب اللغوي المبكرة، ومنها تعلم معاني الكلمات كمعاني الإثباتات والموجهات العرفية مثلا، وتحقيق متطلبات الاستعمال اللغوي على العموم. ومن أبرز هذه المتطلبات فهم الاعتقادات الخاطئة؛ أي أن يقارن الشخص فهمه الخاص للوضع بفهم شخص آخر. وهذا يتطلب قدرة ذهنية أكثر تعقيدا من مجرد تكوين تمثيل ذهني عن أوضاع العالم؛ إنه يتطلب تكوين تمثيل عن التمثيل (الخاطئ) الذي يحمله شخص آخر عن الواقع. ويعتبر سن الرابعة إلى الخامسة من عمر الطفل (وهو السن المعياري لاجتياز "رائز الاعتقاد الخاطئ") السن الذي يكتمل فيه تطور هذه القدرة الجوهرية من قدرات نظرية الذهن المسماة بتمثيل التمثيل (*metarepresentation*). وقبل ذلك لا يعتمد الطفل سوى اعتقاده الخاص. ويلحق بتطور هذه القدرة تطور قدرات أخرى من قدرات نظرية الذهن، منها التمكن من تصورات اجتماعية، كالمسؤولية والالتزام، تتطلب إدماج حالات ذهنية متعددة في بعضها البعض.

لذلك يمكننا، بخصوص درجة مصداقية الاعتقادات المرتبطة بنوعية مصدر المعلومة، أن نقيم سُلمية إثباتية تبعا لهذه الدرجة، تتراوح بين تحصيل المعلومة المباشر وتحصيلها غير المباشر. ومن أمثلة ذلك، أن المتكلم إذا أشار صراحة إلى أنه حصل المعلومة عبر عملية استنتاجية، فقد يعني أنه أقل التزاما بصدقها مما لو كان قد حصلها بالإدراك المباشر. ومن ثمة، فالاستنتاج مرتبط في هذه الحالة بدرجة دنيا من وثوق المتكلم وتأكده، مقارنة بالتحصيل الإدراكي المباشر. وبذلك يختلف هذان المصدران للمعلومات في درجة التصديق التي يستلزمانها لدى المتكلم، لكنهما يشتركان في خاصية تعلقها بالمتكلم نفسه فقط، خلافا للإشاعة.

وتشمل حالة الإشاعة قيودا مختلفة. فإسناد جزء من المعلومات إلى متكلم آخر، يمكن أن يخلف درجات متفاوتة من التصديق، رغم أنها تبدو، في كل الأحوال، أضعف مقارنة بتحصيل المعلومة بالإدراك المباشر. فعندما يذكر المتكلم قولا صدر عن شخص آخر، يمكنه أن يعبر عن عدة مواقف تجاه المحتوى الذي هو بصدده تمثيل تمثيلى. فقد يكتفي بنقل محتوى القول بنوع من الحياد. وقد يكون قصده إظهار موقفه القضوي الخاص منه، بهدف التشكيك فيه أو السخرية منه مثلا. ويسمى سبربر وولسن

(1986) هذه الظاهرة استعمالات صدوية (echoic uses) للغة. لنلاحظ اختلاف الموقف في نحو: يُقال إن ج؛ يُزعم أن ج؛ اطلعت على ما يسمى بالنظرية س؛ الخ. والمسألة المهمة هنا، أن استخدام عدد من علامات الإشاعة يستلزم، في نفس الوقت، إسناد تمثيل إلى مصدر مختلف عن الذات نفسها، وإقرارا بموقف معين للمتكلم من هذا المصدر. ولهذا السبب يتطلب استخدام هذا النوع من علامات الإشاعة مستوى إضافيا من تمثيل التمثيل. والخلاصة أن نوع المصدر يمكن أن يستلزم، بالنظر إلى واقع سُلّم القيم، درجة معينة من تصديق المتكلم. وهو ما تجمله زافري (2010) في الجدول التالي:



علاقة مصدر المعلومات بدرجة تصديق المتكلم

## خاتمة

تناولنا في الفقرات السابقة محورين رئيسيين يتعلقان بالخصائص العلمية المُجملة للمشروع أو الأنموذج العلمي الذي أسميناه أنموذجا معرفيا، وبعض مظاهر اندماج اللسانيات الحديثة فيه، مع التمثيل لهذا الاندماج.

فوقفنا في المحور الأول على الدلالة المحملة التي نقصدها بمفهوم توحيد العلوم في هذا الأنموذج. كما وقفنا على أهم سمات تصور الظواهر فيه. وهو تصور سببي مندمج للظواهر التي تدرسها مختلف علوم الطبيعة والمجتمع، مستمد من مكاسب ومصادر ثلاثة كبرى هي فلسفة الذهن الحديثة (القائمة على نتائج العلوم المعرفية)، والعلوم العصبية والوراثية، وعلم النفس التطوري.

وأوضحنا في المحور الثاني، بعض جوانب اندماج اللسانيات في الأنموذج المعرفي وبعض نتائج ذلك. فأشرنا إلى الآفاق الواعدة التي تفتحها النظرية الدلالية اليوم، بفضل هذا الاندماج، أمام فهم أعمق لطبيعة التصورات التي تبني اللغة والمعرفة. ومثلنا لذلك بالتقدم النوعي الذي أصبح يسمح به ربط

"الدلالة اللغوية" للألفاظ بمختلف الأنساق الإدراكية والتصورية التي تؤسس هذه الدلالة وتغذيها. ومثلنا لوجه الأنساق الإدراكية بالعلاقة بين النسق البصري والبنية الفضائية، من جهة، وأفعال البصر والأفعال التي تحمل معلومات بصرية-فضائية من جهة أخرى؛ ومثلنا لوجه الأنساق التصورية بعلاقة دلالة فعل الرؤية النفسي ودلالة الإثباتات، بنظرية الذهن.

## مراجع البحث:

- بريسول، أحمد، 2013، أفعال الحركة في إطار المعجم المولد. دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، 1965-1969.
- جاكندوف، راي، 2007، اللغة والوعي والثقافة، أبحاث في البنية الذهنية، ترجمة محمد غاليم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2020.
- الفاحصي، حليلة، 2018، اللغة ونظرية الذهن، بحث في علاقات التفاعل، رسالة دكتوراه قدمت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، المغرب.
- الفاحصي، حليلة، 2021، "لزوم نظرية الذهن لتطور اللغة واستعمالها"، ضمن كتاب: دراسات لسانية عربية، في الدلالة والتركيب والاكساب والترجمة، إعداد: محمد غاليم وحليمة الفاحصي، دار ابي رقرق للطباعة والنشر، الرباط.
- غاليم، محمد، 1999، المعنى والتوافق، مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب. (طبعة ثانية عن دار: عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، سنة 2010).
- غاليم، محمد، 2007، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، مبادئ وتحليل جديدة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- غاليم، محمد، 2008، "أي منهج لدراسة الظواهر الإنسانية والثقافية؟"، مجلة الثقافة الشعبية، السنة الأولى، العدد الثالث، المنامة، مملكة البحرين، ص 12-31.
- غاليم، محمد، 2012، "الخطاب السردى ونظرية الذهن"، بحث قدم في الندوة الدولية الثانية حول: "لسانيات النص وتحليل الخطاب"، الدورة الثالثة، تنظيم كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب. غير منشور.
- غاليم، محمد، 2013، "عن العبارة اللغوية والسياق"، بحث قدم في الندوة الدولية حول: "السياق والتأويل"، من تنظيم قسم اللغة العربية، بالمعهد العالمي للعلوم الإنسانية، بجامعة المنار، 15-13 نوفمبر 2013، تونس، غير منشور.
- غاليم، محمد، 2014، "نحو تصور جديد لتخصيص المعاني المعجمية"، ضمن كتاب: المعجمية العربية، قضايا وآفاق، ج. 2، إعداد وتقديم: منتصر أمين عبد الرحيم وحافظ إسماعيلي علوي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- غاليم، محمد، 2014، "السمات والوجهات وهندسة النحو"، ضمن كتاب: اللسانيات وإعادة البناء، إعداد: سرور اللحاني والمنصف عاشور، منشورات مخبر نحو الخطاب وبلاغة التداول، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، تونس.

- غاليم، محمد، 2015، "المعرفة النواة دليلا على استقلال الدلالة وبنيتها"، ضمن كتاب: قضايا المعنى في التفكير اللساني والفلسفي، إشراف: عبد السلام العيساوي، منشورات مخبر نحو الخطاب وبلاغة التداول، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، تونس، ص 11-41.
- غاليم، محمد، 2015، "بعض خصائص الأوضاع، مثال موضوع المُعاني"، ضمن كتاب: اللسانيات العربية المقارنة، إعداد: محمد الرحالي ومحمد ضامر وبشرى أفرح، منشورات جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب. وهو بحث قدم إلى الندوة الدولية الثانية حول: "اللسانيات العربية المقارنة"، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، يومي 5 و6 ماي 2010.
- غاليم، محمد، 2016، "بعض خصائص الوجه التصوري-الفضائي"، ضمن كتاب: آفاق لغوية، أعمال مهداة إلى الأستاذ إدريس السغروشي، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.
- غاليم، محمد، 2016، "النظرية الذريعية والكفاية المعرفية، أو نحو تفكيك معرفي للسياق"، مجلة أبحاث لسانية، العدد 32، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، ص 31-60.
- غاليم، محمد، 2018، "عن الكفاية التفسيرية في النظرية الدلالية"، ضمن كتاب: الدلالة بين النظامي والعرفاني، إشراف: عبد السلام عيساوي، منشورات الدار التونسية للكتاب، سلسلة: كلام لسان، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، تونس، ص 15-47.
- غاليم، محمد، 2018، "بعض مقتضيات الكفاية المعرفية في لسانيات الخطاب وتأويله"، ضمن كتاب: في الحاجة إلى التأويل، تنسيق محمد الحيرش وعبد الرحيم جيران، منشورات مخبر التأويليات والدراسات النصية واللسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المغرب، ص 49-77.
- غاليم، محمد، 2018، "عن الإثباتيات"، بحث قدم في اليوم الدراسي: "البحث اللساني العربي، قضايا وصفية ونظرية"، 08 ماي 2018، مخبر اللسانيات والتهيئة اللغوية والاصطلاح، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، جامعة محمد الخامس، الرباط، قيد النشر.
- غاليم، محمد، 2018، "بعض آفاق البحث الدلالي الجديدة، أو نحو كفاية تفسيرية في النظرية الدلالية"، ضمن كتاب: تخطيط متن اللغة العربية، الواقع والآفاق، إعداد تنسيق: أحمد الباهي، السعدية صغير، عبد الصمد الرواعي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، المغرب، ص 185-210.

- غاليم، محمد، 2019، "الإثباتاتُ مقولةٌ نحويةٌ مستقلة"، ضمن أعمال مهداة إلى الأستاذ حمادي صمود، جمع وتنسيق: بسمة بلحاج رحومة الشكيلي وهشام القلفاض، المعهد العالي للغات بتونس، مجمع الأطرش لنشر وتوزيع الكتاب المختص، تونس.
- غاليم، محمد، 2021أ، "نحو تصور جديد للبحث اللساني المعرفي المقارن"، ضمن كتاب: دراسات لسانية عربية، في الدلالة والتركيب والاكتساب والترجمة، إعداد: محمد غاليم وحليمة الفاحصي، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط.
- غاليم، محمد، 2021ب، اللغة بين ملكات الذهن، بحث في الهندسة المعرفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.
- غاليم، محمد، النموذج المعرفي إطارًا لاتصال العلوم، بحثٌ في وحدة المنهج وترابط الموضوعات، الدار التونسية للكتاب (قيد النشر).
- Andler, D. 2011a, "Le naturalisme est-il l'horizon scientifique des sciences sociales?" In : Martin, T., (dir.), *Les sciences humaines sont-elles des sciences?* Vuibert, Paris, pp. 15-34.
- Andler, D. 2011b, "Unity Without Myths". In: Symons, J. and al. (eds.), *Otto Neurath and the Unity of Science*, Springer, pp. 129- 144.
- Barrett, H. C., Cosmides, L. and Tooby, J. 2010, "Coevolution of cooperation, causal cognition and mindreading", *Communicative and Integrative Biology* 3:6, pp. 522-524.
- Breyer, T. (ed.), 2015, *Epistemological Dimensions of Evolutionary Psychology*, Springer.
- Davidson, Donald. 1967, "The logical form of action sentences". In N. Rescher (ed.), *The Logic of Decision and Action*. Pittsburgh: University of Pittsburgh Press.
- Durkheim, E. 1895/1982, *The Rules of Sociological Method*, The Free Press.
- Fodor, J. 1983, *The Modularity of Mind*, MIT Press.
- Gare, A. and Hudson, W. (eds.), 2017, *For a New Naturalism*, TelosPress, Candor, NY.
- Ghalim, M. 2015, "Le problème des traits sémantiques: sens et cognition". In: Ghalim, M. (ed), *Traits des Catégories Linguistiques, Interfaces et Typologies*, Publications de l'Institut d'Etudes et de Recherches pour l'Arabisation, Rabat, pp. 23-34.
- Grantham, T. A. 2004, "Conceptualizing the (Dis) unity of Science", *Philosophy of Science*, Vol. 71, No. 2, pp. 133-155.

- 
- Jackendoff ,R., 1978, “Grammar as Evidence for Conceptual Structure” ,in: Halle , M. ,Bresnan J. and Miller ,G.A. (eds.) ,Linguistic Theory and Psychological Reality , MIT Press.
  - Jackendoff, R. 1987, Consciousness and the Computational Mind. Cambridge, MA: MITPress, Bradford Books.
  - Jackendoff, R. 1996, “The Architecture of the Linguistic-Spatial Interface”. In: Bloom, P. and als. (eds.), Language and Space, MIT Press.
  - Jackendoff ,R. 2012, “Language as a source of evidence for theories of spatial representation”, Perception, volume 41, pp. 1128 – 1152.
  - Jackendoff ,R. 2014, “Genesis of a theory of language: from thematic roles (source) to the Parallel Architecture (goal)”.
  - <http://ase.tufts.edu/cogstud/jackendoff/recent.html>. (consulted on June 2021).
  - Jackendoff ,R. 2015, “In Defense of Theory”, Cognitive Science (2015), pp. 1–28.
  - Lakoff, George 1987, Women, Fire and Dangerous Things, University of Chicago Press.
  - Langacker, R. 1987, Foundations of Cognitive Grammar, vol. i, Stanford University Press.
  - Macnamara, John, 1978, “How do we talk about what we see?”, ms., McGill University.
  - Mäki, U. and al. (eds.), 2018, Scientific Imperialism, Exploring the Boundaries of Interdisciplinarity, Routledge.
  - Marr, David. 1982, Vision. San Francisco: Freeman.
  - Miller, George, and Philip Johnson-Laird, 1976, Language and Perception. Cambridge, MA: Harvard University Press.
  - Neurath, O. 1983, Philosophical Papers 1913-1946, Dordrecht: Reidel.
  - Pinker, S. 2002, The Blank Slate, The Modern Denial of Human Nature, Penguin Books.
  - Quine, W. V. O. 1969, Ontological Relativity and Other Essays, New York: Columbia University Press.

- Sperber, D. 1997, "Individualisme méthodologique et cognitivisme". In: Boudon, R., Chazel, F. et Bouvier, A. (eds.), Cognition et sciences sociales, Paris: Presses Universitaires de France, pp. 123-136.
- Sperber, D. 2006, "Why a deep understanding of cultural evolution is incompatible with shallow psychology". In: Enfield, N. and Levinson, S. (eds.), Roots of Human Sociality, Oxford: Berg, pp. 431-449.
- Sperber, D. and Wilson, D., 1986, Relevance, Communication and Cognition, Cambridge, Mass: Harvard University Press.
- Symons, J. and al. (eds.), 2011, Otto Neurath and the Unity of Science, Springer.
- Talmy, Leonard, 2000, Toward a cognitive semantics. 2 vols. Cambridge, Mass.: MIT Press.
- Tooby, J. and Cosmides, L. 1992, "The Psychological Foundations of Culture". In: Barkow, Cosmides and Tooby (eds.), The Adapted Mind, Evolutionary Psychology and the Generation of Culture, Oxford University Press, pp. 21-136.
- Tooby, J. and Cosmides, L. 2016, "The Theoretical Foundations of Evolutionary Psychology". In: Buss, David M. (ed.), The handbook of evolutionary psychology, 2nd Edition, Volume 1: Foundations, John Wiley & Sons, Inc, pp. 3-87.
- Varela, F. J., Thompson, E. and Rosch, E. 1991, The Embodied Mind, Cambridge, MIT Press.
- Wendt, Alexander, 2015, Quantum Mind and Social Science, Unifying Physical and Social Ontology, Cambridge University Press.
- Wilson, E.O. 1998, Consilience, New York: Vintage.
- Zohar, D. and Marshall, I. 1994, The Quantum Society: Mind, Physics and a New Social Vision, New York. NY: Morrow.
- Zufferey, S. 2010, Lexical pragmatics and theory of mind: the acquisition of connectives, John Benjamins Publishing Co.

## السياسات اللغوية في التعليم وإعادة صياغة الهوية الوطنية في دولة قطر:

### دراسة سوسiolسانية

د. إيمان مصطفى، جامعة قطر

*eimanmust@qu.edu.qa*

د. هديل الخطيب، جامعة قطر

*hadeela@qu.edu.qa*

#### الملخص:

تسعى دولة قطر لتحقيق التنوع الاقتصادي وأيضاً النمو في القطاعات غير النفطية حيث يجري العمل على تحويل اقتصاد الدولة إلى اقتصاد قائم على المعرفة. " شكلت الكلمات الآتفة والمستقطعة من رؤية قطر 2030 تاريخ قطر الحديث، وأفضت إلى جُملة من الإصلاحات والتحويلات البنوية في الأنظمة الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية في الدولة خلال العقدين الماضيين. ولعل من أبرز هذه التحويلات كان قرار اعتماد اللغة الإنجليزية لغة للتعليم في المؤسسات التربوية الحكومية في عام 2002، ثم الرجوع عن هذا القرار بالعودة إلى استخدام اللغة العربية في التعليم بدءاً من عام 2012. وعليه، تهدف هذه الدراسة إلى تقديم بحث سوسiolسياسي، يُفضي إلى فحص وتحليل ارتباط السياسات اللغوية في التعليم، والذي شهدته المؤسسات التربوية الحكومية في قطر، بمساع حكومية لإعادة صياغة الهوية الوطنية، لتلائم أطروحات الانفتاح الثقافي والتميز الاقليمي وبناء اقتصاد معرفي. تقدم هذه الدراسة إطاراً نظرياً يسعى لفهم التحويلات اللغوية في قطر ورصد علاقتها بإعادة صياغة الهوية الوطنية في ضوء ثلاثة مفاهيم رئيسية ذات صلة، هي: مفهوم فكري التماثل والتمايز بالإضافة لفكرة التباعد (Suleiman 2013) ومفهوم تشكيل وعي جمعي جديد من خلال التعليم (1991 Bourdieu)، ومفهوم صناعة "المواطنة المرنة" (Kanna 2011). تهدف الدراسة بشكل عام إلى تسليط الضوء على خطورة دور اللغة في التعليم وبالتالي في بُنية الهوية الوطنية. وتستعين في سبيل ذلك بنتائج مسح الهوية الوطنية الذي أجراه معهد البحوث الاقتصادية والاجتماعية في جامعة قطر (SESRI 2018). تدعو الدراسة لضرورة أن يستند التخطيط اللغوي في التعليم إلى دراسات مستفيضة وإجراءات منضبطة، منبثقة من علوم السياسات والتخطيط اللغوي وأدواتها، وذلك تحقيقاً للأهداف المرجوة.

الكلمات المفتاحية:

اللغة والهوية، التعليم والهوية، اللغة والتعليم، التخطيط اللغوي.

## *Language Policies in Education and Reconstruction of National Identity in Qatar: a Sociolinguistic Study*

Dr. Eiman M. Mustafawi, Qatar University

*eimanmust@qu.edu.qa*

Dr. Hadeel Alkhateeb, Qatar University

*hadeela@qu.edu.qa*

### ***Abstract:***

The State of Qatar seeks to achieve economic diversification and growth in non-oil sectors where efforts are directed towards transforming the state's economy into a knowledge-based economy." These words from Qatar Vision 2030 have shaped the history of Qatar, and have led to a set of structural transformations in economic, educational and social systems in Qatar during the past two decades.

Among the most significant transformations was adopting the English language as a language of instruction in government educational institutions in 2002, then the reverting to the use of Arabic in education starting from 2012. This study aims to present a sociopolitical examination and analysis of the relationship between language policies in education in Qatar, and government endeavors to reconstruct the national identity, to accommodate theses of cultural openness, regional distinction, and building of a knowledge economy. This study provides a theoretical framework for understanding language policy changes in Qatar in light of their relationship to efforts towards reconstructing the national identity making use of three main approaches: the processes of identification, differentiation, and distancing (Suleiman 2013), the concept of constructing a new collective consciousness through education (1991 Bourdieu), and the concept of flexible citizenship (2011 Kanna). We hope to highlight the significance of the role of language in education and consequently in the construction of national identity. The study calls for language planning in education be based on extensive research and systematic procedures, emerging from language policy and planning frameworks and tools, in order to achieve the desired goals.

### ***Keywords:***

**Language and identity; Education and identity; Language and education; Language policies and planning.**

مقارنته بتحويلات خمسة عقود مضت، هي عمر دولة قطر المستقلة، لا جدل في أنّ راهن المشهد القطري اليوم يتّسم بخصوصية تميزه عما سبق من عقود؛ فقد سلكت دولة قطر الحديثة طريق التنمية في الألفية الثالثة، متكئة في ذلك على العولمة بمضامينها الاقتصادية والسياسية، جاعلة منها أحد المحدّات الأساس للهوية الوطنية القطرية، كما أشارت سيدة قطر الأولى، الشيخة موزا بنت ناصر المسند: "في قطر، نأمل أن نلهم مواطنينا الثقة بأنفسهم، نحن نتصور أن كل قطري سوف يعتبر نفسه مواطناً قطرياً ومواطناً عالمياً" (الشيخة موزا المسند، خطاب التعليم ضرورة لمجتمع عادل، 18 مارس 2005).

ولعل أبرز ما ارتبط بهذا التوجه كان قرار اعتماد اللغة الإنجليزية لغة للتعليم في المؤسسات التعليمية الحكومية في عام 2002. وكانت حجة التحول اللغوي حينئذٍ مُستندة إلى أن كسب رهان الحداثة والانفتاح الاقتصادي في المجتمع القطري مرتبط بجودة التعليم، وأن الأخيرة مرتبطة بالمصادر والكتب الحديثة التي تتوفر باللغة الإنجليزية في أغلب الأحيان. وعليه، وفي سبيل بناء اقتصاد "قائم على المعرفة"، استُعين بخبرات دول الشمال المتقدم والناطقة بالإنجليزية لمراجعة النظام التعليمي القطري، والذي وُصف آنذاك بأنه "جامد، عفا عليه الزمن، وغير قابل للإصلاح" (Rand, 2004, p.15)، وتقديم البدائل التي من شأنها مواكبة الخطط الطموحة للقيادة القطرية. وعليه، شرعت الدولة في الإصلاح التعليمي الذي كان أحد ركائزه اعتماد اللغة الإنجليزية لغة للتعليم في المدارس والجامعات الحكومية.

بيد أنه في بداية عام 2012، وبترحيب شعبي متزايد، تراجعت الدولة عن اعتماد الإنجليزية لغة للتعليم، وعادت إلى اللغة العربية بقرار

صادر عن المجلس الأعلى للتعليم (أعلى جهة مختصة بشؤون التعليم في ذلك الوقت)، وذلك بناء على النتائج غير المشجعة التي كشفت عنها تقارير ودراسات حكومية. فقد تبين من خلال دراسة صدرت عام 2008 عن هيئة التقييم التابعة للمجلس الأعلى للتعليم، أن نسبة الطلاب الذين حققوا معايير اللغة العربية في المدارس الحكومية، وتمكنوا من إجادة اللغة العربية، تراوحت بين 1٪ إلى 13٪ من إجمالي عدد الطلاب، كما لم يحقق المعايير أكثر من 20٪ من الطلاب في المواد الأساسية الأخرى -الرياضيات والعلوم واللغة الإنجليزية- (Shaaban & Mustafami 2019). وركز تقرير التنمية البشرية الثالث لدولة قطر (2012) على أن "قطر دفعت باستثمارات كبيرة في التعليم، ومن أجل هذا يحظى القطريون بفرص تعليمية متعددة، غير أن الأداء التعليمي لا يتقدم بخطى تعكس حجم الاستثمار الحكومي، على الرغم من جُملة الإصلاحات التي استمرت لعقد من الزمن" (جريدة الوطن القطرية، الأحد 15 مايو 2011/ العدد 5733). وتكمن المشكلة وفقاً لخطة قطر الخمسية (2011) في تراجع أعداد القطريين الملتحقين بالتعليم العالي بشكل ملحوظ. وقد ركز التقرير على تدني مستويات التحاق القطريين من الذكور بالتعليم العالي، وعزا ذلك إلى فجوة بين المهارات المكتسبة في التعليم الثانوي ومتطلبات التعليم الجامعي بما فيها المتطلبات اللغوية. ويُشير التقرير ذاته إلى أن العديد من الطلاب القطريين رغبوا عن التعليم العالي بسبب عائق اللغة الإنجليزية؛ لغة التعليم آنذاك. وتفاعلت الصحافة القطرية مع نتائج مثل هذه الدراسات والتقارير الحكومية، وتبنت موقفاً سلبياً من القائمين على التعليم وسياساته في البلاد. فعلى سبيل المثال، نُشر مقال بعنوان "هل نحن أجنب يا سعد؟"<sup>1</sup>، هاجم فيه رئيس تحرير جريدة الوطن القطرية وزيرَ التعليم والتعليم العالي في ذلك الوقت، ودعا فيه إلى ضرورة إعادة النظر في السياسة اللغوية في التعليم في البلاد.

ولعل السؤال الرئيس للمقال الآنف ذكره: "هل نحن أجنب يا سعد"، هو نفسه لسان حال العديد من القطريين آنذاك من جراء التسويق الحكومي للغة الإنجليزية باعتبارها لغة للتعليم والحداثة والعصرية. وفي ضوء هذا، تسعى الدراسة الحالية إلى تقديم بحث سوسيولساني، يُفضي إلى فحص ارتباط التخطيط

اللغوي في التعليم وتحليله، والذي شهدته المؤسسات التعليمية الحكومية في قطر، بمساع حكومية لإعادة صياغة الهوية الوطنية، لتلائم أطروحات الانفتاح الثقافي والتميز الإقليمي وبناء اقتصاد معرفي. وبطبيعة الحال، شمل مشروع إعادة صياغة الهوية الوطنية والوعي الجمعي في قطر أبعاداً أخرى غير لغوية. فللتاريخ ومنظور قراءته مثلاً، دور كبير في صياغة الوعي الجمعي. حيث يعتبر غرو (*Grew 1986, p35*) كما ورد في سليمان (*Suleiman 2003*) أن الهوية الوطنية نتاج عملية "تأسيس / إنشاء" سواء من الناحية الفكرية أو من الناحية التاريخية؛ إذ تصاغ هذه الهوية من خلال قراءة معينة للتاريخ. ويؤكد على الدور الأساس للنخبة في تشكيل القاعدة الأيدولوجية لهذه الهوية وفي تسويقها لتحقيق حراك شعبي سياسي شامل عند الحاجة. في 21 يونيو 2007، قام ولي العهد (آنذاك) الشيخ تميم بن حمد آل ثاني بإصدار مرسوم يقضي باعتبار يوم 18 ديسمبر من كل عام يوماً وطنياً وعطلة رسمية لدولة قطر، وذلك بناء على كون ذلك اليوم من سنة 1878 التاريخ الذي توحدت فيه القبائل القطرية تحت قيادة الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني الذي صار يعرف لاحقاً "بالمؤسس". وبذلك تبنت قطر واقعة تاريخية محددة (من بين وقائع أخرى كان يمكن اختيارها)، ووظفت لتحقيق عمق تاريخي للهوية المبتغاة بالإضافة إلى دلالات أخرى لا يتسع المجال لذكرها.

تتكون هذه الدراسة من أربعة أقسام رئيسة. تقدم في القسم الأول منها إطاراً نظرياً يسعى إلى فهم التحولات اللغوية في قطر ورصد علاقتها بإعادة صياغة الهوية الوطنية في ضوء ثلاثة مفاهيم رئيسة ذات صلة، هي: مفهوم فكري "التماثل" و"التمايز" بالإضافة إلى فكرة "التباعد" (*Suleiman, 2013*) ومفهوم تشكيل وعي جمعي جديد من خلال التعليم (*Bourdieu, 1991*)، ومفهوم صناعة "المواطنة المرنة" (*Kanna, 2011*). يتناول المفهوم الأول المساعي الرامية إلى بناء هوية وطنية تنسم بسبب محددة تجعلها تقترب من بعض الأوطان أو الأمم بينما تتباعد عن أخرى. أما المفهوم الثاني فيركز على دور التعليم والنظام المدرسي في أدلة وإعادة تشكيل وبناء هوية وطنية تتلائم استراتيجيات غلباً قد تكون غير ظاهرة لعموم المجتمع. أما المفهوم الثالث والأخير فيُعبّر عن رؤى بعض الحكومات الخليجية في المزج بين أطروحات تعزيز الأصالة الثقافية الخليجية وأجندات "نيوليبرالية" تسعى إلى بناء اقتصادات منفتحة عالمياً، مما يدفع باتجاه إعادة صياغة هوية شعوب المنطقة بما يتماشى مع هذه الرؤى. أما في الجزء الثاني،

فنتفحص تأثير التخطيط اللغوي في التعليم في إعادة صياغة الهوية الوطنية للفرد القطري بمعطيات أيديولوجية مغايرة للفترة السابقة. ونستعين في سبيل ذلك بنتائج مسح الهوية الوطنية الذي أجره معهد البحوث الاقتصادية والاجتماعية في جامعة قطر (2018، SESRI). وفي الجزء الثالث، نسلط الضوء على تجربة سنغافورة في بناء الدولة وتأسيسها والتي نجادل أنها جديرة بالتأمل نظرًا إلى وجود أوجه تشابه بين كثير من معطياتها والحالة القطرية. ولذا فإننا ندعو إلى الاستفادة من الدروس التي يمكن استخلاصها حول دور المنظومة التعليمية في إعادة تشكيل الفرد/ المواطن. أما في الجزء الرابع والأخير، فنخلص إلى خطورة دور اللغة في التعليم وبالتالي في بنية الهوية الوطنية. وعليه ندعو إلى ضرورة استناد التخطيط اللغوي في التعليم إلى دراسات مستفيضة وإجراءات منضبطة، منبثقة من علوم السياسات اللغوية وأدواتها، وذلك تحقيقًا للأهداف المرجوة.

## 2. الإطار النظري وتعريف المفاهيم

قبل الخوض في موضوع البحث يلزمنا عرض مجموعة من المصطلحات والمفاهيم النظرية التي نسعى من خلال استحضارها إلى فهم التحولات اللغوية في قطر ورصد علاقتها بإعادة صياغة الهوية الوطنية بناء على أسس أيديولوجية مغايرة للعتود السابقة. ونبدأ بتحديد المقصود بالسياسات اللغوية والتخطيط اللغوي والفرق بينهما.

فالساسة اللغوية، باختصار، عبارة عن وجهة نظر حكومة أو مؤسسة تجاه لغة معينة أو أكثر من لغة، مدفوعة بموقف أيديولوجي. وقد تكون السياسة اللغوية معلنة، تُسن من أجلها القوانين وتُنص عليها الدساتير، أو غير معلنة (Spolsky, 2004) يتم تحقيق مآربها عن طريق القيام بإجراءات غير مباشرة وأحيانًا بعدم القيام بأي شيء وذلك إن كان الوضع اللغوي يسير في الاتجاه المطلوب بفعل قوى أخرى. أما التخطيط اللغوي فهو عبارة عن الإجراءات التي تُتخذ لوضع السياسة اللغوية المتبناة قيد التنفيذ. وفي أحيان كثيرة يستخدم أحد المصطلحين لأداء معنىٍ يشمل التعريفين. وفيما يلي نستعرض بشيء من التفصيل المفاهيم النظرية ذات الصلة.

## ● الهوية الوطنية

تُعد مفاهيم مثل "الأمة" و"القومية" والمصطلحات المشتقة منها والدالة عليها مثل "الهوية الوطنية" و"الوعي الوطني"، من المفاهيم البينية التي اشترك في تفسيرها والنقاش حولها كلٌّ من علماء السياسة والاجتماع والإنسانيات والتاريخ. ولعل هذا ما جعل من تعريف مثل هذه المفاهيم أمراً ليس باليسير. نُدرج فيما يلي بعض تفسيرات علماء الحقول الإنسانية والاجتماعية لمفهوم "الأمة"، والإشكاليات التي ارتبطت بمثل هذه التفسيرات.

يُشير سليمان (2003) (Suleiman) إلى أن هناك مسلكين معروفين لتعريف "الأمة". أولهما "موضوعي" وثانيها "ذاتي" (*Objective and Subjective definitions*). تركز التعريفات في المسلك الأول، على مجموعة من "الخصائص" أو "المعايير" التي تُشكل "الأمة" ومنها: الدولة، وسيادة الأرض، واللغة والثقافة المشتركة... وقد يُضاف معيار "الدين" إلى هذه الخصائص في بعض الأحيان. ولعل أشهر التعريفات "الموضوعية" للأمة، والتي مازال صداها يتجدد اليوم عند الحديث عن الهوية الوطنية، هو ما جاء به علماء الألفية الثانية في الحقول الإنسانية والاجتماعية. عرف ستالين (*Stalin*) (20, p. 1994) على سبيل المثال، الأمة بأنها: "مجموعة من الناس مُستقرة تاريخياً، تشارك في اللغة والأرض والاقتصاد، كما تمتاز بتركيب نفسي يُميزها عن سواها ويُسهّم في تكوين ثقافة مُشتركة فيما بينها". وشدد ستالان على أنه: "فقط بحضور كل هذه الخصائص مجتمعة، سيكون لدينا أمة" (م. ن، ص 21). وقدم سميث (*Smith*) (1991) أيضاً تعريفاً "موضوعياً" للأمة ركز فيه على اجتماع بعض المعايير مثل وجود وطن تاريخي ورواية تاريخية ورموز ثقافية مشتركة، بالإضافة إلى وجود نظام قانوني يساوي بين جميع منتسبي هذه الهوية في الحقوق والواجبات، ونظام اقتصادي يُمكن منتسبيه من حرية الانتقال ضمن الحدود الجغرافية لهذه الهوية. وبالمثل قدم كلٌّ من كريجسي وفليمسكي (*Krejci & Velimsky*) تعريفاً "موضوعياً" للأمة، بيد أنه أقل تشدداً من تعريفي ستالان وسميث ويُجيز احتجاج بعض هذه "المعايير" أو "الخصائص". يمكن، وفقاً لهما، الاستعاضة بغياب أحد "المعايير" المحددة للأمة بمفهوم

"الوعي الوطني" كما هو موضح في التعريف التالي: "هناك خمسة عوامل تُسهّم في تعريف مجموعة من الناس على أنها أمة. هذه العوامل هي: السيادة على أرض، ووجود الدولة، واللغة المشتركة، والثقافة المشتركة، والتاريخ. وتكون الأمة ناتجة عن حضور كلٍ من هذه العوامل. غير أنه وفي بعض الأحيان قد تغيب بعض هذه العوامل، ومع هذا تشعر مجموعة من الناس أنها أمة... وفي مثل هذه الحالة يُعوّض "الوعي الوطني" النقص الحاصل في العوامل الأخرى" (1981, p. 73). بيد أن مثل هذه التعريفات "الموضوعية" لمفهوم الأمة، أخفقت في التعبير عن مدى تعقيد انتماء الفرد إلى مجموعة معينة والذي قد ينجم عن تأثير مجموعة من العوامل العاطفية كما أشار هوبسباون (Hobsbawm) (1999). وخير مثال على ذلك حملة *We Are Qatar* أو "نحن قطر" التي أطلقتها المقيمون في قطر من مختلف الأثنيات والأديان واللغات والثقافات إبان بدء الحصار المفروض على الدولة من دول الجوار منذ الخامس من يونيو لعام 2017. وهي الحملة التي عبر المقيمون من خلالها عن انتمائهم للنسيج القطري، وعن وحدة المجتمع وعن استعدادهم لحماية مكتسباته.

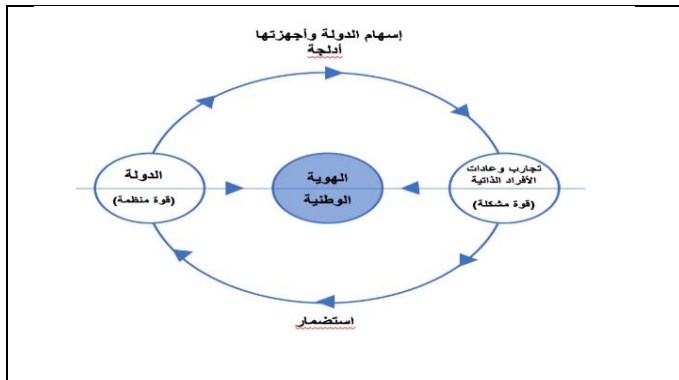
ولا يمكن بأي حال من الأحوال تفسير مثل هذا الانتماء نظرياً من خلال أي من التعريفات "الموضوعية" للأمة. نلجأ هنا إلى الأدب لضرب مثال على ذلك، وبالأخص لرواية "الموريسكي" لحسن أوريد، وذلك لتبيان مدى إشكال مفهوم الانتماء عند الأفراد وصعوبة حصره في مجموعة من "العوامل" أو "المعايير" كما تقترض تعاريف الأمة "الموضوعية". تقصّ هذه الرواية قصة الموريسكيين المسلمين الذين بقوا في إسبانيا تحت الحكم المسيحي بعد زوال المملكة الإسلامية، والذين خُيروا بين اعتناق المسيحية أو ترك إسبانيا في القرن الرابع عشر. تعرض الموريسكيون لمحنة من أشد المحن دموية في التاريخ الإنساني، ولم يكونوا سيئين في نظر الكنيسة الكاثوليكية الإسبانية فحسب؛ بل كانوا أيضاً سيئين في نظر عموم المسلمين. يقول أحد أبطال الرواية، المسلم الموريسكي رودريغو: "أنا مسلم ليس لي خيار آخر، رغم أنني لم أصل قط ولا أصوم رمضان، عشت دائماً على شاكلة القشتاليين، أحب الخمر ولحم الخنزير، وحجّة أعلنوا بأنني مسلم، لكي يطردوني من ديارى". كلمات رودريغو توضح كيف أن التعريفات "الموضوعية" لمفهوم الأمة تميل إلى غض الطرف عن نظرة الأفراد لذواتهم ولاتنماتهم إلى مجتمع معين، مختزلةً بذلك الهوية الوطنية في مجموعة من "المعايير".

أما ثاني المسلكين في تعريف الأمة، كما جادل سليمان *Suleiman* (2003)، فهو يركز على عناصر "ذاتية" قد تُسهم في تشكيل الأمم، مثل "الإرادة". نضرب على هذا مثلاً خطاب الرئيس الفلسطيني محمود عباس أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 23 سبتمبر 2011 والذي طالب من خلاله بقيام دولة فلسطينية مستقلة. جادل عباس: "إن شعبي يريد ممارسة حقه في التمتع بوقائع حياة عادية كغيره من أبناء البشر، وهو يؤمن بما قاله الشاعر محمود درويش: واقفون هنا، دائمون هنا، خالون هنا ولنا هدف واحد، أن نكون وسنكون". مزج عباس في كلماته الآنفه بين "الإرادة" و"الإيمان" و"الرغبة" في الوجود أو الكينونية للتأكيد على الحق الفلسطيني في تشكيل دولة وبناء أمة. بيد أنه يُعاب على مثل هذا التوجه "الناتي" في تعريف الأمة، كما أشار سليمان *Suleiman* (2003) إلى أن "الإرادة" و"الإيمان" و"الرغبة" ليست كافية لتشكيل هوية جامعة ووطنية وبنائها، ويلزم الأمر تحقيق مبدأ تقرير المصير والسيادة على الأرض أولاً. وجدير بالإشارة في هذا الموضوع القضية الكردية. يتراوح عدد الكرد ما بين 20 إلى 30 مليوناً، موزعين على بلدان كثيرة مثل: إيران والعراق وسوريا والأردن وتركيا، واجتمع معظمهم على المطالبة بـ "وطن تاريخي" لهم، ففاضلوا في سبيل ذلك عشرات السنين. إلا أن مطالبهم هذه، غالباً ما يُعاب عليها انتماء الأكراد إلى ديانات مختلفة (الإسلام، واليزيدية/ الإيزيدية، والآشورية واليهودية) وفقدانهم في كثير من الأحيان للغتهم الكردية؛ إذ اضطروا إلى استعمال لغة الأوطان التي قطنوها، وأنهم شعب بلا دولة تُنظم تطلعاتهم السياسية وواقعهم الاجتماعي كما أشار غونتر *(Gunter)* (2004).

وبناءً على الإشكاليات التي أحاطت كلا المسلكين في تعريف "الأمة" والمفاهيم الدالة عليها، خلص البعض إلى أنه "لا يمكن تعريف الأمة تعريفاً نظرياً" (Edwards, (1988), p. 14). ويبدو أن هذا الإخفاق النظري في تقديم تعريف للأمة، دفع الباحثين في الألفية الثالثة كما بين سليمان *Suleiman* (2003) إلى التركيز على "عوامل الاختلاف بدلاً من عوامل الاندماج"؛ أي تحديد الخصائص التي تختلف فيها مجموعة بشرية عن المجموعات الأخرى، وإلى اعتبار أن مفهوم الهوية الوطنية، كما جادل فوداك وآخرون *Wodak et al* "لا يدل أبداً على ثابت؛ بل هو متغير ومُتقلب ومتحول" (2002, p.11). ويتفق مع هذا معلوف (2011, p24)، في كتابه "الهويات القاتلة"؛

إذ يُجادل: "الهوية الوطنية ليست ثابتة؛ بل هي تتحول مع الوقت وتُحدث في السلوك البشري تغييرات عميقة". يُسهم في هذا التغيير المستمر والتبديل قوتان هما: الدولة وأجهزتها من جهة، والأفراد وتجاربهم الذاتية من جهة أخرى (Alkhateeb, 2015). فالهوية الوطنية ما هي إلا صناعة ناجمة عن علاقة ثنائية ديناميكية متغيرة ومتحولة بين قوة مُنظمة (الدولة) وقوة مُشكلة (تجارب الأفراد الذاتية). فما تُلزمه وتفرضه الدولة من أجندات سياسية أو ثقافية أو اقتصادية، من خلال أجهزتها كالتعليم والإعلام وسوق العمل، غالبًا ما يؤثر في تجارب الفرد الذاتية وممارساته المجتمعية وتدفعه نحو التغيير والتبدل بطريقة لا شعورية لموافقة هذه الأجندات وللتعايش المجتمعي معها. فيتولد لدى الأفراد منطق مشترك أو مسلك عقلي واحد (*Common sense*) لتقييم الأمور. ومعنى أكثر دقة، تتولد الهوية الوطنية من تفاعل كل من:

1. الدولة وأجهزتها، كقوة مُنظمة، في رسم سياسات اقتصادية واجتماعية تصبو إلى صياغة هوية مُبتغاة؛
  2. تجارب الفرد وخبراته، كقوة مُشكلة، والتي استُضمرت عن طريق التنشئة الاجتماعية.
- ويمكن تمثيل هذه العلاقة الديناميكية بين القوتين اللتين تُسهمان في تشكيل الهوية الوطنية: الدولة باعتبارها قوة مُنظمة وتجارب الأفراد الذاتية باعتبارها قوة مُشكلة بالرسم الموضح أدناه.



الشكل (أ): دائرة صياغة الهوية الوطنية وإعادة صياغتها

وفي ضوء هذه الدراسة، عندما تقوم الدولة "باعتبارها قوة مُنظمة" بالدفع بسياسة لغوية معينة والترويج لها باعتبارها ضرورة ملحة لتحقيق مكاسب اجتماعية واقتصادية مثل التعليم والعمل في مجتمع ما، فإن الأفراد باعتبارهم "قوة مُشكلة" سيرغبون في اكتساب "رأس مال لغوي" يوافق أجندة الدولة بُغية تحقيق المكاسب الاجتماعية والاقتصادية الموعودة، أو التكيف والانسجام مع ضرورات المحيط المجتمعي على أقل تقدير. الأمر الذي سيؤدي إلى عمليات "إعادة إنتاج" مستمرة في الحقل المجتمعي اللغوية والثقافية، وعليه سيصبح اكتساب لغة معينة تلائم أجندات الدولة "منطقا مشتركا" أو *common sense* وسيُسهم في إعادة بناء الهوية الوطنية الجامعة لأفراد المجتمع وإعادة صياغتها.

#### ● التماثل والتمايز والتباعد

يؤكد سليمان (Suleiman2003) على الوظيفة الرمزية للغة في صياغة الهوية الوطنية، وذلك بمناقشة بعض الحالات لعمليات أسست من خلالها اللغة (*language construction*) في مجتمعات مختلفة، واستخدام نتاج مثل هذه العمليات كوسيلة لصياغة الهوية وتحديدتها في تلك المجتمعات. يستكشف سليمان من خلال هذه المناقشة مظاهر اتباع واحدة أو أكثر من ثلاث عمليات في هذه الصياغة؛ وهي التماثل والتمايز والتباعد. يدل التماثل في هذا السياق على الجهود المبذولة في سبيل استخدام اللغة وسيلة لتحقيق هوية تتقارب مع أو تشبه هوية أطراف قد تكون داخلية أو خارجية ممن يستخدمون نفس اللغة أو نفس النظام الهجائي. ويعد استخدام تركيا للأبجدية اللاتينية إبان تحولها لدولة علمانية خير مثال على هذه العملية؛ إذ سعت الدولة الجديدة بخطى حثيثة لصياغة هوية وطنية تركية تقترب من الهويات الأوروبية وتقتدي بها، وشكل قرار تبني الأبجدية اللاتينية إشارة واضحة لهذا السعي. وعلى العكس من ذلك يدل التمايز على الجهود المتجهة نحو استحداث مظاهر للتمايز والاختلاف عن أحد الأطراف ضمن حدود دولة واحدة. ويعد الوضع الحالي في البوسنة والهرسك مثالا لاستخدام اللغة من قبل الجماعات الإثنية/الدينية المختلفة (الصرب والكروات والمسلمين) للتمايز والاختلاف فيما بينها. حيث تحدث هذه الجماعات الثلاث لهجات من لغة واحدة بالمعايير اللسانية، إلا أنه قد تم توظيف الاختلافات اللهجية البسيطة جدا بينها وكذلك تبني كل منها لنظام أبجدي مختلف لاعتبار كل منها لغة منفصلة وذلك "لرسم الحدود" بين هويات الجماعات الثلاث. وفيما يخص التباعد، فإنه يركز على إظهار

أو استحداث جوانب للاختلاف أو للابتعاد عن أطراف خارجية أو عن حقب تاريخية بعينها. ويعتبر تخلي تركيا العلمانية عن الأبجدية العربية مثالا واضحاً لهذه العملية حيث أرادت النخبة السياسية في تركيا في حينها الابتعاد عن كل ما يربطها بالعالمين العربي والإسلامي وإرثها العثماني.

### • اللغة وصياغة الوعي الجمعي

يركز بورديو (*Bourdieu, (1991), p. 49*) على استخدام التعليم كأحد الوسائل الأساسية لإضفاء صفة المعيارية (أو الرسمية) على لغة بعينها وبالتالي غرس توجه طبيعي لدى الطلاب لرؤية الأمور والإحساس بما حولهم بالطريقة نفسها، وعليه بناء وصياغة الوعي الجمعي للأمة. ويشدد بورديو على "أن المنزلة التي يمنحها النظام التعليمي للغات المختلفة، بمحتوياتها الثقافية، من الأهمية بمكان وذلك لاحتكار هذه المؤسسة لعملية إنتاج المنتجين والمستهلكين (أفراد المجتمع) على نطاق واسع، وبالتالي لعملية إعادة إنتاج "السوق"، والذي من دونه تنعدم القيمة الاجتماعية المرتبطة بالتمكن من لغة ما وكذلك قدرة هذه اللغة على القيام بدور "رأس مال لغوي". يعتبر بورديو الفضاء الاجتماعي بما يحويه من قيم مرتبطة بمكونات مادية أو معنوية سوقاً تتنافس فيها هذه المكونات كما تتنافس البضائع وذلك حسب القيمة التي يضيفها المجتمع على هذه المكونات. فإذا تم "تربية" أفراد المجتمع من خلال النظام التعليمي، جيلاً بعد جيل، على إضفاء قيمة عالية لأحد هذه المكونات، كاللغة الإنجليزية مثلاً، فإن اللغة الإنجليزية ستكتسب قيمة اجتماعية عالية في المجتمع/ السوق وستحافظ عليها. وعليه يمكننا أن نستنتج أن تهميش لغة ما في النظام التعليمي يضيء قيمة اجتماعية منخفضة لهذه اللغة.

### • المواطنة المرنة

ناقش كانا *Kanna (2011, p. 32)* الطرائق التي تهيئ بها دول الخليج العربي مواطنيها للتكيف مع ضغوط السوق العالمية المتزايدة. ووفقاً لما ذهب إليه، فإن بعض الحكومات الخليجية اجتهدت في تبني أجندات "نيوليبرالية" لبناء اقتصادات منفتحة عالمياً، بيد أن تبني مثل هذه الأجندات مُنح باعتراف أطروحات تعزيز الأصالة الثقافية الخليجية. الأمر الذي أفضى إلى إعادة إنتاج نوع من "الليبرالية الجديدة المعرّبة" أو "*Arabized neoliberalism*". ونجح عن مثل هذا "المرح"، إعادة صياغة هوية

شعوب المنطقة وفقاً لما أطلق عليه مصطلح *flexible citizens* أو "المواطنين المرين". هؤلاء "المواطنون المرنون" في دول الخليج العربي، لا يُعرضون عن الهوية الإسلامية والعربية؛ بل يقاربونها بطريقة قد تختلف عن أقرانهم من المحافظين. هم يفعلون ذلك طوعاً ونُصرةً للحدادة وتلبيةً لنداء الدولة لضرورة بناء مجتمعات تعددية وتقدمية تُسهم في ازدهار السوق (Kanna, 2011).

### 3. المناقشة والتحليل

سنسعى بناءً على الإطار النظري الذي نوقش آنفاً، إلى فحص ارتباط التخطيط اللغوي في التعليم وتحليله، والذي شهدته المؤسسات التعليمية الحكومية في قطر، انطلاقاً من مساعي الدولة لإعادة صياغة الهوية الوطنية، لتلائم أطروحات الانفتاح الثقافي والتميز الإقليمي وبناء اقتصاد معرفي. ونستدل على ذلك بنتائج مسح الهوية الوطنية الذي أجراه معهد البحوث الاقتصادية والاجتماعية في جامعة قطر (SESRI 2018). يتمثل هدف المسح المذكور في تحديد مكونات الهوية الوطنية في قطر والتعرف على محدداتها. ووفقاً لندوة أقيمت في جامعة قطر للتعريف بنتائج المسح، أجريت مقابلات شخصية باستخدام الحاسب مع 1.226 من القطريين البالغين الذين يعيشون في قطر. وتضمن إطار العينة جميع الوحدات السكنية في الدولة، وبلغت نسبة الاستجابة في هذا المسح 53٪ وشكل نسبة الخطأ في العينة +/- 3.4٪ كحد أقصى، وأخذ بعين الاعتبار تأثيرات تصميم العينة (الوزن والطبقية) عند احتساب نسبة الخطأ.

نُشير في السطور القادمة إلى بعض الطرائق التي نعتقد أنه وظفت من خلالها السياسات اللغوية في التعليم من أجل إعادة بناء الهوية الوطنية القطرية، ومنها:

1. تكريس انفصال الأدوار المنوطة باللغة الإنجليزية كلغة عالمية مرتبطة بمناخ سياسية وأرباح اقتصادية من جهة، واللغة العربية الفصحى كلغة ماضوية أو أدبية في أحسن الأحوال، وإن كانت دستورية، من جهة أخرى.
2. إعادة صياغة وعي جمعي جديد يركز على تاريخ الدولة القطرية ولهجاتها المحكية بمعزل عن محيطها العربي وعن لغتها المعيارية - الفصحى.

وفيا يلي مناقشة للنقطتين أعلاه في ضوء الإطار النظري المقدم آنفاً. من جهة، جاء مرسوم اعتماد اللغة الإنجليزية باعتبارها لغة رسمية للتعليم في قطر عام 2002، في وقت انتزعت فيه هذه اللغة صدارة المشهد اللغوي العالمي، فأضحت الإنجليزية إحدى متطلبات سوق العمل العالمي والمحلي. واستمرت اللغة الإنجليزية لغة التعليم الرسمي في قطر لعقد من الزمن، جرى خلاله التسويق لـ"نفعية" هذه اللغة. وفي هذا الصدد، تبين وزارة التعليم والتعليم العالي، في موقعها الإلكتروني، أن معايير اللغة الإنجليزية في المدارس الحكومية القطرية تهدف إلى "تمكين الطلاب من تنمية مهارات هذه اللغة إلى المستوى المطلوب للمنافسة في سوق العمل والاتحاق بالتعليم العالي، حيث تُعتبر اللغة الإنجليزية وسيلة الاتصال أو التعليم، وتتركز المعايير أساساً على الجانب الوظيفي" (موقع وزارة التعليم والتعليم العالي بدولة قطر). تلح الكلمات التي تحتها خط على النفعية وطلب الجدوى المادية وقضاء المآرب من خلال اللغة الإنجليزية. جاءت هذه الكلمات لمؤازرة توجهات الدولة لبناء اقتصاد معرفي وللتنافس في الأسواق العالمية. ومما يحسن الاستشهاد به هنا، للتدليل على هذه النظرة "النفعية" للغة الإنجليزية، قول الأمير الوالد، الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني: "أظن أن التعليم الجيد سيُمكن القطريين من إيجاد فرص عمل. ولهذا نحن ندفع نحو التعليم الجيد. ومن أجل هذا، استضفنا جامعات أمريكية... غير أننا نناقش وضع اللغة العربية كذلك، وهل ستندثر أم لا. في الواقع نحن نعزّز بلغتنا وثقافتنا. بيد أنه في بعض الأحيان، يتوجب تعلم اللغة الإنجليزية لمن يرغب بالاتحاق بهذه الجامعات خاصة من طلاب المرحلة الثانوية" (الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، الفاينانشل تايمز، 24 أكتوبر 2010).

ومن جهة أخرى، ففي الوقت الذي اعتمدت فيه اللغة الإنجليزية لغة رسمية في التعليم بدعوى "نفعيتها"، تبنت الدولة ممارسات لغوية تهدف إلى تعزيز اللهجة المحكية، مما يُعرف في علم السياسة والتخطيط اللغوي بالتوحيد القياسي / المعيرة أو "standardization"، والذي يتم من خلاله ترقية لغة أو لهجة معينة وتعزيز مكانتها في مجتمع ما بُغية إحيائها (Shobamy, 2006). وفي العادة ينطوي التوحيد القياسي على إضفاء صفة "الفوقية" على لهجة ما وترويجها في المجتمع على أنها "أفضل" شكل منطوق للغة كما أشارت هورنبرغر (Hornberger 2002). على أرض الواقع، تضمن التوحيد القياسي اللغوي في قطر ممارسات مثل إحياء مفردات غير متداولة من العامية واستخدامها في تسمية الشركات

والمؤسسات الجديدة، **كبروة وكروة واسبيتار وفزة ولخويا** وغيرها، عوضاً عن استخدام مقابلها من مفردات العربية الفصحى والتي كانت قد أصبحت جزءاً من اللهجة القطرية المحكية. صاحب هذا التوحيد القياسي، ترويج رسمي للمنطوق المحكي والعامي في كتابة أسماء بعض الأحياء والشوارع (اسلطة، ارميلة، لوسيل، لعيب وغيرها). ويرى علماء حقل السياسة والتخطيط اللغوي أن التوجه نحو التوحيد اللغوي القياسي في مجتمع ما، يَدُل على توظيف اللهجة "المختارة" أو "المنتقاة" للعمل كـ "Proxy" أو "وكيل" لمناقشة قضايا الهوية والتأكيد عليها من قبل الدولة.

في ضوء ما سبق، نجادل أن تنامي الدور المنوط باللغة الإنجليزية في البلاد من جهة، والترويج للهجة محلية من جهة أخرى، توحيان يقعان ضمن استراتيجيتي "التائل" و"التمايز". فتعزيز دور اللغة الإنجليزية في مختلف مناحي الحياة في البلاد يقع ضمن نطاق توظيف هذه اللغة لتحقيق هوية تتماثل مع الهويات المدرجة تحت الدائرة الانجلوفونية وتشابه معها، سواء بحجة الاندماج مع العولمة أو تطوير اقتصاد "قائم على المعرفة" أو للانخراط بعالم التكنولوجيا والأعمال. بينما يمكن قراءة عملية إحياء بعض مفردات اللهجة المحكية وتعزيزها واستخدام المفردات العامية في الكتابة، عوضاً عن الفصحى، كميكانيزم تمايزي في وجه اللهجات العربية الأخرى والتي يزيد عدد متحدثيها في المجتمع القطري عن متحدثي اللهجة المحلية. في هذه الحالة، وُظف استخدام العامية القطرية كاستراتيجية للتمايز والاختلاف عن الأعداد المتزايدة في البلاد من المتحدثين باللهجات العربية الأخرى، الأمر الذي ينتج عنه بالضرورة الاختلاف أيضاً عن المحيط العربي خارج الحدود القطرية. فاستخدام العامية في مجالات كانت مخصصة للفصحى قلص من "مساحة المشترك" مع الآخر العربي، ورسخ لهوية قطرية منفردة، مما يجعل الأمر يقع تحت نطاق "التباعد"، والذي سبق تعريفه في المقدمة. وقد يقول قائل إنه من الممكن اعتبار ظاهرة التوسع في استخدام العامية والمحلية كميكانيزم دفاعي في وجه العولمة كما يحدث في بعض المجتمعات. إلا أن الفرق هنا أنه في تلك المجتمعات، يكون التوجه نحو العامية والمحلية فيما مدفوعاً من جانب شعبي وبشكل تلقائي، ولا يكون مدفوعاً من قبل الحكومات. وواقع الأحداث في الحالة قيد الدراسة لا يشير إلى دور شعبي تلقائي في هذا الأمر. كما أنه لا يصح منطقياً أن تدفع الحكومة المجتمع نحو العولمة (كما هو واضح من الخطابات الرسمية) وتقوم بنفس الوقت بالعمل بشكل واع على مقاومته.

ولعل ما سبق ذكره، انعكس على نتائج مسح الهوية الوطنية (SESRI, 2018). ففي سؤال عن مدى تشابه الهوية القطرية مع الخليجية والعربية والإسلامية، جاء تصويت المشاركين في مصلحة الهوية الإسلامية أولاً (93٪)، ومن ثم الهوية الخليجية (88٪)، وأخيراً الهوية العربية والتي انفق 30٪ من المشاركين على اختلافها عن الهوية القطرية. أما في سؤال عن مدى تعلق المواطنين بكل من قطر، ودول الخليج، والعالم العربي، والعالم الإسلامي، والقبيلة أو العائلة، فقد جاء العالم العربي في المرتبة قبل الأخيرة من حيث تعلق المواطنين القطريين به (54٪). وقد يجادل البعض بأن هذه النتائج هي انعكاس للحصار المفروض على البلاد من قبل بعض دول الجوار العربية، أو بسبب انحسار الانتماء القومي العربي الحدودي بين الدول العربية في السنوات الأخيرة، إلا أننا نجادل بأنه حتى وإن سلمنا ببعض التأثير لظروف الحصار ولتراجع مشاعر القومية العربية على هذه الأرقام، إلا أن هذه النتائج في مجملها ليست وليدة اليوم؛ بل هي ناتجة عن التغييرات التي شهدتها المجتمع القطري خلال ما يقارب عقدين من الزمن، والتي صبغت في مجملها في مشروع إعادة صياغة هوية وطنية ذات انتماء تحده الجغرافيا السياسية في مقابل تقلص الانتماء للمحيط العربي. ونذكر أننا هنا معنيون بالجانب اللغوي، ونجادل أن الدولة اجتهدت في إعادة صياغة هوية متوافقة مع معطيات العولمة، وذلك باعتماد اللغة الإنجليزية وتسويتها في مؤسساتها التعليمية، الأمر الذي حقق لها شيئاً من التفرد الخليجي (انظر: Peterson, 2006)، وفي ذات الوقت، جعلت الهوية القطرية متميزة عن الهوية العربية، وذلك بتوظيف اللهجة المحلية لإظهار اختلافها عن المحيط العربي والتميز عنه.

هذا التمايز والتباعد عن المحيط العربي والتماثل مع العولمة ومع من يُمثّلها من دول الشمال المتقدم الناطقة بالإنجليزية، كان على حساب العربية الفصحى. فتأثير تنامي الدور المنوط بالإنجليزية في البلاد من جهة، والترويج للهجة المحلية من جهة أخرى أثر على القيمة الاجتماعية للغة العربية الفصحى. وبطبيعة الحال، لم يقتصر هذا التأثير على الدور الرمزي المقصود بالدور الرمزي للغة هو قيمتها المعنوية في نظر أفراد المجتمع للغة العربية؛ بل تعداه إلى الدور الوظيفي (دور اللغة كأداة تواصل) الفعلي. فإقامة الفعاليات العامة باللغة الإنجليزية كان على حساب المساحة المخصصة للفصحى، والإصرار على تحلي القطريين بمهارات لغوية عالية في اللغة الإنجليزية دون الاكتراث بمدى إتقان العربية الفصحى قد أضر بالأخيرة؛ إذ

لم يعد التمكن من العربية المعيارية ضرورة. وكما أن اعتماد اللغة الإنجليزية في التعليم سلب اللغة العربية قيمتها بشكل تلقائي من الناحية الرمزية، فقد قلص من الناحية الفعلية فرص تعلم العربية إلى الحصة المخصصة لتدريسها كلغة، بعد أن كان الطالب، بالإضافة إلى حصص اللغة، يتعلمها بشكل غير مباشر، من خلال جميع مواضيع المنهج الدراسي.

الجدير بالذكر أن وثيقة "السياسة التعليمية لدولة قطر" والمعروفة بـ "السياسة التعليمية الأولى" والخاصة بالقرود السابقة لبداية الألفية الثالثة لم تشر إلى أي دور للغة الإنجليزية كأحد المهارات المستهدفة في إعداد المتحقيين بالتعليم الحكومي في البلاد، على الرغم من أن هذه الوثيقة اعتبرت "الانفتاح على العالم الخارجي" أحد الملامح الرئيسية للدولة. في حين ركزت الوثيقة على دور التعليم في تأصيل انتماء "البلاد إلى العروبة" ليس فقط كلغة؛ بل وأيضاً "كفكر وثقافة وحضارة وتاريخ". وقد نص البند الرابع للأهداف العامة للتعليم في ذات الوثيقة على "تنمية الانتماءات الصحيحة للمواطن القطري وهي انتماءات قطرية خليجية عربية إسلامية إنسانية" (ص 61).

ومن نافذة القول هنا الإشارة إلى أن كل ما سبق تطلب صياغة وعي جمعي جديد للقطريين يؤمن بأهمية اللغة الإنجليزية وتميز اللهجة القطرية، وهو الأمر الذي عكفت عليه أجهزة الدولة وخاصة المؤسسات التعليمية، كما نبين في الأسطر القادمة.

تُشير نتائج مسح الهوية الوطنية (SESRI, 2018) إلى الأهمية الجوهرية التي يُضفيها المجتمع القطري لدور التعليم كمؤسسة ومناهج في مسألة تأكيد الهوية؛ إذ أفضت نتائج المسح إلى وعي القطريين بدور المدرسة الرئيس في تعزيز الهوية الوطنية والمحافظة عليها. فقد أجمع 94.3٪ من المشاركين على أهمية دور المدرسة، فيما أكد 88.5٪ منهم على أهمية دور الجامعات بهذا الصدد. وهنا نعود لفكرة صياغة الوعي الجمعي التي جاء بها بورديو (1991)، ونرى أن اعتماد اللغة الإنجليزية كلغة للتعليم في قطر، أضفى صفة المعيارية والرسومية على هذه اللغة في البلاد، مما غرس/ كرس توجهها طبيعياً لدى الطلاب لرؤية الأمور والإحساس بما حولهم بطريقة تعلي من شأن هذه اللغة باعتبارها "قيمة مُجتمعية" أو "رأس مال لغوي"؛ إذ يُفرض التمكن منها إلى تعزيز فرص الالتحاق بالتعليم العالي ومن ثم فرص الحصول على

وظيفة مرموقة. ولأن النظام التعليمي يحتكر تقريباً عملية "إنتاج المواطنين"، فمن شأن التوجهات التي يفرسها من خلال المدارس والجامعات أن تسود في المجتمع خلال فترة وجيزة. فإذا تمت "تربية" أفراد المجتمع، من خلال النظام التعليمي على إضفاء قيمة عالية للغة ما، فإن هذه اللغة ستكتسب وتحافظ على قيمة مجتمعية عالية في المجتمع والسوق. وفي المقابل فإن تهميش لغة ما في النظام التعليمي يسلبها قيمتها المجتمعية. وفي الحالة القطرية، تم تأسيس وصياغة وعي جمعي لغوي جديد "للشعب" يتسم بأنه أكثر قبولاً للغة الإنجليزية وأقل ارتباطاً باللغة العربية الفصحى، وتؤيد نتائج مسح الهوية القطرية (SESRI, 2018) هذا بشكل واضح، حيث وافق ما نسبته 35% من القطريين على أنه ليس للغة علاقة بالهوية، وأكد ما نسبته 38% على أن انتشار اللغة الإنجليزية لا يشكل خطراً على اللغة العربية، هذا بالإضافة إلى أن ما نسبته 63% وافق على أن المدارس الأجنبية لا تشكل خطراً على الهوية الوطنية. بمقارنة هذه النسب بنسبة من وافق على أن استخدام الإنجليزية من قبل الجهات الحكومية والخاصة يشكل تهديداً للثقافة العربية في قطر وهي 74% من 861 طالب، من شملهم بحث مسحي أجري في 2008 في جامعة قطر (Mustafawi, Shaaban, Khwaileh, & Ata 2021)، حين كان مشروع تعميم اللغة الإنجليزية في بداياته، يتبين لنا تأثير العملية المستمرة لإعادة صياغة الوعي الجمعي للمجتمع.

وتوضح نتائج مسح الهوية الوطنية (SESRI, 2018) كذلك أن "المواطنة المرنة" مصطلح ينطبق على القطريين الذين تدفع بهم السياسات الرسمية إلى المشاركة الفاعلة في المجتمع العالمي؛ إذ إن قطر اليوم هي وطن تتعدد فيه الثقافات واللغات، مما يخلق بيئة معقدة ومختلطة للفرد القطري، اجتماعياً وثقافياً ولغوياً. فقد أجبرت الوتيرة السريعة للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية في البلاد كثير من القطريين على تبديل طرقهم "الذاتية" في التمثيل الثقافي والفكري، الأمر الذي أدى إلى تغيير "قواعد اللعبة" من المنظور الاجتماعي اللغوي. فأصبحت اللغة الإنجليزية هي المكان الذي تتلاقى فيه الطموحات الحكومية في التنافس الاقتصادي مع طموحات الأفراد في تحقيق مساعي الدولة. من خلال كونهم "مواطنين مرنين" أضحى القطريون ومن غير قصد يولون أهمية أكبر للفرد العالمي الناطق باللغة الإنجليزية بدلاً من الفرد المحلي الناطق باللغة العربية. نرى هذا بجلاء في نتائج مسح الهوية الوطنية (SESRI, 2018)، حيث فضل

86٪ من المشاركين أن يتعلم أبناءهم باللغة الإنجليزية. هذا وأشار ما نسبته 78٪ من المشاركين إلى أن الافتتاح على الثقافات الأخرى يُعزز من الهوية الوطنية القطرية.

#### 4. دروس مستفادة من تجربة سنغافورة

فيما يلي، نستشهد بتجربة سنغافورة في صياغة هوية وطنية متفردة بالارتكاز إلى التخطيط اللغوي في التعليم. نجادل أن التجربة السنغافورية جديرة بالتأمل نظرًا إلى وجود أوجه تشابه بين بعض معطياتها والحالة القطرية وعليه فإننا نُشير إلى إمكانية الاستفادة من الدروس التي يمكن استخلاصها حول دور التخطيط اللغوي في المنظومة التعليمية في إعادة تشكيل الفرد.

سنغافورة دولة صغيرة لا تزيد مساحتها عن 588 كلم مربع إلا أن مواطنيها يتنوعون بين أغلبية من أصول صينية (74٪) تليها نسبة كبيرة من أصول ملاوية (13.4٪) وأقلية من أصول هندية (9٪)، بالإضافة إلى نسبة ضئيلة من أصول أخرى (Leong, 2016). قامت الحكومة منذ الاستقلال في 1966 بالتركيز، بشكل أساسي، على تحقيق التنمية الاقتصادية والرخاء للشعب، وتوظيف النظام التعليمي والإسكان الحكومي والخدمة الوطنية وحملات التوعية الدورية للوصول لهذا الهدف. وأنشئت العديد من المجالس الإدارية لتطبيق مختلف الخطط التنموية سواء تلك المتعلقة بالجوانب الاقتصادية أو الاجتماعية. كما سعت الحكومة إلى توطيد علاقات الصداقة مع أطراف متعددة دولياً. إلا أن التخطيط اللغوي كان وما زال مكوناً أساسياً لاستراتيجية الدولة لصياغة هوية سنغافورية متفردة. ففي عام 1966 تم تبني اللغة الإنجليزية كلغة ثانية إجبارية في جميع مدارس السولة بالإضافة للغة الأم لكل طالب، إلا أنه خلال فترة وجيزة صارت المدارس جميعها تعلم بالإنجليزية كلغة أولى؛ أي أن المحتوى التعليمي لجميع المناهج صار يدرس بالإنجليزية، وصار استخدام اللغات الأم محصوراً في حصص تدريس هذه اللغات. تم الترويج للإنجليزية على أنها لغة التكنولوجيا وقطاع الأعمال والتنمية الاقتصادية. وركزت القيادة على أهمية ثنائية اللغة في التعليم وذلك كجزء لا يتجزأ من هوية المواطن السنغافوري، وأنفق بسخاء على التعليم (Quah, 1977) (Ortmann 2009, Leong 2016). لاحظت الحكومة في أواخر السبعينيات من القرن العشرين أن الشباب السنغافوري، وبتأثير من تلقي التعليم

باللغة الإنجليزية، قد فقد هويته الآسيوية، وتشرب أساليب الحياة الغربية وتبنى منظورا فرديا/ ذاتيا للحياة. لمقاومة هذه الظاهرة، قامت الحكومة بتطبيق سياسة لغوية في التعليم عُرفت "بسياسة معرفة اللغة الإنجليزية"؛ أي تعلم الإنجليزية كأداة تواصل وتعلم اللغة الأم كلغة ثقافة، وذلك لربط الطلاب بتقاليد جذورهم الإثنية والثقافية. إلا أن نتائج التعليم ثنائي اللغة القائم على التعليم بالإنجليزية كلغة أولى لم يأت بالنتائج المرجوة. فقد أشارت إحدى التقارير (1978) مثلا، إلى أن 25٪ على الأقل من طلاب الصف السادس لم يستطيعوا القراءة والكتابة. وبنهاية تسعينيات القرن الماضي بدا واضحا أن سياسة "معرفة اللغة الإنجليزية" لم تفلح. فقد تدنت معايير اللغة الإنجليزية لزيادة انتشار استخدام اللغة الهجينة المسماة "سينجليش"، والتي يرى فيها الكثير من المواطنين اللغة التي تعبر عن هويتهم. كما أنه لم تتوفر لمعظم الطلاب فرص ممارسة اللغة الإنجليزية خارج نطاق المدرسة، مما أثر سلبا على اكتسابهم لهذه اللغة. هذا بالإضافة إلى تأثر استيعابهم للمحتوى؛ لأن هذا المحتوى قُدم لهم بلغة لا يجيدونها. وفي نفس الوقت تدنت مستويات الطلاب في اللغات الأم وذلك لضيق الوقت المخصص لتعليمها في مقابل التركيز المتزايد على تعلم الإنجليزية، وكذلك بسبب تدني كفاءة المعلمين. وبسبب القيمة الاجتماعية واللغوية المتزايدة والمرتبطة بالتمكن من اللغة الإنجليزية، وتدني القيمة اللغوية المرتبطة باللغات الأم واقتصارها على قيمة رمزية، زادت نسبة الأسر التي صارت تستخدم الإنجليزية للتواصل مع أطفالها، مما زاد من تدني إقنان أبناء الأجيال الجديدة من لغاتهم الأم. واكتسحت الإنجليزية مجالات كانت مقتصرة على اللغات الأم. وفي نفس الوقت اتسعت الفجوة بين متحدثي الإنجليزية وغيرهم من المواطنين وذلك من حيث فرص الترتقي في التعليم وفي العمل. وفي ظل هذه المعطيات انخفضت الدافعية لدى الأجيال الجديدة لتعلم اللغة الأم. باختصار، فشلت سياسة "معرفة اللغة الإنجليزية" القائمة على محوري تعلم الإنجليزية كلغة للعلم والتطور وتعلم اللغة الأم للحفاظ على القيم الثقافية والتقاليد، بسبب القيمة اللغوية العالية للإنجليزية (Leong, 2016) مقابل القيمة المنخفضة للغة الأم.

ويؤكد ليونغ (2016) *Leong* وهو بصدد اقتراح الحلول لهذه المعضلة، أنه لكي تعطي سياسة الثنائية اللغوية ثمارها المبتغاة يلزم الأخذ بالاعتبار مستويين لتطبيق هذه السياسة، مستوى ماكرو/اقتصادي، وهو المستوى المطبق بالفعل، ويشمل سن القوانين واتخاذ القرارات على مستوى القيادات، ومستوى

مايكرو/ جزئي، والذي يولي اهتماما إلى نظريات اكتساب اللغة والحفاظ عليها واستخدامها، وللبيئة والسياق. كما يلزم فحص دافعية الطلاب لتعلم اللغات وجودة العملية التعليمية في الصف الدراسي. وهناك ضرورة لاستقطاب المعلمين من ثنائيي اللغة. كما يتوجب على القائمين على التعليم التأكد من قيام المدارس بتقديم الدعم الكافي لتعليم اللغات الأم. من المهم أيضا العمل على زيادة الوعي لدى الأهالي بضرورة المحافظة على اللغة الأم (Leong, 2016). ومن جانب آخر، على السلطات أن توفر للمواطنين فرصة للمشاركة في صياغة هويتهم؛ إذ نرى أن المواطنين العاديين في سنغافورة قاموا بتطوير أفكارهم الخاصة عن الهوية الوطنية للبلاد، والتي تتعارض أحيانا مع جهود القيادة لبناء الأمة السنغافورية، مما يشكل نوعا من المعارضة غير الظاهرة. الكثير من المواطنين يطالبون بمشاركة أكبر في مناقشة وتحديد ماهية الهوية السنغافورية، الأمر الذي يؤكد صعوبة صياغة هوية وطنية مدنية مستدامة بشكل استبدادي. فمثلا، بدأت اللغة الهجينة "سينجلش" تكتسب أهمية متزايدة كرمز لهوية المجتمع وتماسكه، وقد قام المواطنون باستخدامها لأنها في نظرهم أكثر ساهمهم الوطنية وضوحا، فهي مزيج من مكونات من مختلف اللغات الإثنية في البلاد بالإضافة إلى بعض من الانجليزية. إلا أن الحكومة حاربت استخدام هذه اللغة وتروج عوضا عن ذلك للإنجليزية لأنها لغة التكنولوجيا وقطاع الأعمال، بينما الأولى تتعارض مع الخطط التنموية للبلاد بما فيها عولمة اقتصاد سنغافورة. وتعد الشبكة العنكبوتية، في الوقت الحالي، أهم الفضاءات التي يناقش فيها المواطنون الهوية السنغافورية وصياغتها (Ortmann, 2009).

يظهر تشابه واضح بين الحالة السنغافورية والحالة القطرية من حيث المستوى الذي استند إليه اتخاذ القرارات اللغوية، والإجراءات المستخدمة في صياغة الهوية الوطنية "اللغوية" ودوافعها، واللغة المتبناة للترويج لها وتفاعل المجتمع مع هذه الإجراءات ورد فعله تجاهها. كما يوجد تشابه يصل إلى حد التطابق فيما يخص إخفاق مشروع ثنائية اللغة على الرغم من استمراره في السياق السنغافوري لعقود طويلة. يجدر بنا والحالة هذه الأخذ بعين الاعتبار خلاصة الأبحاث التي تناولت أسباب عدم تحقيق السياسات اللغوية في سنغافورة لأهدافها كما بينها الباحثون، والتي نرى أنها تكاد تنطبق على الحالة القطرية (ويمكن للقارئ الاطلاع على أسباب إخفاق التجربة اللغوية القطرية من خلال (Mustafawi & Shaaban, 2019).

## 5. الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى تقديم بحث سوسiolساني، يُفضي إلى فحص ارتباط التخطيط اللغوي في التعليم وتحليله، والذي شهدته المؤسسات التربوية الحكومية في قطر، بمساع الدولة القطرية في إعادة صياغة الهوية الوطنية، لتلائم أجناس الانفتاح الثقافي والتميز الإقليمي وبناء اقتصاد معرفي. قدمنا إطاراً نظرياً لفهم التحولات اللغوية في قطر ورصد علاقتها بإعادة صياغة الهوية الوطنية، ومن ثم استعنا بنتائج مسح الهوية الوطنية (SESRI, 2018)، لندلل على تطبيقات المفاهيم النظرية في السياق القطري. دفعنا نتائج المسح للاعتقاد بأن جهوداً كبيرة دفعت، وبالأخص في المؤسسات التعليمية ومن خلال سياساتها اللغوية، باتجاه تشكيل مواطن قطري "عالمي" و"مرن"، يولي أهمية للغة الإنجليزية، لغة السوق والاقتصاد العالمي، كما يتمايز ويتباعد عن محيطه العربي بلهجته المحكية. واستشهدنا بالتجربة السنغافورية، والتي نجادل بأنها مشابهة للحالة القطرية، وخلصنا إلى ضرورة الاستفادة من هذه التجربة.

نختم ورقتنا هذه بنتائج المسح السنوي الخامس بمؤسسة *ASTERTELLERM ASDA'A* للشباب العربية *BURSON* (<https://www.gulf-ays.com>) في 2013. قام هذا المسح بعقد 3000 مقابلة مع شباب من مختلف دول الوطن العربي تتراوح أعمارهم ما بين 18 و24 عاماً، لسؤالهم عن مدى اعتزازهم بهويتهم القطرية ومدى تقديهم بقدرة حكوماتهم على تحضيرهم للمنافسة العالمية. صوت 88٪ من الشباب القطري الذي شملته العينة بأنه فخور بهويته القطرية، وأنه مسرور بتوجه حكومة بلاده، ووافق 60٪ منهم على العبارة التالية: "أشعر أن وطني قادر على التنافس عالمياً" أو "I feel my country can compete on the world" مقارنةً بـ 54٪ من أقرانهم من العرب الآخرين الذين وافقوا على هذه العبارة.

نسوق هذه النتائج هنا للتدليل على ثقة المواطنين القطريين وخصوصاً الشباب منهم بالحكومة القطرية وإنجازاتها. بيد أننا في المقابل، نرى أن مثل هذه الثقة جديرة بأن تُقابل بالسماح بدور أكبر للمواطنين في صناعة القرارات ذات العلاقة بالسياسات اللغوية في الدولة من جهة، وبمزيد من العناية بالتخطيط

والتجويد من جهة أخرى، وذلك بناءً على المعطيات المستمرة في التغير محلياً وعالمياً. والحقيقة أن دراسات متتالية من قبل ذوي الاختصاص قد نادى بضرورة تكريس دور أكبر للأفراد، وبالأخص من أصحاب المصلحة من خارج المنظومة الرسمية لصناعة القرار (انظر هورنبرغر *Hornberger, 2006*)، في عملية التخطيط اللغوي، إذ إنه يلزم توفر نطاق واسع من وجهات النظر وذلك تجنباً لإغفال عوامل مؤثرة تأثيراً حيوياً في هذه العملية (*Spolensky, 2004*). وإن كنا نتفق مع هذه الدراسات إلا أننا نرى أن الأهم من تحقيق قدر أكبر من المشاركة في صناعة قرارات من هذا النوع هو أن يستند التخطيط اللغوي في الدولة بشكل عام وفي التعليم بشكل خاص إلى دراسات مستفيضة وإجراءات منضبطة، منبثقة من علوم السياسات اللغوية وأدواتها، وذلك تحقيقاً للأهداف المرجوة.

### المراجع العربية

- السياسة التعليمية لدولة قطر. وزارة التربية والتعليم.
- أوريد، حسن، (2011). الموريسكي، ترجمة عبد الكريم الجويطي، دار أبي رقرق للنشر: الرباط.
- عباس، محمود، (23 سبتمبر 2011). خطاب المطالبة بقيام الدولة الفلسطينية، الجمعية العامة للأمم المتحدة.
- معلوف، أمين، (2011). الهويات القاتلة، ترجمة نهلة بيضون، دار الفارابي، بيروت.

### المراجع الأجنبية

- Alkhateeb, H. (2015). The Impact of Neoliberalism on Qatar's Language Policy and Language Planning: Constructing a New Hybrid National Identity or Maintaining a National Arabic Identity? University College of London, London.
- Bourdieu, P. (1991). Language and Symbolic Power. Cambridge: Harvard University Press.
- Edwards, J. (1988). Language, society and identity. Oxford: Basil Blackwell.
- Gunter, M. (2004). The Kurdish Question in Perspective. World Affairs, 166. 4, 197-205.
- Hobsbawm, E. (1999). Inventing Traditions. In E. Hobsbawm & T. Ranger, T. (eds). The inventing of traditions. (1-14). Cambridge: Cambridge University Press.
- Hornberger, N. H. (2002). Multilingual language policies and the continuation of biliteracy: An ecological approach. Language Policy, 1.1, 27-51.
- \_\_\_\_\_. (2006) Frameworks and models in language policy and planning. In Thomas Ricento (ed.) An Introduction to Language Policy: Theory and Method (24-41). Oxford: Blackwell Publishing.
- Jones, L. & Smith, A. (2001). Individual and Societal Bases of National Identity: A Comparative Multi-Level Analysis. European Sociological Review, 17.2, 103-118.
- Kanna, A. (2011) Dubai: The city as corporation. Minneapolis: University of Minneapolis Press.

- Krejci, J. & Velimsky, V. (1981). *Ethnic and Political Nations in Europe*. London: Croom Helm.
- Leong, C. (2016). *Singapore's English-Knowing Bilingual Policy: A critical Evaluation*. In Robert Kirkpatrick (Ed.), *English Language Education Policy in Asia* (265-280). New York, NY: Springer International Publishing.
- Mustafawi, E. & Shaaban, K. (2019). *Language Policies in Qatar: From Local to Global Then Back to Local*. *Language Policy* 18.2, 209–242.
- Mustafawi, E., Shaaban, K., Khwaileh, T., & Ata, K. (2021). *Perceptions and attitudes of Qatar University students regarding the utility of Arabic and English in communication and education in Qatar*. *Language Policy*. <https://doi.org/10.1007/s10993-021-09590-4>
- Ortmann, S. (2009). *Singapore: The Politics of Inventing National Identity*. *Journal of Current Southeast Asian Affairs*, 28, 4, 23-46.
- Peterson, J. E. (2006). *Qatar and the World: Branding for a Micro-State*. *The Middle East Journal*, 60.4, 732-748
- Quah, T. (1977). *Singapore: Towards a National Identity*. *Southeast Asian Affairs* (207-219).
- Shohamy, E. (2006). *Language policy: Hidden agendas and new approaches*. London: Routledge.
- Smith, A. (1991). *National Identity*. London: Penguin Books.
- Spolsky, B. (2004). *Language Policy*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Stalin, J. (1994). *The nation*. In J. Hutchinson & A. Smith (Eds.). *Nationalism*. Oxford: Oxford University Press.
- Suleiman, Y. (2003). *The Arabic Language and National Identity: A Study in Ideology*. Edinburgh: Edinburgh University Press.
- Suleiman, Y. (2013). *Arabic in the Fray: Language Ideology and Cultural Politics*. Edinburgh: Edinburgh University Press.

- 
- The Financial Times. Interview Transcript: Qatar's Sheikh Hamad (2010, October 24). Retrieved from <http://www.ft.com/cms/s/0/9163abca-df97-11df-bed9-00144feabdc0.html#axzz3DajQvB2V>
  - Wodak, R., de Cillia, R., Reisigl, M., Liebhart, K. (1999): The Discursive Construction of National Identity. Edinburgh: University Press.

#### التقارير

- Qatar National Development Strategy 2011-2016. (2011). Qatar General Secretariat for Development Planning. Retrieved from: [http://www.gsdp.gov.qa/gsdp\\_vision/docs/NDS\\_EN.pdf](http://www.gsdp.gov.qa/gsdp_vision/docs/NDS_EN.pdf)
- Qatar's Third Human Development Report. (2012). Expanding the capacities of Qatari youth: Mainstreaming young people in development. Retrieved from: [http://www.youthpolicy.org/library/wp-content/uploads/library/2012\\_Qatar\\_Human\\_Development\\_Report\\_Eng.pdf](http://www.youthpolicy.org/library/wp-content/uploads/library/2012_Qatar_Human_Development_Report_Eng.pdf)
- RAND. (2004). Qatar Policy Institute Report. RAND Corporation.
- SESERI, Qatar University (2018). National Identity Indicator Survey. Retrieved from: <http://sesri.qu.edu.qa/research/sesri>

## إشكالية تأصيل المصطلح اللساني الحديث في التراث

أ.د. خليفة الميساوي

جامعة قرطاج، جامعة الملك فيصل، السعودية

*mkhalifatn@yahoo.fr*

### ملخص

عالجنا في هذا البحث مسألة إشكالية تخص قضايا تأصيل المصطلح اللساني في الدرس اللساني العربي فتوصلنا إلى رؤيتين متناقضتين في الطرح والمنهج: رؤية تأصيلية تنطلق من اللسانيات لتبحث عن تأصيل في التراث ورؤية تحديثية تنطلق من الفكر اللساني الحديث ولا مصدر سواه في فهم المصطلحات وضبط مفاهيمها. فتبين لنا أن المنطلقات الإبستمولوجية للرؤية التأصيلية محكومة بأسس فكرية لا تستند على منهجية علمية رصينة وواضحة تأخذ بالأسباب والنتائج المنطقية المؤسسة للحقل اللغوي القديم؛ بل يميل أصحابها إلى الحجج العاطفية والإيديولوجية للدفاع عن أفكارهم، وقد أدى بهم هذا الأمر إلى الوقوع في عدة مغالطات بنوا عليها نتائج واهية لا يمكنها أن تصمد أمام الحجج العلمية اللسانية، وهو ما جعل أصحاب الرؤية التحديثية يميلون إلى اتباع الفكر اللساني الحديث ومناهجه العلمية التي يرونها مفيدة في إيجاد حل لقضية المصطلح اللساني وتطبيقه على اللغة العربية، فبنوا حججهم على ما توصلت إليه اللسانيات نفسها باعتبارها علما دقيقا يهتم بحقول لسانية جديدة لم يتطرق إليها التراث اللغوي سواء من ناحية الموضوع أو من ناحية المناهج وطرق المعالجة التي أثرت في الدراسات المصطلحية بصفة عامة والمصطلح اللساني على وجه الخصوص، وهو ما جعلنا نؤكد على هذا الاختلاف بين الرؤيتين سواء تعلق الأمر بالأسس الفكرية التي اعتمدها كل رؤية للبرهنة عن صحة تصورهما لقضية التأصيل أو تعلق الأمر بالآليات المتبعة في معالجة المصطلح. قادنا هذا الأمر إلى الكشف عن الخلفية الإبستمولوجية لكل رؤية ومدى نجاحها أو فشلها في طرق المعالجة المصطلحية ومكننا من تبيين المزالق المعرفية والمنهجية لكل رؤية بالاعتماد على فحص متصوري ومفهومي لبعض المصطلحات المتعلقة بالمجال البرغماتي.

### الكلمات المفتاحية:

تأصيل، متصور، مفهوم، مصطلح، أسس منهجية، أسس معرفية.

## *The problem of etymology of the modern linguistic term in the heritage*

Pr. Khalifa Missaoui

University of Carthage, King Faisal University

*mkbhalifatn@yahoo.fr*

### *Abstract:*

In this research, we dealt with a problematic issue related to the etymological issues of the linguistic term in the Arabic linguistics, and we came out with two contradictory views in the approach and method: an original view that stems from linguistics to look for the etymology in the heritage and a modernized view that stems from the modern linguistics and there is no other source in understanding terms and controlling their concepts. It became clear that the epistemological premises of the original view are governed by intellectual foundations that are not based on a solid and clear scientific methodology that takes into account the logical causes and consequences that establish the ancient linguistic field; Rather, its owners tend to use emotional and ideological arguments to defend their ideas, and this has led them to fall into several fallacies on which they built flimsy results that cannot withstand scientific linguistic arguments, which is what made the owners of the modernizing views tend to follow modern linguistic thought and its scientific methods that they see useful in finding a solution to the issue of the linguistic term and its application to the Arabic language. Linguistics in particular, which made us emphasize this difference between the two views, whether it is related to the intellectual foundations adopted by each view to demonstrate the correctness of its conception of the issue of rooting, and it is related to the mechanisms used in dealing with the term. We revealed the epistemological background of each view and the extent of its success or failure in the terminological processing methods. We showed the cognitive and methodological pitfalls of each view by relying on a conceptual and notional examination of some terms related to the pragmatic field.

### *Keywords:*

Etymology, Concept, Notion, Term, Methodological foundations, Cognitive foundations.

## 0. مقدمة

إنّ الناظر إلى المشهد العام في الدرس اللساني العربي تتجلى له رؤيتان في طريقة معالجة المصطلح اللساني: رؤية تأصيلية تراثية متشبثة بالتراث تنطلق منه للبحث عن تكوين مفهوم مصطلحي لمعالجة قضايا اللسانيات الراهنة، ورؤية حديثة ترى أن المصطلح اللساني الحديث لا تربطه صلة بالمفاهيم التراثية القديمة. سنحاول في هذا البحث الكشف عن المناهج وطرق المعالجة التي اتبعتها كل رؤية في البرهنة على مواقفها وقراءتها لمسألة المصطلح اللساني. فإلى أيّ حد كانت موفقة في قراءتها المنهجية وأسسها الإستمولوجية؟ وإلى أيّ مدى يمكن تأصيل المصطلح اللساني في التراث؟ وهل سؤال التأصيل سؤال مشروع من الناحية العلمية والمنهجية أم أنه سؤال مغالطي أوقع الدرس المصطلحي اللساني في أزمات وعوائق وقفت أمام تطور اللسانيات في الوطن العربي؟ سنحاول في هذا البحث الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها قصد معالجة بعض القضايا المصطلحية الناتجة عن مسألة التأصيل.

## 1. الرؤية التأصيلية

تندرج هذه الرؤية تحت محور فكري عام يشمل كلّ العلوم، ويدور على إشكالية العلاقة الرابطة بين التراث والحداثة التي تمثلت في اتجاهات فكرية ثلاثة: اتجاه رافض لهذه العلاقة<sup>1</sup> واتجاه مؤيد لها<sup>2</sup> واتجاه توفيقية بينها<sup>3</sup>. انعكس هذا التمشي على الفكر العربي الحديث عموماً ومنه الفكر اللغوي، وبالتالي مسألة المصطلح بصفة عامة باعتبار أنّ لكلّ فكر مصطلحاته ومنها المصطلح اللساني الذي يعيننا في هذا البحث. والسؤال

1. نذكر على سبيل المثال عبد القادر الفاسي الفهري ومصطفى غلفان وتمام حسان...  
2. الشاهد البوشيخي ومسعود صحراوي وعبد الرّاجحي وعبد السلام المسدي...  
3. أحمد المتوكل وعبد الرحمان الحاج صالح...

كيف نعالج قضايا مصطلحية وضعت من منطلق فكري لساني حديث باستعمال منطلقات فكرية وآليات معالجة لغوية قديمة؟ وفي أيّ المجالات تكون المعالجة ممكنة؟ وفي أيّ المجالات تكون مستحيلة؟

تركز المنطلقات الفكرية التأصيلية على دواعي التثبث بالتراث والخوف على القرآن والسنة والهوية الإسلامية ومحاولة إظهار الأسبقية التراثية العربية والدفاع عنها بشتى الطرق خاصة العقدية منها باعتبار ارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي والحضارة والهوية<sup>1</sup>، وبناء على هذا التصور عقدت مقارنات بين القديم والحديث لإثبات أفضلية القديم. وينخرط أصحاب هذه الرؤية في مشروع تواصل حضاري يتأسس على ما هو تفكير مصطلحي تراثي شامل منطلقين منه لتأسيس مصطلحات يظنون أنها تجيب عن قضايا المصطلح الراهنة، وفي أغلب الأحيان لا يبررون المنطلقات العلمية الإستمولوجية العلمية التي تأسست عليها المصطلحات التراثية زاعمين أن اللغة العربية لا تتطور. فالتصفت قداسة اللغة بقداصة النص الديني (القرآن والسنة)، وهي رؤية القداماء للغة بصفة عامة؛ إذ علم اللغة عندهم من العلوم الآلات التي توظف لتفسير المسائل الدينية، وبالتالي لم تكن رؤيتهم للدراسة اللغوية مبنية على غاية دراسة اللغة في حدّ ذاتها ومن أجل ذاتها كما ذهب إلى ذلك دي سوسير؛ بل كانت اللغة عندهم وسيلة لا غاية. ولم يكن هذا التمشي الإستمولوجي ظاهرا وواضحا لأصحاب هذه الرؤية حتى يدركوا الفرق في الأهداف والتوجهات بين علماء اللغة القداماء واللسانيين الجدد، أو أنّ بعضهم يسيطر عليه الفكر الإديولوجي بتعلة الانتماء والمحافظة على الهوية العربية الإسلامية، فيتجاهلون هذا المنهج العلمي اللساني؛ بل يشوهونه أحيانا، فيصنّفونه على أنه غربي لا يصلح لدراسة الظواهر اللغوية العربية متناسين أنّ الدين إنساني وكوفي وأنّ العلم كذلك. وأمام هذا الانحراف الفكري عن المنهج العلمي الدقيق والصارم الذي يرفض هذا التمشي راح أصحاب هذه الرؤية يؤصّلون مصطلحات لسانية حديثة، ولدت في إطار إستمولوجي مغاير للإطار الإستمولوجي التراثي<sup>2</sup>، كما هو في التراث اللغوي القديم، ويبحثون عن أفضلية القداماء وأسبقيتهم في هذا المجال، ويبررون توجهاتهم هذه بشتى الطرق التي لا تستند إلى منطق علمي وفكر رصين يميز بين القوانين البانية للمصطلحات اللغوية القديمة والمصطلحات اللسانية الحديثة. ولذلك، كان منطلقهم مجرد اعتقاد غير مؤسس على أسس علمية إستمولوجية، كما هي الحال عند مسعود

1. انظر على سبيل المثال كتابات الشاهد البوشيخي الذي أسس مشروعه المصطلحي على المنطلقات الدينية والحضارية الإسلامية.

2. انظر حول هذه القضية: غلفان مصطفي، اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية وحافظ إسماعيلي علوي، تجليات تلقي اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة.

صحراوي أحد رموز هذه الرؤية، إذ يقول: "نعتقد نحن أنّ تطبيق هذا المفهوم التداولي على اللغة العربية سيسهم في وصفها ورصد خصائصها وتفسير ظواهرها الخطائية التواصلية، كما نعتقد أنّ استثماره في قراءة الإنتاج العلمي لعلمائنا القدامى سيسهم، أيضاً، في اكتشاف جوانب من الجهود الجبارة التي بذلها أولئك العلماء الأجلاء وتثمينها. ونزعم أنّ إجراء من هذا القبيل كان مندرجا ضمن النشاط العلمي الذي قام به كثير منهم، وهذا ما يحاول البحث إثباته، أو لفت الأنظار إليه على الأقل"<sup>1</sup>. يبدو واضحاً من خلال هذا القول أنّ هذا الباحث بنى رؤيته للمصطلح اللساني على أساس غير علمي؛ إذ يستخدم أفعالاً من قبيل "نعتقد" و"نزعم"، وهي أفعال لا يستخدمها العلماء في البرهنة والاستدلال على ظاهرة علمية ما أو على الأقل يصفونها بالعلمية، والحال أنّ الدراسة المصطلحية تبنى على الصرامة العلمية والدقة المفهومية؛ وإلا لا معنى لها، إذا تخلت عن هذا المنهج العلمي الدقيق وراحت تبحث عن جذور المصطلح اللساني في التراث بناء على منطلق فكري ضبابي محكوم بالاعتقاد والزعم.

إنّ الربط بين المصطلح اللساني الحديث والمصطلح اللغوي التراثي هو ربط اعتباطي عشوائي غير قائم على أسس فهم عميقة لكل تأسيس مفهومي لكلا المصطلحين الحديث والتراثي. وهذا ما أدى بأصحاب هذه الرؤية إلى الوقوع في ضروب شتى من الخلط والمغالطات أبرزها عدم التمييز بين النحو واللسانيات. فظنوا أنّ مفهوم النحو العربي القديم يعادل مفهوم اللسانيات اليوم ورأوا أنّ النحاة القدامى بحثوا في كل الظواهر اللغوية ولم يتركوا شيئاً من اللغة<sup>2</sup>، فكانت الدراسة النحوية حسب ظنهم شاملة لكل القضايا اللغوية النحوية والصرفية والدلالية والتداولية، وعلى هذا الأساس ظهرت دراسات وبحوث تزعم أنها أكاديمية باعتبارها تندرج تحت البحوث الجامعية بعنوانين من هذا القبيل "التداولية عند العلماء العرب"<sup>3</sup>، "تحليل الخطاب العربي"<sup>4</sup>، "تحليل الخطاب عند سيبويه"<sup>5</sup>، "أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية"<sup>6</sup>، وغيرها كثير. والملاحظ في هذه العناوين أنها تعني بالتأصيل، فتربط بين الحديث والقديم على أساس يبني، وكثيراً ما ينتصر فيها أصحابها إلى أسبقية المصطلح اللغوي التراثي على المصطلح

1. انظر الصحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص6.

2. نظر حول هذه المسألة: صاري محمد، "من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التراث قراءة في النقد اللساني" عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح.

3. انظر الصحراوي مسعود.

4. عكاشة محمود.

5. راضي رحيم مجيد.

6. انظر الشاوش محمد.

اللساني الحديث دون إدراك العمق والأساس المفهومي للتكوين المصطلحي؛ رغم ما يبدو في الظاهر من تشابه.

صحيح أنّ الكتب النحوية التراثية جاءت شاملة لهذه الظواهر اللغوية، ولكن لا علاقة لها بالمنطقات اللسانية الحديثة؛ رغم ما فيها من أساس علمي جدير بالاحترام والبحث والنظر والتفحص، ولكن يكون ذلك من منطلقات الضوابط الفكرية التراثية ذاتها، وليس من منطلقات اللسانيات الحديثة، فالمصطلح اللغوي التراثي له بنيتة المتصورية ودلالته المفهومية التي تتخبط في المعرفة الإستمولوجية لعصر نشأته ورؤية مفكري ذلك العصر له. وكذلك شأن المصطلح اللساني له منطلقاته الفكرية الإستمولوجية المختلفة طبعاً عن الرؤية التراثية. وفي هذا الإطار لم يدرك أصحاب هذه الرؤية مفهوم التراكم العلمي ولم يفهموه على أساس أنه أحد أسس التطور العلمي، وليس اجتاراً وتكراراً لما جاء في كتب التراث. فراحوا يطوّعون المصطلحات القديمة للمفاهيم اللسانية الحديثة، والسبب في ذلك يعود إلى الخلط بين المدونة التراثية والمنهج اللساني الحديث؛ إذ قامت المدونة التراثية على أساس المنهج المعياري الذي يخضع للخطأ والصواب والصدق والكذب والمطابقة أو عدم المطابقة مع نوع من التحديد الصارم لمصادرها، مثل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر أو ما يسمى بمصادر الاحتجاج التي يجب على كل نحوي أو لغوي ألا يتجاوزها في شواهد المعتمدة في الاستدلال على الظاهرة اللغوية؛ وبالتالي المصطلحية. أما المدونة اللسانية الحديثة فمنطلقها اللغة الطبيعية<sup>1</sup> ومنهجها وصفي تحليلي تفسيري للظاهرة نفسها، ومنها تستخرج القواعد. فالمدونة في اللسانيات هي الغاية في حد ذاتها بينما في التراث هي الوسيلة لتفسير الظاهرة اللغوية تفسيراً يخضع للمنطق الصوري، ولذلك جاءت دراسة النحو العربي دراسة صورية مقننة تقف عند البنية المعيارية لضمان صحة القاعدة الصوتية والتركيبية والدلالية/ الوظيفية بشكل عام؛ رغم ما فيها من محاولات جادة لفهم الظاهرة اللغوية.

نوع المؤصلون مصادرهم الاستدلالية لإثبات أصالة المصطلح اللساني، فاعتمدوا كذلك على العلوم البلاغية والفلسفية وأصول الفقه ظناً منهم أنها تسهم في بلورة رؤية مصطلحية يؤسسون بها اللسانيات العربية، ولكن هذا الأمر لم يسعفهم في الحقيقة لأنهم نظروا إلى هذه العلوم بنفس الرؤية التي نظروا بها إلى النحو، دون إدراك القوانين العميقة البانية لها، فراحوا يحسبون أنّ المصطلحات المعتمدة فيها هي نفسها المصطلحات الواردة في الحقول اللسانية اليوم من قبيل تحليل الخطاب والتداولية واللسانيات

1. انظر: حول هذه المسألة: فتغنشتاين لودفيك، تحقيقات فلسفية، ترجمة عبد الرزاق بنّور.

النفسية والاجتماعية ولسانيات النص وما يرتبط بهذه الحقول من مصطلحات، فظنوا أنّ القوانين التي اعتمدها القدماء في تفسيرهم وتحليلهم الظواهر البلاغية هي نفسها في اللسانيات الحديثة مستندين في ذلك إلى علم المعاني وقصد المتكلم<sup>1</sup>، غير أنّ ما ورد في كتب البلاغة العربية والدراسات الأصولية من مصطلحات تحمل وجه المشابهة لما ورد في اللسانيات التداولية اليوم لا تحركه نفس القوانين التفسيرية للظاهرة اللغوية، فالأمر في كتب التراث ليس هو الأمر في التداولية وكذلك الاستفهام والوعد والنداء والقسم إلخ، باعتبار أنّ المنطلقات الإستمولوجية والفكرية والفلسفية<sup>2</sup> ليست هي نفسها؛ رغم التشابه في الظاهر. أضف إلى هذا أنّ أصحاب هذه الرؤية لم يقدرُوا على التمييز بين هذه المصطلحات المتشابهة؛ كما سنبين لاحقاً؛ بل راحوا يبحثون عن تأصيل مصطلحات حديثة صناعة ومفهوماً مثل "أفعال الكلام، والتداولية، وتحليل الخطاب..." التي لم يصرح بها في التراث تصريحاً مباشراً، ففسروا ذلك باعتماد مفهوم تراثي مبثوث بصورة ضبابية في ثنايا الكتب، وزعموا انطلافاً من هذه الرؤية أنها موجودة بالقصد والنية. ولا نعرف كيف ضبطوا ذلك والحال أننا نعرف أنّ المصطلح هو أساس العلم ومفتاحه وعلى صاحب أيّ علم أن يضبط مصطلحاته بدقة متصورية ومفهومية تفتقر إلى الظن وبعيدة عن اللبس، فكيف لهؤلاء أن يعتمدوا على بعض الإشارات المبتوثة هنا وهناك ليؤسسوا علماً مصطلحياً ويؤصلوا مصطلحات حديثة معلوم تاريخ نشأتها، ولم يصرح بها القدماء، ولو كانوا على وعي بها لفعلوا كما فعلوا مع غيرها من المصطلحات اللغوية الأخرى<sup>3</sup>.

## 2. الرؤية التحديثية

تبنى المنطلقات الفكرية للتحديث في مجال المصطلح اللساني من مجال اللسانيات نفسها وما تفرع عنها من حقول معرفية لسانية مثل اللسانيات العامة واللسانيات التطبيقية واللسانيات النفسية واللسانيات الاجتماعية واللسانيات الحاسوبية وتحليل الخطاب وتحليل المحادثة ولسانيات النص واللسانيات التداولية واللسانيات التوليدية واللسانيات العرفانية... وهي حقول معرفية لم تكن موجودة

1. انظر مسعود الصحراوي، التداولية عند العلماء العرب.

2. انظر علوي اسماعيلي حافظ والملاخ محمد، قضايا إستمولوجية في اللسانيات.

3. ما يهمنا في هذا البحث هو المصطلح اللساني وقد تعالج المصطلحات الأخرى في حقولها العلمية بطرق أخرى، فالمصطلح الحضاري والثقافي والفقهية والأدبي قد لا يشترك مع المصطلح اللساني في بعض الخصائص التكوينية والشحنة المفهومية، ولذلك تختلف المنطلقات الإستمولوجية لكل حقل علمي ومصطلحي.

في التراث اللغوي العربي وحتى العالمي. وانطلقت اللسانيات نفسها من مقولة محممة تعتمد على "دراسة اللغة الطبيعية في ذاتها ولحد ذاتها" (دي سوسير). فمثلت هذه المقولة الإطار الإستمولوجي للفكر اللساني الحديث الذي أثمر مدارس لسانية متعددة الرؤى والتصورات والمناهج والمصطلحات، فكانت لكل مدرسة توجهاتها الفكرية التي أصلت بناء منظومتها المصطلحية الدقيقة وفق رؤية منهجية خاصة وإطار فكري يقوم على فلسفة كل علم من هذه العلوم. وعلى هذا الأساس النظري والمنهجي بنى أصحاب الرؤية التحديتية تصوراتهم وفهمهم للسانيات الحديثة وما انبثق عنها من مصطلحات تخص كلّ حقل معرفي لساني. ومن أبرز المدافعين عن هذا التوجه اللسانيون العرب الذين درسوا في الجامعات الغربية وتشربوا درس اللساني من مشاريعه الأصلية، ثم نقلوه إلى العربية بغية التطبيق ومعالجة قضايا اللغة العربية الراهنة معالجة جديدة تتماشى مع ما قدمته اللسانيات الحديثة باعتبارها منهجا علميا كونيًا يدرس كلّ اللغات دون استثناء أو إقصاء، ولا مكان فيه للتمييز بين الفصحى والعامية أو الارتكاز على مصادر الاحتجاج دون غيرها من مصادر تكوين المدونة اللغوية؛ كما حدث في الدراسات اللغوية التراثية.

واعتبر عبد القادر الفاسي الفهري أنّ اللساني لا يقول كلاما معادا أو مكرورا<sup>1</sup> كما يفعل أصحاب الرؤية التراثية، وبناء على هذا التصور اهتم بالنظرية اللسانية التوليدية وطبقها على العربية، وقدم ترجمات مصطلحية لها، وهو يرى أنّ الفصل بين المعرفة اللغوية التراثية واللسانيات الحديثة واجب<sup>2</sup>؛ إذ لا علاقة لهذا الفكر بذاك من الناحية الإستمولوجية المعرفية، فالعولم متعددة ومختلفة ولا شيء يشبه التفكير اللساني الحديث بالتفكير اللغوي القديم من الناحية الإستمولوجية وشروط نشأة العلم ومنها المصطلح أساسا. فاللسانيات جاءت لتفسير اللغات باعتماد منطلق علمي كوني وليست خاصة باللغات الغربية فقط. وأغلب الدارسين العرب في عصرنا الحديث هم مؤرخو فكر لا غير، فهم يعتمدون على المقارنات بين التراث واللسانيات ولا ينطلقون من مناهج علمية تفسر اللغة العربية الراهنة انطلاقا من مدونة حقيقية للعربية في حاضرها الآني، ويعتمدون على أمثلة قديمة من النحو والصرف والبلاغة والعروض ليفسروا بها الواقع الحالي. وهذا أدّى بهم إلى الخلط بين تاريخ العلم والعلم في حد ذاته. فأليات الوصف والتفسير وإدراك الظواهر اللغوية والوعي بقوانين اشتغالها والفلسفة التي تكمن وراء كل وصف وتفسير لها ليست هي نفسها. وبناء على هذه المصادرة علينا أن نقرأ التراث اللغوي قراءة علمية نقدية

1. انظر الفاسي الفهري، كتاب البناء الموازي (المقدمة)

2. انظر: الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية.

تقوم على آليات فهم اللغوين القدماء له دون أن تقع في قراءة إسقاطيه في الاتجاهين؛ أي اتجاه اللسانيات الحديثة بقوانينها التفسيرية الراهنة التي يحاول بعض النارسين اعتمادها في فهم البنية الفكرية والمصطلحية القديمة أو اتجاه التفكير اللغوي التراثي القديم بقوانينه التفسيرية<sup>1</sup> التي يحاول بعض النارسين اعتمادها في فهم الفكر اللساني الحديث وما أنتجه من مصطلحات. فإذا كان هذا حال اللغة<sup>2</sup>، فما بالك بحال المصطلح اللساني الذي يمثل أرقى ما يصل إليه الفكر اللساني من تنظير مرتبط بتطور الفكر نفسه.

ينطلق أصحاب الرؤية التحديثية في المصطلح اللساني من تحديث الفكر العالمي وتجديده في شتى الميادين التي تربطها علاقة مباشرة باللسانيات مثل فلسفة اللغة وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلوم الاتصال والحوسبة وعلم الترجمة والنقد الأدبي<sup>3</sup> والرياضيات والاقتصاد، إلخ. فشكلت هذه التخصصات المعرفية ميادين علمية أدت إلى ابتكار مصطلحات لسانية خاصة بها؛ لا يمكن تأصيلها في التراث اللغوي العربي باعتباره يفتقر أصلاً إلى هذه الميادين، ومن هذا المنطلق يعتبر أصحاب هذه الرؤية أنّ التأصيل المصطلحي ضرب من الوهم وجري وراء سراب كلما حاولت الإمساك به انقلت من قبضتك. فالتأصيل المصطلحي محكوم بالحفر والنبش في الخلفيات المتصورية والمفهومية البانية للميدان الفكري نفسه الذي تولدت عنه نشأة المصطلح عامة والمصطلح اللساني خاصة. وفي هذا الإطار نشأت مواقف فكرية مختلفة بين الرؤيتين تجلت في نقد كل فريق الفريق الآخر دون تقديم حلول لظاهرة تأصيل المصطلح مبنية على أسس علمية إستراتيجية تتجاوز المستوى الوصفي لما أنتج من دراسات يسمها أصحابها بأنها لسانية، وخاصة تلك الدراسات التي تسم نفسها بأنها في مجال نقد الفكر اللساني القديم أو الحديث على حدّ سواء. فالمؤصلون يغلب عليهم الفكر الانطباعي والايديولوجي؛ إذ ينظرون إلى المسألة المصطلحية من خارج قوانين العلم الصارمة والدقيقة، والمحدثون يغلب عليهم النقد الوصفي وإثارة المشاكل المتعلقة بالمصطلح اللساني، فيكتفون بتقديم التوصيات في شكل لائحة لوم دون الوصول إلى حلول جذرية تؤسس لدرس لساني مبني على شروط العلم التي تهتم بمعالجة المصطلح اللساني انطلاقاً من معالجة الظاهرة اللغوية نفسها؛ كما يفعل اللسانيون الغربيون بعيداً عن الإيديولوجيا والانتفاء والنظرة الضيقة للمسائل المدروسة. أدت هذه القضايا التأصيلية في الرؤيتين إلى خلق أزمة طالت كيفية ضبط المصطلح

1. انظر حول هذه المسألة: فريرة توفيق، المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب.  
2. انظر حول هذه المسألة: جاكندوف راي، دليل ميسر إلى الفكر والمعنى، ترجمة حمزة بن قبالان المزني.  
3. انظر حول إشكالية المصطلح في النقد الأدبي: وغليسي يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد.

اللساني ومعالجته معالجة غير دقيقة، ولا تتركز على تكوينه المتصوري والمفهومي؛ مما تسبب في أزمة مصطلحية حادة اتسمت بالتعدد المصطلحي الناتج عن الاضطراب المفهومي.

### 3. التأسيس وأزمة المصطلح اللساني

تعود أزمة المصطلح اللساني في الدراسات اللسانية الحديثة إلى أزمة علم المصطلح نفسه، لقد نشأ هذا العلم حديثاً<sup>1</sup> في بداية القرن العشرين ولم تستقر أسسه المنهجية في الدراسات الغربية إلا في الثمانينات من نفس القرن<sup>2</sup> وبدأ يشق طريقه نحو تأسيس علم مصطلحي قوامه المنهج والحقل العلمي والمعرفي، فأثر هذا التأسيس في نشأة المصطلحية العربية حديثاً وجعلها تبحث عن خصائصها التكوينية ومركزاتها المعرفية<sup>3</sup>، ولكنها وقعت هي نفسها في الجدل الذي وقعت فيه اللسانيات، وهو جدل مداره على مسألة الأصالة والمعاصرة، مما أوقع هذا العلم في إرباك لا تتصل قضاياها بعلم المصطلح ومنهجه وموضوعه ومجاله البحثي؛ بل سببه الانتماء الأيديولوجي والديني وحتى السياسي والأكاديمي. وفي هذا الإطار نشأ علم المصطلح مزعزع الأركان تغيب فيه الرؤية المصطلحية العلمية المبنية على منهج واضح ودقيق. أضف إلى هذا أن أغلب المشتغلين بالمصطلح لا تربطهم صلة متينة بعلم المصطلح، فهم يضعون المصطلحات أو يترجمونها دون ضوابط فكرية ومنهجية علمية تقوم على التعريف والتقييس<sup>4</sup>، أو يبحثون لها عن مترادفات قديمة دون الوعي بمراحل تكوينها وملابسات نشأتها في اللسانيات الحديثة. ففي هذا السياق تولدت أزمة المصطلح بصفة عامة والمصطلح اللساني بصفة خاصة في الدراسات اللسانية العربية الحديثة. وهي في رأينا أزمة ناتجة عن عدم فهم المتصورات في بيئتها المعرفية الأصلية سواء كانت تراثية أو لسانية حديثة، وعدم إدراك المفهوم في حقه المعرفي التخصصي الدقيق وعدم ضبط منهجية وضع مصطلحات تستجيب لخصوصيات اللغة العربية ونظامها الاشتقاقي.

1. نفرق بين المصطلح وعلم المصطلح، على أساس المنهج العلمي، فالمصطلح صناعة قديمة قدم العلوم ولم يقع الاهتمام به باعتباره علماً مستقلاً بذاته إلا حين أسس فيستر علم المصطلح في القرن العشرين.

2. انظر حول هذه المسألة:

Cabré., M-T, (1998), pp21-22.

3. انظر حول هذه المسألة: الأشهب خالد، المصطلح العربي البنية والتمثيل.

4. انظر الميساوي خليفة، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم.

سنعتمد على ضبط القضايا ومعالجتها انطلاقاً من بعض الأمثلة المتعلقة بحقل التداولية وتحليل الخطاب بالعودة إلى أسسها المعرفية اللسانية التي نشأت فيها ثم كيف تعامل معها الباحثون العرب ووظفوها في بحوثهم ودراساتهم.

### 1.3. الإشكاليات المعرفية للتأصيل المصطلحي

تختلف المنطلقات المعرفية في التأصيل المصطلحي باختلاف المرجعيات الفكرية والإيديولوجية كما بينا سابقاً؛ إذ تعتمد كل رؤية على جملة من الاعتبارات لا تتسم بالصرامة العلمية والمنهجية والموضوعية وهو ما سنكشف عنه من خلال معالجة بعض المصطلحات في الجدول التالي:

المصطلح الغربي	المصطلح اللساني الحديث	المصطلح التراثي
pragmatique/pragmatics	التداولية/ البرغماتية/...	∅
les actes de langage/speech acts	الأفعال الكلامية/ الأعمال اللغوية	∅
performatif- constatif	إنجازي/ إنشائي - تقريري	الإنشاء والخبر
présupposition/presupposition	الافتضاء/ لزوم/ تضمين/ تضمّن/ الافتراض المسبق	الافتضاء
Implicature conversationnelle/conversational implicature	الاستلزام التخاطبي	اللازم
sous-entendu /allusion/understood/ to Imply	المضمّر/ المقدر/ المفهوم	المفهوم
implicite/implicit	الضمني / المضمّر	المضمّر
analyse du discours/ discourse analysis	تحليل الخطاب	∅

## 1. مصطلح التداولية

عُرّف هذا المصطلح<sup>1</sup> تعريفات عديدة حسب الحقول المعرفية المتصلة به ويمكن أن نردها إلى أنها علم يدرس اللغة في الاستعمال بالاعتماد على السياقات التلفظية التي تساعد على ضبط المعنى المقصود من خلال سياق الاستعمال وطبيعة المتلفظين وما يتصل بهم من شروط تبني عالم الخطاب أو المحادثة أهمها: من يتكلم؟، كيف يتكلم؟، لماذا يتكلم؟، أين يتكلم؟، متى يتكلم؟؛ أي تهتم باللغة وعلاقتها بمن يستعملها في سياق معين.

لا يوجد في التراث مصطلح تداولية أو تعريف يعادل التعريف السابق في أبسط تجلياته، ومع ذلك نجد من الدارسين من أصل هذا المصطلح في التراث تحت عنوان: "التداولية عند العلماء العرب"<sup>2</sup> مستندا على مبررات وحجج نراها غير مقنعة علميا؛ لاعتبارات معرفية تمثل إشكالا ولبسا في تحديد المصطلح في التراث نفسه، ولهذا سنتبع هذه المبررات التي اعتمد عليها أصحاب الرؤية التراثية، ونبين عدم حجيتها في تحديد مفهوم هذا المصطلح؛ كما عرفته الدراسات اللسانية الحديثة. وسنجري مقارنة تركز على المنطلقات المعرفية في الجانبين الحديث والتراثي لنتبع المسار المعرفي في تحديد مفهوم المصطلح عند كلٍّ منهما.

المنطلقات المعرفية التراثية	المنطلقات المعرفية الحديثة
- النحو	- الفلسفة التحليلية
- البلاغة	- المنطق الوضعي
- الفلسفة التقليدية	- اللسانيات
- المنطق الصوري	
- علم الأصول (الفقه)	

1. انظر خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص 103-104-105.  
2. استعمل هذا المصطلح مسعود الصحراوي عنوانا لكتابه "التداولية عند العلماء العرب".

ارتبطت المنطلقات المعرفية للتداولية في اللسانيات الحديثة بمسألة الفعل / العمل؛ أي بما يقوم به المتكلم من أفعال إنجازية بالقول ولا يتحدد معناها المقصود إلا بسياق الاستعمال. أما المنطلقات المعرفية التراثية فارتبطت بقوانين القول المجردة عن سياق القول ومدى مطابقتها للمنطق والصدق والكذب، وبالتالي، فهي مخالفة للمنطلقات المعرفية المؤسسة لمفهوم المصطلح في اللسانيات الحديثة. وفي هذا الإطار يقول مسعود صحراوي أحد المؤصلين لهذا المصطلح: "التداولية ليست علماً لغوياً محضاً، بالمعنى التقليدي، علماً يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال؛ ويدمج من ثم، مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة "التواصل اللغوي وتفسيره"<sup>1</sup>. يقر صاحب هذا التعريف بأن التداولية تتم بما هو لغوي وغير لغوي، وإنما ليست مجرد وصف وتفسير للبنى اللغوية، وإنما هي علم جديد يعني بدراسة الظاهرة التواصلية برمتها، وأن شبكتها المفاهيمية معقدة ومتصلة بعدة علوم أخرى كما بينا سابقاً، ولكنه سرعان ما يقع في التناقض، فيربط موضوع التداولية بأفعال الكلام فقط ومن هنا يبرر تأصيلها في التراث باعتبار ما يوحي به من تشابه بين التحليل البلاغي والتحليل التداولي لمسألتها الخبر والإنشاء. وستكشف عن هذا التبرير من خلال معالجة مصطلح الأفعال الكلامية.

## 2. الأفعال الكلامية

نشأ مصطلح الفعال الكلامي في إطار الفلسفة التحليلية، وشكل مبحثاً رئيساً من مباحث التداولية، ولم يصرح به في الدراسات اللغوية التراثية باعتباره مصطلحاً، ولكن بعض المؤصلين ربطه بعلم المعاني في البلاغة وراح يبحث له عن أصل مبرر ذلك بوجود تشابه في موضوع البحث؛ أي ما صنفته البلاغيون والنحاة وغيرهم تحت عنوان "الخبر والإنشاء"؛ كما رأى ذلك مسعود صحراوي وغيره من المؤصلين؛ إذ يقول: "إن ظاهرة الأفعال الكلامية" قد بحثت في تراثنا من قبل طوائف متعددة، غير أن البحث فيها، في تضاعيف هذا التراث الضخم، لم يكن مقصوداً دائماً لذاته ولكن كثيراً ما قصد به غيره، فأخذت الظاهرة - من ثم - وسيلة لا غاية، وجعلت مدخلاً لفهم علوم أخرى، وهي غير لغوية في الغالب، بين فروع معرفية متعددة، وخاض فيها علماء أجلاء إلا أنهم لم يُفردوها بالبحث والتأليف ولا قصدوها لذاتها، مما قد يبعث الشك في "قيمة" النتائج التي توصلوا إليها وفي "علميتها"<sup>2</sup>. نستنتج من هذا

1. انظر الصحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، 2005، ص 16.

2. المرجع نفسه، ص 8.

القول أنّ "الأفعال الكلامية" ليست لها مرجعية لسانية خاصة بها في التراث؛ كما هو الأمر في اللسانيات الحديثة؛ حيث شكلت نظرية واضحة المعالم، وأنها حسب زعم الصحراوي جاءت مبنوثة في تضاعيف هذا التراث الضخم ولم تكن مقصودة لئانها. ونسأل من هذا المنطلق كيف أثبت هذا الباحث وجودها في التراث؟ نحن نعرف أن المصطلح العلمي يبني على الصرامة والدقة والمفهوم الواضح الذي لا تشوبه أية ضبابية<sup>1</sup>. ولكن مسعود صحراوي يتصدى للمشككين في وجود ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث لا باستخدام آليات التراث ذاته حتى يقع هؤلاء؛ بل يقع في تناقض ومغالطة منهجية لا تسعف رؤيته في هذا المجال المصطلحي، فأدى ذلك به إلى البحث عن مصطلح لساني حديث في مدونة فكرية قديمة باستخدام منهج لساني حديث؛ إذ يقول: "ولا يكون ذلك إلا بإعادة قراءتها [الظاهرة] قراءة معاصرة تمتشق ساح "المناهج الحديثة" وما أفرزته من حجاز مفاهيمي، مع الابتعاد عن التعسف في تطبيق ذلك على مفاهيم التراث تطبيقاً وتفسيراً قسرياً، ومع إبداء التحفظ الواجب الذي يفرضه استصحابنا للوعي باستقلالية التراث العربي، فلا يجوز أن ننسى أنّ لهذا التراث خصائص إستيمولوجية تجعل منه منظومة مستقلة ومتميزة ومتكاملة"<sup>2</sup> (مسعود صحراوي، 2005، 8). وهنا نسأل كيف قرأ التراث بآليات غير تراثية ليثبت مصطلحاً منطلقاته المعرفية المؤسسة لمفهومه فلسفية ولسانية حديثة؛ ليستقلها على آليات فكرية ومنطلقات معرفية تراثية، اعترف بأنها لم تكن واضحة، ويزعم أنها مبنوثة في ثنايا التراث، وعقد لها كتاباً كاملاً يدافع فيه عن أصولها الوهمية معتمداً في ذلك على رؤيته الخاصة وتأويلاته التي لا تستند إلى منطق استدلالي أو برهاني يثبت من خلاله وجود المصطلح في التراث بنفس المفهوم الذي ورد به في اللسانيات.

لقد وقع مسعود الصحراوي والمؤصلون في منطق المغالطة مستندين في ذلك على نوايا ومزاعم وتأويلات ذاتية قرأوا بها التراث وفسروه على حسب توجهاتهم الفكرية الذاتية دون الرجوع إلى المنطلقات المعرفية للفكر اللساني الحديث ومقارنتها بالفكر اللغوي القديم مقارنة علمية جادة تقوم على التحليل التكويني للمصطلح، وتتبع مساراته المتصورة والمفهومية. فحسب هؤلاء المؤصلون أنّ القوانين التي اعتمدها البلاغيون والنحاة والفلاسفة وعلماء الأصول في تحليل ظاهرة الخبر والإنشاء أو ما انبثق عن الإنشاء من جمل طلبية وغير طلبية مثل (الأمر، والاستفهام، والنهي، والنداء، والقسم، والوعد، وعقود البيع

1. انظر حول هذه المسألة: لوم-ماري كلود، علم المصطلح مبادئ وتقنيات.

2. انظر الصحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص 8.

والشراء، والزواج والطلاق...) تمثل "أفعالاً كلامية" بالمفهوم الحديث، ولكنّ هذه القراءة التأصيلية يعوزها المنطق الاستدلالي العلمي؛ إذ لم تكن قوانين تحليل هذه الظاهرة اللغوية ومستويات دراستها هي نفسها، وبالتالي فالتحليل البلاغي ليس هو التحليل التداولي حتى وإن بدا بعض الشبه. فالوعد مثلاً، في التحليل البلاغي ليس هو نفسه في التحليل التداولي؛ لسبب بسيط هو أن المثال البلاغي مجرد، يخضع لقانون معد مسبقاً عند البلاغيين، وعليه تقاس عملية التحليل باعتداف قرينة الصدق والكذب أو المطابقة أو عدم المطابقة، ولم يكن الاهتمام فيه بالسياق وقصد المتكلم وعلاقته بالمخاطب ووضعية التلفظ والزمان والمكان والقوة الإنجازية للفعل معتمداً بشكل واضح؛ كما هو الشأن في التحليل التداولي. وعليه فإنّ مصطلح الفعل الكلامي كما ورد في المقاربة التداولية الحديثة لا تربطه صلة بما ورد في التحليل التراثي لظاهرة الخبر والإنشاء؛ مثلما فسرها وأولها المؤصلون.

ويمكن أن ندرج تحت هذا التحليل مصطلحي الفعل التقريري والفعل الإنجازي؛ إذ لا علاقة لهما بمفهوم الخبر والإنشاء كما وردا في التراث، وفسرا وضبطت قوانينها بالاعتماد على المنطق الصوري الذي يعتمد على المطابقة وعدم المطابقة ومدى خضوعها للصدق والكذب وفق المنوال المعد مسبقاً. فالتداوليون أنفسهم لم يستقروا على تصنيف واضح ودقيق يتم من خلاله الفصل بين الفعلين، ولذلك ظلت الحدود بينها وهمية تخضع لقصد المتكلم والحسابات التأويلية الممكنة المحكومة بالسياق التلفظي<sup>1</sup>، فلا وجود لقانون تصنيفي مسبق وإنما يستنتج من الاستعمال والسياق رغم محاولات أوستين وسارل وما قدماه من تصنيفات على أسس تداولية وليست منطقية صارمة كما هي الحال في التراث.

### 3. الاقتضاء/ الافتراض المسبق

ترجم المترجمون مصطلح *présupposition* ترجمات متعددة ضبطنا أبرزها في الجدول السابق، وهي ترجمات تعود في نظرنا إلى مسألة التأصيل، فهناك من استدعى الخلفية المعرفية المنطقية التراثية، فترجم هذا المصطلح (بالاقتضاء أو اللزوم أو التضمن) وهناك من استند في ترجمته إلى الأسس المعرفية الفلسفية والتداولية الحديثة، فترجمه (بالاقتضاء أو الافتراض المسبق) وهما مصطلحان يعبران عن المتصور الفلسفي والشبكة المفهومية لما ورد في الدراسات الفلسفية واللسانية الغربية. ويندرج هذان المصطلحان ضمن شبكة مفهومية أخرى أشمل تتعلق بمصطلح الضمني. فهما فرعان من فروع ويدرسان

1. انظر الميساوي خليفة، الوسائل في تحليل المحادثة: دراسة في استراتيجيات الخطاب.

ضمن موضوعه، ولكنها يختلفان في المنطلقات التحليلية، فيندرج مصطلح الاقتضاء ضمن التحليل الدلالي المنطقي الذي يعتمد على تحليل المحتوى القضي للملفوظ مثال ذلك:

- قرأ محمد كتابا بالفرنسية

نفهم من هذا المثال أنّ محمدا حتى يتمكن من قراءة الكتاب بالفرنسية يقتضي منطقيا أنه تعلم الفرنسية، وهو قادر على القراءة بها. فنحن هنا أمام تحليل يفيد الاقتضاء.

ويندرج مصطلح الافتراض المسبق ضمن التحليل التداولي الذي يعتمد على المؤشرات السياقية للملفوظ، فنفهم من هذا المثال نفسه أنّ محمدا يفترض أن يكون مثقفا ومطعما على اللغة الفرنسية وأنه من بلد يعتمد على اللغة الفرنسية في نظامه التعليمي إلخ، من الافتراضات الممكنة. فنحن هنا أمام تحليل يفيد الافتراض المسبق.

نعتقد أنّ وجود هذين المصطلحين في الدراسات اللسانية الحديثة لا يمثل إشكالا إذا ما أدرك الدارس الفروق المعنوية بينهما<sup>1</sup>. ولكن الإشكال يكمن عند المؤصلين الذين لم يدركوا الفروق المعنوية بين التحليلين، وبالتالي بين المصطلحين، فهناك من اقتصر على ترجمته بالافتراض المسبق وهناك من اقتصر على ترجمته بالافتضاء معللا ذلك بوجوده في التراث دون وعي بالخلفية المتصورية والتكوين المفهومي للمصطلح، فيتساءل أحد الباحثين المساندين لمسألة تأصيل المصطلح اللساني في التراث العربي قائلا: "فلم لا يستعين أصحاب المعجمات اللسانية المتخصصة بهذا الإجماع (قاصدا مصطلح الاقتضاء) -الذي وافق التراث- والذي يطال عددا كبيرا من المصطلحات؟" (مختار الدراوي، 2015، 77). ويمثل هذا التساؤل دعوة صريحة إلى الاعتماد على التراث في ترجمة المصطلحات اللسانية الحديثة وتأصيلها، ولكن يطرح هذا السؤال سؤالا إستمولوجيا آخر مفاده وفق أيّ منهج نؤصل المصطلحات اللسانية في التراث؟، أي يكون ذلك وفق سؤال البحث عن الهوية العربية الإسلامية؛ كما يفعل دارسو الحضارة أو الأدب أو الفكر اللغوي القديم وخصوصا النحو والصرف؟ أم أنّ المسألة تتعلق بضبط منهج علمي دقيق يقوم أساسا على ما توصلت إليه النظريات المصطلحية واللسانية الحديثة؟ أي هل

<sup>1</sup>. انظر حول هذه المسألة:

Chapman, S & Routledge, C., (2009), p173.

تعالج قضايا المصطلح اللساني بالاعتماد على أسسه الفلسفية واللسانية؛ كما وضعها أصحابها حديثاً أم نعيد قراءة التراث وفقها، أم نفهم التراث بقوانين التراث نفسه؟ يتطلب الأمر للإجابة عن هذه الأسئلة رؤية علمية نقدية تقوم على الوعي بالأسس الإستيمولوجية لكلّ حقل من حقول المعرفة التراثية واللسانية الحديثة.

#### 4. رؤى وحلول

تقدم في هذا الإطار بعض الرؤى والحلول التي نراها ضرورة معرفية ومنهجية لحل بعض إشكاليات المصطلح اللساني. فلا بدّ أولاً من ضبط رؤية معرفية ومنهجية في التأصيل، تتعلق بالتمييز بين المجالات المعرفية التي يمكن للباحث أن يؤصل فيها والمجالات المعرفية التي لا يمكن التأصيل فيها. ويستدعي هذا الموضوع معرفة دقيقة بتاريخ الأفكار وتاريخ العلوم تمكن الباحث من الوقوف على الفويرقات الدقيقة بين الأسس المعرفية البانية لكل فكر، ومن ثمّ يتم بناء مصطلحات كلّ علم وفق منهج خاص به. فمنهج تأصيل المصطلحات الفقهية أو الحضارية والثقافية ليس هو منهج تأصيل المصطلحات الفلسفية أو العلمية أو اللسانية؛ بل إنّ الأمر أشدّ صرامة ودقة داخل فروع هذه الاختصاصات نفسها. فنجد مثلاً، معالجة تأصيل بعض المصطلحات النحوية والصرفية أسهل من غيرها من المصطلحات اللسانية المتعلقة بالتداولية وتحليل الخطاب واللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية واللسانيات الحاسوبية وغيرها من الفروع اللسانية التي لا تربطها صلة بالتراث.

لا بد أن نبحت عن التناسب الدلالي بين المصطلح والمفهوم على أساس ما تقدمه النظريات المصطلحية الحديثة من حلول تكشف عن كيفية تكوين مراحل وضع المصطلحات<sup>1</sup>. ويمر التناسب الدلالي بين المصطلح والمفهوم بمرحلة أولى تكمن في التناسب بين المتصور والمفهوم، ثم يمرّ في مرحلة ثانية إلى التناسب بين المفهوم والمصطلح، وهي مراحل ضرورية في تكوين التعريف المصطلحيّ حتى لا يقع الخلط بين المفاهيم الخاصة والآثار المعنوية الخاصة بكل مصطلح في حقل استعماله، ومن هذا المنطلق، فالمصطلح كونيّ بمفهومه وخاصّ باستعماله، ولكن هذه الكونية والخصوصية ليستا منفصلتين انفصالاً تاماً، فهناك من التقاطعات المفهومية<sup>2</sup> التي تجمع بين هذه المصطلحات أو استعمالها تعود أساساً

1. انظر حول هذه المسألة: الميساوي خليفة، في الباب الخامس: المصطلح والقصدية من كتاب: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص 201 وما بعدها.

2. انظر حول هذه المسألة: كونيسيساوا، مانويل سيليو، المفاهيم والمصطلحات وإعادة الصياغة.

إلى المتصور الأساسي الجامع بينها. ويتكون الحقل المصطلحي الذي يخص مجالاً معرفياً خاصاً من شبكة مفهومية خاصة تتولد عنها مصطلحات متقاربة في المفهوم ومتفرعة في الاستعمال. ويعبر المصطلح عن مفهوم ولا يخضع للاشتراك اللفظي أو الترادف الدلالي<sup>1</sup>، وهو يرتبط بغيره من المصطلحات القريبة منه بواسطة علاقات اثنالفية يمكن من خلالها تتبع آثاره المفهومية في مجالات استعماله الخاصة، فنتشغل هذه العلاقات بالرجوع إلى المفهوم الأساسي الذي يجمع هذه الآثار المفهومية الخاصة. وذلك "لأنّ المفاهيم الفرعية تتضمن كلّ خصائص المفهوم الأعلى إضافة إلى خاصية مميزة واحدة على الأقل (ساجر Sager، 1990، 11). وانطلاقاً من هذه الرؤية المنهجية وجدنا أنّ الدراسات التأصيلية تركز على المصطلح وتهمل المفهوم بدعوى التشابه بين ما يوجد في التراث اللغوي القديم واللسانيات الحديثة، فنتج عن هذا التأصيل المصطلحي اضطراب مفهومي أدى إلى تعدد مصطلحي؛ مثلما هو واضح في الجدول أعلاه. وقد وقع المؤصلون في فخ الاشتراك اللفظي ظناً منهم أن المصطلح القديم يمكن أن يعبر عن مفهوم حديث، فعمدوا إلى طرق في التبرير والاستدلال تعوزها المنهجية العلمية التي يربها تكوين المصطلح اللساني، واكتفوا بتبليس المصطلحات القديمة مفاهيم جديدة لا تتلاءم معها، ولا تخضع للتناسب الدلالي بين المفهوم والمصطلح، نذكر منها على سبيل المثال مصطلح الاستنزام التخاطبي / التحدثي الذي أجراه غرايس على قواعد المحادثة الشفوية وتمت ترجمته بمصطلح تراثي قديم (اللازم) لا تربطه صلة بالمفهوم الحديث سوى تبليس مصطلح قديم بمفهوم جديد، وقس على ذلك مصطلح الضمني الذي خلط المؤصلون بينه وبين المضمّر ظناً منهم أنّ المضمّر في النحو القديم يعادل الضمني في الدراسات التداولية الحديثة، وقس على هذا ترجمة عدة مصطلحات لسانية أخرى.

أدت عملية تأصيل المصطلح اللساني في التراث اللغوي القديم إلى إرباك الباحثين الجدد غير المتفرسين على النظريات المصطلحية واللسانية الحديثة، فراحوا يفتشون في التراث عن حلول لحل مسائل تتعلق بالمصطلح اللساني الحديث؛ لم تكن يوماً مطروحة على اللغويين القدماء كما زعم البعض، فعوض أن يؤصلوا المفهوم في الدرس اللساني الحديث انطلاقاً من أسسه المعرفية في اللسانيات الحديثة ساقتم الإيديولوجيا والعاطفة أحياناً إلى نصب محاكم للدفاع عن التراث لا بالقوانين التراثية البانية للفكر اللغوي القديم؛ بل بالبحث عن جذور مشتركة مبنوثة في تضاعيف التراث لم يصرح بها أهلها بوضوح، وإنما جاءت في شكل تلميحات ونوياً ومقاصد، وأيّ علم مصطلحي يبنى باتباع النويا والمقاصد دون

1. انظر المساوي خليفة المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم.

ضبط مفهومي دقيق. وبناء على هذا الخلط العلمي والمنهجي نقترح بعض الأفكار لحل أزمة المصطلح اللساني الراهنة.

1- تأسيس مفهوم المصطلح اللغوي التراثي بناء على الأسس المعرفية والإبستمولوجية التي تحكمت في إنتاجه.

2- تأسيس مفهوم المصطلح اللساني الحديث بناء على الأسس المعرفية والإبستمولوجية التي تحكمت في إنتاجه.

3- الاعتماد على المناهج المصطلحية التي جاءت بها النظريات والمقاربات المصطلحية الحديثة.

4- التركيز على مراحل تكوين المفهوم قبل التركيز على المصطلح.

5- تحديد المصطلحات في حقولها العلمية الخاصة بها بالاعتماد على مدونة لغة التخصص.

6- تحديد المفاهيم وفق العلاقات الرابطة بينها، وكما يُعبر عنها في البناء المعرفي وتحقق وجودياً في أشكالها اللسانية.

7- وصف المفاهيم حسب الشكل اللساني المناسب سواء كان ذلك مصطلحاً أو جملة أو تعبيراً حتى نتمكن من معرفتها في اللغة الواحدة (ساجر، 1990، 2).

- تمثل هذه الأفكار محاداً نظرياً ومنهجياً لإعادة النظر في مسألة التأصيل المصطلحي اللساني، مما يمكن الباحثين من بناء مصطلحات لسانية ذات مفاهيم واضحة ودقيقة تبعد شبح الإرباك المفهومي والتعدد المصطلحي والغموض الدلالي الذي اتسمت به وضعية المصطلح اللساني الراهنة التي باتت تمثل إشكالاً حقيقياً لدى القارئ بسبب عملية التأصيل التي نظر أصحابها إلى المسألة بطرق مختلفة، فنتج عنها وجود مصطلحات متنافرة ومفاهيم متباعدة ساهمت في تعميق أزمة المصطلح اللساني بدل طرح الحلول المناسبة لها.

### الخاتمة

لقد حاولنا ضبط المسارات التي مرّ بها المصطلح اللساني في رحلته التأصيلية وفق الرؤيتين التراثية والحداثيّة، فبينما الأسس المعرفية والإبستمولوجية التي اعتمدها كل رؤية في تأصيلها للمصطلح اللساني، ووقفنا على جملة من الإخلالات المعرفية والمنهجية تتعلق أساساً بعدم اتباع منهجية علمية صارمة تقوم على أساس تتبع مراحل بناء المفهوم سواء في أصوله اللغوية التراثية أو في أصوله اللسانية الغربية.

فوجدنا أنّ أصحاب الرؤية التراثية اعتمدوا على تجميع بعض الملامح والنوايا والمقاصد التي جاءت مبنوثة في تضاعيف التراث، ولم يكن القصد منها في أغلب الأحيان إدراك المفهوم استنادا إلى القوانين الكامنة وراء تكوينه المفهومي؛ بل كان الهدف المنزع الانتصاري لبيان أسبقية وجود المصطلح في التراث، دون وعي بأسسه المعرفية وتكوينه المفهومي، مما جعلهم يقعون في الاشتراك اللفظي الذي لا يؤدي إلى التناسب الدلالي بين المصطلح القديم والمفهوم الحديث؛ بل بالعكس أدى ذلك بهم إلى الوقوع في مسألة خطيرة تمثلت في تلبيس مصطلحات قديمة لمفاهيم جديدة لا صلة لها ببعضها في أغلب الأحيان. ويستدعي هذا الأمر مراجعة مسألة التأصيل على أسس علمية تستند إلى النظريات والمقاربات المصطلحية الحديثة التي ضبطت مناهج تكوين المفهوم وطرق صناعة المصطلح. وبعد معالجتنا لقضايا تأصيل المصطلح اللساني من خلال نماذج تبينت لنا عدة مشاكل أركت المصطلح اللساني في الدرس اللساني الراهن، فقدمنا بعض الحلول المنهجية التي يمكن أن تقود الباحثين إلى نتائج أفضل في ضبط المصطلح وتكوينه.

## المراجع

- الأشهب خالد، المصطلح العربي البنية والتمثيل، إربد، عالم الكتب الحديث، 2011.
- البوشخي الشاهد، "مقترحات في منهجية الاستفادة من كتب التراث في وضع المصطلحات"، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 75، 2000.
- جاكندوف راي، دليل ميسر إلى الفكر والمعنى، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2019.
- راضي رحيم مجيد، تحليل الخطاب في كتاب سيبويه، دراسة في المرجعيات والآليات، الأردن، دار كنوز المعرفة العلمية، 2021.
- درقاوي مختار، "استثمار التراث العربي في ترجمة المصطلح اللساني: دراسة تطبيقية على المصطلح التداولي"، مجلة اللسانيات العربية العدد 2، الرياض، مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، 2015، ص 56-85.
- الشاوش محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس "نحو النص"، تونس، دار صادر للطباعة والنشر، 2001.
- عكاشة محمود، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاج في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، مصر، دار النشر للجامعات، 2014.
- علوي اسماعيلي حافظ والملاخ امحمد، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، 2009.
- علوي اسماعيلي حافظ، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009.
- غلفان مصطفى، اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة أطروحات رقم 4، د.ت.
- غلفان مصطفى، "المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات: أيّ مصطلحات لأيّ لسانيات؟"، اللسان العربي عدد 46، ص 146-163.
- صاري محمد، "من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التراث قراءة في "النقد اللساني" عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح، مجلة اللسانيات العربية

- العدد 7، الرياض، مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، 2018، ص 85-92.
- الصحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2005.
  - الفاسي الفهري عبد القادر، البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، المغرب، دار توبقال للنشر، 1988.
  - الفاسي الفهري عبد القادر، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 1985.
  - فتغنشتاين لودفيك، تحقيقات فلسفية، ترجمة عبد الرزاق بّور، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2007.
  - القاسمي علي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 2008.
  - قريرة توفيق، المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، تونس، كلية الآداب منوبة - دار محمد علي للنشر، 2003.
  - كونسيساو، مانويل سيليو، 2005، المفاهيم والمصطلحات وإعادة الصياغة، ترجمة محمد أمطوش، إربد، عالم الكتب الحديث، 2012.
  - لوم-ماري كلود، علم المصطلح مبادئ وتقنيات، ترجمة ريماء بركة، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2012.
  - الميساوي خليفة، الوصائل في تحليل المحادثة: دراسة في استراتيجيات الخطاب، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2012.
  - الميساوي خليفة، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، تونس/ الجزائر/ الرباط/ بيروت، كلمة للنشر والتوزيع/ منشورات الاختلاف/ دار الأمان/ منشورات الضفاف، 2015.
  - وغليسي يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الجزائر/ بيروت، منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008.
    - CABRÉ, (M-T), 1998, *La terminologie : théorie, méthode et applications*. Traduit du catalan et adapté par Monique C. Cormier et John Humbley. Ottawa / Paris, Presses de l'Université d'Ottawa/ Armand Colin.
    - CHAPMAN, (S) & Routledge, (C), 2009, *Key Ideas in Linguistics and the Philosophy of Language*. Edinburg: Edinburg University Press Ltd.

- BESSE, (B) de, 1991, "Le contexte terminologique". In, *Meta*, vol.36, n°1, pp. 111-120.
- SAGER, (J.C.), 1990, *A practical course in terminology processing*. Benjamin, Amsterdam/ Philadelphia.
- VANDERVEKEN, (D), 1992, " La théorie des actes de discours et l'analyse de la conversation". In, *Cahiers de linguistique française*, n°13, pp. 9-5



## المقترح العربي في ترجمة المصطلح التداولي<sup>1</sup> مراجعة مفاهيمية نقدية

أ. د. مسعود صحراوي

جامعة الأغواط، الجزائر

*hammaboutaleb56@gmail.com*

### الملخص:

موضوع هذا البحث هو دراسة واقعة من وقائع الثقافة العربية المعاصرة، متمثلة في ضعف كثير من البدائل المصطلحية التي تقترحها الدراسات اللسانية المكتوبة بالعربية في ترجمة المصطلحات التداولية (من اللغتين الفرنسية والإنجليزية على الخصوص إلى العربية)، فهو بحث تطبيقي بطبيعته، قمنا فيه برصد عيّنات من هذه المصطلحات المترجمة إلى العربية وتحليلها مفهوما اعتمادا على البنية العميقة للمصطلح (والعبارة) لا بنيتها السطحية؛ أي على دلالات المصطلحات ضمن شبكتها المفاهيمية لا على ظواهر الألفاظ، وعرضنا وجهة نظرنا في تلك المقابلات المصطلحية، وبيّنا عدم كفايتها لأن تكون بدائل صحيحة، ومن فوائد دراسة هذا الموضوع لفت نظر المتخصصين وتنبيه طلبة اللسانيات وتوعيتهم بأبعادها العلمية والبيداغوجية. وقد مثلنا لهذه الظاهرة بعينيات عديدة من المصطلحات التداولية التي درسناها بالتفصيل في البحث ومنها المصطلحات الفرنسية (الخ) والمصطلحات الإنجليزية، وهي مصطلحات ذات شأن في المعرفة التداولية لأنها هي الحاملة للمفاهيم المؤسّسة للمنهج التداولي المعاصر. وذكر البحث بعض المؤلفين والمترجمين العرب الذين أسهموا بأبحاث في هذا المجال المعرفي، فمنهم من تساهل في ترجمة تلك المصطلحات طلبا للتأصيل والاستدعاء المبالغ فيه للتراث، أو لأسباب أخرى منها عدم استكمال أدوات الترجمة وشروطها، ومن أهم شروطها الإحاطة المعرفية والتخصص الدقيق، ورصد أهم العيوب المتفشية في كثير من الترجمات، وهي كثرة، وبعضها لا يصح التساهل فيه، مثل: ترجمة مصطلح أجنبي بمصطلح عربي يؤدي عكس معناه الذي وُضع له في الأصل، أو مسألة ترجمة كلمة واحدة أجنبية بجملة أو مجموعة كلمات...

### الكلمات المفتاح:

المصطلحات التداولية، المصطلحات المترجمة، البنية العميقة للمصطلح، المقابلات المصطلحية

<sup>1</sup>. قُدّم جزءٌ صغير (نماذج تطبيقية) من هذا البحث في مؤتمر "المصطلح في العربية" المنعقد بجامعة السلطان قابوس/ سلطنة عمان، مارس 2019.

## *The Arab Proposition in the Translation of the Pragmatic Term: A Critical Conceptual Review*

Pr. Messaoud Sahraoui  
Laghout University, Algeria  
*hamaboutaleb56@gmail.com*

### *Abstract:*

The subject of this research is a case study of contemporary linguistic culture cases, represented by the weakness of many of the terminological alternatives suggested by linguistic studies written in Arabic in translating pragmatic terms (in particular from both French and English into Arabic).

It is an applied research in its nature, in which we monitored samples of these translated terms into Arabic and analyzed them conceptually based on the deep structure of the term (and expression) and not on its superficial structure i.e., on the connotations of terms within their conceptual network, not on the phenomena of words, and we have presented our point of view in these terminological equivalents.

We explained that it is not enough to be valid alternatives, and one of the benefits of studying this subject is to draw the attention of specialists and alert linguistics students and make them aware of its scientific and pedagogical dimensions.

We have represented this phenomenon with many samples of pragmatic terms that we studied in detail in the research, including French terms: "pragmatique, philosophie du langage ordinaire, acquisition du langage, acte locutoire, acte illocutoire, acte perlocutoire, langue, parole, vrai, faux..." and English terms: "speech act, language, locutionary act, mode of achievement...etc.". These are important terms in pragmatic knowledge because they carry the founding concepts of the contemporary pragmatic approach.

We have mentioned a few Arabic authors and translators who have contributed to research in this area of knowledge. Some of them tolerated the translation of these terms in order to authenticate and exaggerated recall of heritage, or for other reasons, in particular not fulfilling the translation tools and conditions, and one of its most important conditions is knowledge and precise specialization, then we watched for the most prominent ubiquitous flaws that exist in many translations, and there are many, and some of them are not right to be lenient, such as: translating a foreign term into an Arabic term that leads to the opposite of its originally attached meaning, or the issue of translating a single foreign word into a sentence or a group of words ...

توطئة:

لا تزال التداولية تتنامى في حقل الدراسات اللغوية منذ أن ألقى أوستين (*J. L. Austin*) محاضراته الشهيرة المعروفة بـ "محاضرات وليم جيمس *William James*" سنة 1955، والتي جُمعت ونُشرت بعد ذلك في كتاب أوستين "How to do things with words" فأدخل مفهومًا محوريًا في التداولية هو مفهوم "الفعل الكلامي" المتشعب إلى ثلاثة أفعال متزامنة، وأعلن بذلك عن ولادة مفهوم إجرائي يبشر بمنهج جديد لم يكن يقصده أوستين بل كان معنيا بشيء آخر هو تأسيس فلسفة لغوية<sup>1</sup>، وما كان غير مقصود لذاته صار هو الاكتشاف الجديد وهو المقصود عند بعض فلاسفة اللغة وبعض اللسانيين، بل صار هو المتغير النوعي، بفعل ما ترتب عليه من ولادة هذا المنهج الجديد في دراسة اللغة، فبيّن أن وظيفة اللغة ليست هي "وصف العالم" ولا "التواصل" فحسب، ولكن وظيفتها "الفعل والتفاعل والتغيير وتحقيق الأغراض التواصلية وإنجازها بالكلمات"، فحين استعملنا اللغة فنحن لا "نصف العالم" ولا "تواصل" فحسب، بل نحن "ننجز" أشياء و"نغير الواقع" بمجرد تلفظنا بملفوظات معينة. ثم أثريت هذه المباحث بأعمال كل من غرايس (*H. P. Grice*) وسيرل (*J. Searle*) وتوّجت في مرحلة متأخرة بأعمال ديكرو (*O. Ducrot*)، وريكاناتي (*F. Récanati*)، وسبرير وولسن (*Sperber/Wilson*)، وموشلر (*J. Moeschler*)، وغيرهم، حتى صارت التداولية في أيامنا تيارًا لغويًا مهمًا على ساحة الدراسات اللغوية العالمية، ومنها ساحة الدراسات اللغوية العربية.

لكن عملية نقل هذه المعرفة اللغوية الجديدة إلى العربية لم تكن متاحة ببسر وسلاسة بل اعترضها عيوب وتعثرات، على الرغم مما بُذل من

<sup>1</sup>. يُنظر: جاك موشلر وآن رويول، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: الشيباني ودغفوس، ص 29.

جهود علمية كثيرة مخصصة لأساتذة كثيرين في أقطار العالم العربي مغربه ومشرقه، وهو أمر مفهوم نسبيا إذا استحضرنا أن التداولية في الغرب وُلدت ضمن برنامج معرفي ثري متداخل الاختصاصات كما اعترف بذلك أحد روادها المعاصرين<sup>1</sup>، فقد تداخلت فيها مشاريع معرفية متعددة تضم مستويات متداخلة، فصارت قضيتها قضية طموحة معقدة وهي إيجاد القوانين الكلية للتواصل اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للإنجاز اللغوي.

ومن المعلوم أن أكثر شيء أصابه التعثر في نقل هذا الفكر إلى العربية هو عملية نقل المصطلح الأجنبي فيما يعرف بترجمة المصطلحات اللسانية عموما والتداولية خصوصا إلى العربية، ولذلك قيل: إن مشكلة الدراسات اللسانية -مؤلفة ومترجمة- تأليفا وترجمة- هي مشكلة مصطلحات، ومن المسلمات المعرفية أن مفاتيح العلوم مصطلحاتها، وقيل: إن المصطلحات هي السور الجامع المحصن للعلوم وحدودها؛<sup>2</sup> فتمت فسد الجهاز الاصطلاحي لعلم ما فسد العلم ذاته، لأن المصطلحات هي عنوان ما يتميز به كل علم عما سواه، ولا سبيل إلى معرفة العلم إلا بمعرفة مصطلحاته<sup>3</sup>، وقد اعترف أحد المترجمين أن ممارسة الترجمة تحد معرفي<sup>4</sup> يواجمنا، وفي علم اللسانيات الحديث تحولت الترجمة فعلا، شيئا فشيئا وبمرور الوقت وبفعل التراكم المعرفي العالمي، إلى تحد معرفي حقيقي لا مفر منه بل يجب علينا مواجته ورفع.

وعملية الترجمة في علوم جديدة كاللسانيات وغيرها لا ينبغي أن تخفى فائدتها عن المتخصصين وعموم المثقفين، بل قد تكون أمرا ضروريا لا مفر منه<sup>5</sup>، ولكن بعض الناس يستهينون بها في الواقع، ويففلون عن تصور خطورتها ولا يقدرّون صعوباتها ومشكلاتها، فطبيعة الترجمة أنها مهارة معرفية قائمة على علم ومنهج:

● فيما أنها علم، فالعلم يقتضي الدقة والإحاطة المعرفية بالموضوع وحسن تطبيق المنهج.

1. ينظر: جاك موشلر وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة باحثين بإشراف: عز الدين المجدوب، ص 13 وما بعدها.
2. ليراجع: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص 9.
3. المسدي، المرجع نفسه، ص 11.
4. كما اعترف بذلك منذر عياشي، في ترجمته للقاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تأليف: أوسفالد ديكرو وجان ماري شايفر، ص 11.
5. جوثيل رضوان، موسوعة الترجمة، ترجمة: محمد يحياتن، ص 33.

● وبما أنها محارة، فالمهارة تقتضي البراعة وطول المراس وأحيانا الإبداع.

ومن أهم عناصر التوفيق في أي علم العناية الدقيقة بمصطلحات ذلك العلم حتى لتكاد تكون المعرفة الاصطلاحية هي المعرفة العلمية نفسها<sup>1</sup>؛ فكيف إذا وقع الخطأ في نقل المفاهيم الأساسية للعلم من خلال ترجمة غير موفقة؟ فإن ذلك يُعدّ تشويها وإساءة، وإذا غابت شروط الترجمة غاب النضج والتوفيق وأهدرت الجهود والوقت إهدارا.

بعض مشكلات الترجمة وأهم شروطها: إن مشكلات الترجمة كثيرة لا في اللغة العربية وحدها بل في سائر اللغات، ولا في اللسانيات وحدها بل في سائر العلوم، وإن من مشكلات ترجمة المصطلح اللساني في البلاد العربية: كثرة المصطلحات للمفهوم الواحد والتعدد إزاء المصطلح الغربي الواحد<sup>2</sup> واعتماد المصطلح قبل استيعاب المفهوم... وغيرها من المشكلات، ولذلك سعى بعضهم إلى حل هذه المعضلة ورفع هذا التحدي بتقديم قواعد مقررّة في هذا العلم<sup>3</sup>.

ومن المبادئ المسلم بها في علم المصطلح (*terminologie*) ما يلي:

- ضرورة تحديد المفهوم تحديدا دقيقا قبل وضع المصطلح.
  - أن يكون المصطلح بأقل ما يمكن من الكلمات نشدانا للاختصار والإبانة وعدم ترجمة كلمة واحدة بعبارة أو جملة.
  - اختيار أقرب كلمة وأنسب صيغة صرفية لاحتواء المضمون والتعبير عنه.
  - الإفادة من السوابق واللواحق والأحشاء عند صوغ المصطلح<sup>4</sup>.
- وبالحديث عن بعض الترجمات العربية لكثير من المصطلحات التداولية، نقول إن أغلب المبادئ والقواعد المقررّة في مجال علم المصطلح تكاد تكون غائبة جزئيا أو بالجملة في النماذج التي سنذكرها لاحقا في هذا البحث، بل إن كثيرا من مشكلات المصطلح وغيوبه تكاد تكون مجسدة في كثير من هذه

1. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص12.

2. شريف استيتية، المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والازدواجية، ص61.

3. منهم رشاد الحمزاوي الذي وضع نظام التقييس (*standardisation*) وجمعه في مبادئ أربعة: الاطراد والشبوع، الإيجاز، الملاءمة، التوليد/ يُنظر: محمد البقاعي، الكلام على الكلام.

4. شريف استيتية، المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والازدواجية، ص75.

الترجمات، مما يجعل من القول بأن الترجمة تمثل فعلا تحديًا معرفيًا كبيرًا يواجهنا في هذا العصر قولًا صحيحًا لا غبار عليه.

نموذج من التحدي المعرفي في ترجمة الفكر اللساني إلى العربية إن الراصد لمسار نقل الفكر اللساني الغربي إلى العربية يتبدى له أن بداية هذا التحدي قديمة نسبيًا، فقد ترجمت في الربع الأول من القرن الماضي أعمال علمية في اللسانيات وتواصلت حركة الترجمة اللسانية حتى نهاية القرن العشرين، وهي مستمرة إلى أيامنا، دون أن تتخلى في كثير من الأحيان عن مظاهر التبسيط والتساهل، وربما ظن بعضهم أن كل أستاذ في اللغات الأجنبية قادر على الترجمة، فنتج عن ذلك إخفاق واضح في كثير مما أُنجز من ترجمة المعرفة اللسانية الغربية إلى العربية. وأخذ التحدي يكبر والإشكاليات تتعدد وتتعاظم منذ بدايات التأليف الأولى في علم اللغة الحديث، وخاصة ما ظهر في الترجمات المتعددة لمحاضرات دوسوسير إلى اللغة العربية من ارتباك مصطلحي ومن اختلافات كثيرة في نقل العبارة الواحدة والمصطلح الواحد بين المترجمين.

ثم بقي الأمر على ما كان عليه لدى الفلاسفة واللسانيين في مراحل زمنية متقاربة؛ ويمكن أن نشير في مجالة -إلى ما ظهر منذ تلك المرحلة- منها: ترجمة بعض مصطلحات التداولية مع "طه عبد الرحمان"، و"أحمد المتوكل" و"عبد القادر الفاسي الفهري" ثم ترجمة "سعيد علوش" لكتاب "التداولية" لـ"فرانسواز آرمنفو" ثم ترجمة "طلال وهبة" لكتاب "كريستيان بابلون وبول فابر"، الذي جعله بعنوان "المدخل إلى الألسنية"<sup>1</sup> في التسعينيات، ثم ظهرت في بعدها ترجمة "عبد القادر قيني" لكتاب "أوستين" "*How to do things with words*" بعنوان "نظرية الأفعال الكلامية العامة"<sup>2</sup> وانتهاءً بترجمات كثيرة لمصطلحات التداولية في أعمال أنجزها باحثون في الجامعة التونسية وفي دول مغربية ومشرقية، مثل المصطلحات التي أنتجها أو تبناها "شكري المبخوت" في بعض ما كتب ولا سيما كتابه "إنشاء النفي في العربية"<sup>2</sup>، ومترجمين آخرين لا يمكن تعديدهم جميعًا في هذا المقام، ومنهم الفلاسفة واللغويون والنقاد...

1. مدخل إلى الألسنية، تأليف: بول فابر وكريستيان بابلون، ترجمة: طلال وهبة.

• نظرية الأفعال الكلامية العامة.

2. يُنظر: إنشاء النحو وشروطه النحوية الدلالية، وأيضًا كتاب: دائرة الأعمال اللغوية.

ويكفي في هذا المقام أن نمثل، للتدليل على عجزنا عن رفع التحدي المعرفي الذي واجهنا في هذا العصر، بمصطلحات كثيرة وردت في كتب عديدة، منها كتاب (*Initiation à la linguistique*) تأليف: "بول فابر وكريستيان بيلون": "مدخل إلى الألسنية" الذي ترجمه طلال وهبة، والذي أصابه الارتباك في اختيار البدائل الترجيحية المناسبة للعديد من المصطلحات اللسانية الغربية من ذلك مثلا مصطلح "*la Pragmatique*" نفسه، الذي هو اسم العلم ذاته، فهو يترجمه بـ "الميدانية"<sup>1</sup>، وإذا استحضرننا تاريخ إنجاز الترجمة الأولى، وقد كان ذلك في التسعينيات من القرن الماضي، وكانت قد صدرت آنذاك الترجمة العربية للمصطلح منذ عشرين سنة على الأقل (طه عبد الرحمان 1971) ثم صدرت تباعا ترجمات المصطلح من كل من "أحمد المتوكل" و "سعيد علوش" في الثمانينات، ثم ترجمة كتاب الجيلالي دلاش، "مدخل إلى اللسانيات التداولية" / الجزائر / الذي ترجمه "محمد يحياتن" في بداية التسعينيات... إذا استحضرننا كل ذلك جاز لنا أن نقول إنه تسرع بعض الشيء في اختيار المقابل العربي للمصطلح الأجنبي دون التروي والرجوع إلى المراجع التي ظهرت في دول المغرب العربي تباعا منذ السبعينيات. ومما يؤخذ على ترجمة "طلال وهبة" أمران على الأقل:

1. أن الشروط والمبادئ المتفق عليها بين الدارسين في علم الترجمة غائبة في كثير من الأحيان، لا سيما مبدأ "ضرورة تحديد المفهوم تحديدا دقيقا واستيعابه قبل وضع المصطلح" ومبدأ "أن يكون المصطلح بأقل ما يمكن من الكلمات نشدانا للاختصار وعدم ترجمة كلمة واحدة بعبارة أو جملة".
2. أن أغلب مشكلات ترجمة المصطلح حاضرة فيها بسبب الجهد الفردي.

ويمكن أن نمثل لذلك بأمثلة كثيرة فهو يقول مثلا "العمل النطقي"<sup>2</sup> في مقابل "*speech*" و "*act*" (بالإنجليزية) و "*acte de parole*" (بالفرنسية)، ثم شرحها بين قوسين بعبارة "الأفعال الحقيقية"، والترجمة الصحيحة أو الأقرب إلى المعنى الذي أراده أوستين: "الفعل الكلامي" أو "الفعل اللغوي" كما يقول بعض المترجمين، ومصطلح "*speech*" الإنجليزي يترجم بـ "كلام" وليس بـ "نطق"، وينفس الترجمة يترجم المصطلح الفرنسي "*parole*"، وهي من المصطلحات الشهيرة في لسانيات سوسير ثم في اللسانيات التداولية.

1. مدخل إلى الألسنية، تأليف: بول فابر وكريستيان بيلون، ترجمة: طلال وهبة، ص 6.  
2. كريستيان بيلون وبول فابر، ترجمة: طلال وهبة، ص 98.

ووجه الخطأ هنا أنه يترجم مصطلح "act" بمصطلح "مقول"! وهي ترجمة بعيدة غير موفقة، هذا على الرغم من أنه استعمل المصطلح المركب "فعل الكلام" عدة مرات في كتابه<sup>1</sup> واستعمل مصطلح "فعل" منفردا عدة مرات أيضا! فكيف لا يلتزم مصطلحا واحدا والسياق التصوري المفاهيمي واحد؟ ونجده يقول: "مقول تقريرية" في مقابل "assertifs"، بينما الصحيح المشهور بين الدارسين: "التقريريات"، أو "الأفعال التقريرية"، ويترجم "performatifs" بـ "مقول تحقيقي"، والمشهور بين الدارسين والأقرب إلى مراد أوستين: الفعل الإنجازي (أو الملفوظ الإنجازي) *énoncé performatif*، ويترجم مصطلح "perlocutoire" بـ "فعل أثر غير مباشر"<sup>2</sup>، والصحيح حسب ما يقتضيه المبدأ السابق: "التأثيري" (أو الأفعال التأثيرية)، ومما يعاب عليه أن أحد عيوب ترجمة المصطلح الأجنبي قد تحقّق في هذه الترجمة، أعني ترجمة الكلمة الواحدة بعبارة أو جملة، وذلك مما يحسن تفاديه في الترجمة كما ذكرنا، لتحقيق الاختصار مع الإبانة.

وهناك ترجمة أنجزها باحث آخر<sup>3</sup> وقد بذل جهودا معتبرة في التعريف بالتداولية ووفق في اختيار بدائل جيدة كثيرة في ترجمة كثير من المصطلحات الأجنبية وأبحاثه في مجال التداوليات مفيدة للطلبة والباحثين، ولكنه كان في بعض الحالات القليلة يختار بدائل غير مناسبة، مثل اختيار مقابل عربي جديد ليعبر عن عنوان العلم ذاته: *Pragmatics/ La Pragmatique* - فترجمه بـ "الفعليات"<sup>4</sup>، وبمصطلح "الفعلياتية" في قوله "حقائق فعلياتية"<sup>5</sup> بدلا من "حقائق تداولية" الذي لا تبدو الصلة فيه واضحة بين المصطلح الأصلي والمصطلح المقابل، بل العلاقة بينها بعيدة، ومن علامات بُعدة وغموضه أنه سارع إلى شرحه فكتب بين قوسين (التداولية)، واختار مصطلح "القول" بدلا للمصطلح الإنجليزي "Utterance" بمعنى "ملفوظ" وكررها في مواضع كثيرة من الكتاب.

1. المرجع نفسه، ص 97.

2. المرجع نفسه، ص 97.

3. هشام عبد الله الخليفة، في: دان سيربر وديدري ولسون، نظرية الصلة نظرية الصلة (أو المناسبة).

4. واستعمل نفس الترجمة في: نظرية الفعل الكلامي.

5. يُنظر: هشام عبد الله الخليفة، نظرية الصلة (أو المناسبة).

طه عبد الرحمان وترجمة مصطلحات أوستين: اقترح طه عبد الرحمان ترجمة عربية لبعض مصطلحات أوستين للتقسيم العام للأفعال الكلامية<sup>1</sup> نودّ مناقشتها لبيان مدى ملاءمتها وكفايتها، وقبل ذلك تقدم البنية العامة للأفعال الكلامية كما عرضها أوستين، ثم تقدم رؤيتنا لتلك البدائل الترجمية؛ فأوستين فرّع "الفعل الكلامي الكامل" إلى ثلاثة أفعال متزامنة في رأيه، وخاصة الأول والثاني، وجعل لها مصطلحات تحمل مفاهيم مركزية، وهي: "فعل القول" / "الفعل الإنجازي" / "الفعل التأثيري" (أو "الناج عن القول")، ثم شقّق عن هذه المفاهيم المركزية مفاهيم هامشية متفرعة عنها في نسق واحد بمعنى أنها مترابطة بمصطلحاتها وما تحمله من مفاهيم ترابطاً نسقياً، ونلخص بنيتها العامة في الخطة الآتية:

الفعل الأول: فعل القول، *Acte locutoire* وبنيته كالآتي:

فعل صوتي (إنتاج الأصوات)  
+ فعل تركيب (إخضاع الأصوات لنظام نحوي معين)  
+ فعل دلالي (ربط الأصوات بالدلالة)

فعل القول *Acte locutoire*

أما الفعلان الثاني والثالث: فهما الفعل المتضمن في القول (الإنجازي)، والفعل الناج عن القول (التأثيري):

الفعل المتضمن في القول: وهو القيام بفعل ما ضمن قول شيء *Acte illocutoire*  
الفعل الناج عن القول: وهو مجموع الآثار المترتبة على الفعل السابق *Acte perlocutoire*

النتيجة: الفعل الكلامي الكامل، *Acte de parole intégral* وبنيته كالآتي:

<sup>1</sup>. اعتمدنا، مبدئياً، على الترجمة الفرنسية القيمة لكتاب أوستين والتي أنجزها: Gilles Lane، وضمنها الملحق القيم الذي كتبه François Recanati، ونوصي بأن يُراجع: Quand dire c'est faire. Editions du Seuil, 1970. وكنا نرجع أحياناً إلى النسخة الإنجليزية للتثبت والمقارنة: How to do things with words, Oxford University Press, 1962.

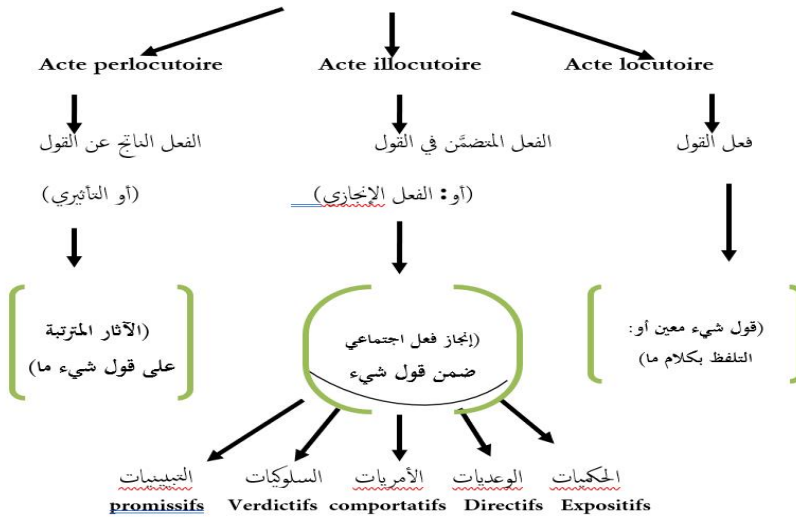
فعل القول (قول شيء معين) Acte locutoire  
+ الفعل المتضمن في القول: (القيام بفعل ما ضمن قول شيء) Acte illocutoire  
+ الفعل الناتج على القول: (الآثار المترتبة على الفعل الإنجليزي) Acte perlocutoire

الفعل الكلامي الكامل Acte de intégral

ولعل هذه البنية تتضح أكثر في الخطاطة أدناه:

الفعل الكلامي الكامل (عند أوستين)<sup>1</sup>

## Acte de discours<sup>2</sup> intégral



1. نبيه على أن هناك بعض الاختلاف بين أوستين وسيرل في التقسيم والتصنيف.  
2. نجد مترجم الكتاب إلى الفرنسية Gilles Lane يستعمل أحيانا تعبير acte de discours intégral (الفعل الخطابى الكامل)، فيستعمل مصطلح الحى: كلام وخطاب، بمعنى واحد، بينما أوستين نفسه استعمل مصطلح: acte (أي "فعل"). يُنظر المحاضرة (12)، في: Quand dire c'est faire. 1970، وليفان بـ "How to do things with words, 1962, lecture 12, p. 147".

تقد ترجمة طه عبد الرحمان للفعل الكلامي وشعبه الثلاث: نبادر إلى القول إنه لا ينبغي أن يُنكر فضل الأستاذ طه عبد الرحمان في الفلسفة اللغوية المعاصرة، ولا في التداولية، وكفاه أنه هو واضع المصطلح في اللغة العربية (التداولية *la pragmatique*)، وأن مصطلحه هذا لقي رواجاً في الساحة الأكاديمية أكثر من مصطلحات أخرى اقترحها غيره، وأنه من أوائل الذين نبهوا من العلماء العرب المعاصرين إلى أهمية الدرس التداولي في فلسفة اللغة وفي البحث اللغوي نظرياً واستثنائياً، فهو إذن، من رواد الفكر التداولي العربي ولا تُنكر ريادته في هذا المجال، وكتبه في ذلك تنضح بعلم غزير.

ولكن الأستاذ حيناً رام التأسيس العلمي عبر الربط المعرفي بين التراث العربي والفكر التداولي الحديث، وإيجاد البدائل الصحيحة لبعض مصطلحات أوستين خصوصاً، حيناً رام ذلك تساهل في بعض الترجمات بفعل المبالغة في استدعاء التراث وطلب البدائل التأصيلية منه دون تعميق النظر في التطابق المعرفي الحاصل في المفاهيم لا في الألفاظ، وذلك أمرٌ لا يستقيم دائماً لأنه قد يعتربه نوع من التباين والاختلاف بين المصطلح الأصلي والمصطلح المترجم إن لم تُستوعب المفاهيم ولم تُدقق المصطلحات.

وأذكر هنا شيئاً من ذلك؛ ففي ترجمته للتشقيقات التي وضعها أوستين للفعل الكلامي الكامل<sup>1</sup> (والتي عرضناها في الفقرة السابقة) نجده يضع البدائل الآتية: فمصطلح "*acte locutoire*" يترجمه بـ "الفعل الكلامي"، ومصطلح "*acte illocutoire*" يترجمه بـ "الفعل التكملي ومصطلح "*acte perlocutoire*" يترجمه بـ "الفعل التكملي"<sup>2</sup>. وفي ترجمته للمصطلح الأول: "*acte locutoire*" شيء من التجاوز والتبليس لأنه يعبر عن "الجزء" بمصطلح "الكل"، كما عرضناه في المشجر السابق، وهو أمر لا يستقيم في تجريد المفاهيم ووضع المصطلحات؛ لأن مصطلح "الفعل الكلامي" يعبر عن المفهوم الكلي العام الذي تندرج تحته الأفعال الجزئية الثلاثة الكبرى المتزامنة، وكان عليه أن يقول في ترجمة "*acte locutoire*": "فعل القول"، فهو الصحيح والأقرب إلى المعنى الذي أراده أوستين والمعتمد عند التحقيق والشائع بين الدارسين، أما ترجمة الأستاذ المقترحة للمصطلحين الآخرين فغير موفقة،

<sup>1</sup>. نوصي بمراجعة النسخة الأصلية لمحاضرات أوستين المجموعة في كتابه: How to do things with words, 1962، ولتُقارَن بالنسخة الفرنسية "Quand dire c'est faire. Editions Gilles Lane، 1970. ترجمة: Gilles Lane.  
<sup>2</sup>. طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص 260 والتأكيد من عندنا.

وكلامه في هذه النقطة غير دقيق البتة، لأنه بعيد كل البعد عما أراده أوستين. ومنشأ الخطأ في هذه الترجمة أنه ينسبه إلى أبي هلال العسكري، في مسعى تأصيلي للمفاهيم الحديثة لتطابق المفاهيم التراثية أو تقاربها، فذكر ما نصه: "وقد ظفرنا بنص يؤيد هذه التسمية أن التكلم تعليق الكلام بالمخاطب فهو أخص من الكلام، وذلك أنه ليس كل كلام خطابا للغير"<sup>1</sup> وبالعودة إلى كتاب "الفروق اللغوية" نجد هذا النص<sup>2</sup> ولكن في سياق آخر هو سياق نفي الترادف عن مثل هذه الكلمات (الكلام/التكلم/التكليم)، أي بمعنى آخر غير المعنى الذي فهمه الأستاذ طه عبد الرحمان، لذا فالرد عليه يكون من عدة وجوه:

1. أن لا علاقة لهذا المعنى - الذي نقله عن أبي هلال العسكري - بما أراده أوستين البتة كما ذكرنا آنفا، لأن مصطلح (*acte illocutoire* / الفعل الإنجازي) يريد به أوستين: القوة الإنجازية المودعة في "فعل القول"، ليعين الفرق بينه وبين فعل القول (*locutoire acte*) من جهة، وكلاهما "فعل كلامي جزئي، وليفرق بينهما وبين الفعل التأثيري (*acte perlocutoire*) الفعل الناتج عن القول) من جهة أخرى، وكلها متشعبة عن الفعل الكلامي الكامل. أما أصناف الأفعال الإنجازية الكبرى حسب تصنيفات أوستين وتلميذه سيرل وفندرفاكن (أي الوعديات والأمريات والتبينييات والحكميات) بالنسبة إلى أوستين، و(الوعديات والإيقاعيات والأمريات والتقريريات) بالنسبة إلى سيرل وفندرفاكن، كلها موجهة إلى إحداث تأثير في المخاطب لإحداث المطابقة بين اللغة والعالم، كما أوضح سيرل، ما عدا صنفا واحدا هو "البوحيات" (حسب تصنيف سيرل، أو التعبريات *les expressifs*)، لأنه لا مطابقة فيها بين اللغة والعالم، وعدد هذه الأخيرة قليل كما هو معروف.

2. وهذا النص الذي ظفر به عند أبي هلال العسكري لا يصلح حجة له في هذه الترجمة؛ ذلك أن أبا هلال العسكري لا يذكر ذلك في سياق درس تداولي إنجازي باعتبار "الكلام والتكلم والتكليم" أفعالاً كلامية، كما صنع البلاغيون العرب أو كما صنع أبو نصر الفارابي مثلاً، في فلسفته اللغوية المتقدمة في سياقها الزمني والفكري، وإنما كان أبو هلال يبحث في دلالة الصنع الصرفية معجماً ليفرق بين "كلم" و"تكلم"، ليعين علاقة العموم والخصوص بين لفظي "الكلام والتكليم" في سبيل

1. اللسان والميزان، هامش ص 260.

2. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، ص 35.

- تحقيق الفوارق المعنوية في الألفاظ ليصل بذلك إلى نفي الترادف التام في اللغة بناء على أن "اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني"<sup>1</sup>
3. أن هذه الترجمة التي اقترحها الأستاذ طه عبد الرحمان لا علاقة لها بما أراده أوستين وتلاميذه، لأن "الفاعل الإنجازي" مثلا- (*Acte illocutoire*) - والذي فهم الأستاذ طه عبد الرحمان أن المراد منه عند العسكري: "الفاعل التكلّمي"، وقصره الأستاذ على "المتكلم" لا يجاوزه إلى "المخاطب" - إنما معناه عند أوستين: القوة الإنجازية المودعة في فعل القول كما قلنا، وهي قوة معنوية إنجازية تؤدي بها وظيفة التأثير في المخاطب، لأنها تتضمن أمرا أو نهيًا أو تقريرا أو إثباتا أو ترغيبا أو ترهيبا... الخ، وهي كلها متعدية إلى المخاطب لأنه يُطلب بها منه دائما شيء ما. وأما الصيغ الصرفية المختلفة التي استعملها أبو هلال في "الفروق" (كلام، تكلم، تكليم) فهي كلها، من منظور تداولي، أفعال كلامية إذا توفرت لها شروط "الإنجازية" (*la performativité*) التي نص عليها التداوليون، والأساس في ذلك أن يكون في قصد المتكلم فعل شيء ما به<sup>2</sup> أو طلب شيء بها من المخاطب، وأن يكون ذلك في خطاب. والفروق بين الثالث الاصطلاحي للعسكري ليست فروقا في أصل القوة الإنجازية لهذه الألفاظ الثلاثة ولكن في "درجة الشدة للغرض الإنجازي" بمصطلحات ج. سيرل (*illocutoire Degré d'intensité du but*)<sup>3</sup>، وهذا لا يسلبها هويتها الإنجازية.
4. أما إذا ما أردنا تأصيلا لهذه المفاهيم التداولية في تراثنا اللغوي فالأولى أن نبحث لها عما هو قريب منها في المضامين دون تكلف ولا إهدار للدلالات، وبما يصلح بطبيعته أن يكون مكافئا معرفيا

1. المرجع نفسه، ص 22.

• على أن هناك نقاشا في دلالات "كلام" و"تكليم" بحسب السياقات المختلفة، بناء على ما ورد في القرآن الكريم أهما بمعنى واحد في قوله تعالى: [إني اصطفيتك على الناس برسالتك وبكلامي] (الأعراف، 144) وقوله تعالى في النساء [وكلّم الله موسى تكليما] (النساء، 163)، والعسكري تقسه أشار إلى أنهما قد يكونان بنفس المعنى في بعض السياقات (ينظر: العسكري، نفس المرجع، ص 35)

2. وحتى الأستاذ طه عبد الرحمان نفسه قال كلاما قريبا من هذا فوجدناه في موضع آخر يناقض نفسه بنفسه فيصرح أن "المخاطب هو الأصل في الكلام... وأن المنطوق لا يكون كلاما حتى تحصل من الناطق إرادة توجيهه إلى غيره... وأن "حقيقة الكلام ليست هي الدخول في علاقة لألفاظ معينة بقدر ما هي الدخول في علاقة مع الغير"

ينظر: اللسان والميزان، ص 214/215 والتأكيد من عندنا.

3. J. Searle, (1982), pp. 44-45-46

صحيحاً أو قريباً من الصحة ولا تكلف فيه، مثلما وجدناه عند الفارابي في كتاب الحروف، وسنعود إليه في فقرة قادمة، وفائدة البحث فيه أنه يدلنا على الوعي بظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث، أي صناعة الأفعال والمواقف الفردية والاجتماعية والمؤسسية بالكلمات، وإن لم يُسمَّوها دائماً بهذه المصطلحات الحديثة.

5. ونكرر هنا أن كل صنف من أصناف الفعل الإنجازي الأربعة الكبرى (أي التقريريات والوعديات والأمريات والإيقاعيات) يوجّه بطبيعته إلى ذات خارجة عن ذات المتكلم لأنه يراد بها تغيير الواقع من خلال حمل المخاطب على فعل شيء أو تركه، أو دعوته إليه، أو ترغيبه أو ترهيبه، أو تقرير حكم أو توكيده أو التشكيك فيه أو نفيه، أو نهي المخاطب أو وعده أو وعيده، أو إبرام عقد مع المخاطب، أو فسخه... كما أشرنا سابقاً، إلا صنفاً واحداً من الأفعال الإنجازية (الصنف الخامس) وهو صنف "البوحيات" (التعبيريات *les expressifs*) مثل: الشكر، والتهنئة، والتعزية، وغيرها فلا يراد بها طلب شيء من المخاطب في الأعم الأغلب، وبعض أفعال هذا الصنف الأخير شديد الشبه بضرور من الإنشاء غير الطلبي حسب تقسيمات البلاغيين العرب (كالممدح والذم والتعجب وغيرها)، وعددُ هذا الصنف من الأفعال الإنجازية قليل كما هو معروف.

وبناء عليه فإن ما يقترحه الأستاذ طه عبد الرحمان من مصطلحات -اعتماداً على مرجعية كتاب الفروق اللغوية للعسكري- لا يصلح لأن يكون بديلاً معرفياً مكافئاً لمصطلحات أوستين الثلاثة الكبرى، بسبب الفوارق المفاهيمية بين هذه وتلك، ولعل سبب الوقوع في هذا - فيما نرى - هو غلبة الهم التأصيلي (الذي يُشكر عليه إذا كان في سياقه المناسب) على الهم العلمي الدقيق المتخصص من خلال الاستدعاء المبالغ فيه لمصطلحات النظرية اللسانية العربية القديمة إلى ساحة التداولية المعاصرة. وقد حذّر بعض الدارسين من الانتدفاع المتسرع وراء فكرة التأصيل والربط المعرفي بلا ضوابط، لأنه قد ينجّر عنه تلابس القضايا وضبابية المفاهيم واختفاء المصطلح الحدائري وراء المصطلح التراثي<sup>1</sup>، أو العكس، فيتوارى المصطلح اللساني المعاصر حينذاك وراء المصطلح النحوي أو البلاغي أو الأصولي.

الترجمة والربط المعرفي إن الربط المعرفي بين التراث العربي والفكر اللساني الحديث لا يكون مستهجنًا دائماً وفي كل الأحوال؛ بل قد يكون أمراً محبّباً إذا روعيت مقاييسه العلمية لأنه يجعل الباحث يقف على جوانب عميقة في النظرية اللسانية العربية القديمة، رغم الاختلاف في فلسفته وعدم وضوحها

1. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص55.

كل الوضوح لدى الكثيرين، أعني جميع مبرراته المعرفية وغاياته، ورغم اختلاف الثقافات والسياقات الفكرية والتاريخية، ولكن شجرة المعرفة شجرة باسقة تلقي بأغصانها وظلالها الوارفة وثمارها على كل الأمكنة والأقوام وفي كل العصور، إذ يتداولون أحيانا نفس القضايا المعرفية، أو قضايا متشابهة، في اللغة وفي غيرها؛ حين يتساءلون عما يتعلق باللغات ورصد بنياتها وخصائصها ووظائفها... الخ، وربط هذا البحث بأطر معرفية أوسع في العلوم الإنسانية كالفلسفة وعلم النفس وفلسفة القانون وحتى العلوم العقلية الدقيقة الموعلة في الصورة والتجريد كالرياضيات والمنطق.

وهذا الربط المعرفي يقوم على أساس من ملاحظة التقارب (وقد يقول بعضهم التشابه) في بعض الخلفيات الإبستمية والمنهجية بين اللغويين العرب القدامى وبين اللسانيين الحديثين؛ فهذه لم تعد خافية على أهل الاختصاص، ومن أهم أوجه ذلك التشابه، في إطار الدرس النحوي مثلا، ما يمكن تسميته: "المعايير الوظيفية" مثلا، التي نجدها ماثورة، صراحة أو ضمنا في مجموع التراث اللغوي الإنساني وفي تراثنا؛ ففي التراث اللغوي العربي كان الملمح الوظيفي-الذي يعني التوافق بين التراكيب اللغوية من جهة وبين مقاصد المتكلمين وملابسات الخطاب من جهة أخرى، وتفسير الأولى على أساس الأخيرة- بمنزلة الخلفية الإبستمية التي وجمت النشاط العلمي للعلماء العرب في فروع معرفية متعددة اشتملت بالبحث اللغوي، كعلم أصول الفقه والنحو والبلاغة والتفسير، ويبلغ المنحى الوظيفي قمته العلمية حين تؤخذ هذه الحقول المعرفية مجموعة لا أجزاء وتقاريق<sup>1</sup>... وكذلك في المنظور التداولي تقارب بعض الرؤى المنهجية بين تراثنا والفكر الحديث على الرغم من تباعد السياقات التاريخية والفكرية...

غير أن هذا الربط المعرفي أمر لا يخلو من محاذير في ظل التحدي المعرفي الراهن المرتبط بالتحدي المصطلحي؛ فمن محاذيره أننا قد نجني على المصطلح المترجم، والنص المترجم، بقطعه من سياقه المعرفي دون وعي بالأرضية المعرفية التي جاء منها، ومن محاذيره أن يتوارى المفهوم الحديث خلف المفهوم التراثي، أو العكس، "في عملية دوران معرفي بين مفاهيم تراثية وأخرى مستحدثة، وفي مجال اللسانيات كثيرا ما يتجاذب الميراث الاصطلاحي ذوي النظر فينجذبون صوب إحياء اللفظ واستخدامه في غير

1. في التكامل المعرفي للعلوم العربية يُنظر: عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية. ويُنظر في تكاملها الوظيفي: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري/ ولنفس المؤلف، الوظائف التداولية في اللغة العربية. ولتراجع كذلك: مسعود صحراوي، علاقة البنية بالوظيفة في دلائل الإعجاز، في: حافظ إسماعيلي علوي/ ومنتصر أمين، التداولية وتحليل الخطاب (بحوث محكمة)، ص 663. ويُنظر أيضا: جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز، ص 118.

معناه المدقق"<sup>1</sup>. ومن هنا يوصي البارسون المدققون بالحذر وعدم التساهل في هذه المسألة، وعليه نرى ضرورة اجتناب التزعتين المذمومتين في البحث اللساني المعاصر: نزعة المبالغة في استدعاء التراث إلى العصر، ونزعة المبالغة في نفيه وإبعاده عن الساحة العلمية الراهنة، وكلاهما مذموم فيما نتصور، والمسلك الصحيح والمطلوب هو التوسط والاعتدال في ذلك، ولكن على قاعدة نظرية مؤسّسة قائمة على استيعاب المفاهيم التراثية والحداثية استيعاباً صحيحاً قبل الربط وقبل وضع المصطلح في حال الترجمة، كما أُلحنا في بداية البحث، مع الحذر الواعي من التسرع في الإسقاط بإطلاق المصطلحات التراثية على مفاهيم حديثة لا تكافئها، مثل إطلاق لفظ "مبتدأ"، وهو من مفاهيم نظرية العامل، على المصطلح الفرنسي "sujet" وهو مفهوم وظيفي<sup>2</sup>.

فبدأ استدعاء التراث إلى العصر في ذاته ليس بخطأ، وإنما الخطأ هو تحميل المصطلحات التراثية النحوية والبلاغية وغيرها فوق طاقتها ووضع بديل اصطلاحي تراثي متسرع على مفهوم حديث دون استيعاب المضمون التراثي أو المضمون الحداثي. أما إذا عُرف - بعد اعتماد البنية العميقة للمصطلح ضمن شبكته المفاهيمية وعدم الاكتفاء ببنيته السطحية والتشابه الشكلي - أن هناك تقارباً أو تطابقاً في المضمون بين المصطلحين التراثي (العربي) والمصطلح الحداثي (الغربي)، يجعلهما متكافئين فلا نرى مانعاً من ذلك مع استصحاب معنى أصالة التراث العربي إبستيميا وإجرائياً، على أن هذه الأصالة لا تبرر الممارسات الإقصائية التي تمارس على تراثنا تحت حجج وعناوين شتى كعناوين: التفرد أو البعد عن الإسقاط أو خوف اللاتاريخية والانشداد إلى الماضي في مفارقات تاريخية مذمومة (*anachronisme*)... وغيرها من الحجج.

ويمكن التمثيل للربط المعرفي السلس غير المتكلف، في نطاق المعرفة التداولية، بما وجدناه عند بعض علمائنا القدامى من الاستعمال الفعلي لمفاهيم قريبة جداً من مفاهيم المعاصرين في اللفظ والمضمون معاً؛ فهذا أبو نصر الفارابي (ت 339 هـ) مثلاً في "كتاب الحروف" صتّف العبارات الصادرة عن المتكلم إلى صنفين كبيرين هما: "عبارات القول" و"عبارات الفعل"، في إشارات لطيفة إلى فلسفة لغوية عميقة-أكاد أقول سابقة لعصرها، ولكنها بقيت معزولة بليمة لم تجد من يتابعها في عصرها أو بعده في حدود ما علمنا من نصوص تراثنا.

1. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص 55.

2. يُنظر: عبد الجبار توامي، المصطلح النحو لساني في ترجمة منذر عياشي للقاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، مقارنة تحليلية نقدية (مقالة)، ص 208.

والذي يبدو لنا أن الفيلسوف أبا نصر الفارابي قد بدأ من نفس نقطة البداية التي بدأ منها الفيلسوف أوستين وهي اعتبار "المخاطبات" نوعين:

● "أقوالاً،

● وأفعالا تم بالأقوال"<sup>1</sup>.

الأولى تم بمجرد تحريك الشفتين للتواصل مع الآخر والتعبير عما في النفس، والثانية يراد بها، إضافة إلى ذلك، حمل المخاطب على فعل شيء ما؛ يصرح الفارابي قائلاً: "...والقول الذي يُتَمَتَّى به شيء ما فهو يُتَمَتَّى به إما قولاً ما، وإما فعل شيء ما. والذي يُتَمَتَّى به فعل شيء ما فمنه نداءً، ومنه تَضَرُّعٌ، وطَلْبَةٌ، وإِذْنٌ، ومنعٌ، ومنه حَتٌّ، وكَفٌّ، وأمرٌ، ونهي"<sup>2</sup>.

فقد عدَّ الفارابي هذه العبارات نوعين كما قال: "أقوالاً، وأفعالا تم بالأقوال"<sup>3</sup>، وميزة الثانية عن الأولى -عنده- حملُ المخاطب على فعل شيء ما، وكما يقال في التداولية المعاصرة "الأفعال الإنجازية"؛ وصرَّح بوضوح أن "القول الذي يُتَمَتَّى به شيء ما فهو يُتَمَتَّى به إما قولاً ما وإما فعل شيء ما"<sup>4</sup>؛ فهو يشير في هذه العبارة والتي تليها إلى مفهومين ذكرهما أوستين كما ذكرنا سابقاً:

● الأول: "الفعل الإنجازي: "...وأفعالا تم بالأقوال"

● والثاني: "فعل القول" فوجدناه يلتفت منذ ذلك العصر المبكر إلى أن "النطق بالقول هو فعلٌ ما".

وهذه المصطلحات "الفعل" و"الاستدعاء المرتبط بالقول"<sup>5</sup> ليست غريبة في تراثنا البلاغي والأصولي خصوصاً؛ فقد عبر كثير منهم به كما قال إبراهيم الشيرازي في كتاب "شرح اللمع في أصول

1. أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، حققه وقدم له: محسن مهدي، ص 162. والتشديد من عندنا.

2. المصدر نفسه، ص162.

3. المصدر نفسه، ص162، والتأكيد من عندنا.

4. المصدر نفسه، ص162.

5. ليُراجع: خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية.

الفقه " أن "الأمر هو استدعاء الفعل بالقول"<sup>1</sup> وعند كثير من الأصوليين "...استدعاء الفعل بالقول..." وفي اصطلاح السكاكي " ... يستدعي مطلوباً.. الخ.

وإنه لمن الطريف واللافت حقاً أن يعبر الفارابي بمصطلح ظن فلاسفة اللغة المعاصرون أنهم هم السابقون لوضعه، وهو مصطلح "القوة" (وعند سيرل: القوة الإنجازية – *force illocutoire*)، فقد قال الفارابي: "قوة أحد أنواع القول [يقصد النداء تحديداً] قوة السؤال عن الشيء"<sup>2</sup>، وتتطوي هذه العبارة الأخيرة من الفارابي على مفهوم مركزي أساسي هو "مفهوم القوة" وهو المقصود من إيراد عبارته الأخيرة هنا، وهو مفهوم فرعي يحتمل معنيين:

- الأول أنّ القوة الإنجازية المحتواة في "فعل النداء" تكافئ إنجازيا القوة المحتواة في "فعل الاستفهام"، أي كلاهما من صنف فرعي واحد.
  - الثاني: ما قد يُفهم من هذا التصريح أيضاً أن القوتين ليستا من طبيعة واحدة ولكنها - كليتهما - تنتميان إلى صنف العبارات الإنجازية، المخالف لصنف العبارات الوصفية، وتمحيص هذا الرأي علمياً في ضوء التطورات الحاصلة في المعرفة التداولية المعاصرة مجاله بحث آخر.
- أما ما يعيننا الآن فهو الإعلان عن أننا وجدنا في تراثنا علماء كثيرين من فلاسفة وأصوليين وبلاغيين وغيرهم يستخدمون مصطلحات شبيهة لفظاً ومعنى بمصطلحات التداوليين المعاصرين: مصطلح "الفعل" بمعنى (*acte*) كما فعل الفارابي وبعض الأصوليين، ومصطلح "القوة (القولية)" مقابل *Force illocutoire*. وهذه النماذج المذكورة هنا تفيد أنه يمكن ملاحظة التشابهات المعرفية وإجراء علاقات الارتباط المعرفي القريب المتجانس ضمن حدود علمية مؤسّسة لا يُسمح فيها بتغطية فكر قديم على فكر جديد أو العكس، ولا مرحلة تاريخية على مرحلة تاريخية أخرى، ولا مفهوم قديم على مفهوم جديد.

1. يُنظر: إبراهيم الشيرازي، شرح اللمع في أصول الفقه، تح/ عبد المجيد تركي، مج 1، ص 191، والتأكيد من عندنا.  
2. المرجع نفسه، ص 163، وما بين المعقوفتين من عند المؤلف.

تحدّي المصطلح التداولي المترجم: وبالعودة إلى مظاهر التعثر في ترجمة المصطلح الذي كان ولا يزال يشكل تحدياً معرفياً وحضارياً عند العرب المعاصرين نطرح السؤال: بم ترجم مصطلح *la Pragmatique*؟ وكيف عرّف؟

يلاحظ في ترجمة هذا المصطلح - *la Pragmatique* - وهو عنوان العلم ذاته- غياب التصور الصحيح الشامل للتداولية ذاتها والوقوف عند قراءات قديمة متجاوزة مثل قراءتهم لتصور شارل موريس منذ الثلث الأول من القرن العشرين... وقد يُلاحظ، أحياناً، الوقوع في التعريفات الجزئية غير الدقيقة:

- فن المترجمين من يترجمه بـ"الميدانية" كما رأينا عند طلال وهبة<sup>1</sup>،
- ومنهم من ترجمه بـ"ذريعات"، أو "المذهب النريعي" عند الفاسي الفهري<sup>2</sup>، وعيب هذه الترجمة أنها تسبب اضطراباً وتداخلاً بين الفلسفة الذرائعية من جهة و"التداولية" من جهة أخرى، وهما مختلفان، كما هو معروف.
- ومنهم من قال في ترجمته "علم التخاطب"<sup>3</sup>، وهذا من قبيل ترجمة الكل بالجزء.
- ومنهم من ترجمه بـ"الفعليات"<sup>4</sup>، كما ذكرنا في بداية الفصل، وكررها عدة مرات في الكتاب ومسرد المصطلحات المترجمة، وهي ترجمة غريبة، ويبدو أن الكاتب أحس بغموضها وغرابتها فشرحها بين قوسين بـ"التداولية".

وقد كانت كثير من ترجمات مصطلح (*la Pragmatique Pragmatics*) تصدر عن قراءات متجاوزة للتصور الخطي لثلاثية شارل موريس: التركيب، الدلالة، التداولية، وعلى الرغم من القيمة الإيستيمية للتحديد الثلاثي لما جاء به هذا الفيلسوف والمتمثلة في تحديد موضوع العلم - وهي مهمة الفيلسوف قبل أن تكون مهمة اللساني؛ فقد فهم هذا التصور فهماً خطياً فصار القائلون به يفتشون المبحث التداولي عن مجالي التركيب والدلالة، ولاحقاً عن التحليل التداولي الشامل للتخاطب، ويجعلون

1. مدخل إلى الألسنية، تأليف: بول فاير وكريستيان بايلون، ترجمة: طلال وهبة، ص 6.  
2. يُنظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 42-43.  
3. محمد علي يونس، علم التخاطب الإسلامي، 2006.  
4. يُنظر: هشام عبد الله الخليفة، 2016.

كل واحد من هذه المباحث مستوى قائماً بذاته مستقلاً عن غيره، وهو ما يسمى بـ "العلاقة الخطية" (*relation linéaire*) بين هذه المستويات الثلاثة، ولكن الرؤية التي طوّرت فيما بعد هي ألا ننظر إلى التداولية على أنها مستوى من مستويات الظاهرة اللغوية، كما كان يُظنّ من قبل منذ أيام الفيلسوف الأمريكي شارل موريس *Charles Morris* شأنها شأن الصوتيات والتراكيب والمعجم مثلاً، بل الأقرب إلى الصواب أنها منهج لغوي معرفي تتوسل به إلى دراسة مستويات عدة من الظواهر اللغوية والخطابية، بمعنى أنها قد تدرس المستوى الصوتي والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي الذي هو بها أعلق، لأن المنهج التداولي كما تطور على يد بعض المتأخرين (مثل ديكرو *O. Ducrot*، وموشلر *Moeschler*...) وغيرهم) يشمل جوانب عدة ومستويات كثيرة من الظواهر اللغوية والخطابية، فيكون المكون التداولي حاضراً في عدة مستويات لغوية.

في سياق دراسة الوقائع التداولية يطرح موشلر الإشكالية الآتية "أنتعلق بدراسة الكفاءة أم بدراسة الإنجاز"<sup>1</sup>، فهذه الإشكالية أخذت عنده نموذجين من الإجابة:

- النموذج الأول: فيه عدت التداولية نظرية في الإنجاز، وذلك في المسار الذي دشنته غرايس<sup>2</sup>، ففي هذا النموذج اهتمت التداولية بدراسة قوانين الإنجاز دون الكفاءة، بحيث نجد أن "التقابل لسانيات / تداولية يوافق التقابل كفاءة / إنجاز".

- النموذج الثاني: فيه عدت التداولية نظرية في الكفاءة وذلك في المسار البحثي الذي بدأه إميل بنفنيست وواصله أ. ديكرو، والتداولية في هذا النموذج لا تهتم بدراسة الإنجاز بل بدراسة الكفاءة؛ فالجوانب التداولية مشفرة في اللسان، وفي اللسان نفسه تعليمات تحدد استعماله الممكنة، وهذه هي نظرية التداولية المدججة (*la pragmatique intégrée*)<sup>3</sup>.

1. يُنظر: موشلر وربول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 34. تعليق: الأولى أن يقال هنا: "سياق التخاطب" الذي دشنته غرايس وهو المبدأ الذي يقتضي تشارك أكثر من طرف في الخطاب الفعلي، أما "الإنجاز" فهو المبدأ الذي دشنته أوستين وتابعه فيه سيرل وفندرفاكن.

2. المرجع نفسه، ص 34.

3. المرجع نفسه، ص 34. وليُراجع أيضاً:

*Ducrot & Anscombe (1983).*

مما سبق ذكره يمكننا القول إن موضوع التداولية المدججة ارتبط باعتباريات عدة، منها:

- معالجة الجوانب الإنجازية للدلالة على مستوى المقام
- دراسة العلاقة بين نظام اللسان واستعمال هذا النظام نفسه
- البحث عن الوقائع التداولية المشفرة في اللسان
- دراسة عملية الدمج ما بين اللسانيات والتداولية

وكما يبدو من هذه النقاط وغيرها فالتداولية المدججة لم تتخلّ تماما عن التصور السوسيري في ثنائياته الشهيرة خصوصا ثنائية "اللغة/الكلام" (*langue/parole*) أو "اللسان/الكلام" بل حافظت عليها وأعطتها أبعادا منهجية جديدة، فصارت تعتبر، من ثم، تيارا متميزا في التداولية.

أما في مسألة القسمة الثلاثية الشهيرة الموروثة عن ش. موريس فالتداوليون المتأخرون ولا سيما ديكر و زميله أونسكومبر (*Ducrot et Anscombre*) وغيرهما، يذهبون إلى تجاوز التصور الخطي الناتج عن هذه القسمة الثلاثية التي فهمت من أطروحة الفيلسوف "شارل موريس" ويذهبون إلى دمج التداولية في الدلالة فيما أصبح يعرف فيما بعد بـ "التداولية المدججة" كما ذكرنا آنفا... غير أن ديكر و من اللسانيين الذين يُدمجون التداولية في الدلالة ومن ثم في اللسانيات، وقد مرت نظريته بمراحل وصاغها عدة صياغات وأضاف وعدّل... وتخلّى في بعض الصياغات عن بعض المفاهيم التي شهدت رواجاً كبيراً بين الدارسين.<sup>1</sup>

هذا، وقد ظهر تيار تداولي آخر، في العقود المتأخرة بعد الفيلسوف غرايس *H. P. Grice*، يقوده بعض اللسانيين والأترولوجيين، أراد أن يعطي للتداولية نوعاً من الاستقلالية عن اللسانيات.<sup>2</sup>

1. يُراجع: كوهي كيدا، في: تسجيل الحجاج في اللغة - نظرية الكتل الدلالية، ترجمة: إبراهيم أمغار، في: <https://afkaar.center/2019/11/03/%D8%AA%D8%B3%D8%AC%D9%8A%D9%84/?fbclid=IwAR1Y6elD6HYLorMaffVNA7jIymDASXRHnk5V4PohdNB31GP7r-T9dpS2y6o>

2. هذا التيار التداولي الجديد ذكره موشر و آخرون، وهو تيار معرفي يتبنى بعض مقولات المنطق والدلالة الصورية، يسمى (*la pragmatique principielle ou radicale*) بمعنى: "التداولية الراديكالية"

أما ترجمات المصطلح فقد تعددت تعددا لا يكاد ينحصر، فقيل: تداولية، وشفعية، وبراجماتية، وسياقية، ومقامية، وعلم المقاصد، وتداوليات، ذريعات، علم اللغة الذرائعي، مذهب الذرائع، اللسانيات التداولية<sup>1</sup>... الخ، وكفى بهذا شاهدا على أزمة المصطلح في ثقافتنا الراهنة.

كل ذلك في ترجمة المصطلح، وأما في تعريفه فقد وردت تعريفات كثيرة متفاوتة في التعبير عن المضمون: من ذلك تعريف بعضهم للتداولية: بأنها ممارسة الفعل الكلامي<sup>2</sup>، أو بأنها علم التخاطب<sup>3</sup>.. الخ، وهذه كلها من باب تعريف الكل بالجزء، وهو علامة على التساهل في قاعدة "أن من شروط التعريف العلمي أن يكون جامعا مانعا"، أو هو علامة على عدم امتلاك التصور الصحيح للعلم. وإذا كانت التداولية هي "ممارسة الأفعال الكلامية" أو هي "علم التخاطب"، كما قيل، فما هو تعريف "الأفعال الكلامية" إذن؟ وما تعريف "الاستلزام التخاطبي"؟ وما هو تعريف "الحجاج"؟ وما تعريف "الإشارات"؟ وما تعريف "إستراتيجيات الخطاب"؟ وما تعريف "متضمنات القول"؟ أسئلة كثيرة حول كيفية تعريف كل هذه المباحث الجزئية المدرجة ضمن عموم المعرفة التداولية.

التحدي يتحول إلى أزمة/ أمثلة من ترجمة منذر عياشي<sup>4</sup> وما تم رصده في هذا السياق ترجمة منذر عياشي للقاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان: *Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage*، فقد بذل جهدا كبيرا مقدرا في إنجاز هذا

أو الجذرية" يتزعمه بعض علماء الأنتروبولوجيا واللسانيات، مثل: سيربر وويلسون Dan. Sperber و Deirdre Wilson... ويرى ضرورة استقلال التداولية عن اللسانيات. [المقال الأصلي نُشر في: L'Information grammaticale n° 66, juin 1995].

يُنظر: جاك موشلر، في: [https://www.persee.fr/doc/igram\\_0222-9838\\_1995\\_num\\_66\\_1\\_3044](https://www.persee.fr/doc/igram_0222-9838_1995_num_66_1_3044)

1. تُراجع هذه المصطلحات عند أصحابها في فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، ص 48 و 209 ويُنظر: نعمان بوقرة، الكتابة اللسانية العربية وإشكاليات المصطلح التداولي، في:

[http://brahmiblogspotcom.blogspot.com/2011/05/blog-post\\_2949.html](http://brahmiblogspotcom.blogspot.com/2011/05/blog-post_2949.html)، ويُنظر أيضا: الجيلاي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ص 25.

2. فرانسواز آرمنكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش.

3. محمد علي يونس، علم التخاطب الإسلامي،

4. أوسفالد ديكر/جان م. شايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، ص 225.

العمل الموسوعي الضخم الذي تنوء به العصبية أولو القوة<sup>1</sup> فقام به وحده متوسلا بمعرفته اللسانية وتمكّنه من اللغتين العربية والفرنسية، ولكن طبيعة المهمة التي تكفل بها- كما صرح هو ذاته بأنها رفع التحدي المعرفي المتمثل في الترجمة - وهو تحدّ كبير ليس بالهين، فأوقعه ذلك في التبسيط المحلّ والارتباك أحيانا في ترجمة كثير من المصطلحات. ومن ذلك اقتراحه لترجمة مصطلحات "اللغة واللسان والكلام"<sup>2</sup>، وهو أمر فاش في ثنايا النص المترجم، وقد غاب عن ترجمته هذه أن فهم هذا الثالوث يعدّ أساسيا لفهم نظرية دوسوسير بل اللسانيات البنيوية برمّتها، لماذا؟ أولاً: لأن هذه المصطلحات هي من المفاهيم المؤسسة للسانيات سوسير، ثانياً: هذا الثالوث بالذات هو بنية نسّقية ذات ثلاثة أجنحة لا يمكن تصور واحد منها دون الباقين، وقد عُرف في اللسانيات الحديثة مكانة النسق وأهميته حتى قال سوسير: "إن نسقا ما حتى لو تمّ التخلي عنه لاحقا يُعدّ أفضلَ من مجموعة مفاهيم غامضة"<sup>3</sup>... فلا يمكن تصور مفهوم "اللغة" مثلا دون مفهوم "اللسان" أو مفهوم "الكلام"، وإلا اختلت المفاهيم وانخرم التصور وتصدع البناء المنهجي والإبستيمي الذي شاده سوسير.

وأما مصطلح *Acte de langage* فيترجمه بـ"فعل اللسان" بينما الحديث يجري عن الكلام، ثم يقول ما نصه: "إن أولئك الفلاسفة التحليليين الذين يكرسون أنفسهم لدراسة أفعال اللسان"<sup>4</sup> وفي الصفحة التي تليها: "فيما يخص لسانيات الأفعال اللسانية"<sup>5</sup>، ومن الواضح أنه يريد: الأفعال الكلامية، أو الأفعال اللغوية، كما يقول بعضهم، وقال في موضع آخر "فالفعل اللساني هو الفعل الذي يستعمل اللسان"<sup>6</sup>، والحديث في هذا السياق يجري عن الكلام أو اللغة، لا عن اللسان قطعاً، إذ الصواب أن يقال في ترجمة العبارة "فالفعل الكلامي هو الفعل الذي يستعمل اللغة". وكررها في ترجمة المصطلح في كل مواضع الكتاب فيقول مثلاً: "لقد أعرض بعض علماء الاجتماع عن نظرية أعمال اللسان" [كذا... (ص 696) وهو يقصد: "نظرية الأفعال الكلامية". ويقول في مواضع من الكتاب: "العبارات

1. يُنظر: عبد الجبار توامي، المرجع نفسه، ص 187.

2. يُنظر: المرجع نفسه، ص 187.

3. Ferdinand De Saussure في: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر والأصول، ص 17.

4. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، ص 225.

5. المرجع نفسه، ص 226.

6. المرجع نفسه، ص 226.

الأدائية/العبارات التقريرية<sup>1</sup> [كذا... (ص 696) والصواب المعروف عند الدارسين وعموم المثقفين:  
"المفوضات الإنشائية/المفوضات الخبرية، أو: العبارات الإنشائية/ العبارات الخبرية.

### تكريس الأزمة المصطلحية

حينما نجد كل هذا الخلل في ترجمة هذه المصطلحات اللسانية التداولية وفي إيجاد البدائل المعرفية لها، وحينما نقرأ أن مصطلح *Acquisition du langage* يُترجم بـ "اكتساب اللسان"<sup>2</sup>، ويردد هذه الترجمة الخاطئة كثيرا، والصحيح "اكتساب اللغة" كما هو شائع ومطرد ومعروف في اللسانيات... وحينما يترجم مصطلح: *psycholinguistique* بـ "علم النفس اللساني"<sup>3</sup> والصحيح المتعارف عليه والشائع بين اللغويين: علم النفس اللغوي. ألا يصح القول إننا داخل أزمة معرفية؟ وحين يقول: "اكتساب الكلام"/ والأقرب إلى الصواب أن نقول: اكتساب اللغة، أو حينما يقول: "تعليم اللسان للشامبازي"/ والصحيح تعليم اللغة، أو: "الحبسة اضطراب في اللسان"/ بدلا من: "اضطراب في الكلام"، أو حينما يقول: علم أمراض اللسان، أو "أمراض اللسان" بدلا من: "أمراض الكلام"... الخ، فيجعل مفهومي "اللسان" و"الكلام" مترادفين! على الرغم من أنها متقابلان، حينما نرى كل ذلك ألا يكون من الجائز أن نتحدث عن أزمة معرفية؟ وكل ذلك يدل على فشلنا - نحن العرب المعاصرين - في مواجهة التحدي المعرفي ورفعته.

ترجمة مصطلحات "نظرية الأفعال الكلامية":

ومن مظاهر الإخفاق في مواجهة التحدي المعرفي نقله لمفاهيم نظرية الأفعال الكلامية من الفرنسية إلى العربية، فقد أتى بمقترحات غريبة لا يمكن تصورها في ترجمة جادة لعمل علمي محترم كالذي قام بترجمته، ذلك أن بعض مفاهيم النظرية موجود في تراثنا اللغوي البلاغي على قلته، فممارسة ترجمتها يقتضي بدهة فهما للتراث البلاغي العربي، والخطأ في ترجمتها يعني عدم الاطلاع الكافي على هذا التراث، ويتم أيضا عن التعامل مع مصطلحات هذه الموسوعة الفرنسية تعاملًا شكليًا، وقد يدل أيضا على جهل

1. المرجع نفسه، ص 225.  
2. المرجع نفسه، ص 225.  
3. المرجع نفسه، ص 728.

فردى متسرع في مشروع تقبل في ميزان العلم، من ذلك ترجمته للعبارة الفرنسية: "vrai ou faux"، فقد ترجمها بـ"الصواب والخطأ" وهي في تراثنا البلاغي كما هو معلوم لدى العام والخاص: "الصدق والكذب"، وراح يسمي "الإنشاء" بـ"الأداء" ويسمي "الخبر" بـ"التقرير"، وهذه المفاهيم (الأداء والتقرير) مفاهيم جزئية في نظرية الأفعال الكلامية؛ ففهوم "الخبر" مفهوم واسع، وكذلك مفهوم "الإنشاء"؛ فهو مفهوم كلي تنبثق عنه أفعال كلامية جزئية كثيرة<sup>1</sup> لا يحتويها مصطلح "الأداء"، والأقرب إليه مفهوم "الإنجاز" مع فروق بينهما يعرفها أهل الاختصاص في التداولية، وهذه البدائل التي اقترحها المترجم تدل على عدم إلمام بالتراث البلاغي العربي.

ووجدناه يترجم "argument" بـ"دليل أو برهان"<sup>2</sup>، والمتعارف عليه في التداولية أن مصطلح "argument" يترجم بـ"حجة"، والمصدر "argumentation" يترجم بـ"الحجاج"، ذلك أن المصطلحين الآخرين: "دليل أو برهان" مصطلحان يقعان في حقل معرفي آخر، هو علم المنطق والعلوم الدقيقة كالرياضيات، ولذلك يكون مصطلح "البرهان" و"البرهنة" هما المقابل لمصطلح "démonstration". فهذه المصطلحات متباينة وليست متطابقة ولكل واحد منها مجاله المعرفي لا سيما في النظرية الحجائية الحديثة.

ومن ذلك ترجمته لـ"*philosophie du langage ordinaire*" بـ"فلسفة اللسان العادي" والصحيح الذي يعرفه أهل الاختصاص: فلسفة اللغة العادية<sup>3</sup>.

\*\*\*\*\*

ومما رصدناه في هذا السياق ترجمة شكري المبخوت لمصطلح أوستين "*illocutionary act*" بـ"الفعل اللاقولي"<sup>4</sup> وهذه الترجمة تنسف أصل النظرية من أساسها! وتقلب المفهوم من النقيض

1. يُنظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 20 وما بعدها.

2. المرجع نفسه، ص 701

3. المرجع نفسه، ص 22 وما بعدها.

4. إنشاء النحو وشروطه النحوية الدلالية، ص 155-157-159-162-163- وفي صفحات لا تحصى من الكتاب، وفي الخاتمة.

إلى النقيض! إذ كيف يكون فعلا قوليا وهو "لاقولي"!؟ وكيف يكون "فعلا لغويا" و"فعلا كلاميا" و"عملا لغويا" وهو "لاقولي"!؟ وماذا سيبقى من "كلاميته وقوليته ولغويته" إذا كان "لاقوليا"؟ فنرى المترجم يجمع التقيضين في مفهوم واحد: القول واللاقول، كأنه يجمع بين الشيء واللاشيء، والوجود واللاوجود في كلمة واحدة. والغريب أنه لم يتنبه إلى أن هذه الترجمة تنسف أساس نظرية أوستين التي تقوم على أساس الكلام فقد سهاها صاحبها "*speech acts*" أي: أفعال كلامية، وتقوم على أساس القول والكلام ولذا سمي أحد فروعها "*locutionary act*" أي "فعل القول"، وهي ترجمة فاشية في الكتاب فشوا كبيرا مما أفسد نضه برمته، ولا سيما أن هذا الجزء هو الجزء الجوهري منها وهو الذي يندرج في صميم التداولية، وهو ما يسمى عند أوستين: "*illocutionary act*" أي: "الفعل المتضمن في القول"، أو "الفعل الإنجازي" باختصار، ويعمم هذه الترجمة في كتابه على سائر العبارات والمصطلحات التي تتحافل معها سياقيا ومفهوميا، فيقول: "الهدف اللاقولي"<sup>1</sup> في مقابل: "*le but illocutoire*" والصواب أن يقال: "الغرض المتضمن في القول"، أو "الغرض الإنجازي"، ويقول "القوة اللاقولية"<sup>2</sup> في مقابل "*la force illocutoire*" والصواب: "القوة المتضمنة في القول" أو "القوة الإنجازية"، ولو قال في كل ذلك "لا حرفي... أو قوة لاحرفية" لكان له بعض الوجاهة، أما بهذه الصورة فلا يستقيم المعنى ولا يتضح المراد، بل تهدم النظرية من أساسها، وصفحات كتابه طافحة بهذه الترجمة كما سبق القول. إننا نرى شيوع هذه الترجمة في الكتاب محلاً بالمضمون.

والمعنى غير الحرفي لـ "*illocutionnaire*" هو "القوة الإنجازية"، كما عبّر سيرل بعد أوستين، ولو قال في ترجمتها "لاحرفي" فلربما كان له بعض الوجاهة فيما ذهب إليه، كما قلنا... وهذا يدل على التسرع في الترجمة وربما الترجمة الشكلية، وما يعزز ذلك أنه تفادى هذه الترجمة وتراجع عنها في عمل لاحق حينما شارك في ترجمة "القاموس الموسوعي للتداولية" لموشلر وريبول، فقال: "المتضمن في القول" والسبب، فيما نرى، أن الترجمة الأولى مرجوحة غير مناسبة للمضمون المفهومي الذي يحمله المصطلح الأجنبي (*illocutoire*)..

1. المرجع نفسه، ص 162

2. المرجع نفسه، ص 159

### خاتمة:

- من أهم العيوب المتفشية في ترجمة المصطلح التداولي المعاصر إلى العربية:
- كثرة المصطلحات للمفهوم الواحد والتعدد إزاء المصطلح الغربي الواحد؛
- اعتماد البنية السطحية للمصطلح والغفلة عن بنيته العميقة
- بتره عن نسقه التصوري والمفاهيمي؛
- ترجمة اللفظ المفرد (الأجنبي) بجملة، أو بكلمات كثيرة؛
- عدم ربطه بأصوله المرجعية وحقه المعرفي، وبمجال توظيفه واشتغاله...

وكل ذلك عائد لأسباب منها المبالغة في التأصيل (استدعاء مصطلحات النظرية اللسانية العربية القديمة بشكل مبالغ فيه)، ومنها اعتماد المصطلح قبل استيعاب المفهوم، ومنها البعد عن التخصص، ومنها التساهل غير العلمي وغير المبرر...

\*\*\*\*\*

## المصادر والمراجع:

### الكتب والأبحاث العربية والمترجمة

- آرمنقو (فرانسواز)، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، دت.
- أستيتية (شريف)، المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والازدواجية، دار القلم، دبي، ط1، 2001.
- أوستين (ج. ل)، نظرية الأفعال الكلامية العامة، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، 1991.
- بلانشيه (فيليب)، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007.
- بول فابر وكريستيان بايلون، مدخل إلى الألسنية: ترجمة: طلال وهبة، المركز الثقافي العربي، ط1، 1992.
- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
- ديكر (أوسفالد) وشايفر (جان ماري)، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط2، 2007.
- الجويني (إمام الحرمين أبو المعالي)، الكافية في الجدل، تح: فوقية حسين محمود، القاهرة، 1979.
- رضوان (جوئيل)، موسوعة الترجمة، ترجمة: محمد يحياتن، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2010.
- الشيرازي (إبراهيم)، شرح اللمع في أصول الفقه، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- صحراوي (مسعود)، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، 2005.
- الطبطبائي (طالب سيد هاشم)، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994.
- عبد الرحمان (طه)، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، 1990.
- العسكري (أبو هلال)، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، القاهرة

- الفارابي (أبو نصر)، كتاب الحروف، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، 1990.
- الفاسي الفهري (عبد القادر)، اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، 1982.
- المبخوت (شكري)، إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية، مركز النشر الجامعي، تونس، 2006.
- المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، مكتب تنسيق التعريب (الرباط)، 2003.
- المسدي (عبد السلام)، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1984.
- موشلر (جاك) و (ريبول) آن، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف: عز الدين المجدوب، دار سيناترا، تونس، 2010.
- موان (جورج)، اللسانيات والترجمة، ترجمة: حسين بن زروق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000.

#### الكتب الأجنبية

- J.L. Austin, quand dire c'est faire, traduction de: Giles Lane, éd. du seuil, 1970.
- Dalache (djilali), Introduction à la pragmatique linguistique, OPU, Alger, 1991
- Dubois (Jean) et autres, Dictionnaire de linguistique, Larousse, paris, 1973
- Ducrot (Oswald) & Anscombe, l'argumentation dans la langue, Mardaga, 1983
- Ducrot (Oswald), Présupposés et sous-entendus, in: Langue française, 1969
- Moeschler (Jacques), & Reboul (Anne), Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, Paris.
- Moeschler (Jacques), & Auchelin (Antoine), Introduction à la linguistique contemporaine, Paris
- Récanati (François)- La transparence et l'énonciation, pour introduire à la pragmatique- Ed du Seuil-1979
- Searle (John), les actes de langage, Hermann, Paris, 1972
- Searle (John), Sens et expression, Minuit, Paris, 1982

#### المجلات الأكاديمية المتخصصة:

توامي (عبد الجبار)، المصطلح النحوي لساني في ترجمة منذر عياشي للقاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، مقارنة تحليلية نقدية (مقالة)، في مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد الثاني عشر، العدد الثالث، يونيه-أغسطس، 2010.

#### المواقع على الشبكة

كوهي كيدا، في: تسجيل الحجاج في اللغة- نظرية الكتل الدلالية، تر: إبراهيم أمغار، في:

<https://afkaar.center/2019/11/03/%D8%AA%D8%B3%D8%AC%D9%8A%D9%84-/?fbclid=IwAR1Y6elD6HYL0rMafFVNA7jlymDASXRHnk5V4PoHdNB3IGP7r-T9dpS2y6o>

1. جاك موشر، في:

[https://www.persee.fr/doc/igram\\_0222-9838\\_1995\\_num\\_66\\_1\\_3044](https://www.persee.fr/doc/igram_0222-9838_1995_num_66_1_3044)

نعمان بوقرة، الكتابة اللسانية العربية وإشكاليات المصطلح التداولي، في:

[http://brahmiblogspotcom.blogspot.com/2011/05/blog-post\\_2949.html](http://brahmiblogspotcom.blogspot.com/2011/05/blog-post_2949.html)

---

## *On the Linguistically Responsive Teacher in Tertiary Education*

**Dr. Malika Jmila**

*Ibn Tofail University, Kenitra, Morocco*

*Malika.jmila@uit.ac.ma*

### **Abstract:**

*This article contributes to the debate among applied linguists regarding the importance of teachers' linguistic awareness (TLA) in the teaching of foreign languages. While this debate relates to teaching practices in the pre-university stage, this article focuses on linguistic awareness in tertiary education, more specifically in English departments in Morocco. The article starts with outlining the various dimensions of this concept with references to the major levels of linguistic analysis (phonology, morphology, syntax and pragmatics). Then it deals with three basic questions: what is being done? What could be done? And what should be done? for TLA to be adopted in the teaching of English in Morocco. To support the arguments put forward here, 24 university teachers were interviewed to obtain information relating to their linguistic awareness as well as the ways TLA is exploited in their classrooms. 16.66% of the subjects showed strong TLA and stated that they strive to exploit it individually in their teaching. 29.16% have a good working background in linguistics, but they do not know how to exploit it in their classrooms. More importantly, 54.16% of the informants do not feel that they have such background and tend to teach English without any reference to knowledge about language. The article concludes that Moroccan teachers of English are called to develop and exploit TLA with a view to achieving better learning outcomes, in line with proposals provided herein to redress this situation in Morocco.*

### **Keywords:**

**Teachers' linguistic awareness, foreign languages, levels of linguistic analysis, teaching, tertiary education**

## أهمية الوعي اللساني لدى مدرسي اللغات الأجنبية بالمغرب

د. مليكة جميلة

جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب

*Malika.jmila@uit.ac.ma*

### الملخص:

يساهم هذا المقال في النقاش الدائر في أوساط الباحثين في اللسانيات التطبيقية بشأن أهمية الوعي اللساني في تدريس اللغات الأجنبية. وبينما تركز مناقشة هذا الموضوع على جوانبه في مرحلة ما قبل الجامعة، يبحث هذا المقال مفهوم الوعي اللساني في صلته بالتعليم العالي في المغرب، وتحديدًا في أقسام اللغة الإنجليزية في جميع أنحاء البلاد. نعرض بدايةً مختلف أبعاد هذا المفهوم ومدى أهميته بخصوص مختلف مستويات التحليل اللساني (الصواتة، والصرف، والتركيب وتحليل الخطاب)، ثم نجيب عن ثلاثة أسئلة أساسية في هذا الصدد: ما يجري القيام به؟ ماذا يمكن القيام به؟ وماذا يجب فعله؟ من أجل اعتماد الوعي اللساني في تدريس اللغات الأجنبية بالمغرب. ولدعم الحجج المقدمة هنا، تمت مقابلة 24 مدرسًا جامعيًا على مدار أربعة أشهر (نوفمبر - فبراير 2020) لاستيقاء معلومات تتعلق بوعيهم اللساني والسبل المعتمدة في استثمار هذا الوعي في فصولهم الدراسية. بينما أبدى 16.66٪ من المشاركين وعيًا لسانيًا قويًا يسعون بشكل فردي لاستغلاله في فصولهم، فإن 29.16٪ من المستجوبين لديهم خلفية جيدة في اللسانيات لكنهم لا يعرفون كيفية استثمار هذه المعارف في لغتهم التربوية داخل الفصل. والأمر المثير للاهتمام هو أن 54.16٪ لا يشعرون أن لديهم خلفية عملية في اللسانيات ويميلون إلى تدريس اللغة الإنجليزية دون أي استعانة واعية بالمعارف اللسانية المتاحة. ويخلص المقال إلى دعوة مدرسي اللغة الإنجليزية في الجامعة المغربية إلى تطوير وعيهم اللساني واستغلاله في أساليب التدريس الخاصة بهم لتحقيق نتائج تعليمية أفضل وفق اقتراحات يقدمها البحث لتصحيح هذا الوضع في السياق المغربي.

### الكلمات المفتاحية:

الوعي اللساني، تدريس اللغات الأجنبية، التعليم العالي، مستويات التحليل اللساني،

أساليب التدريس.

This

اللسانيات  
linguist

## Introduction

This paper is a contribution to the arguments put forward for the significance of explicit knowledge about language in the teaching of foreign languages (Ellis, 1994; Andrews, 2006; Lucas & Villegas 2011; Jmila 2019, 2020). While the discussion of this topic focuses on its aspects in pre-university classes, this paper investigates its relevance in tertiary education in Morocco, specifically in English departments across the country. It answers three basic questions in this regard: what is being done? What can be done? And what should be done? The answers to these questions are advanced to argue that teachers of English at the university are called to develop and exploit their linguistic awareness in their teaching methods to achieve better learning outcomes. To support the claims advanced here, 24 university teachers have been interviewed over a period of four months (November – February 2020) to elicit information relating to (1) their linguistic awareness and (2) the way they exploit such awareness in their classes. While 16.66% of the subjects showed solid linguistic awareness and strive individually to exploit it in their classes, 29.16% have a good background in linguistics but do not see how to use such knowledge in their pedagogical language in the classroom. More interestingly, 54.16% do not feel that they have a working background in linguistics

and tend to teach language courses without any reference to knowledge about language. Given the merits of linguistic awareness reported in the published literature, chief of which are outlined here, suggestions (pre-service and in-service) will be made in this paper to redress this situation in the Moroccan context.

## Linguistic awareness

In an earlier article (Jmila 2019), I highlighted the relevance of Teacher's Language Awareness (TLA) along the following lines. This concept has attracted the interest of quite a few researchers in recent years (e.g. Cenoz 2017, Andrews, 2006; Berry, 2014; Borg, 2011; and Svalberg, 2012). TLA is part of teacher knowledge which explores the teachers' knowledge about language systems. Andrews (1999: 163) argues that the language teachers need to "reflect upon [...] knowledge of the underlying systems of the language, in order to ensure that students receive maximally useful input for learning". Thornburry (1997) provides a thorough definition of the concept which is more relevant to TLA in L2 education. He defines it as "the knowledge that teachers have of the underlying systems of the language that enables them to teach effectively" (p.10). Wright (2002) also argues that "a linguistically aware teacher not only understands how language works, but understands the student's struggle with language and is sensitive to errors and other interlanguage features" (p. 115). Similarly, Andrews (2003) demonstrates that TLA has a number of defining characteristics: (a) it involves both knowledge of subject-matter (knowledge *about* language) and language proficiency (knowledge *of* language); (b) the language awareness of the teacher is metacognitive in nature, since it involves a cognitive aspect of reflection upon both knowledge of language and knowledge about language, and (c) TLA focuses on language from the learners' perspective and their developing interlanguage as well as an awareness of the degree to which the language content of lessons causes difficulties for learners.

Linguistic awareness is specifically important in the Moroccan context of higher education for a set of considerations, chief of which is that English departments are not supposed to serve the function of a language center, where the focus relates to language proficiency (knowledge *of* language). They are named Departments of English Studies, which implies that though the objective remains to upgrade students' English proficiency (communication skills), much of these skills should be developed through the use of knowledge about language (metalinguage drawing on the various levels of linguistic analysis). To the extent that this claim is valid, a linguistically aware teacher should satisfy the roles below:

- They should serve as a *user* of the language they teach;
- They should serve as an *analyzer* of the language they teach;
- They should serve as a *pedagogically competent* agent to teach that language.

The second and third characteristics above require the metalinguage and metacognition that enable the teacher to reflect TLA in their teaching praxis. More specifically, it is this capacity that enables teachers to develop students' critical thinking, to analyze the language that they are teaching and reflect on the adequate pedagogical means to facilitate learning. A corollary of this endeavor would be the positive outcomes that can be seen along the following lines:

- Students would find it easier to reflect on their own learning;
- Students would find it simpler to draw conclusions on their way of learning the language;
- Teachers would find it easier to develop sensitivity to interlanguage features and include them in their lesson plan and teaching activities.

Below we will detail the major aspects of linguistic awareness that underlies the achievements of the outcomes above. We explain and exemplify such awareness at the phonological, morphological,

syntactic and pragmatic levels, outlining the benefits of TLA-driven teaching.

### Phonological awareness

As Bolitho et.al (2003) note, teachers usually find themselves in in the situation where students wish to know *why* they can or cannot say something in English. Given time-constraints, learner expectation, and very often a teacher's own sense that they are expected to know "the answer", teachers tend to resort to ad hoc formalization of "the answer". Examples of answers you would hear in a grammar class would include the following:

- It's an exception!
- It's like this. Learn it as it is!
- Whenever you see this, then such and such is the case!

These are examples of knowledge *of* language (communication skills). There are linguistic forms that do not follow from the apparent rules of grammar, and teachers usually flag them as pitfalls for students to avoid them. Consider the example below relating to question tag formation that students are taught in Semester 1, where (a) is ill-formed(\*):

- a) \*I am your friend, *amn 't I?*
- b) I am your friend, *aren 't I?*
- c) I am your friend, *am I not?*

Teacher's explanation drawing on knowledge *of* language (teacher as a *user* of language) would be one of the below:

- It's an exception
- It's like this. Learn it as it is.
- Whenever you see *I am*, then the tag is *aren 't I?* or *am I not?*
- Never use *amn 't I?*

If we content ourselves with this explanation, we would encourage the student to memorize this exception without understanding it. So, this is not good enough; and it's not good enough

for the teacher to be simply a language user. Let's have a look at the explanation that satisfies the second characteristic of TLA.

Teacher's explanation drawing on knowledge *about* language (teacher as an *analyzer* of the language they teach) would be along the following lines. /m/ and /n/ in *amn't* are both nasal stop sounds, and /n/ and /t/ are also similar in that they are both articulated by the tip of the tongue (alveolar). The sound system of any language is subjected to constraints that prohibit speakers from pronouncing adjacent identical segments. Obligatory Contour Principle (OCP) is a universal principle that blocks any rule that would generate adjacent identical segments (Yip 1988, McCarthy 1986a). Consider the English pairs below:

pirate	pira[s]y	
vacant	vacan[s]y	
honest	*hones[s]y	hones[t]y

Failure of the rule generating this category of English nouns is attributed to OCP because it would create identical sounds [ss]. The same explanation hold why it is that the generation of *amnt* has been blocked. Notice that the sequence *mn* is also blocked in *autumn*, *column* and *condemn*, in all of which *mn* is pronounced as [m]. That is, the violation of OCP here is resolved by deleting the sound that creates a prohibited sequence. However, due to the fact that *amnt* involves a morphological operation, [m] has been replaced by [r] to resolve OCP violation.

Teacher's explanation could also draw on knowledge of students' learning in the courses they have taken, are taking or will take (teacher as *pedagogically competent* to teach that language). For example, this explanation holds also for the deletion of consonants in, for example, *handsome* and *handkerchief*, which students have learnt in a class of Speaking. Also, the same explanation would be valid for the pronunciation of syllabic consonants in *little*, *button* and *bottom* that students have learnt in a class of Speaking. These facts of pronunciation

could be explained along the same lines, with reference to phonotactic constraints. For this to happen in a class of grammar, the teacher should have phonological awareness that enables them to reflect their capacity to use, analyze and teach language.

### **Benefits of TLA in this respect:**

It should be noted that TLA-driven teaching involves many benefits as can be seen below:

- It develops in students the capacity to divide words into admissible and non-admissible sequences of segments, a practice which is certainly better than memorizing exceptions without understanding them.
- It upgrades students' capacity to identify phonotactic constraints in syllable parts, which would consolidate students' knowledge of the sound pattern of English, and apply such knowledge to develop their speaking skill.
- It develops students' metalanguage because they are studying rather than simply learning language. This would enhance students' perception that they are studying in a department of English Studies, rather than a language center!
- Reference to knowledge *about* language develops students' awareness of the links between content and language courses, and of the fact that language is a package, rather than dissociated set of skills,
- It enables students to reflect on their own learning, drawing on the analytical insights provided by the teacher, which would qualify them to engage in more advanced practices of language use and analysis in the future,
- Teachers would find it easier to develop sensitivity to *interlanguage* features and include them in their lesson plan and teaching activities.

These benefits clearly indicate the relevance of TLA in the teaching of English in the departments of English across the country. Let us now turn to morphological awareness.

### **Morphological awareness**

The capacity to use the knowledge of word formation rules is obviously conducive to the development of students' vocabulary stock, in terms of both breadth and depth. Teacher's morphological awareness, especially word-building (both inflection and derivation), would qualify them to develop in students the skill of constructing and deconstructing words, thereby learning the meanings of the building blocs of words (roots and affixes). Morphological knowledge (especially morphological analysis) would qualify students to successfully guess the meaning of newly encountered words (Carlisle and Stone 2003), which directly contributes to the development of their vocabulary stock. Also learners' performance in the four language skills is largely determined by the breadth of their vocabulary. Therefore, the development of vocabulary stock is closely linked to morphological knowledge. Hickey et. al (2014) conducted an analysis of Common Core State Standards (National Governors Association Center for Best Practices) and concluded that Standards are based on a very clear "relationship between morphological knowledge, vocabulary growth and reading comprehension." (p.101)

The major findings in this piece of research are given below:

- Capacity to divide words into affixes and roots is better than memorizing what a word means.
- Capacity to identify similar words that share these roots or affixes, widen and deepen their vocabulary stock.
- Students would find it easier to draw conclusions on their way of learning the language. By way of example, if students are made aware that the suffix *+en* derives the verb from color and size adjectives, such as *blacken*, then they would conclude that the same process is needed to build words like *whiten* and *harden*, or at least they would recognize these words when they

are encountered in reading comprehension.

These findings indicate that morphological awareness would enable students to reflect on their own learning. It also enables teachers to develop sensitivity to morphological features of English and include them in their lesson plan and teaching activities. Again, teachers can engage in highlighting these aspects only if they have developed the required level of TLA. The same holds for syntactic awareness.

### **Syntactic awareness**

I had my first-year students repeatedly asking me the following questions (Jmila 2019):

- Why is (a) correct and (b) incorrect in the pairs below:
  - (a) Why do you think she left early?
  - (b) \*Why do you think did she leave early?
  - (a) Who do you think killed Bill?
  - (b) \*Who do you think that killed Bill?

These examples may be solved by ad hoc prescriptive answers to students, such as “If you have a complex sentence, then make the inversion only in the first clause.” Also, “after question formation, remove *that* after the infinitive”. However, answers like these do not encourage students to develop their critical thinking, nor do they encourage teachers to analyze the language that they are teaching or reflect on the adequate pedagogical means to facilitate learning.

Let me underline a very important distinction here. Linguistics is concerned with the description of language structure (syntax, phonology, morphology) language use (sociolinguistics, pragmatics) and language learning (psycholinguistics). It is not aimed at solving problems of language teaching. Problem solving is the job of the teacher. The teacher is required solve the problem of what to teach and how to teach the second language (pedagogy). However, the teacher cannot do this whimsically in an ad hoc fashion. Every technique used in teaching should be related to underlying principles (knowledge about language), derived from linguistics. This makes teaching a principled problem-solving activity; and this is where applied linguistics comes in.

This implies that the language teacher is not interested in the application of linguistics or any other discipline; he is interested in solving language teaching problems. Now, are university teachers called to play the role of the applied linguist? The answer is “YES”, simply because the university is a research-driven institution, and university teaching staff are named “teacher-researchers”. The claim that I am making here finds support in the conclusion drawn by Ellis (1990, p.175): 'Teachers are concerned with both how knowledge is acquired and crucially, with the learners' ability to make use of this knowledge'. For this to happen, linguistic awareness is crucial.

Another important aspect of TLA is pragmatic awareness.

### **Pragmatic awareness**

Andrews (2001) reports a student asking his English teacher in Hong Kong “Miss Wong, why do we have to use the passive voice in our daily life?” and the teacher did not know how to handle that student’s questions, due to her inadequate TLA. While teaching the rule of passive formation is quite easy and students can quickly master it, reflective questions like the one asked by this student requires the teacher to have at least basic knowledge in pragmatics, rhetoric, text linguistics and discourse analysis to answer his question, and encourage student to reflect on their learning along similar lines.

Achugar et al. (2007) claims that a focus on genre helped teachers understand the mismatch between the kinds of texts students are expected to write in history classrooms and those they are assigned to read. Subsequently, in-depth training to deconstruct texts at the sentence level allowed teachers to analyze textbook passages and primary source documents and to incorporate this kind of language analysis with lesson plans successfully. The major benefits of pragmatic awareness are given below:

- Pragmatic awareness brings in textual, contextual, socio-political, and attitudinal dimensions to language courses, which would enable students to have a broader understanding of what they are learning. Such understanding can give them the

confidence to go beyond the boundaries of words and phrases, and behave like students of English studies, rather than simply learners of English.

- Pragmatic awareness provides links between teaching language structure and placing the learner at the center of the learning process, enabling them to reflect upon their learning.
- 

### **Complexity of change in belief and practice**

So far, we have exposed the relevance and benefits of linguistic awareness in classroom practices regarding the teaching of English. Let's now talk briefly about the challenges in practice.

### **What is being done**

In an article by Graeme Couper (2014) that I always give my Master students (MTEFL) to read and discuss in the Phonology class, the author shows how teachers lack the confidence to teach pronunciation and consequently neglect it in their language classes due to their lack of knowledge of phonology. He concludes that teachers should receive better guidance and support, both preservice and in-service, for the same reasons, more or less, that I have outlined so far in this paper. It should be noted that in the context of New Zealand, there is (1) preservice training for teachers, (2) in-service training, and (3) educational standards that are enforced and monitored continuously. In our context, Morocco, there is no formal preservice training for university teachers; there is no on-the-job training, and there are no formal standards to observe.

Therefore, for me to have an idea about the extent to which LA is at play in the departments of English studies in Morocco, I conducted informal interviews with some colleagues in Moroccan universities over a period of four months (November- February 2020) to elicit information relating to (1) their linguistic awareness and (2) how they exploit such awareness in their classes. While 16.66% of the subjects showed solid linguistic awareness and strive individually to exploit it

in their classes, 29.16% have a good background in linguistics but do not see how to use such knowledge in their pedagogical language in the classroom. More interestingly, 54.16% have little background in linguistics and teach language courses without any reference to knowledge about language.

Many factors seem to underly this unfortunate situation. First of all, university teachers of English have varied backgrounds, including but not limited to cultural studies, literature, translation, gender studies, education and linguistics. They tend to do research, after recruitment, in their areas of interest, ignoring the importance of TLA. Secondly, there are no clearly defined national standards that would encourage teachers to develop their teaching skills in certain specific directions. Thirdly, university teachers do not benefit from any in-service formal training promoting TLA, nor are they subjected to any evaluation or control that would motivate them to take TLA seriously.

### **What can/should be done**

Competence in an L2 is primarily a matter of implicit knowledge. Explicit knowledge 'is the declarative knowledge of the phonological, lexical, grammatical and pragmatic features of an L2 together with the metalanguage for labeling such knowledge (Ellis 2005). It is held consciously, is learnable and verbalizable and is typically accessed through controlled processing when learners experience some kind of linguistic difficulty in the use of the L2. Therefore, university teachers are supposed to strike a balance between explicit knowledge as analyzed knowledge and as metalingual explanation. This is because the former entails a conscious awareness of how a structural feature works while the latter consists of knowledge of grammatical metalanguage and the ability to understand explanations of rules. This, in turn, can only be achieved if the teacher is engaged in research to develop the required awareness that would help them carry off their teaching duties properly. Remember a linguistically aware teacher is (1) user (2) analyzer and (3) pedagogically competent.

In the absence of pre-service and in-service training for university teachers of English, individual efforts would fall short of the

desired pedagogical competence that should be developed. TLA is a useful tool to monitor output in the classroom, which, itself, serves as a source of input. Knowledge about language is a reliable resource for teachers to making decisions about what and how to teach any content about language. More importantly, linguistically aware teachers would enable students consciously use and evaluate different learning style in order to both reflect upon and develop their own learning.

### **Concluding remarks**

Having argued that TLA is a necessary component for successful teaching, university teachers, regardless of their background, can develop it through the following means:

- Online networks of communication could allow teachers (in-service) to interact electronically with each other about language-related issues, in order to develop TLA and exploit it in their classroom practices.
- A good deal of language courses' coordination time should be devoted to TLA, and how it is reflected in teaching methodology, teaching material and lesson plans.
- Regular workshops on TLA should be organized for faculty and doctoral students, focusing on morphology, syntax, phonology and pragmatics. Teachers would be encouraged to apply this knowledge in their classroom practices in order to build in students the confidence needed to talk about key features in the material they are exposed to.
- TLA-sensitive Departmental Standards should be established to guide the activities above.
- Finally, this article leaves many loose ends for further research. TLA is such an under-investigated area and involves many topics that university teachers and doctoral students can research such as the following:

- a) The role of subject-matter knowledge in instruction, what it is that L2 teachers need to know about language in general and the

target language in particular in order to teach, and the amount and type of subject-matter knowledge needed to teach different levels of learner;

b) The relationship between teacher's cognition, classroom practice and learning.

c) The relationship between the declarative and procedural dimensions of TLA, and between TLA and general teaching competence;

d) How TLA might best be developed for university teachers with little or no background in linguistics.

## References

- Achugar, M., Schleppegrell, M., & Oteiza, T. (2007). Engaging teachers in language analysis: A functional linguistic approach to reflective literacy. *English Teaching: Practice and Technique*, 6(2), pp. 8-24.
- Andrews, S. J. (2001). The language awareness of the L2 teacher: its impact upon pedagogical practice. *Language Awareness*, 10(2-3), pp. 75-90
- Andrews, S. J. (2003). Teacher language awareness and the professional knowledge base of the L2 teacher. *Language Awareness*, 12 (2), pp. 81-95.
- Andrews, S. J. (2006). The evolution of teachers' language awareness. *Language Awareness*, 15 (1), pp. 1-19.
- Berry, R. (2014). Investigating language awareness: The role of terminology. In A. Lyda and K. Szczesniak (Ed.), *Awareness in Action, Second Language Learning and Teaching*, pp. 21-33. Switzerland: Springer International Publishing.
- Bolitho, R., Carter, R., Hughes, R., Ivanic, R., Masuhara, H., & Tomlinson, B. (2003). Ten questions about language awareness. *ELT Journal*, 57(3), pp. 251–260. <http://dx.doi.org/10.1093/elt/57.3.251>
- Borg, S. (2011). The impact of in-service teacher education on language teachers' beliefs. *System*, 39, pp. 370-380.
- Carlisle, J. F. and C. A. Stone (2003). The effects of morphological structure on children's reading of derived words in English. *Reading Complex Words*, Springer: 27-52.
- Cenoz, D. (2017). *Language Awareness and Multilingualism*. New York: Springer.
- Couper, G. (2017). Teacher cognition of pronunciation teaching: teachers' concerns and issues. *TESOL Quarterly*, 51 (4), pp. 820-843
- Ellis, R. (1990). *Instructed second language acquisition: learning in the classroom*. Oxford: Blackwell.
- Ellis, R. (1994). Implicit/ explicit knowledge and language pedagogy. *TESOL Quarterly* 28 (1), pp. 166-172.

- Hickey, D., Itow, R., Schenke, K., Tran, C., Otto, N., & Chow, C. (2014). Badges Design Principles Documentation Project January Interim Report. Indiana University.
- Jmila, M. (2019). Motivations for university teachers' language awareness. Proceedings of the Eurasian Conference on Language and Social Sciences. Antalya: Turkey. Pp. 261-270.
- Jmila, M. (2020). Motivations for university teachers' language awareness. Paper presented to the International Conference on Digital Trends in Language & Literature. 15-17 January 2020. University of Malesia, Kuala Lumpur.
- Lucas, T., & Villegas, A. M. (2011). A framework for preparing linguistically responsive teachers. In T. Lucas (Ed.), *Teacher preparation for linguistically diverse classrooms: A resource for teacher educators* (pp. 55-72). New York, NY: R.
- McCarthy, John. 1986. OCP Effects: Gemination and antigemination. *Linguistic Inquiry* 17: 207–263.
- Thornbury, S. (1997). *About language*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Wright, T. (2002) Doing language awareness: Issues for language study in language teacher education', in H. Trappes-Lomax & G. Ferguson (Eds.), *Language in Language Teacher Education*. Amsterdam: John Benjamins.
- Yip, Moira. 1988. The obligatory contour principle and phonological rules: A loss of identity. *Linguistic Inquiry* 19:65–100.

<b>Thematic of the Issue: Argumentation</b>	
..... النحو الوظيفي والخطاب الحجاجي التقوية والمؤيدات في اللغة العربية..... أحمد المتوكل (ص 1-27)	
<i>Language Argumentation and Thought Mechanisms: A Cognitive Linguistic Approach.....</i> <b>Abdal Rahman Mohammad Teama (pp29-67)</b>	
<i>Coherence in Argumentative Discourse Cognitive Pragmatics Approach.....</i> <b>Sadok Saadia (pp69-122)</b>	
<i>The Intention and the Creation of Fallacy (Argumentative lexical study).....</i> <b>Faten ben Salem (pp123-156)</b>	
<i>The Argument of Dialogue in The Novel (Karnak) Najib Mahfouz.....</i> <b>Omya Subhi Khalil Aladdin (pp157-185)</b>	
<i>Force Schema Metaphor in Argument-based Contexts in Gibran Khalil Gibran's Language.</i> <b>Mohamed Salah Bouomrani (pp187-224)</b>	
<i>Critique and Political Argumentation .....</i> <b>Muhyiedine Muhassebe (pp225-241)</b>	
<i>Argumentation Analysis and the Discourse-Historical Approach: A Methodological Framework.....</i> <b>Martin Reisingl Saïd Bakkar (pp243-282)</b>	
<i>Quand L'argumentation n'est que visée Persuasif. L'exemple du discours politique.....</i> <b>Patrick Charaudeau Abdelkader Mellouk (pp283-309)</b>	
<b>The interview of Issue</b>	
<i>Rhetorics in the Era of Globalisation With the Moroccan Scholar: Mohamed El Ouali.....</i> <b>Interviewed by: Hanoun Mbarek (pp311-318)</b>	
<b>Studies &amp; Researches</b>	
<i>Cognitive Correlation Between Sciences, Linguistics Example.....</i> <b>Mohamed Ghalim (pp319-356)</b>	

<i>Language Policies in Education and Reconstruction of National Identity in Qatar: a Sociolinguistic Study</i> .....
<b>Eiman M. Mustafawi, Hadeel Alkhateeb (pp357-382)</b>
<i>The Problem of Etymology of the Modern Linguistic Term in the Heritage</i> .....
<b>Khalifa Missaoui (pp383-405)</b>
<i>The Arab Proposition in the Translation of the Pragmatic Team: A Critical Conceptual Review</i> .....
<b>Messaoud Sahraoui (pp407-436)</b>
.....أهمية الوعي اللساني لدى مدرسي اللغات الأجنبية بالمغرب.....
ملبكة جميلة (ص ص 437-453)

*Thematic of the issue*

*Argumentation*

Participants In This Issue

- Pr. El ouali mohamed
- Pr. Ghalim Mohamed
- Pr. Hanoun Mbarek
- Pr. Missaoui Khalifa
- Pr. Moutaouakil Ahmed
- Pr. Muhassebe Muhyyedine
- Pr. Sahraoui Messaoud
- Dr. Mohammad Teama Abdal Rahman
- Dr. Sadok Saadia
- Dr. Ben Salem Faten
- Dr. Subhi Khalil Aladdin Omyma
- Dr. Bakkar Said
- Dr. Mellouk Abdelkader
- Dr. Mustafawi Eiman M.
- Dr. Alkhateeb Hadeel
- Dr. Malika Jmila

Rules of Publishing

### *The linguist is*

- A refereed international quarterly journal of linguistics.
- It publishes manuscripts and data written in Arabic, English and French.
- It accepts research articles, and translated or reviewed works that are of significant scientific importance.

### *The Mission*

- The ultimate mission of the journal is to:
- contribute to the dissemination of a universal linguistic culture.
- participate in developing linguistic research in the Arab world.
- keep abreast of the developments of linguistic research and its innovations.
- inform researchers and interested academicians about the most important works written and published in modern linguistics.
- encourage linguistics openness on other fields and enhance interdisciplinary studies.

### *Specificity and Uniqueness*

- The journal publishes rigorous studies in the field of linguistics.
- The journal seeks to keep abreast of the developments of linguistic research through the translation of studies published in outstanding international journals of linguistics.
- The journal promotes discussions on the most important contemporary linguistic issues.

### *Conditions of Publication*

- The journal publishes original manuscripts that have not been published or sent for publication to any other party.
- The manuscripts (articles, book reviews, translated works...) sent for publication must pertain to linguistics.
- Research projects and studies must adhere to academic scientific norms and conventions.
- The articles must be written in accordance with the journal formatting and referencing styles as shown on the journal's website.
- The manuscripts length should be no more than 9000 words, including appendices.

## Rules of Publishing

### Conditions for book Reviews

- The journal publishes reviews of recent books, whether they are translated into Arabic or not.
- Book reviews must abide by the following conditions:
  - The reviewed book content should be pertinent to the journal areas of interests.
  - The choice of the book should be based on objective reasons: the importance of the book, its scientific value, its enrichment of the field of knowledge, and the usefulness of its review.
  - The book has to have been published within the last five years,
  - The review layout should also take into account the following guidelines:
  - Specify the title of the book, the name of the author, the number of chapters and pages, the place and the date of publication.
  - Briefly introduce the author or the translator of the book.
  - Specify the main thesis of the book, explain its methodology and state its objectives, general ideas, and references.
  - Thoroughly present and analyze the contents of the book using critical tools and comparative approaches.
  - The review should be no less than 2000 and no more than 3000 words, although reviews of up to 4000 words are also accepted provided that they focus on analysis and comparison.

### Formatting and Referencing Styles

Please refer to the journal's website:

<https://www.linguist.ma/>

### Other Requirements for Publication

- Research papers submitted for publication in the Journal should be accompanied by:
- The original source version of the translated text along with its full reference.
- The research abstract in both Arabic and in English, within 300 words,
- An inventory of the research key words,
- A brief biography of the author (within 200 words), both in Arabic and English.
- A detailed CV of the author.

## Rules of Publishing

### **Publication Procedures**

All materials should be sent to the magazine email:

***info@linguist.ma or ismaili@linguist.ma***

- The journal notifies the authors upon receipt of their works.
- The journal notifies the authors of preliminary acceptance or rejection of their manuscript within one month. Afterwards, the work is subjected to blind peer reviewing for scientific evaluation.
- The researcher is informed of the peer review results (acceptance or rejection) within a period not exceeding three months from the date of his notification that the submitted material meets the formal requirements.
- In case of the manuscript rejection, the journal is not required to justify its decision.
- The author shall be informed of any modifications requested by the reviewers. Accordingly, he is expected to comply with the deadlines for the required changes and corrections.
- The journal requires that the researcher commit to editing and proofreading in accordance with the conditions applicable in the international periodicals,
- The journal reserves the right to republish the manuscript in any format it deems useful.
- No manuscript may be published elsewhere after being peer reviewed and finally accepted for publication by the journal.

### **Disclaimer**

- The journal does not offer any compensation for the published works, nor does it charge any fees for publication.
- All articles represent the authors' opinions and do not reflect the official view of the journal.
- Authors are solely responsible for their manuscripts and data published in the journal.

### **Contacts**

- All articles are sent to the journal's e-mail:

***info@linguist.ma or ismaili@linguist.ma***

For more details, please visit the journal website:

**<https://www.linguist.ma>**

*Managing Director*  
**Pr. Jamal Eddine El Hani**  
**Dean on the Faculty of Letters  
and Human Sciences Rabat**

*Responsible Director and  
Editor-in- Chief:*  
**Pr. Hafid Ismaili Alaoui**

*Editorial Board*

Pr. Abderrahman Laouina  
Pr. Fatima-zahra El Fenne  
Pr. Karim Bensoukasse  
Pr. Mohammed Derouiche  
Pr. Mohammed Taki  
Pr. Saadia Seghir  
Pr. Said Bennis  
Dr. Hakima Khamar  
Dr. Hassan Belhiah  
Dr. Hicham Ouardi  
Dr. Ikbal Zeddari  
Dr. Jamal Ez-zouaine  
Dr. Laila Mounir  
Dr. Mohammed Merzouk  
Dr. Otman Ahmiani  
Dr. Souad El youssoufi

ISSN: 2665-7406

E-ISSN: 2737-8586

*The linguist is a refereed international  
quarterly journal of linguistics  
Published by the faculty of Letters and  
Human sciences Mohamed V  
University.*

*Consulting Board:*

Pr. Abderrazak Bannou  
Pr. Ahmed Alaoui  
Pr. Ahmed Moutaouakil  
Pr. Ezzeddine Majdoub  
Pr. Hamza Al-Mozainy  
Pr. Mbarek Hanoun  
Pr. Michel Zakaria  
Pr. Mohamed Ghalim  
Pr. Mohammed El Boukri  
Pr. Mohammed Essayedi  
Pr. Mostafa Ghelfane  
Pr. Mouhamed Chaouch  
Pr. Murtadha J. Bakir  
Pr. Nihad El-Moussa  
Pr. Saad Maslouh  
Pr. Salah Belaïd

*All materials should be sent to  
the magazine email:*

[info@linguist.ma](mailto:info@linguist.ma) [ismaili@linguist.ma](mailto:ismaili@linguist.ma)

*For more details, please visit the  
journal's website:*

<https://www.linguist.ma>

# اللغويات linguist

Peer-reviewed and refereed journal published by The faculty of letters and human sciences Rabat

*Vol (1), N° (3) Summer 2021*

ISSN: 2665-7406

E-ISSN: 2737-8586

E-mail Address:

[info@linguist.ma](mailto:info@linguist.ma)

[ismaili@linguist.ma](mailto:ismaili@linguist.ma)

The Journal Website:

<https://www.linguist.ma>



جامعة محمد الخامس بالرباط  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
Université Mohammed V de Rabat  
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines  
Mohammed V University in Rabat  
Faculty of Letters & Human Sciences



ISSN: 2665-7406  
E-ISSN: 2737-8586

# اللغويات Linguist

Peer-reviewed and refereed journal published by The faculty of letters and human sciences Rabat

Vol (1), N° (3), Summer 2021

*Thematic of the issue*  
**Argumentation**